



الجمهورية العربية
السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم
الإنسانية
قسم التاريخ

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة اليمن 1962 - 1918

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

إشراف
أ.د . سمر بھلوان

إعداد
الطالب / علي مصلح محمد هائل

2012 / 1433

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ تَعَالَى :

((رَبِّ أَوْزِعِنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالَّذِي وَأَنْ أَعْمَلْ صَالِحًا تُرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرِحْمَةِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))⁽¹⁾

صدق الله العظيم

الإمام

إلى من كنت أتمنى أن يشهدوا هذا العمل، رحمهما الله.

أبی و امی

إلى رفيقة الدرب، وشريكة الحياة، التي شاطرته متابع غربتي، ومنحتي وقتها
ورعايتها.

زوجتي الغالية

إلى نبضات قلبي، وسر صمودي، وامتداد حياتي، فلذتا كبدى.

أميرة وشہد

فوق ذلك أهديها إلى من جسمى بترابها، وروحى معلقة بها، إلى الشموخ والعزة اليمن الحبيب، وإلى بلد العروبة موطنى الثاني، التي احتضنتي أيام دراستي سوريا المجد والحضارة.

إلى كل هؤلاء، أهدي ثمرة جهدي، وفاءً وعرفاناً.

الباحث

الشكر والتقدير

عرفاناً بالجميل، وتعبيراً عن الإجلال والتقدير، ووفاءً لأهل الفضل، وتأسيساً بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : (من لم يشكر الناس لا يشكر الله)^(١). فلي أولاً وأخيراًأشكر الله سبحانه وتعالى، الذي ألهمني الطموح وسدد خطاي .

كما أنقدم بالشكر والعرفان الجزيل، للأستاذة الدكتورة/ سمر بعلوان، التي أشرفـت على هذا العمل، ولم تبذلـ على بجهـد ونصـيحةـ، من خـلالـ ما بـذلـتهـ مـعـيـ من جـهدـ صـادـقـ، وعـطـفـ كـرـيمـ، فـقدـ أـمـدـتـيـ بـعـلـمـهاـ، وـسـعـةـ خـلـقـهاـ وـحـلـمـهاـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـجـعـلـ قـلـمـيـ عـاجـزاـ عـنـ صـيـاغـةـ مـاـ يـكـهـ قـلـبـيـ لـهـ .

كما أنقدم بخالص التقدير وحسن الثناء لأسانتـي الأفضلـ أـعـضـاءـ لـجـنـةـ المـوـقـرـةـ وـهـمـ : الأـسـتـاذـةـ الدـكـتـورـهـ /ـ نـجـاحـ مـحـمـدـ، وـالـأـسـتـاذـةـ الدـكـتـورـهـ /ـ كـامـيلـيـاـ أـبـوـ جـبـلـ، وـالـأـسـتـاذـ الدـكـتـورـ /ـ فـارـوقـ العـمـرـ، وـالـأـسـتـاذـ الدـكـتـورـ /ـ أـحـمـدـ خـضـرـ .

على تفضـلـهـمـ بـقبـولـ منـاقـشـةـ هـذـهـ الأـطـرـوـحةـ، وـالـذـينـ تـحـمـلـواـ العـبـءـ فـيـ قـرـاعـتـهـاـ وـتـدـقـيقـهـاـ، وـابـدـاءـ مـلـاحـظـاتـهـمـ، وـاـرـشـادـهـمـ الـقـيـمةـ، لـتـصـوـيـبـهـاـ، وـكـمـالـ نـوـافـصـهـاـ، وـوـعـدـاـ مـنـيـ بـأنـ كـلـ مـلـاحـظـاتـهـمـ سـتـكـونـ مـحـلـ تـقـدـيرـ وـعـنـيـةـ وـاهـتـمـامـ .

كـماـ أـنـقـدـمـ بـخـالـصـ تـقـيـريـ إـلـىـ عـمـادـةـ كـلـيـةـ الـآـدـاـبـ بـجـامـعـةـ دـمـشـقـ، وـجـمـيـعـ مـوـظـفـيـهـاـ، وـرـئـاسـةـ قـسـمـ التـارـيخـ، وـجـمـيـعـ أـسـانـتـهـ .

كـماـ أـوجـهـ عـظـيمـ شـكـريـ وـامـتـانـيـ إـلـىـ جـامـعـتـيـ المـوـقـرـةـ (ـ جـامـعـةـ الـحـدـيدـةـ)، وـالـشـكـرـ مـوـصـولـ لـإـدـارـةـ الـدـرـاسـاتـ الـعـلـيـاـ بـالـجـامـعـةـ، التـيـ هـيـأـتـ لـيـ الفـرـصـةـ لـمـوـاصـلـةـ الـدـرـاسـةـ، لـتـلـيـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ الـعـلـمـيـةـ، وـلـعـمـادـةـ كـلـيـةـ التـرـبـيـةـ بـزـيـدـ، وـجـمـيـعـ مـوـظـفـيـهـاـ، وـلـجـمـيـعـ أـسـانـتـهـ بـقـسـمـ الـعـلـومـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

كـماـ أـشـكـرـ كـلـ العـامـلـيـنـ فـيـ كـلـ مـنـ :ـ مـكـتبـةـ الـأـشـاعـرـ بـزـيـدـ، وـمـكـتبـةـ الـمـؤـرـخـ عبدـ الرـحـمـنـ الـحـضـرـمـيـ الـخـاصـةـ بـزـيـدـ، وـمـكـتبـةـ الـعـامـةـ بـزـيـدـ، وـمـكـتبـةـ كـلـيـةـ التـرـبـيـةـ بـزـيـدـ، وـمـكـتبـةـ الـمـسـتـقـبـلـ بـمـدـيـنـةـ حـيـسـ، وـمـكـتبـةـ الـمـرـكـزـيـةـ بـجـامـعـةـ الـحـدـيدـةـ، وـمـكـتبـةـ الـمـرـكـزـيـةـ بـجـامـعـةـ صـنـعـاءـ، وـمـرـكـزـ الـوطـنـيـ لـلـوـثـائقـ بـصـنـعـاءـ وـعـلـىـ رـأـسـهـ الـقـاضـيـ الـعـلـامـةـ /ـ عـلـيـ أـحـمـدـ أـبـوـ الرـجـالـ رـئـيسـ الـمـرـكـزـ، وـالـدـكـتـورـ فـؤـادـ الشـامـيـ، عـلـىـ حـسـنـ تـعـاملـهـمـاـ مـعـيـ، وـتـزوـيـدـيـ بـبعـضـ الـوـثـائقـ، وـمـكـتبـةـ السـعـيدـ بـتـعزـ، وـمـكـتبـةـ التـقـوـىـ بـبـيـتـ الـفـقـيـهـ، وـمـكـتبـةـ الـأـسـدـ بـدـمـشـقـ، وـمـرـكـزـ الـدـرـاسـاتـ وـالـبـحـوثـ بـصـنـعـاءـ، وـمـرـكـزـ الـفـرـنـسيـ بـصـنـعـاءـ، وـدارـ الـكـتبـ بـصـنـعـاءـ .

كـماـ أـعـبـرـ عـنـ اـمـتـانـيـ لـكـلـ مـنـ قـدـمـ لـيـ يـدـ الـعـونـ أـثـاءـ جـمـعـ الـمـعـلـومـاتـ وـهـمـ:ـ عـرـفـاتـ الـحـضـرـمـيـ، وـهـشـامـ وـرـوـ، وـدـاـوـدـ باـزـيـ، وـجـمـالـ مـهـدـيـ، وـعـبـدـ الـجـبـارـ باـجـلـ، وـالـدـكـتـورـ الزـمـيلـ خـالـدـ الـأـهـدـلـ،

1 - الترمذى ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ، تج/أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، بيروت ، ج 4 ، (د.ط)، ص 298

وأحمد الغزي، وعبد الودود مبشر، وأحمد المصعبي، وعبد الحبيب الذباني، وعبد الرحمن المزجاجي .

ولكل من أسدى إلي معرفاً ، أو أعارني كتاباً ، أو أرشدني إلى مرجع ، أو زودني بقصاصة ، أو أفادني ولو بكلمة. فلهم جميعاً مني كل الشكر والتقدير .
والله من وراء القصد .

الباحث

المختصرات المستعملة

- ❖ تح : تحقيق.
- ❖ تر : ترجمة.
- ❖ ج : الجزء.
- ❖ (د. ت) : بدون تاريخ النشر.

- ❖ (د . ط) : بدون رقم الطبعة.
- ❖ (د . م) : دون مكان النشر.
- ❖ (د . ن) دون ناشر.
- ❖ ص: الصفحة.
- ❖ ط: الطبعة.
- ❖ ق : ورقة بالنسبة للمصدر المخطوط .
- ❖ مج: مجلد.
- ❖ ت : توفي .
- ❖ سم²: سنتيمتر مربع.
- ❖ م²: متر مربع.
- ❖ ع : العدد بالنسبة للدوريات .
- ❖ كم² : كيلو متر مربع .
- ❖ م: ميلادي.
- ❖ ه : هجري .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء.....
ب	الشكر والتقدير
د	المختصرات.....
1	المقدمة.....
9	التمهيد: موجز عن أوضاع تهاامة منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني وبداية حكم أسرة آل حميد الدين:

10 1 - التسمية.....
11 2- الموقع والوصف الجغرافي.....
20 3- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.....
27	الباب الأول: الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918 – 1962) :
28	مدخل: موجز عن الأوضاع السياسية في اليمن بين عامي 1918 – 1962 وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة.
37	الفصل الأول: البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن:
37	. قوى وعلاقات الإنتاج في تهامة اليمن:.....
37 1- الملكية الزراعية أشكالها وطرق استغلالها في تهامة:
38 أ- تعريف الملكية.....
38 ب- أشكال الملكية الزراعية في تهامة
45 ج- طرق استغلال الأراضي الزراعية في تهامة
50 2- أدوات العمل الزراعي في تهامة
52 3- نظام الري.....
57 4- أنواع الضرائب الزراعية وطرق تغيرها وجبايتها.....
65	الفصل الثاني: مجالات الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن (1918 – 1962) :
66	أولاً . الزراعة والإنتاج الحيواني في تهامة اليمن (1918 – 1962) :.....
66 1- الزراعة في تهامة :
66 أ- مقومات ازدهار الزراعة في تهامة.....
68 ب- الإنتاج الزراعي في تهامة
68 1- المعالم الزراعية في تهامة
74 2- المحاصيل الزراعية في تهامة
82 2- الإنتاج الحيواني في تهامة
85	ثانياً . الصناعات الحرفية في تهامة اليمن (1918 – 1962) :.....
85 1- صناعة المنسوجات
89 2- صناعة الصباغة.....
91 3- الصناعات الفخارية.....

93 4- الصناعات الجلدية.
95 5- الصناعات الخشبية.....
98 6- صناعة استخراج زيت السمسم (الجلجان).....
100 7- صناعة الحصير (الخوص)
102 8- صناعة مواد وأدوات البناء
110 ثالثاً . التجارة في تهامة اليمن (1918 - 1962) :
110 أ - التجارة الداخلية:
110 1- العوائق التي حدّت من نمو الحركة التجارية في تهامة
111 2- الأسواق التجارية في تهامة
115 3- التجار والمؤسسات التجارية في تهامة
120 4- سياسة الدولة التجارية وانعكاسها على التجارة في تهامة
121 5- العملة والبنوك.....
124 6- المقاييس والمكاييل والأوزان في تهامة.....
126 ب . التجارة الخارجية:
126 1- صادرات تهامة
129 2- الواردات إلى تهامة
131 3- الموانئ في تهامة
139 4- الضرائب الجمركية على السلع التجارية في تهامة
141 ج . الطرق والمواصلات في تهامة:
141 أولاً . الطرق:
141 1- الطرق البرية
143 2- الطرق البحرية.....
143 ثانياً . المواصلات:
143 1- وسائل النقل البري
145 2- وسائل النقل البحري.....
145 3- وسائل النقل الجوي.....
148 الباب الثاني: الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل
	: (1962 - 1918) حميد الدين

148	الفصل الأول: التركيبة الاجتماعية في تهامة اليمن:
150	1- فئة السادة.....
159	2- فئة القضاة
165	3-فئة كبار المالك والشيخ
183	4-فئة التجار
188	5-فئة الفلاحين.....
192	6-الحرفيون وأرباب المهن.....
198	7-العبد والخدم.....
209	الفصل الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن:
212	أولاً . العادات والتقاليد في تهامة:
210	1- عادات الزواج ومراسيمه.....
220	2- الازياء
226	3- الولادة والختان.....
228	4- الوفاة (المأتم).....
230	5-الأعياد والاحتفالات الدينية.....
236	6-البيوت.....
240	7-الأكلات الشعبية.....
241	8-الرقصات والأغاني الشعبية.....
248	ثانياً . التعليم وأنواعه في تهامة:
249	1- العوامل التي ساهمت في غياب التعليم الحديث وانتشار التعليم الديني..
252	2- أنواع التعليم في تهامة:
252	أ- التعليم الديني ومؤسساته:
252	1- الكتاتيب (المعلمات).....
257	2- المساجد (الجوامع).....
271	3- زرط
273	4- المدارس العلمية.....
278	ب- التعليم النظمي الحديث ومراحله:
279	1- مرحلة التعليم الأولى (التحضيرى)

282 2- مرحلة التعليم الابتدائي.....
284 3- مرحلة التعليم المتوسط (الإعدادي).....
285 4- مرحلة التعليم الثانوي.....
289 ثالثاً . الأوضاع الصحية في تهامة:
289 1-أسباب تدهور الوضع الصحي في تهامة
290 2- المشافي والمرافق الصحية في تهامة
294 3-أساليب وطرق العلاج التقليدية في تهامة:
295 أ- العلاج بالأعشاب والكي والحجامة.....
295 ب- الأسلوب التقليدي الغيبي:
296 1- العلاج بالزار
297 2- العلاج بالسحر
297 3- العلاج بالمحو
298 الخاتمة.....
302 الملاحق.....
323 قائمة المصادر والمراجع

المقدمة :

1- حول اختيار موضوع البحث وأهميته:

تشكل دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العمق الأهم لدراسة التاريخ السياسي، وإذا كان تاريخ اليمن السياسي قد حظي بالكثير من الدراسات والبحوث، فإن دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي اليمني لا تزال غير مطروقة بالشكل اللازم، على الرغم من أهميتها، حيث يشكل هذا التاريخ مجالاً خصباً للبحث فيه، لما له من فوائد جمة في المجال المعرفي للحضارة العربية في تلك المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية ،أي اليمن، وانعكاساتها الإيجابية على مساعي تطوير المجتمع، وتحسين هيكله الاقتصادي والاجتماعية. كما أن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي أصبح وسيلة ليس فقط لفهم الأحداث السياسية، وإنما لفهم الأدق لاتجاهات الفكرية التي تسود أو تتحسر من فترة أخرى، ومدى ارتباط ذلك بالفئات الاجتماعية التي تبني هذه الاتجاهات أو تعارضها .

ولعل ذلك من أهم الأسباب التي دفعتي للعمل في هذه الدراسة، وذلك لما لها من أهمية كونها ستتناول قراءة تاريخية جديدة لمنطقة تهامة اليمن، حول الواقع الاقتصادي . الاجتماعي مابين 1918 - 1962 وبخاصة لما تميز به المنطقة من موقع جغرافي استراتيجي مفتوح على البحر الأحمر، مما جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتعددة إلى جانب اليمنيين الأصلاء مما أثر على تركيبة بنيتها الاقتصادية . الاجتماعية . وبالتالي شكّل عامل بحث واهتمام، خاصة وأنه لم يتوفّر لدينا ما يكفي من الدراسات التاريخية الأكاديمية الواافية عن دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لتلك المنطقة. هذا إلى جانب أن فهم الواقع الاقتصادي والاجتماعي (بنية تحتية)، يعكس واقع تهامة كاملاً، بما في ذلك واقع الحياة السياسية والفكرية وحتى العسكرية .

أما الإطار الزمني لاختيار زمن البحث وبدايته مع عام 1918 فهو الوقت الذي انهارت فيه الدولة العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وخروج قواتها من اليمن ومنها تهامة، وتسلم حكم البلاد إلى أسرة آل حميد الدين ، أما عام 1962 فهو العام الذي قامت فيه الثورة، وانتهى دور تلك الأسرة من حكم البلاد، وقيام الجمهورية العربية اليمنية .

لقد جاء هذا البحث كمحاولة لدراسة واقع تهامة الاقتصادي . الاجتماعي خلال فترة حكم أسرة حميد الدين، وانعكاس هذا الواقع على بنية المجتمع، وتركيبته السكانية، وطرق الإنتاج،

والمعيشة، وعلاقة أبناء المجتمع فيما بينهم، وأعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية . وهذا يعني أن دراسة تلك المرحلة تؤسس للمرحلة المعاصرة التي يعيشها المجتمع اليمني عامة وتهامة خاصة، وهذا الهدف يعد من أركان علم التاريخ الأساسية، إذ أن في الفهم الصحيح لتاريخ وماضي المنطقة أهمية في بناء حاضرها ومستقبلها .

2- حول إشكالية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تاريخ الواقع الاقتصادي لمنطقة تهامة خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918 - 1962)، وانعكاس ذلك على التركيبة الاقتصادية . الاجتماعية في تهامة، ودراسة بنية الفئات التي شكلت المجتمع، وأوضاعها في النمط الاقتصادي السائد، وتأثير ذلك في مظاهر حياتها العامة، في الأفراح والأتراح، وال العلاقات القائمة بين أفرادها، وموقع كل فئة من المجتمع، كما يهدف إلى توضيح طرق الحياة الاجتماعية التي كان يمارسها المجتمع خلال تلك الفترة، وذلك بهدف معرفة الأسلوب والكيفية والمستوى المعيشي لجميع فئات المجتمع، كما يهدف إلى معرفة واقع الخدمات الاجتماعية عامة من تعليم وصحة وغيرها ...

أما إشكالية البحث فتتركز حول دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة تهامة، وذلك لمعرفة الأسباب التي حالت دون تغير هذا الواقع بشكل كبير ، على الرغم من افتتاح المنطقة على البحر الأحمر، مما جعلها ملتقى للكثير من الجنسيات، وهذا ما يختلف عن بقية مناطق الوطن العربي المفتوحة على العالم . ولإيضاح ما للحياة الاقتصادية من تأثير في التركيبة الاجتماعية . وهل غير الوافدون (عبر موقع تهامة المفتوح على العالم) في بنية المجتمع، وتركيبته التقليدية الأساس؟ . وما هي أهم المتغيرات التي حصلت في بنية الحياة الاجتماعية؟، إلى جانب معرفة طبيعة وقوى وعلاقات الإنتاج في اليمن ومنها تهامة.

3- منهج البحث:

استوجب إعداد هذه الدراسة، إتباع المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لعناصر المجتمع وفاته وأوضاعه الاقتصادية . (أي دراسة المعطيات التاريخية، وتحليلها تحليلًا عميقاً، بحيث يتمكن من توضيح الأساس الذي يقوم عليه الواقع الاقتصادي . الاجتماعي في تهامة، وما أثر فيه من عوامل جديدة من خلال الموقع، وطبيعة البلاد بحد ذاتها) .

4- حول مضمون البحث:

اقضت طبيعة الموضوع، تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين أساسيين، يتضمن كل منها فصلين رئيسيين وعدد من البنود الفرعية التفصيلية عن كل فصل، وخاتمة تضمنت نتائج البحث الأهم.

تضمنت المقدمة موجزاً عن البحث برمته، من حيث أهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وشكاليته، والمنهج المتبع في الدراسة، فضلاً عن الصعوبات التي واجهها الباحث، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة .

بينما خصص التمهيد لدراسة جيوستراتيجية المنطقة من حيث التسمية، والموقع الاستراتيجي وأهميته، والتضاريس والمناخ، ثم مدخل تاريخي للفترة التي سبقت زمن دراستنا الممتدة ما بين (1918 - 1962) وعنت بتناول الأوضاع السياسية التي شهتها اليمن بشكل عام وتهامة تحديداً منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية فترة الدراسة، وما تعرضت له المنطقة من صراعات في ظل الحكم العثماني الثاني على اليمن، وانعكاس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة .

أما الباب الأول فجاء بعنوان : ((الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن ما بين 1918 - 1962)) واحتوى على فصلين أساسيين وفقاً لطبيعة الموضوع : تضمن الفصل الأول دراسة البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن، متناولاً أشكال الملكية الزراعية في تهامة، التي اتخذت ثلاثة أشكال هي: الملكية الخاصة التي شكلت القسم الأكبر بين الملكيات الزراعية الأخرى، بمختلف أحجامها الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وملكية الأوقاف التي احتلت المرتبة الثانية بين أشكال الملكية، وملكية الدولة التي جاءت في المرتبة الثالثة . كما تمت دراسة الطرق التي كان يتم بها استغلال الأراضي الزراعية، والتي تمثلت بطريقة الإيجار، والمشاركة في المحصول، التي كانت أوسع انتشاراً خلال تلك الفترة، وخاصة لدى أصحاب الملكيات الكبيرة، وطريقة الاستئجار. كما تناول أدوات العمل الزراعي، ونظام الري، مركزاً في نهايته على الضرائب الزراعية وأشكالها، وطرق تقييمها وجيابيتها، وانعكاس ذلك على أوضاع الفلاحين المعيشية خلال تلك الفترة.

ودرس الفصل الثاني مجالات الحياة الاقتصادية في تهامة، مع التركيز على أهمية المجالات الاقتصادية المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وأثرها في حياة المجتمع. ففي المجال

الزراعي، تمت دراسة الواقع الزراعي، والإنتاج الحيواني، مع توضيح المقومات التي ساعدت على ازدهار الزراعة في تهامة المتمثلة بالموقع، ونوعية التربة، والمناخ، وتتوفر مصادر المياه، وتقسيط الحياة الزراعية، وأهم المحاصيل وأنواعها.

كما تناول هذا الفصل دراسة الصناعات الحرفية في تهامة، ومنها صناعة المنسوجات، والصباغة، والصناعات الفخارية، والصناعات الجلدية، والخشبية، وبعض الصناعات الغذائية المتمثلة باستخراج زيت السمسم، وصناعة الحصير، ومواد وأدوات البناء.

كما تناول تجارة تهامة الداخلية والخارجية، وأبرز العوائق التي أثرت في النشاط التجاري خلال تلك الفترة، والأسواق التجارية، والمؤسسات التجارية، وأبرز التجار وعلاقتهم بالسلطة السياسية.

وفي مجال الاستثمارات المالية تناول البحث: العملة والبنوك والمقاييس والمكاييل والأوزان المستعملة في البيع والشراء. كما أبرزت الدراسة في هذا الفصل أهم صادرات المنطقة وحجمها، وأهم وارداتها المتمثلة بالأقمشة القطنية، والمواد الغذائية كالسكر، والدقيق، والأرز، ومشتقات النفط، والاسمنت، والحديد، وأدوات الكتابة.

كما تناول أهم موانيء تهامة، والضرائب الجمركية على السلع التجارية، والطرق التجارية البرية والبحرية، ووسائل النقل البري والبحري والجوي.

أما الباب الثاني المعون بـ () الحياة الاجتماعية في تهامة 1918 - 1962 () ، وضم أيضاً فصلين أساسين، غطى الفصل الأول منه، التركيبة الاجتماعية للسكان في تهامة، موضحاً فيه انعكاس البنية الاقتصادية (المادية) على هذه التركيبة، التي كان على رأسها فئة السادة، والقضاة، وكبار المالك وشيخ القبائل، ثم التجار والفلاحون، ثم الحرفيون وأرباب المهن، ثم العبيد والخدم الذين يأتي ترتيبهم في أسفل السلم الاجتماعي .

كما تضمن هذا الفصل، دراسة شاملة للتعریف بجميع هذه الفئات الاجتماعية، وأدوارها ومهامها في الحياة العامة، وموقعها الاجتماعي، وما تقدمه كل فئة للأخرى من خدمات.

وخصص الفصل الثاني والأخير للتعرف على مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة، من خلال دراسة العادات والتقاليد من خلال الأفراح والأتراح، كعادات الزواج ومراسيمه، ولباس الناس وزينتهم، وطعامهم وشرابهم، وبناء البيوت ومكوناتها، وعادات الولادة والختان والمعاتم، وما يحدث فيها من أمور فرضتها طبيعة المنطقة، فضلاً عن عادات الأعياد والاحتفالات الدينية

الأخرى، كالمولد النبوى الشريف، وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، والاحتفال بعودة الحاج، والعادات الموسمية المتمثلة بالاحتفال بنضوج التمر ، والرقصات والأغاني الشعبية .

كما أفرد في هذا الفصل عنواناً للتعليم وأنواعه في تهامة، والذي يُعد إحدى الواجهات الاجتماعية، الذي يقاس المجتمع من خلاله بتقدمه أو تطوره، حيث كان التعليم خلال فترة الدراسة، يقتصر في أغلبه على التعليم الدينى واللغوى في المساجد والمدارس الملحة بالمساجد، وكان يخدم فكرة تثبيت الإمامة في أذهان الناس، أما التعليم النظامى الحديث فكان شبه غائب ولاسيما في الفترة الأولى من حكم الإمام يحيى حميد الدين، وأوضحت العوامل التي ساهمت بشكل كبير في غياب هذا النوع من التعليم .

كما ركز هذا الفصل في نهايته على الوضع الصحي في تهامة، الذي اتسم بالتخلف، وجاء انعكاساً للوضع الاقتصادي العام للمجتمع، الذي تميز بعدم وجود فائض نفدي يمكن الأفراد والسلطة من إقامة هيكل اقتصادي حديث في جميع المجالات، ومنها المجال الصحي، فضلاً عن تدني مستوى دخل الأفراد، وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية للمجتمع، وظروف العزلة الداخلية والخارجية التي فرضتها الإمامة على اليمن ومنها تهامة، دوراً في تردي الحالة الصحية، مما جعل أغلب الأفراد يبحثون عن وسائل شفاء لمرضائهم، حيث وجدوا في الطب الشعبي بنوعيه التقليدي والغيبى وسيلة لمداواة مرضائهم. هذا الواقع الاجتماعي الذي لا يختلف كثيراً عن غيره من مناطق الوطن العربي، بحكم الظروف العربية المشابهة، والتي تكاد تكون واحدة بحكم السيطرة العثمانية من جهة، وفتح المجال لتغلغل رؤوس الأموال الأجنبية في مختلف مراافق الحياة العربية عامة واليمن خاصة .

أما الخاتمة: وتضمنت أبرز النتائج التي تم التوصل إليها.

5- حول الصعوبات والتعریف بأبرز المصادر والمراجع:

وبعد، رغم المحاولة الجادة للدراسة فقد واجهتني أثناء إعدادها صعاب كثيرة، أبرزها: قلة المصادر المتعلقة بالموضوع، وتأثير المعلومات وشحتها، وغلبة الجزئية عليها، إذ ركزت معظم المصادر والدراسات التاريخية على جزء من اليمن دون آخر ، إلى جانب تكرار المعلومات في المراجع المطبوعة، كما واجهتني بعض الصعوبات في الحصول على الوثائق المتعلقة بتهامة، ويرجع ذلك إلى احتفاظ أصحابها بها، وعدم إخراجها للباحثين، فضلاً عن الظروف المادية التي حالت بي بيني

وبين سفري لبعض الدول العربية للاستعانة بمكتباتها، أو حتى السفر إلى تركيا للإطلاع على وثائق اليمن .

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع، من أبرزها الوثائق والتقارير المحفوظة بالمركز الوطني للوثائق في صنعاء، والتي أفادت الدراسة بشكل كبير، وبخاصة في الفصل الأول والثاني من الباب الأول، حيث وضحت الحركة التجارية في موانئ تهامة، وأهم السلع التي كانت تأتي إلى تهامة من الخارج، فضلاً عن مقدار الضرائب للمحاصيل الزراعية . إلى جانب الوثائق التي تم الحصول عليها من بعض الشخصيات المهتمة بالمنطقة، والتي وضحت واقع بعض الجوانب الزراعية المتمثلة بكيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في تهامة، كما وضحت بعض الجوانب التعليمية.

كما أفادت الدراسة من الصحف اليمنية المعاصرة لفترة الدراسة، منها صحيفة الإيمان الرسمية، التي عكست صورة عن السياسة الداخلية والخارجية للنظام الإمامي آنذاك، وأثار هذه السياسة على الوضع الاقتصادي للبلاد، إلا أنها أبرزت الإيجابيات، وتحاشت ذكر السلبيات، ويعزى ذلك لأنها كانت تصدر عن السلطة، وتحت إشراف الإمام يحيى حميد الدين مباشرة، وصحيفة فتاة الجزيرة التي كانت تصدر في عدن، وتضمنت معلومات مغايرة للصحف الرسمية، التي كانت تؤكد السلبيات ومساوئ النظام التي أهملتها الصحف الرسمية.

فضلاً عن الصحف والمجلات اليمنية التي صدرت بعد الثورة، والتي نشرت على صفحاتها كثيراً من البحوث المتعلقة بفترة الدراسة، ومنها صحيفة الجمهورية، وصحيفة 26 سبتمبر، وصحيفة اليمن، والثقافية، ومجلة الإكليل، ومجلة دراسات يمنية، وحوليات العفيف، وحوليات يمنية، ومجلة اليمن الجديد، ومجلة الغراء بزيدي، ومجلة المتحف العربي، والمؤرخ العربي، فضلاً عن المجلات التي أصدرتها الجامعات اليمنية .

كما اعتمدت الدراسة على المقابلات الشخصية التي أنجزتها مع بعض الشخصيات التي لها اهتمام بالموضوع نفسه.

كما أفادت الدراسة من الرسائل والأطروحات الجامعية الواردة في ثبت المصادر بمعلومات قيمة، ومنها رسالة البكري، والدوادي، والشرفي، والعبادي، والغليسي، ونجوى مطهر.

كما أفادت الدراسة من الكتب العربية والمتدرجة ذات الصلة بالموضوع، ومن أهمها الكتب التي صدرت عن بعض الشخصيات التي زارت اليمن خلال فترة الدراسة، منها كتاب عشرون عاماً

في خدمة اليمن لمؤلفه نجيب أبو عز الدين، وكتاب مملكة الإمام يحيى الذي ترجم للعربية، لسلفاتور أبونتي، وكتاب تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن عام 1940 لمؤلفه سيف الدين سعيد، ورحلتي إلى اليمن لأحمد وصفي زكريا، ورحلة في بلاد العربية السعيدة لنزيه مؤيد العظم، وكتاب (كنت طيبة في اليمن) الذي ترجم للعربية، لكلودي فايان، والذي أفادت منه الدراسة فيما يتعلق بالوضع الصحي .

ومن الكتب التي صدرت لبعض الشخصيات اليمنية التي عاصرت فترة الدراسة، مثل كتاب مذكرات المقلبي، والرحلة الحسينية في الديار اليمنية لحسين الوصافي، ونشر الثناء الحسن للوشلي، وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعي، والدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة لعثمان مطير، ومذكرات أحمد محمد نعمان، وشاهد على اليمن للعفيف، وتهامة في التاريخ للحضرمي، وصفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي للأكوع وغيرها من المصادر .

فضلاً عن الكتب المعاصرة التي حوت في طياتها بعض المعلومات عن موضوع الدراسة، ومن أهمها التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن لمحمد سعيد العطار، والذي أفادت منه الدراسة في معظم فصولها، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، وكتاب البنية القبلية في اليمن لفضل أبو غانم، والشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني لقائد الشرجي، وطريق الثورة اليمنية لمحمد الشهاري .

كما أفادت الدراسة من القواميس والموسوعات وكتب الترجم، ومنها الموسوعة اليمنية، وهجر العلم ومعاقله في اليمن، ومجموع بلدان اليمن وقبائله، ومعجم البلدان والقبائل اليمنية، ولسان العرب، ومخختار الصحاح، والمعجم الوسيط، والتي أفادت في التعريف بالأماكن والموقع الجغرافية، وبعض الشخصيات التي وردت أسمائها في الدراسة .

ولم تغفل الدراسة المراجع الأجنبية التي حوت بعض المعلومات المتاثرة عن موضوع الدراسة، منها كتاب Robert, Stookey Pocok, Richard Ingram's وكتاب Wenner W, Manfred والتي تضمن معلومات في المدة التي تناولتها فترة الدراسة. وكتب أخرى مثبتة في قائمة المراجع الأجنبية .

وأخيراً فهذا جُهدُ الْعُقْلِ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَفَقْتَ فَلَلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنْتَهَى، وَإِنْ تَكُنَّ أُخْرِيَ فَلَا التَّمْسُ
مِنْ أَسَانِذِي الْأَجْلَاءِ سُوَى سُعَةِ الصُّدُرِ وَالتَّوْجِيهِ، فَالسَّهُوُ وَالْخَطَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِنْسَانِ، وَصَدَقَ اللَّهُ
الْقَائِلُ: ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِدْنَاهُ إِلَّا لَوْجَهُوا فِي اخْتِلَافٍ كَثِيرٍ))⁽¹⁾. فَالْكَمالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَاللَّهُ الْمَوْفُقُ

الباحث

التمهيد :

موجز عن أوضاع تهامة منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني وبداية حكم أسرة آل حميد الدين:

1- التسمية.

2- الموقع والوصف الجغرافي.

3- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

- 1 - التسمية :

تهامة بكسر التاء: مصطلح يطلق على المنطقة السهلية الواقعة بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر، حتى سلسلة أقدام الجبال^(١). وهو اسم تاريخي عُرفت به المنطقة الممتدة من الليث شمالاً^(٢)، حتى باب المندب جنوباً^(٣).

كما تحدد بعض المصادر امتدادها مابين خليج العقبة شمالاً مروراً بمكة والجاز حتى عدن جنوباً، وتقسم إلى ثلاث تهائم: تهامة الحجاز في الشمال، التي تقع بين سلسلة جبال السراة شرقاً، والمنطقة الساحلية غرباً، أي من شمال ميناء الليث حتى خليج العقبة في الأردن، وتهامة عسير في الوسط، وتمتد من جنوب ميناء الليث حتى حدود اليمن البحرية جنوباً، وتهامة اليمن التي تقع ضمن أراضي الجمهورية اليمنية^(٤)، وهي ما تعنينا في هذه الدراسة.

تعددت التفسيرات حول أصل كلمة تهامة، وسبب تسميتها، ففي اللغات القديمة تأتي الكلمة بمعنى (وخم)، إشارة إلى شدة حرارتها، كما أتت بمعنى (بحر أو عميق)، أما في النقوش اليمنية القديمة فقد وردت التسمية مقابلة لاسم (طود)، والطود هو الجبل ويقابل السهل، أما في العربية الفصحى اليوم، فهي تعني ما انخفض من الأرض^(٥).

وفي معجم البلدان يذكر أن سبب تسمية تهامة بهذا الاسم يرجع لشدة حرها، وركود ريحها، وهي من لذتهم، أي شدة الحر وركوده، يُقال تَهَمَّ الحر إذا اشتَدَّ، وقيل سميت بذلك لتغير هواها يُقال تَهَمَّ الدهن إذا تغير ريحه^(٦).

1 - العقيلي، محمد: تاريخ المخلاف السليماني، منشورات دار اليمامة ، الرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ج1، ص 62.

2 - الليث : ميناء على البحر الأحمر، يقع شمال ميناء القنفذة في المملكة العربية السعودية .

3 - المندب لغة : للعبر أو الجاز، ويطلق على المضيق الواقع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وترجع تسميته بباب المندب إلى خطورته، وتعرض السفن للاصطدام بالصخور البارزة حوله ، وخطفهمها، ومقتل رباعها ، حتى قبل أن عاتلات البحارة كانت تندبهم وقت رحيلهم إلى باب المندب . انظر: سالم، السيد عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط) ، 1413/1993، ص 173؛ وليد جرادات: الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1407/1986، ص 23.

4 - البلاطي ، عاتق غيث : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للطباعة ، مكة المكرمة ، ط1، 1401 / 1981، ج 2، ص 47.

5 - أستون ، فراسين : تحامة ، تر/ يوسف محمد عبدالله، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412 / 1992، ج 1، ص 286.

6 - الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، 1416 / 1996، ج 1، ص 469 .

أما لسان العرب فيذكر أن : (تهامة بلد والنسب ليله تهامي ، وتهام على غير قياس ، كأنهم بنو الاسعلى ته ميلو ته مي ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها ، والتهم شدة الحر وسكون الريح) ⁽¹⁾ .

بينما في المعجم الوسيط : (تهامة أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن ، وجمعها تهائم ، والنسبة إلى تهامة تهامي وتهام) ⁽²⁾ . وتهامة بالتحريك هي الأرض المنصوبة إلى البحر كالتهم ⁽³⁾ .

ومن خلال مasic يتبين أن الآراء والتفسيرات حول تسمية تهامة ، متقدمة إلى حد ما في المفهوم ، والتي تعني الأرض المنخفضة ، شديدة الحرارة ، وخاصة في فصل الصيف ، مما يجعلها منطقة مختلفة عن بقية أقاليم الجزيرة العربية من حيث الظروف المناخية والتضاريسية.

-2 الموقع والوصف الجغرافي :

أ- موقع اليمن وأهميته الجيوستراتيجية :

يقع اليمن فلكياً بين خطى عرض (30°، 12°) و(30°، 17°) شمال خط الاستواء ، وما بين خطى طول (30°، 42°) و (30°، 56°) شرق خط جرينتش ⁽⁴⁾ .

أما جغرافياً فيقع اليوم في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ، يحده من الشمال المملكة العربية السعودية ، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي ، ومن جهة الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق سلطنة عمان ⁽⁵⁾ . وبهذا الموقع يعد اليمن دون أي شك جزء لا يتجزء عن باقي مناطق الوطن العربي المتوسط لقارب العالم الثالث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) ، والذي يشكل جسر العبور لشعوب العالم عبر التاريخ ، بكل ما يمتلكه هذا الموقع من ممرات وصل فيما بين مناطقه ، ويتموضع اليمن عند الممر الدولي الأهم تاريخياً (باب المندب) فيما بين المحيط الهندي والبحر العربي والبحر الأحمر يوضح ويؤكد الدور الحضاري العربي له منذ أقدم العصور ، وما أنجزه من

1 - ابن منظور ، محمد بن مكرم: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، (د.ت) ، ج 12 ، ص 72 ، مادة (شم).

2 - مصطفى ، إبراهيم ، آخرون : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، تركيا ، ط 2 ، 1972 ، ج 1 ، ص 90 .

3 - الفيروز أبادي ، محمد الدين محمد بن يعقوب : القاموس الخيط ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1415 / 1995 ، ص 978 ، مادة (شم) .

4 - آغا ، شاهر جمال : جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي) ، مكتبة الأنوار ، دمشق ، (د.ط) ، 1403 / 1983 ، ص 7 .

5 - عباس ، شهاب محسن : جغرافية اليمن الطبيعية ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط 1 ، 1416 / 1996 ، ص 9. ينظر ملحق (1) خارطة توضح موقع اليمن وموقع تحامة منه .

نهوض اقتصادي لاسيما في المجالين الزراعي والتجاري وليس سد مأرب إلا مثلاً ما زالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا، وكذلك ما زالت وثائق التبادل дипломاسي والاقتصادي والثقافي ماثلة تحكي عن نشاطات المالك اليماني القديمة وبخاصة مملكة سبا مع ممالك سوريا القديمة وببلاد الرافدين.

إن موقع اليمن الاستراتيجي هذا كجزء لا يتجزء عن باقي مناطق الوطن العربي، جعله محط أطماع قوى الاستعمار عبر العصور وحتى عصرنا الحالي، وبالتالي فإن وقوع اليمن في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، أكسبه تميزاً وأهمية منذ القدم مكنته من التحكم في مدخل البحر الأحمر، والإطلال على المحيط الهندي في نفس الوقت، إذ جعل منه طريقاً تجارياً يربط بين دول الشرق والغرب⁽¹⁾، وذلك مما أسهم في نشاط اليمنيين التجاريين الذين اشتهروا به منذ القدم، وتأسيسهم للعديد من المراكز التجارية لتكون نقاط وصل لشبكة المواصلات الداخلية، ومن ثم معبراً للملاحة العالمية إلى كل الحضارات القديمة⁽²⁾.

كما كان لقرب اليمن من مكة المكرمة أثره في نمو التبادل التجاري، وازدياد حجم التجارة في موسم الحج، فقد كان اليمن يرتبط بمكة بطرق عدة بحرية وبحرية تتطرق منه، وكانت تلك الطرق تنشط في موسم الحج، وتتحول بعض المدن اليمانية مثل عدن، وزبيد، وصنعاء، وصعدة التي تقع على تلك الطرق مراكز لجتماع هؤلاء الحجاج والتجار القادمين من شرق إفريقيا، والهند، وجنوب شرق آسيا⁽³⁾. وهذا ما كان له آثاره المهمة في حياة اليمن الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وبالرجوع إلى تاريخ التجارة العالمية نجد أن اليمنيون قد استفادوا من اتجاه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في فصل الصيف، والشمالية الشرقية في الشتاء، في تطوير تجارة مزدهرة مع إفريقيا الشرقية، وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وببلاد الشام⁽⁴⁾. كما تتضح أهمية موقع اليمن من خلال دوره الحضاري، حيث شكّل اليمن جسراً للتواصل الحضاري بين الشرق والغرب، وذلك لقربه

1 - فخرى، أحمد: اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة عبد الحليم نور الدين، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1409 / 1988، ص 106-107.

2 - شمسان، إيمان أحمد : اليمن في العصر العباسي الأول (132 - 203 هـ / 818 - 750 م) ، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع ، الشارقة ، در جامعة عدن ، اليمن ، ط1، 2001 ، ص 33 . ؛ الويسي، حسين بن علي: اليمن الكبri، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط2، 1412 / 1991، ج 1، ص 247-248 .

3 - للندعي، داود : تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس للهجرة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية ، 1418 / 1997 ، ص 33 .

4 - عباس، مرجع سابق، ص 10.

من قارة إفريقيا الذي لا يفصله عنها سوى مضيق باب المندب الذي لا يزيد عرضه عن 20 كم، مما جعله همزة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا مما سهل من عملية الاختلاط السكاني والحضاري مع شعوب البلدان المجاورة له⁽¹⁾.

كما أن لإشراف اليمن على مضيق باب المندب جعله يتحكم في الملاحة البحرية بين دول الشرق المنتجة للمواد الخام، ودول الغرب الصناعية، فعن طريق اليمن يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط (بعد فتح قناة السويس)، وعبر اليمن يتم الاتصال بين آسيا وأفريقيا عبر مضيق باب المندب⁽²⁾.

كما تزايدت أهمية موقع اليمن في العصر الحديث، حيث أصبحت عدن محطة لتمويل السفن بالفحm أولاً، ثم النفط الذي يشكل عصب الحياة الاقتصادية في العالم اليوم، ولهذا سارعت بعض القوى الأوربية لتكثيف نشاطها في البحر الأحمر، كان على رأس هذه القوى بريطانيا، وكان هدفها من ذلك المحافظة على مستعمراتها في الهند، التي كانت تُعد درة التاج البريطاني؛ ولأجل ذلك وجدت بريطانيا لزاماً عليها، أن توجد نقاطاً حيوية لتأمين الطريق البحري المؤدي إلى الهند، ولذا سارعت باحتلال جزيرة ميون عام 1799، التي كانت تعرف عند المؤرخين باسم(جزيرة بريم)⁽³⁾، كونها تقع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وجاء ذلك الاحتلال كرد فعل لاحتلال فرنسا لمصر عام 1798 . كما كانت بريطانيا تخشى من أي تنافس على اليمن وب خاصة المناطق الساحلية، ولذا وقفت بقوة ضد تقدم قوات محمد علي باشا والتي مصر حينذاك إلى المنطقة، وسارعت باحتلال عدن عام 1839؛ لكي تحكم السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ولم يهدأ لها بال حتى أجبرت القوات المصرية على ترك شبه جزيرة العرب نهائاً عام 1840، وبذلك خلا لها الجو في المنطقة لترتبط سلطنتها بمعاهدات ضمت من خلالها تبعيتها لها⁽⁴⁾.

1 - Whalen, N. M (1993 – 1994) is the Early Man found his way through Bab AL- Mandab strait from Africa to Yemen, P.P. 3-4.

2 - الأشعب، حاصل : اليمن (دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي) ، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982/1402 ص 21.

3 - George, H,P : A historical Gography of British Empire seven Edition, London 1924 P. 145.

4 - رميس، صباح مهدي: إمارة عسير ((دراسة في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلاقتها العربية والدولية 1876 – 1932)) ، دار جوامع الكلم ، دمشق ، ط 1 ، 1431 / 2011 ، ص 34 - 35 .

فضلاً عن ذلك فإن وفرة الأمطار وبخاصة في المناطق الوسطى والجبلية، قد ساعد على تطوير النشاط الزراعي، وتتنوع المحاصيل الزراعية، تبعاً لتنوع المناخ، وهو ما أدى إلى استقرار السكان، وقيام حضارات مزدهرة، لم تتغلق على نفسها، بل كان لها علاقات متبادلة مع الحضارات الأخرى، حيث استخدم اليمنيون المجال البحري والبري في تطوير هذه العلاقات التجارية، وقد ارتبطت قوة هذه العلاقات بدرجة الاستقرار الذي تتمتع به اليمن خلال فترات تاريخية، فكلما ساد الاستقرار السياسي كلما ازدهرت التجارة، وكلما ساد الاضطراب والفوضى السياسية، كلما زادت عزلة اليمن وقوتها، مما يؤدي إلى اضمحلال النشاط الاقتصادي بكل مجالاته، وهو ما انطبق على فترة الدراسة، حيث مر اليمن ومنها تهامة خلال حكم أسرة حميد الدين بمرحلة ذات طابع اقتصادي تقليدي ضعيف، مما انعكس بدوره على التركيبة الاجتماعية للمجتمع، وهو ما سنتحدث عنه في ثنايا هذه الدراسة .

بـ- موقع تهامة اليمن وأهميته:

يقع إقليم تهامة فلكياً بين دائري عرض (12° - 20°) شمالي، وبين خطى طول (42° - 43°) شرقي⁽¹⁾.

بينما تقع جغرافياً في الأجزاء الغربية من الجمهورية اليمنية، على امتداد الشريط الساحلي للبحر الأحمر، من باب المندب جنوباً إلى آخر نقطة حدودية مع المملكة العربية السعودية (شمال ميدي)، بطول 500 كم، وبعرض يتراوح من 30 - 60 كم⁽²⁾، ويتراوح ارتفاعه من مستوى سطح البحر إلى 200 متر باتجاه الشرق⁽³⁾، وبمساحة تبلغ حوالي 20,000 كم²، أي ما نسبته 3,6% من مساحة الجمهورية اليمنية حالياً⁽⁴⁾ .

1 - الفقيه، عبدروس علوى : جغرافية الجمهورية اليمنية ، دار جامعة عدن ، اليمن، ط1، 1997/1418 ، ص 49 .

ينظر ملحق رقم (2)، خارطة توضح موقع تهامة فلكياً .

2 - حيدر، عبد الله : المناخ وعلاقته بالأنشطة الصناعية والتلوث في البيئة الساحلية اليمنية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة دمشق ، 2008 ، ص 13 .

3 - متولي، محمد، محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (جغرافية اليمن الشمالي)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3، 1988/1409، ج3، ص 92-94 .

4 - حيدر، مرجع سابق، ص 13 . ينظر ملحق رقم (3) ، خارطة توضح موقع تهامة الجغرافي بالنسبة لليمن وحدودها الإدارية .

وكان لهذا الموقع الجغرافي أثره على حياة السكان الاجتماعية والاقتصادية. فبسبب وقوع المنطقة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وافتتاحها على البحر جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتنوعة إلى جانب اليمنيين الأصلياء، مما أثر على تركيبتها الاجتماعية، فبقرب تهامة من الساحل الإفريقي، جعلها همزة وصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، مما سهل من عملية الاختلاط السكاني، حيث انتقلت جماعات إفريقية منذ القدم عبر الهجرات، واستقرّوا ببعض قرى ومدن تهامة، حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم إلى سكان تهامة الأصلياء، يتضح ذلك من خلال ملابس سكان تهامة التي تحمل الطابع الإفريقي، والمساكن البسيطة التي تسمى بالعشش ذو الشكل المخروطي⁽¹⁾. كما يظهر ملامح الاختلاط بين سكان تهامة في لون بشرة أغلب السكان والتي تميل إلى السمرة الداكنة، وذلك على عكس سكان المناطق الجبلية⁽²⁾.

ويبدو أن عامل الاختلاط ليس السبب الوحيد في لون بشرة السكان، بل إن طبيعة المنطقة، ومناخها الحار أثر في ذلك.

فضلاً عن ذلك، فقد كانت تهامة قيماً هي طريق التجار والحجاج الهنود إلى شبه الجزيرة العربية، حيث كانوا يأتون إلى عدن عبر البحر، ثم يسلكون الطريق البري عبر سهل تهامة إلى مكة، وقد استوطن بعضهم سهل تهامة، وخاصة في المدن الرئيسية كزبيد، وبيت الفقيه والحديدة، وقد ذابت هذه الجاليات في نسيج المجتمع التهامي وأصبحت جزءاً منه، حيث عمل بعضهم في التجارة وأصبحوا يُعدون من كبار التجار، ففي زبيد مثلاً نجد أن أكثر عائلاتها هم من أصول هندية، ويعودون من كبار ملوك الأرض في زبيد⁽³⁾.

وزاد من أهمية تهامة الاقتصادية، خصوبة تربتها، ومساحة أراضيها الواسعة، وكثرة أوديتها التي شكلت عامل جذب للاستقرار السكاني، الأمر الذي ساعد على وفرة إنتاجها الزراعي والحيواني، وتتنوع محاصيلها الزراعية المتمثلة بالقطن، والذرة بأنواعها والسمسم والبطيخ والمانجو والموز والعديد من الخضروات⁽⁴⁾.

1 - متولي، مرجع سابق، ص 333.

2 - الأشعب، مرجع سابق، ص 64.

3 - الأهدل، خالد يحيى : الشعر الشعبي اليماني في تهامة (أشكاله الفنية، وأبعاده للموضوعية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، (د.ت)، ص 9.

4 - الحفيان، عوض إبراهيم عبد الرحمن: الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط 1، 2004، ص 73.

كما تميز إقليم تهامة بطول شريطه الساحلي على البحر الأحمر، مما جعله يشرف على عدد من موانئ اليمن الرئيسية، التي أعطت للمنطقة أهمية كبيرة، وتأثير على النشاط التجاري، من حيث التبادل التجاري مع البلدان المجاورة، أو من خلال التجارة الداخلية عبر الأسواق الأسبوعية الدائمة، التي انتشرت في أغلب مناطق تهامة، ومثلت مراكز تجارية أسهمت في عملية التبادل التجاري لبعض المنتجات المحلية، والبضائع المستوردة⁽¹⁾ وهو ما جعل لسكان هذا الإقليم نصيباً في التجارة منذ فترة مبكرة، حيث ازدهرت تجارة البن منذ أواخر القرن السادس عشر، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذي كان يزرع في الهضبة الوسطى والمنحدرات المطلة على تهامة، وكانت تهامة ممراً لنقل هذه السلعة إلى موانئ اليمن لتصديرها، فازدهر لذلك ميناء المخا، الذي كان يُعد الميناء الرئيسي لتصدير البن آنذاك، كما انتعشت بفضل تجارة البن بعض المدن التهامية، كبيت الفقيه، واللحية والحديدة، وكان للأجانب من الأوروبيين والهنود نصيب من التجارة والصناعة في هذه المدن⁽²⁾.

يتضح مما سبق الأهمية الإستراتيجية لموقع اليمن عموماً، وتهامة خصوصاً، مما كان له أثر في تركيبتها الاجتماعية، وتنوع نشاطها الاقتصادي، كما أن موقع تهامة جعلها هدفاً لمنافسة بعض القوى الاستعمارية لإمكانية الاستفادة القصوى من سواحلها الطويلة، وموانئها التجارية، فضلاً عن مواردها الاقتصادية، وأراضيها الخصبة، ووفرة مياهاها الجوفية، والأهم من ذلك التحكم بطريق التجارة الدولي عبر البحر الأحمر.

فمن طريق تهامة دخل الأيوبيون اليمن، وجعلوا منها مركزاً حيوياً لهم، وعن طريق تهامة جاءت كل الحملات العثمانية، واتخذوا منها قاعدة للهجوم على المناطق الجبلية مما جعلها مركزاً للصراع والحروب، ولم تنعم تهامة بالاستقرار حتى بعد خروج العثمانيين، حيث استولى عليها الأدارسة بعد الحرب العالمية الأولى، وظلت تحت سيطرتهم حتى عام 1925، وعند قيام الحرب اليمنية السعودية عام 1934 كانت تهامة ميداناً ومسقطاً لهذه الحرب، حتى اتفاقية الطائف عام 1934 التي خرجت بموجبها القوات السعودية من تهامة.

ج- التضاريس:

1- متولي، مرجع سابق، ص 153.

2- أستون، مرجع سابق، ص 287-288.

شكل سهل تهامة غور كبير يجاور البحر الأحمر، يتكون من سهل منبسط قليل الانحدار نحو البحر، وسطح متموج تموجاً بسيطاً في شكل موجات عرضية متتابعة، يشغل مقعراً ته مجري روافد الوديان التي تصب في البحر الأحمر، أما محاباته فت تكون أحياناً إما من الكثبان الرملية قليلة الارتفاع، أو من بعض الكتل المتراءجة نحو الداخل⁽¹⁾.

ويُعد السهل أكثر أراضي اليمن انخفاضاً، ويرجع ذلك إلى هبوط قشرة الأرض على أثر الانكسارات التي تعرضت لها المنطقة عند تكون أخدود البحر الأحمر⁽²⁾. وتبعاً لذلك نجد أن سهل تهامة ينقسم تضاريسياً ابتداءً من الغرب إلى الشرق إلى قسمين هما:

- 1 الشريط الساحلي:

وهو عبارة عن سهل تراكمي، يتراوح عرضه من 10 - 40 كم، يتتألف من مجموعة من الإرسبات البحرية، والصخور الجيرية الدقيقة، والرمال والحسى والطين⁽³⁾.

يتميز هذا القسم بقلة تعرجاته، كما أنه عرضة للتعرية البحرية، كالنحت والإرسب، حيث تلعب التيارات البحرية دوراً كبيراً في تشكيل هذا القسم، ويظهر ذلك في تكوين النتوءات والفجوات، وأشباه الجزر وخاصة في القسم الأوسط من الساحل، والمنحصرة مابين مدينة الحديدة جنوباً، وشبه جزيرة الصليف شمالاً⁽⁴⁾. كما يتميز هذا القسم بانتشار السبخات، والشعاب المرجانية والأملال على طول الساحل، ويظهر ذلك وضحاً في جنوب وشمال منطقة اللحية، كما يوجد في هذا القسم عدد من الخلجان شبه المغلقة وتسمى (الأخوار)، مثل خور ابن عباس الواقع في شبه جزيرة الصليف، وخور الكثيب الواقع شمال مدينة الحديدة⁽⁵⁾.

- 2 سهل حافة الجبال (السهل الشرقي):

وهو سهل محاذٍ لكتلة الجبلية الواقعة شرق تهامة، وينحصر ارتفاعه مابين 100 - 200 م⁽⁶⁾، أما عرضه فيختلف من منطقة إلى أخرى، ففي بعض المناطق لا يزيد عرضه عن بضع كيلو

1- جعفر، محمد حلمي: *خريطة اليمن (الدراسات الخاصة)*، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1976، ص.9.

2- آغا، مرجع سابق، ص 41 . ينظر ملحق (4) خريطة توضح تضاريس خريطة بالنسبة لتضاريس اليمن .

3- الحفيان، مرجع سابق، ص 73.

4- آغا، مرجع سابق، ص 57 .

5- الفقيه، مرجع سابق، ص 50.

6- الحفيان، مرجع سابق، ص 73.

مترات، خاصة في المناطق التي تقرب من البحر، كما في منطقة الزيدية، وجبل ملحان، بينما نراه يتغول أحياناً ضمن الكتل الجبلية في بعض المناطق، إذ يصل عرضه إلى 20 كم، وبخاصة في المناطق التي تتغول فيها الأودية كوادي مور ووادي سهام⁽¹⁾.

يتميز هذا القسم بالتموج في بعض أجزائه، كما تسوده إربابات من الحصى والرمال الدقيقة الناتجة من جريان الأودية نحو الغرب، كما تعمل الأودية فيه على الحت الصخري، وخاصة عند مخارجها، وذلك على شكل مراوح فيضية وتُعد الأرضي الواقعة في هذا الجزء من أخصب الأرضي الزراعية في تهامة، حيث يستغل معظمها في الزراعة، لوفرة مياه الأودية التي تتخالها أثناء انحدارها من الجبال بعد سقوط الأمطار⁽²⁾.

د- المناخ:

يختلف مناخ اليمن باختلاف أقاليمه التضاريسية، ووفقاً للقرب والبعد من خط الاستواء، ولذا فإن مناخ تهامة يُعد من أشد أقاليم اليمن حرارة، حيث يتميز بصيف طويل حار، وشتاء قصير دافئ، يصل متوسط درجة الحرارة في فصل الصيف إلى 34° مئوية، وقل أن تنخفض شتاءً عن 24° مئوية⁽³⁾.

وبالرغم من وقوع المنطقة ضمن المناخ شبه المداري، الذي يتتصف بارتفاع درجة حرارته، إلا أنَّ وقوع إقليم تهامة على البحر مباشرة لطف من حدة تلك الحرارة⁽⁴⁾، بحيث لا يظهر تأثير البحر إلا في زيادة معدلات الرطوبة، التي ترتفع بنسبة عالية لتصل ما بين 70 - 90%⁽⁵⁾.

أما الأمطار التي تسقط على إقليم تهامة فهي قليلة جداً، حيث تتراوح من بضعة مليمترات عند خط الساحل لتصل إلى 200مم قرب مقدمات الجبال⁽⁶⁾. هذا النقص في كمية المطر، يعوضه تراكم الضباب، وزيادة معدلات الندى في الصباح، وانخفاض درجة الحرارة أثناء الليل، مما يؤدي إلى زيادة نسبة الرطوبة⁽⁷⁾.

1 - آغا، مرجع سابق، ص 63.

2 - المرجع نفسه .

3 - جعفر، مرجع سابق، ص 13 - 14.

4 - متولي، مرجع سابق، ص 107.

5 - عباس، مرجع سابق، ص 76 - 77.

6 - المرجع نفسه، ص 78.

7 - المرجع نفسه .

وبالرغم من قلة سقوط الأمطار في سهل تهامة، إلا أن الموارد المائية متوفرة، حيث يحوي السهل على سديمات مائية باطنية تعذّيّها مياه الأمطار والأودية، وقد أكدت بعض الدراسات التطبيقية أهمية المخزون المائي الباطني لسهل تهامة، الذي يمكن أن يفي ب حاجيات المنطقة لمدة لا تقل عن مائتي سنة⁽¹⁾. أما بالنسبة للرياح فتهب على المنطقة الرياح الشمالية الشرقية الجافة شتاءً، والجنوبية الغربية الموسمية صيفاً، التي تتسبب في سقوط الأمطار الذي يقل عند الساحل، ويزداد عند أقدام المرتفعات⁽²⁾.

وتسود في تهامة العواصف الترابية في فصل الصيف، والتي تُعد من الظواهر المناخية المرتبطة بحرارة النهار، فحين يسخن الهواء عند الظهيرة تهب العواصف الترابية الرملية الساخنة لدرجة انعدام الرؤية أحياناً، ويلاحظ أن هذه العواصف يقل معدلها في مواسم الأمطار، إذ أن تماسك التربة نتيجة لرطوبتها يحول دون تناثرها مع الرياح⁽³⁾.

3 - الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إن فهم البنية الاجتماعية والاقتصادية لليمن، ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، لا يمكن أن تتم بمعزل عن معرفة تاريخ تلك المنطقة الحديث، للوقوف عند الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. حيث كان التشكيل الاجتماعي للمنطقة بشكل عام يسير ضمن إشكالية خاصة (ممثلة بالنمط الإقطاعي المتختلف) ترجع أسبابها إلى السمات التي اتسم بها المشرق العربي خلال حقبة الوجود العثماني، وفترة الاحتلال الاستعماري.

سيطر على إقليم اليمن في تلك الفترة التوجهات المناطقية، والنزعات القبلية التي أدت دوراً كبيراً في الحياة العامة، وانعكست على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

1 - الشريفي، عبد الله : زيد وظاهرها الزراعي من خلال المؤلفات ((قراءة جغرافية في العلاقة بين الريف وللمدينة))، المؤلف
العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة الحديدة ، 2002م ، ص 232 .

2 - عباس، مرجع سابق، ص 77 – 78 .

3 - جعفر، مرجع سابق، ص 15 .

لقد هيأ موقع تهامة الإستراتيجي . كسهل منبسط ومفتوح على البحر الأحمر مسرحاً للكثير من الأحداث التاريخية المهمة، فعن طريقها دخل الإسلام اليمن، وعلى أراضيها توالت دول عدّة⁽¹⁾، وعبر تهامة جاءت كل الحملات العثمانية إلى اليمن، التي كانت تتخذ منها مركزاً للهجوم على بقية المناطق الجبلية في اليمن كما أشرنا⁽²⁾.

وفي العصر الحديث، ونتيجة للانقلاب الكبير الذي أحدهـ اكتشاف رأس الرجاء الصالح في التجارة العالمية، تعرضت المنطقة لمحاولات الغزو الأوروبي، وبخاصة الغزو البرتغالي والهولندي، اللذان حاولا القضاء على التجارة العربية الشرقية التي تمر عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، من خلال احتلال بعض الموانئ الرئيسية في الجزيرة العربية، وذلك مما حدا باليمانيين الاستجاد بالقوى الإسلامية لصد ذلك الغزو ، حيث استجدوا بالممالـك في مصر، ثم بالعثمـانـيين الذين نجحوا في صد الغزو البرتغالي على مناطق الجزيرة العربية، ومنها اليمن، حيث أغلقوا منطقة البحر الأحمر في وجه البرتغاليـين⁽³⁾ .

وكان لموقع اليمن من الأهمية بمـكان أن أـبرـزـتـ تـحـقـيقـ الأـهـدـافـ العـثـمـانـيـةـ ضـدـ الـبـرـتـغـالـيـينـ،ـ فـمـوـقـعـ الـيـمـنـ فـيـ الـجـزـءـ الـجـنـوـبـيـ مـنـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـطـلـالـهـ عـلـىـ الـبـرـ الـأـحـمـرـ وـالـعـرـبـ،ـ وـالـتـحـكـمـ فـيـ مـضـيقـ بـابـ الـمـنـدـبـ جـعـلـهـ مـنـطـقـةـ ذاتـ دـفـاعـ عـنـ حدـودـ الـإـمـپـارـاطـورـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ مـنـ الـجـنـوبـ،ـ وـقـدـ أـدـىـ هـذـاـ إـلـىـ اـفـتـاعـ الـعـثـمـانـيـينـ بـأـنـ سـيـطـرـتـهـمـ عـلـىـ الـيـمـنـ بـمـاـ فـيـهـاـ تـهـامـةـ الـمـطـلـةـ عـلـىـ الـبـرـ الـأـحـمـرـ،ـ يـضـمـنـ لـهـمـ سـلـامـةـ الـأـمـاـكـنـ الـمـقـدـسـةـ فـيـ الـحـجـازـ،ـ وـالـتـحـكـمـ فـيـ الـبـرـ الـأـحـمـرـ وـالـعـرـبـ،ـ وـأـمـتـلـاكـ مـوـطـئـ صـالـحـ لـلـوـثـوبـ عـلـىـ الـبـرـيـةـ الـبـرـتـغـالـيـةـ فـيـ الـبـحـارـ الـشـرـقـيـةـ،ـ وـتـطـوـيقـ أـعـدـائـهـ الـصـفـوـيـينـ فـيـ إـيـرـانـ مـنـ الـجـنـوـبـ وـتـحـقـيقـ أـحـلـامـهـمـ بـمـدـ سـيـطـرـتـهـمـ شـرـقاـ إـلـىـ أـفـاصـيـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ⁽⁴⁾ .

1 - من أـبـرـزـ هـذـهـ الدـوـلـ بـنـيـ زـيـادـ (820-1052مـ)،ـ الـيـنـيـ استـطـاعـتـ أـنـ توـسـعـ سـيـطـرـهـاـ عـلـىـ مـعـظـمـ أـجزـاءـ الـيـمـنـ،ـ مـرـواـ بالـدـوـلـةـ النـجـاحـيـةـ (1052-1149مـ)،ـ وـالـدـوـلـةـ الـمـهـدـيـةـ (1158-1174مـ)ـ .ـ أـنـظـرـ:ـ الـبـطـرـيقـ،ـ عـبـدـ الـحـمـيدـ:ـ مـنـ تـارـيـخـ الـيـمـنـ الـحـدـيـثـ (1517-1840ـ)،ـ مـعـهـدـ الـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ الـعـرـبـيـةـ،ـ الـقـاهـرـةـ،ـ (دـ.ـطـ)،ـ 1969ـ،ـ صـ 10-17ـ .ـ

2 - الـبـطـرـيقـ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ،ـ صـ 10-17ـ .ـ جـعـفـرـ،ـ مـرـجـعـ سـابـقـ،ـ صـ 7-8ـ .ـ

3 - بنـ بـرـيـكـ،ـ أـحـدـ مـحـمـدـ:ـ الـيـمـنـ وـالـتـنـافـسـ الدـوـلـيـ فـيـ الـبـرـ الـأـحـمـرـ (1869-1914مـ)،ـ دـارـ الـنـفـافـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ الشـارـقـةـ،ـ طـ 1ـ،ـ 2001ـ،ـ صـ 24ـ .ـ

4 - أـبـاظـهـ،ـ فـارـوقـ عـشـمـانـ:ـ الـحـكـمـ الـعـشـمـانـيـ فـيـ الـيـمـنـ (1872-1918مـ)،ـ الـهـيـةـ الـمـصـرـيـةـ لـلـكـتـابـ،ـ الـقـاهـرـةـ،ـ (دـ.ـطـ)،ـ 1986ـ،ـ صـ 20-21ـ .ـ

ومنذ بدء الحكم العثماني الأول لليمن في النصف الأول من القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر لم تنعم منطقة تهامة بالاستقرار نتيجة الصراعات والحروب التي كانت تدور بين الأئمة الزيديين في الشمال وبين العثمانيين، فضلاً عن حركات المقاومة القبلية التي كانت تبديها بعض قبائل تهامة ضدهم، حيث لم يستطعوا أن يضمنوا سيطرة حقيقية على البلاد، وبخاصة المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، مما أثر بدوره على الحياة الاقتصادية في المنطقة⁽¹⁾.

بنهاية الحكم العثماني الأول عام 1635 من اليمن على إثر المقاومة العنيفة من قبل السكان والثورات المستمرة من قبل الأئمة الزيديين والقبائل، جعلهم يتذبذبون خسائر فادحة في الأموال والأرواح، إلى جانب ضعف سيطرتهم على مصر في منتصف القرن السابع عشر، وضعف نفوذهم في البحر الشرقي⁽²⁾، تمنتت المناطق اليمنية ومنها تهامة باستقلالها الذاتي لمدة قرنين من الزمن تحت حكم الأئمة الزيديين، وكان لتهامة خلال تلك الفترة وضعها الخاص، حيث حظيت بعناية من قبل الأئمة الزيديين، وعيّنوا لها حكاماً من ذويهم، وذلك مما يشير إلى أهمية موقعها التجاري وما تدره على الحكومة من عائدات، حيث يشير أحد الرحالة أن ضريبة البن الذي كان يصدر عبر موانئ تهامة، كان يمثل أهم مصدر من مصادر إيرادات الإمام الزيدي في صنعاء⁽³⁾.

إلا أن حكم الأئمة الزيديين اعتبره الضعف والانهيار نتيجة التنافس على الإمامة، وعدم الاستقرار الكامن في نظام الحكم ذاته، وذلك مما شجع بعض حكام المناطق على الانفصال والاستقلال، حيث انفصلت حضرموت، وأعلن شيخ العبادل في لحج استقلاله⁽⁴⁾.

أما تهامة وبخاصة المناطق الشمالية منها، والتي كانت تسمى بالمخلاف السليماني، فقد أسدت الأئمة حكمها لأسرة آل خيرات، وذلك مما هيأ لاستقلالها وانفصالها فيما بعد عن الدولة المركزية في صنعاء⁽⁵⁾. ونتيجة لضعف السلطة المركزية في صنعاء، بدأت موازين القوى في

1 - المرجع نفسه، ص 30.

2 - المرجع نفسه، ص 29.

3 - الصائدي، أحمد قائد : المادة التاريخية في كتابات نبيور عن اليمن، دار الفكر للعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1 ، 1410هـ / 1990م، ص 166.

4 - أباذه، مرجع سابق، ص 32.

5 - المرجع نفسه، ص 33.

تهامة تتغير لصالح قوة الأشراف في تهامة، التي بدأت تظهر في تلك الفترة، حيث تحول ولاء أغلب السكان في تهامة لهذه القوة الجديدة ويعُد الشريف حمود بن أحمد الحسين التهامي أبرز من حكموا تهامة خلال تلك الفترة^(١). ويرجع السبب في تحول ولاء السكان في تهامة ودخولهم تحت حكم الأشراف، إلى الظلم الذي عانوه من قبل الأئمة الزيديين، إلى جانب ضعف سلطة الأئمة التي لم تستطع الدفاع عن مناطق نفوذها في تهامة من قبل القوى المنافة لها، فضلاً عن أن الأشراف كانوا على المذهب السنّي، الذي كان عليه أغلب سكان تهامة^(٢).

طلت تهامة تحت حكم الأشراف حتى قدم الحملة العثمانية الثانية إلى اليمن عام 1872 وقبيل قدم الحملة كان الشريف الحسين بن علي حيدر هو من يحكم تهامة باسم السلطان العثماني، ولقد لقبه السلطان العثماني بأمير الأمراء ، لكن الشريف الحسين واجه في نهاية حكمه لتهامة بعض الأخطار الداخلية، حيث تمردت عليه قبيلة القدر في باجل، كما دخل في صراعات مع الأئمة الزيديين في صنعاء ، وازاء هذه الأخطار لم يستطع الصمود أمامها، بل طلب المعونة من الدولة العثمانية لحماية المنطقة^(٣)، ورأى أن يستجد بالسلطان العثماني عبد المجيد عليه يعيد إلى المنطقة حالة من الأمن والاستقرار ، ولهذا طلب الحسين بن علي حيدر من السلطان العثماني إعفاءه من منصبه وإرسال من يتسلم منه حكم المنطقة ، باعتبارها أمانة في عنقه، كما أتجار تهامة وأعيانها طالبوا السلطان العثماني بالتدخل لإقرار الأمور في المنطقة بعد أن كسدت متاجرهم، ونهبت أموالهم أثناء المعارك التي دارت رحاها بين قوات الحسين بن حيدر التهامي ، والقوات الإمامية المهاجمة^(٤) . وازاء هذه الدعوات من قبل حاكم تهامة، وتجار المنطقة وأعيانها وجدت الدولة العثمانية فرصة لا تعوض لإعادة سيطرتها الفعلية على اليمن، ومنها تهامة، لذا أمر السلطان العثماني نائبه في الحجاز توفيق باشا ، وأمير مكة محمد بن عون بالتحرك على رأس قوة عثمانية، أبحرت من ميناء جدة، كان قوامها 3000 فرد، وقد وصلت الحملة إلى ميناء اللحية واتجهت بعد ذلك إلى الحديدة، حيث استقبلها الحسين مرحباً ، وكان ذلك في عام 1849 ، واتخذت

1 - مبشر، عبد الوهود قاسم : الزرانيق والحكم العثماني في اليمن، مركز ذؤال للتراث والدراسات التاريخية، صنعاء، ط ١ ، 2008 / 1429 م ، ص 97 - 98 .

2 - المرجع نفسه، ص 99 .

3 - البشري، إسماعيل محمد : الحملة العثمانية على إمارة أبي عريش والسواحل اليمنية (1265هـ/ 1849)، دراسة وثائقية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، 1423 / 2002 م ، ص 11 .

4 - أباظة، مرجع سابق، ص 48 - 49 .

من الحديد مركزاً لها لسهولة الاتصال بينها وبين موانئ تهامة حتى يمكنهم تلقي الإمدادات، والمؤن اللازمة للاستيلاء على بقية الداخل اليمني والذي تم في عام 1872⁽¹⁾. ظلت تهامة تحت حكم العثمانيين حتى عام 1918، حينها تعرضت للقصف من قبل القوات البريطانية، ومن ثم الاستيلاء على مدينتي **اللحية** والـ**حديدة** وميناؤها، وقد ظل الاحتلال البريطاني لهذه المدن ثلاث سنوات، وفي عام 1921 سلمتها إلى حليفها في عسير محمد الإدريسي⁽²⁾. وبتسليم الإدريسي لمناطق تهامة اشتعلت الحرب بين الإمام يحيى والأدارسة، والتي استمرت حتى عام 1925، حيث تم استرداد كل المناطق التهامية من تحت سيطرة الأدارسة، وعيّن الإمام يحيى لهذه المناطق عمالةً وحاكاماً من قبله، وبذلك أصبحت تهامة تحت حكم الإمامة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962⁽³⁾.

كان لهذه الأحداث السياسية التي مرت بها تهامة خلال تلك الفترة، تأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ففي الجانب الاقتصادي تأثرت الزراعة التي كانت تُعد الحرف الرئيسية لأغلب السكان، نتيجة لعدم وجود الأمن والطمأنينة، بسبب الصراعات والحروب التي شهدتها المنطقة، وانعدام وسائل المواصلات الحديثة، والمؤسسات المالية، فضلاً عن الضرائب التي كانت تتقلّل كاهل الفلاحين، وكان معظم الإنتاج الزراعي يستهلك محلياً، عدا مادة البن التي كان تصدر إلى الخارج⁽⁴⁾.

أما عن أشكال ملكية الأرضي فطوال فترة التاريخ اليمني، كانت حيازة الأرضي مركزة في أيدي النخبة الحاكمة، حيث عمد هؤلاء الحكام إلى امتلاك أخصب الأرضي الزراعية، واعطاء مساحات كبيرة منها لكتاب موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين لاستغلالها لحسابهم الخاص، كمكافأة لهم ليس بوصفهم أفراداً عاديين، وإنما بوصفهم جزءاً من جهاز الدولة، أما أغلبية الفلاحين فكانوا

1 - المرجع نفسه .

2- العطار، محمد سعيد: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط 1، 1965م، ص 35.

3- الواسعي، عبد الواسع يحيى: تاريخ اليمن المسمى فرحة الحموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (د.ن)، القاهرة، (د.ط) ، 1928، ص 334 .

4 - غالب، محمد أنعم: نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن، دار المبناء، القاهرة، (د.ط)، 1962م، ص 122 .

محروميين من حق تملك الأراضي الزراعية، ولن امتلكوا جزءاً يسيراً من الأرضي فإنها لا تلبي حاجات أسرهم الضرورية، حيث كانوا يعيشون على الكفاف⁽¹⁾.

إلا أن هذا المفهوم لحيازة الأرض وتملكها أخذ يفقد تماسكه نهاية الحكم العثماني الثاني في اليمن، وبخاصة بعد أن لجأت الدولة إلى مبدأ الضمان أو الالتزام في الأرضي⁽²⁾. كما كان لعدم استقرار الحكم العثماني في اليمن ومنها تهامة ، نتيجة الاضطرابات والثورات المستمرة ضد هم دوراً في عدم تمكن العثمانيين من فرض النظام الإقطاعي بذاته على الرغم من أنهم فرضوه على أغلب البلدان العربية التي دخلت تحت حكمهم .

وللحافظة على هيبة الدولة، قامت الإدارة العثمانية بتقسيم المنطقة الواحدة إلى عدة أقسام بين أفراد القبيلة الواحدة فأوجدت بهذا الإجراء تنافساً كبيراً بين شيخ القبيلة وبين منافسيه، وكانت تهدف من وراء ذلك إيجاد أو خلق زعامات جديدة تنافس بها الزعامات القديمة(المعارضة لحكمها)، بمعنى أن العثمانيين أعطوا فرصة كبيرة لفئة معينة في المجتمع اليمني لتملك أراضٍ زراعية واسعة، وذلك بحكم طبيعة الحياة الاقتصادية حينذاك، التي تعتمد على النظام الإقطاعي أساساً، مما جعل هذه الفئات منذ مطلع القرن العشرين تحتل موقع اجتماعية وادارية مهمة في البلاد⁽³⁾. كما تضررت التجارة في تهامة خلال الوجود العثماني في اليمن، حيث أن طمع العثمانيين في فرض ضرائب مرتفعة على التصدير والاستيراد في موانئ تهامة الخاضعة لنفوذهم، الذي أدى إلى تحول الجزء الأكبر من التجارة اليمنية إلى عدن، التي كانت تخضع للاستعمار البريطاني، وذلك مما أثر على اقتصاد اليمن بشكل عام وتهامة بشكل خاص.

أما عن السياسة العثمانية الضريبية التي أتبعتها في اليمن ومنه تهامة فكانت تقوم على التعسف في جمع الضرائب من الفلاحين، وذلك حتى يتمكنوا من تغطية نفقات قواتهم العثمانية في اليمن، وإقامة بعض المرافق العامة التي تخدم مصالحهم بصفة خاصة، ومصالح اليمنيين بصفة عامة، إلا أنَّ أغلب الولاة العثمانيين استغلوا جمع الضرائب لمصالحهم الشخصية، واستخدموها في ذلك طرق عده، مما أثار حفيظة اليمنيين، وأشعل ثوراتهم ضد الحكم العثماني، وعن هذه الوسائل

1 - المسعودي، عبد العزيز: القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية، مكتبة السنحان، صنعاء، ط1، 1992م، ص 80

2 - مبدأ الضمان أو الالتزام: ويتمثل بمقابل أحد الأفراد أراضي زراعية يقوم باستغلالها، مقابل دفع مبلغ (الضمان) النقدي أو العيني السنوي الذي يحدد من قبل الإدارة للعنة بالمنطقة.

3 - المسعودي، مرجع سابق، ص 82 .

والطرق يصف لنا نزية العظم في كتابه ما نصه : () كان يخرج المتصرف أو الوالي العثماني من محل وظيفته إلى الأرياف والجبال يجمع الأعشار، ويجبى الضرائب، فيأخذ لنفسه جميع ما يمكنه تحصيله من الأهالي الفقراء، ويعود إلى محل وظيفته دون أن يعطيهم سندًا أو وصلاً ، ويقول لحكومته بأن الأهالي عاصون عليه لا يرغبون في دفع الضرائب، فتسير الحكومة (أي حكومة الولاية) الجيوش عليهم، فتهبهم وتخرب بيوتهم ...، ويكتب إلى الباب العالي في الأستانة بأن أهل اليمن عصوا الحكومة العثمانية، وأنهم أشقياء لا يعترفون بالخلافة العثمانية، ولما كان أولوا الأمر والنهي في القسطنطينية لا يفهمون ما هو المذهب الزيدى، وما هي حقيقة أخبار اليمن، كانوا يأخذون بهذه الدعايات الكاذبة، وبيؤيدون سياسة موظفيهم في اليمن ويمدونهم بالجند والسلاح، ويأمرونهم بإخضاع اليمنيين بالسيف والمدفع، ولذلك كانت اليمن في حرب دائمة مع الأتراك (١) .

أما عن البنية الاجتماعية في تهامة، فقد اتسمت بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة السياسية والاقتصادية، حيث كان رابط القبيلة أقوى من رابطة الدم والنسب، ولهذا فقد شكلت القبيلة العمود الفقري لتكوين الدولة والمجتمع ولعبت دوراً بارزاً ورئيساً في غالب الصراعات التي واجهها اليمن خلال مراحل تاريخه، وكان للنظام الإمامي الذي حكم اليمن ما يقارب من عشرة قرون دوراً في إذكاء التقسيم الفئوي، حيث ظل المجتمع اليمني في عهود الأئمة محظطاً بتوجهاته المناطقية ونزاعاته القبلية، التي استمدتها من مراحل تاريخية سابقة، استطاعت السلطة السياسية توظيفها للبقاء في الحكم لمدة طويلة (٢) .

وعليه فقد كانت التركيبة الاجتماعية للمجتمع في تهامة تتقسم إلى عدة فئات (٣)، يأتي على رأسها فئة السادة، الذين يتميزون بانحدارهم من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمتعون بأمتيازات خاصة، وبوضع اجتماعي له قدره وقيمة، حيث كان لهم حق الأولوية في اعتلاء المناصب الرئيسية في الدولة، وذلك لشعورهم بأنهم متميرون عن الآخرين، يلي السادة في الترتيب فئة القضاة الذين ينحدرون من الأسر التي تهتم بعلوم الشريعة الإسلامية، ويتوارثون عن بعضهم

1 - العظم، نزية مؤيد: رحلة في بلاد العربية السعيدة، دار قتبة، بيروت، ط 2 ، 1405 هـ / 1985 م، ج 1، ص 154 .

2- الشماحي، عبد الله : اليمن (الإنسان والحضارة)، منشورات المدينة، بيروت، ط 3، 1406 / 1985، ص 119.

3- أبو غام، فضل علي أحمد: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1985، ص 195 - 247 .

البعض هذه المهمة، وكانوا يقاسمون السادة في وظائف الإدارة والقضاء، يلي ذلك فئة كبار المالك والشيوخ والتجار، الذين كانوا يسيطرون على جزء من احتكار التجارة، وكانوا يكرهون أي تغيير في نظام الحكم، كما أنهم كانوا تقليديين في نظرتهم، وقد ظلوا عاجزين عن إقامة أي استقرار سياسي طويل الأمد، وكانوا يظهرون الولاء ويقدمونه من أجل مصلحتهم الشخصية إلى الدرجة التي توقعهم في الاضطراب عند اختيار الجانب الذي يساندونه في حالات الصراع السياسي⁽¹⁾. يلي ذلك فئة الفلاحين والحرفيين وذووا المهن، الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان، وتُعد هذه الفئة هي المنتجة، فمن عرقها تأتي موارد البلاد⁽²⁾، وكانت هذه الفئة تتقل بالضرائب الباهضة، وكانوا مجردين على تسليمها وأدائها، وإذا عجزوا عن أدائها، فإن السلطات تتخذ ضدهم إجراءات ووسائل تزيدهم فقراً على فقرهم . فضلاً عن هذه الفئات، فقد كانت هناك جماعات من الناس لهم مراكز اجتماعية مختلفة، ويعيشون على هامش المجتمع، كفئة الخدم الذين ينحدرون من أصل حبشي، حيث كانوا يعيشون في أحيا خاصية بهم تسمى بالمحاوي، ويقومون بخدمات اجتماعية مختلفة كالرقص، وضرب الطبول في الأفراح والمناسبات، وكانوا يلاقون احتقاراً من المجتمع، لا توصف بالعدل أو الإنسانية . ظلت هذه التركيبة الاجتماعية في تهامة حتى فترة الدراسة، وهو ما سنوضحه في ثانيا بحثنا هذا .

الباب الأول

الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918 - 1962) :

مدخل: موجز عن الأوضاع السياسية في اليمن بين عامي 1918 - 1962 وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة .

الفصل الأول

البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة : اليمن :

1- الملكية الزراعية، أشكالها وطرق استغلالها في تهامة:

1- أباذه، مرجع سابق، ص 67 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 118 .

أ- تعريف الملكية.

ب- أشكال الملكية الزراعية في تهامة .

ج- طرق استغلال الأراضي الزراعية في تهامة.

2- أدوات العمل الزراعي في تهامة.

3- نظام الري.

4- أنواع الضرائب الزراعية وطرق تقديرها وجبائيتها .

مدخل

موجز عن الأوضاع السياسية في اليمن ما بين عامي 1918 - 1962 وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة . لعب العامل الديني دوراً كبيراً في حصول أسرة حميد الدين على السلطة في اليمن، حيث أنه بموت الهاדי الحسيني إمام الزيدية عام 1307هـ بصنعاء، أصبحت الإمامة الزيدية بدون إمام بالرغم من وجود سيف الإسلام محمد بن الهاطي المعروف بأبو نيب، الذي توفرت فيه شروط الإمامة الزيدية، غير أنه لم يبلغ درجة الاجتهاد الذي يُعد من الشروط الأساسية للإمامية، وبعد مداولات ومناقشات جرت بين أعيان الزيدية لاختيار الشخص الذي تتتوفر فيه شروط الإمامة، ووجدوا أن الأصلح لهذا المنصب هو السيد محمد بن يحيى حميد القاسمي، فاستدعوه إلى صنعاء، وبعد مناظرة عميقة ثبت فيها نجاحه، تم اختياره ليكون إماماً للزيدية، وبابيعوه في أواخر سنة 1307هـ، وتلقب بالمنصور بالله. وبوصول محمد بن يحيى حميد الدين إلى الحكم، تسلمت أسرة حميد الدين السلطة في اليمن^(١) .

1 - الشماхи، مرجع سابق، ص 182 - 184

لقد تولت تلك الأسرة حكم اليمن نتيجة لاعتبارات تاريخية وسياسية، تمثلت في بروز تلك الأسرة من بين الأسر اليمنية، خلال مرحلة النضال اليمني التركي، هذا النضال جعلها محط أنظار للسلطات التركية، ومناط أمل للشعب اليمني⁽¹⁾.

لقد استطاع الأئمة من أسرة حميد الدين أن يكسبوا إلى صفدهم معظم أبناء الشعب اليمني للالتفاف حولهم، مستغلين بذلك سخط الشعب على الحكم التركي وفساد موظفيه، فارتفع بذلك شأن أسرة حميد الدين، مما مهد بعد ذلك أن يتقدوا حكم اليمن بعد خروج العثمانيين في عام 1918⁽²⁾. وبوفاة المنصور عام 1904. كانت دعوة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين لنفسه بالإمامنة في التاريخ المذكور، الذي تلقب بالمتوكل على الله⁽³⁾.

أحس الإمام يحيى حميد الدين بعد توليه السلطة، أن بيته مهزوزة، وأن البعض من ذوى الحل والعقد لم يجمعوا بالموافقة على أحقيته بالإمامنة، لذا عمل بدهائه وحنكته على ترسيخ أقدامه في السلطة من خلال كسب ولاء مشايخ القبائل والرجال الأقوياء إلى صفده، واعداً لهم بعد تخلصه من الأتراك، إقامة حكم محلي، ولدخول الإصلاحات لليمن، يكونون هم في مقدمة المشاركين له في الحكم، وازاء هذه الوعود تعامل معه الكثير من أبناء الأسر المنافسة له في الإمامنة، وبعض شيوخ القبائل⁽⁴⁾.

قام الإمام يحيى بعد تثبيت السلطة بمواصلة الحرب ضد العثمانيين لإخراجهم من اليمن من أجل بسط نفوذه على المناطق التي كانت تحت أيديهم، وبعد معارك دارت مابين الجانبين، اضطرت الولاية العثمانية لتسليم صنعاء للإمام يحيى حسب شروط اتفق عليها الجانبان، ودخل الإمام صنعاء لأول مرة بعد توليه الإمامنة في 21 إبريل/نيسان 1905⁽⁵⁾. بعد دخول الإمام يحيى

1 - الخلوة، محمد إبراهيم: التحديد السياسي في اليمن الشمالي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول 1983، ص 42.

2 - المرجع نفسه، ص 43.

3 - العز عزي، عبد الله فارع: اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، للمنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط 1، 1422 / 2001، ص 21.

4 - عبده ، علي محمد : ملخصات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط 1، 2003، ج 1، ص 26 .

5 - الأشول، ناجي على: الجيش والحركة الوطنية في اليمن (1919-1969) ، دائرة التوجيه للعنوي، صنعاء، ط 3 ، 2005 ، ص 52 .

صنعاء، سقطت جميع المناطق التي كانت تحت سيطرة الأتراك بيد أصحابها، عدا تعز والحديدة ومناخه⁽¹⁾ وبهذا النصر كسب الإمام يحيى شعبية واسعة، قالت من المعارضين له في الداخل. ولكن اليمن فوجئ في شهر يونيو/حزيران 1905 بدخول القوات التركية بقيادة أحمد فيضي، الذي استطاع أن يعيد صنعاء إلى الأتراك في أوائل سبتمبر/أيلول 1905 ، وبدون أي مقاومة من جانب الإمام يحيى، حيث انسحب الإمام يحيى من صنعاء، وقد علل انسحابه من صنعاء بالخوف عليها من نهبها وتخريبها بالمدافع العثمانية⁽²⁾.

وبسبب الأوضاع الدولية في تلك الفترة، أخذت الأخطار تحيط بالدولة العثمانية من كل جانب، ففي الغرب قامت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وروسيا بتسليق جهودها للقضاء عليها، وذلك من خلال زرع الفلاقل والحركات الانفصالية في بلاد العرب، بالإضافة إلى ظهور محمد بن علي الإدريسي عام 1907 في عسير، وقيامه بثورة ضد الأتراك بمساعدة بريطانيا له في ذلك⁽³⁾.

وبناءً على ما سبق، اضطرت تركيا لعقد اتفاقية بينها وبين الإمام يحيى عرفت باتفاقية دuan عام 1911⁽⁴⁾. وذلك لكي تتفرغ للمؤامرات الأوروبية التي تحاك ضدها⁽⁵⁾.

واستمرت المؤامرات تحاك ضد الدولة العثمانية حتى قامت الحرب العالمية الأولى عام 1914، ووجدت الدولة العثمانية نفسها مضططرة للدخول في الحرب إلى جانب الألمان ضد دول الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وروسيا) . انتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918 بهزيمة ألمانيا والدولة العثمانية، نتج عنها تمزق أراضي الدولة العثمانية، ووقوع معظم الأقطار العربية تحت الاستعمار الأوروبي⁽⁶⁾.

1 - الحداد، محمد يحيى: التاريخ العام لليمن، دار التنبير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ج5، ص6-7 .

2 - المرجع نفسه، ص7 .

3 - الأشول، مرجع سابق، ص 54 .

4- عَدَان : بفتح الدال وتشديد العين المهملة ، قرية من قرى جبل عيال يزيد شمال عمران ، بمسافة 18 كم ، عقد بها صلح عام 1911م بين الإمام يحيى والعثمانيين .أنظر: للقحفي، أحمد إبراهيم ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط4، 2002/1422، ج1، ص 242 .

5- علي، صادق عبده: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن (1918 - 1967)، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط1، 1992، ص 65 .

6- عبده، نجات من تاريخ حركة الأحرار، مرجع سابق، ص 28 .

أما اليمن (الشمالي)، فبسبب موقف الإمام يحيى المحايد من الحرب، وتغاضيه عن عدم وفاة العثمانيين بالتزاماتهم المالية له حسب ما نصت عليه إتفاقية دuan، قام الوالي التركي في صنعاء بعد الحرب، وعرض على الإمام يحيى بدخول صنعاء وتسليم السلطة من الأتراك، وذلك عقب الهدنة مابين بريطانيا والدولة العثمانية عام 1918⁽¹⁾. وبخروج العثمانيين من اليمن عام 1918، حصل اليمن على استقلال أراضيه الواقعه تحت السيطرة العثمانية، لتصبح أسرة حميد الدين هي المتسطلة على البلاد حتى عام 1962، تحت اسم المملكة المتوكيلية اليمنية⁽²⁾.

بعد أن تسلم الإمام يحيى مقاليد الحكم من الأتراك، بدأ باتهاج سياسة اتسمت بالفردية المطلقة والجمود والعزلة. ولتطبيق هذه السياسة، اعتمدت الإمامة على مجموعة من الأساليب والوسائل منها:

1- استغلال الدين الإسلامي والمذهب الزيدى كوسيلة للسيطرة الروحية على الشعب اليمنى من خلال نشر مجموعة من المفاهيم والأفكار التي رووجت من أجل ترسیخ نظام الإمامة، وضرورة طاعة الإمام، ومن هذه المفاهيم على سبيل المثال: () الصلاة لا تصح إلا بالإمام، والزكاة لا تدفع إلا له، وأن طاعة الإمام واجبة، والخروج عنه هو خروج عن الدين يستوجب أقصى العقوبات⁽³⁾. وغيرها من المفاهيم .

2- استمالة بعض القبائل اليمنية إلى جانبها والدفاع عن نظامها، حيث لعبت القبيلة دوراً مؤثراً في تاريخ الإمامة والدفاع عنها، وذلك لما امتاز به رجال القبائل من الشهامة والشجاعة، ونجد الملهوف فاستغل الإمام يحيى هذه القبائل للوصول إلى السلطة، وقد استخدم الإمام عدة وسائل لكسب القبائل إلى صفة منها:

أ- الرشوة والمعونات السنوية التي كانت تدفع لبعض القبائل.
ب- مصاہرة الإمام لمشايخ بعض القبائل القوية، لتنمية العلاقة بينهما، مثل ذلك، تزوج الإمام يحيى من أخت شيخ قبيلة بكيل⁽⁴⁾.

1- الحداد، مرجع سابق، ص 47.

2- الشرجي، قائد: الشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحداثة لبنان، ط1، 1986، ص 70 - 71 .

3- الشرجي، مرجع سابق، ص 72.

4- جولوبوفسكايا، إيلينا: ثورة 26 سبتمبر في اليمن، تر/ قائد محمد طريوش، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982، ص 150 .

ج-اعتماد الإمامة على سياسة فرق تسد، ضد خصومها من القبائل، محاولةً بذلك ضرب قبيلة بأخرى.

د- الاعتماد على القوة لاخضاع القبائل المتمردة، كما فعل بقبيلة الزرانيق في تهامة.

ه- استخدام نظام الرهائن⁽¹⁾، والذي يعد من الأنظمة القبلية القديمة في اليمن، وقد وجد فيه الإمام يحي ومن بعده ابنه أحمد وسيلة لضمان خضوع القبائل لطاعة الدولة، ولضمان تلبية القبيلة بتقديم الأعداد المخصصة عليها لخدمة التجنيد⁽²⁾.

3- استغلال الإمام جهل الشعب، والسيطرة على عقولهم من خلال بث وترويج إشاعات، تثبت أن للإمام كرامات، وأن له خدم من الجن، يأتونه بالأخبار عن كل فرد ، حتى أصبح المواطن اليمني يصدق هذه الدعايات، ويعتقد أن جن الإمام يرافقون كل حركاته⁽³⁾.

لقد استطاع الإمام يحي بهذه الأساليب أن يمسك بزمام الأمور في البلاد، مركزاً السلطة كلها في يديه، ولم يسمح بالتصرف في صغار الأمور إلاً بعلمه وموافقته، لقد كانت دولته كما شبهها الدكتور سيد مصطفى سالم بأنها أشبه بقبيلة كبيرة هو رئيسها⁽⁴⁾ .

هذه السياسة التي أنتهجهها الإمام يحي في اليمن، ومن بعد ابنه أحمد كانت تستند على الحكم الفردي المطلق الذي أصبح أساساً للسياسة الداخلية والخارجية حينذاك.

أولاً ***** - السياسة الداخلية للإمامية في حكم اليمن :

استفاد الإمام يحي بعد خروج الأتراك من اليمن من بعض أساليبهم الإدارية، حيث أبقى الإمام على التقسيمات الإدارية التركية للمناطق، وعين لها أمراء وعمال وحكام، ولم يحاول أن يحدث أي تطوير في هذا الجانب⁽⁵⁾.

1 - الرهينة: هي ابن شيخ القبيلة، أو أخوه، أو أحد أقاربه، تؤخذ من القبائل التي تخشى تمردها، وتحتاج في العاصمة، أو إحدى المدن الرئيسية، وتُخضع لنظام خاص تحت رحمة الإمام. وقد قدر عدد الرهائن في عهد الإمام يحي بأربعة آلاف رهينة، بينما قدرت في عهد الإمام أحمد بالآلفين. انظر: الصاندی، أحمد : حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي (1904 - 1948)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1983، هامش ص 43 .

2 - العطار، مرجع سابق، ص 78 .

3 - الشرجي، مرجع سابق، ص 74 .

4 - سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث (1904 - 1948)، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1993، ص 479 .

5 - الصاندی، مرجع سابق، ص 40 .

كانت الإدارة في اليمن، تعتمد على تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية تسمى ألوية، وقد قسمت البلاد في عهد الإمام يحيى إلى ستة ألوية وهي: (صنعاء، وتعز، وحجة ، والحديدة ، وصعدة، ولب)، إلا أن الإمام يحيى أقدم على إضافة لواء سابع وهو لواء البيضاء⁽¹⁾. ويبدوا أن سبب إقدام الإمام على ذلك يرجع إلى وقوع المنطقة على الحدود المصطنعة التي خطتها بريطانيا، وأخضعت الجزء الجنوبي من اليمن لهيمنتها ، فأراد الإمام تقوية إدارته هناك، درءاً للتوسيع البريطاني ، وصد غاراته المتكررة على تلك المناطق.

كان الحكم المركزي أحد سمات الإدارة في اليمن في عهد الإمامة ، حيث يعد الإمام هو الحاكم الذي ترفع إليه كل شؤون البلاد صغيرها وكبیرها، ولم يكن هناك وزارت محددة الاختصاصات بهيكل تنظيمي مستقل كما هو متعارف عليه الآن، ولئما وجد وزراء يتولون مهماتهم وفقاً لأوامر وتوجيهات الإمام، ولم يكن لهم أي صلاحية في مهامهم⁽²⁾.

فجميع المعاملات اليومية، كانت تأتي مباشرة إلى الإمام، حيث يتدخل في كل القضايا مهما صغرت، حتى وصل الأمر بأن يتدخل في قضايا المشاحنات الشخصية في المناطق الريفية⁽³⁾. باختصار، كان البلد ملكاً له، وكان الإمام ينظر إليه على هذا الأساس، والإمام هو وحده الذي يتخذ كل القرارات، بحيث إذا اعترافه مرض أو عائق شخصي ، تتزلج البلاد ومصالحها معلقة في انتظار شفائه⁽⁴⁾.

كان التقسيم الإداري، يبدأ باللواء، يعين له الإمام مسؤولاً يسمى بنائب الإمام (محافظ حاليا) ويعين في اللواء إلى جانب النائب، أمير للجيش، وقاضي شرعي، ومديراً للمالية، ومديراً للتعليم، ويضم اللواء عدة أقضية، ويسمى المسؤول عن القضاء عاماً (مدير المديرية حالياً)، ويعين للقضاء إلى جانب العامل حاكم شرعي، ومسؤول للضرائب، ورئيس شرطة، وأمين بيت المال . ويشمل القضاء على عدة نواحي، وكل ناحية تضم عدة عزل، والعزلة تتكون من عدة قرى⁽⁵⁾.

1 - العطار، مرجع سابق، ص 82 - 88 .

2 - الحمداني، عبد الهادي حسين : التقسيمة الإدارية في الجمهورية اليمنية، دار التصر، دمشق، (د.ط)، 1990، ص 127 - 128 .

3 - الصائدي، مرجع سابق ، ص 40 .

4 - العطار، مرجع سابق، ص 79 .

5 - الشرجي، مرجع سابق، ص 77 .

كانت مهام النواب والعمال في الألوية والأقضية، القيام بجمع الضرائب المختلفة ، والزكوات من المواطنين ، وارسالها إلى خزينة الدولة التي يشرف عليها الإمام شخصيا⁽¹⁾.

ولإحكام السيطرة الإمامية على الألوية، وقمع التمردات الفلاحية والقبلية، اتبع النظام الامامي أبشع الوسائل والأساليب لذلك منها : أسلوب الرهائن المشار إليه فيما سبق، وأسلوب الخطاط، وهو نظام عسكري استخدمه الإمام لتأديب المتمردين على نظمه، ويتمثل هذا النظام بأن يرسل الإمام فرقه من العسكر للمنطقة المتمردة عن دفع الضرائب المقررة، ويظل هؤلاء الجنود فترة من الزمن قد تزيد أحياناً على شهر ، يعيشون فيها على حساب المواطنين ، مما يؤدي إلى إرهاق الفلاحين ونهب ممتلكاتهم⁽²⁾.

وأسلوب التنافيذ : وهو وسيلة تتمثل بإرسال الإمام أو نائبه، جندي أو أكثر على شخص أو مجموعة من الأشخاص لإحضارهم إلى إحدى الجهات الحكومية أو القضائية، وذلك لدفع حق للغير أو للحكومة، ويلزم الشخص بالامتثال والحضور أمام الجهة المختصة، وقد يكون التنفيذ من أجل الزكاة، أو الأمان الاجتماعي⁽³⁾ .

ثانياً - السياسة الخارجية:

انتهج الإمام يحيى في حكم اليمن سياسة اتسمت بعزل اليمن عن المحيط الخارجي في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعدم السماح بفتح منافذ على العالم، تسهم في تحقيق تطور للأوضاع في اليمن. وكان تبريره في ذلك أنه: (يدافع عن شعبه ضد الإلحاد والعلوم الوثنية، وصيانته للتراب الوطني من المطامع الاستعمارية، ويريد أن يتبع الشعب الدين الصحيح حسب اجتهاده)⁽⁴⁾. لكنه من الناحية الفعلية قد أفرغ الوطنية من محتواها الحضاري التقديمي، وتحولها إلى ذريعة لنكرис التخلف والعزلة وتجميد حياة الشعب اليمني في نطاق الجهل والتخلف والمرض.

1 - العز عزي، مرجع سابق، ص 72.

2 - عمر، سلطان أحد: نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1970، ص 123.

3 - ناجي، سلطان: التاريخ العسكري لليمن، (د.ن)، عدن، (د.ط)، 1976م، ص 122.

4 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر في اليمن، مرجع سابق ، ص 22 .

وبرغم حرصه الشديد على فرض سياسة العزلة التامة، إلا أنه كان يجد نفسه مضطراً إلى مد أنظاره إلى الخارج، عند اشتداد الظروف عليه، إلا أنه كان حين يفكر بهذه القضية يجد نفسه مشدوداً إلى فكرته الثابتة المتمثلة ببقاء اليمن معزولة⁽¹⁾.

وفي سبيل حصول الإمام على الاعتراف باستقلاله، وкосيلة لحل مشاكله، وتدعمه مركزه عقد جملة من المعاهدات مع كل من إيطاليا عام 1926، والاتحاد السوفياتي عام 1928، هولندا عام 1933، إثيوبيا عام 1935، فرنسا عام 1936، بلجيكا عام 1936، الولايات المتحدة الأمريكية عام 1946⁽²⁾.

ويلاحظ أن جميع هذه المعاهدات والاتفاقيات، محدودة الأغراض، لا تتعدي المجال التجاري، حيث لم يستفد منها الشعب شيئاً ولم تؤدي إلى تطوير البلاد .
هذه السياسة الانعزالية، كانت من العوامل الرئيسة التي أعاقت نطور اليمن ومنها تهامة، وتسببت في تخلف المنطقة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

ففي المجال الاقتصادي، تأخرت الزراعة على الرغم أنها كانت الحرف الرئيسية لأغلب السكان، ويرجع ذلك أن النظام الإمامي المتمثل بأسرة حميد الدين، لم يعمل طوال حكمه بجدية لإصلاح الأرضي القابلة للاستصلاح في تهامة، كما لم يقم بأي مشروع يؤدي إلى زيادة مساحة الأرضي الزراعية، مثل بناء السدود حول الأودية لحجز مياه الأمطار .

كما كانت التقنية الزراعية الحديثة معdenة تماماً للقيام بالعمليات الزراعية في جميع مناطق تهامة، وكانت تعتمد بشكل رئيسي على أدوات زراعية بدائية وتقليدية، كالمحراث الخشبي، والمنجل، والمحفر، والحجنة، وغيرها من الأدوات، وذلك مما انعكس بدوره على مردود الأرض، وقلة محصولها الزراعي .

أما بالنسبة لنظام ووسائل الري، فقد ظلت طوال فترة الدراسة في تهامة يعتمد على الجهد البشري والحيواني، ولم تعمل السلطة على إدخال نظم ري حديثة تساهم بدور إيجابي في تطور النشاط الزراعي. كما كان للسياسة الضريبية الباهضة والوسائل التي اتبعتها السلطة الإمامية في جبايتها من الفلاحين، دور في تقلص النشاط الزراعي، والحد من زيادة الإنتاج، مما جعل أغلب

1 - السلال، عبد الله وآخرون، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة، صنعاء ، (د. ط)، (د. ت)، ص 37 .

2 - الحداد، مرجع سابق، ص 109 .

الفلاحين يغادرون البلاد بحثاً عن الرزق، مما نتج عنه تقلص الإنتاج الزراعي، وذلك كما سيتضح من خلال دراستنا .

وكذا الحال بالنسبة للثروة الحيوانية، فإن حظها لم يكن أفضل من حظ الإنتاج الزراعي. فنتيجة للضرائب الباهظة التي كانت تفرض على أصحابها، وقلة المراعي الطبيعية، وندرة الطبابات البيطرية التي كان من نتيجة غيابها انتشار الأمراض والآفات، تقلصت الثروة الحيوانية في المنطقة.

أما في المجال الصناعي والبحث عن الثروة المعدنية، فقد انعدمت المشاريع الصناعية الحديثة، حيث لم تقم السلطة بأي دور في هذا المجال، ويرجع ذلك أن الإمامة كانت لا تتوافق على منح الأجانب عموماً، أي امتيازات للبحث والتقييم عن الثروة المعدنية، ولا القيام بمشاريع اقتصادية حديثة، وكانت الإمامة ترجع ذلك إلى مبررات: منها الخوف من المطامع الأجنبية في ثروات البلد، وهو ما عَوْ عنه الإمام يحيى حينذاك بقوله : (إننا نفضل أن نعيش في ظل الفقر مكتفين بأكل العشب، على أن نرى ثروة بلادنا تحت أقدام أجنبي)⁽¹⁾ .

كما أثر هذا الواقع السياسي على نمو واتساع الحركة التجارية في تهامة، حيث حال دون نشوء فئة تجارية مؤثرة، عدا بعض التجار الذين ارتبطوا بالسلطة، وعملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية، مما أدى إلى ضعف السوق المحلية .

وخلاصة القول: أن هذه السياسة الانعزالية أدت إلى تعميق الكساد في المجال الاقتصادي، وأبقيت على العلاقات الاقتصادية البدائية في المدينة والريف، كما ساعدت على الاحتفاظ بالطبيعة البدائية للاقتصاد، وأعاقت نمو وسائل الاتصالات الحديثة، والنظام النقدي وغيره .

أما في المجال الاجتماعي، فقد كرست الإمامة النظام القبلي، خدمة لمصالحها، وأصبحت سلطة الإمامة أكثر استبدادية، كما أكدت التقسيم الفئوي، حيث ظل المجتمع اليمني محتفظاً بتوجهاته المناطقية، ونزاعاته القبلية، كما كان لسياسة السلطة الإمامية دوراً في بقاء الجمود التفافي، والتمسك بالقيم والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية، وعدم تطويرها، حيث ظل التعليم متخلفاً، وأقتصر في أغلبه على التعليم الديني في المساجد والمدارس الدينية والرُّؤُط، كما انعكست على الجانب الصحي وغيرها من الجوانب الأخرى، كما سيتضح في ثانياً هذه الدراسة.

الفصل الأول:

البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن: :

أولاً - قوى وعلاقات الإنتاج في تهامة اليمن :

-1 الملكية الزراعية، أشكالها وطرق استغلالها في تهامة: قبل البدء بدراسة النظام الاقتصادي السائد في اليمن عامة وتهامة تحديداً، لابد من التأكيد على أن إستراتيجية الموقع وأهميته في المنطقة (كما في الوطن العربي)، فتحت المجال واسعاً للنشاطات الرأسمالية الأوروبية، في ظل التردي العثماني عامه، لاسيما في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وعند ذلك الممر المائي العالمي (باب المندب) ما بين بحر العرب والبحر الأحمر، أدت الاستثمارات الرأسمالية إلى تفكك النظام الإقطاعي الذي كان رساخاً في المراحل التاريخية السابقة. وقد ظل هذا النظام على حاله من التفكك في تهامة خلال فترة الدراسة، وذلك نتيجة الاستثمارات الرأسمالية من خلال الدور الأجنبي في البلاد ومصالحه، وذلك بدلالة نوعية الممتلكات الزراعية، حيث وجدت إلى جانب الملكيات الزراعية الكبيرة، ملكيات صغيرة ومتوسطة. لكن اللافت في الأمر أن الفلاحين في تهامة لم يكونوا عبیداً للأرض وأصحابها، ولم يلتزمون بالخدمات الإجبارية الشاقة، كما في مفهوم النظام الإقطاعي الذي ساد بلدان الوطن العربي خلال الوجود العثماني، بل ظل الفلاحون أحرازاً تربطهم بملوك الأراضي علاقة تحكمها الأعراف والتقاليد المتوارثة، التي تعتمد على مبدأ المشاركة في المحصول أو الإجراء. إلى جانب قيامها على أساس التعاون التي تلزم الفلاحين بمساعدة بعضهم البعض، وهو ما يسمى في تهامة (بالفزعة)، التي

تعني الإغاثة والنصرة، التي لا تمت إلى (نظام السخرة) بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد ؛ وذلك بحكم نظام القبيلة وأعرافها التقليدية التي مازالوا يحافظون عليها حتى اليوم، وعلاقات القربي التي تحكمها^(١) .

أ- تعريف الملكية :

يمكن تعريف الملكية على أنها: () حق قانوني للتصرف في شيء من الأشياء المادية والفكريّة واستغلاله، هذا الحق يتمتع به فرد أو جماعة من الجماعات^(٢) .

ويشترط في الملكية شروط ثلاثة هي: وجود المالك والممتلكات، والعلاقة بينهما، فضلاً عن أن هذه الملكية حق مانع، أي مقصور على صاحبه، يستطيع أن يتصرف بها كيفما شاء، بدون مشاركة غيره^(٣). تكتسب الملكية بعدة طرق^(٤)، حيث يصبح للمالك حقوق الملكية الكاملة والتي تتمثل بحق الانتفاع والاستعمال، وحق الرهن الرسمي، وحق الاختصاص، وحقوق الامتياز^(٥).

وهي تختلف عن الحيازة التي لا تتضمن حقوق الملكية الكاملة ولئما في بعضها، والتي تشمل حق الاستعمال والانتفاع دون حق التصرف .

ويُعد النقص الشديد في الأرقام التي تخص الملكية الزراعية من أكثر المشكلات التي تواجه الباحثين في هذا المجال، وهذا النقص مرجعه الأساس إلى عدم وجود سجلات لملكية الأراضي الزراعية لفترة الدراسة، هذه المشكلة ليست مشكلة اليمن فحسب، لكنها مشكلة عامة في أكثر البلدان النامية والمتخلفة، التي تعاني من عدم تنظيم الملكية الزراعية إلا بحدود ضيقة .

ب- أشكال الملكية الزراعية في تهامة :

1- الشرجي، الشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 126 – 127 ؛ العطار، مرجع سابق، ص 116 – 115

2- عوده، محمود: القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع، مكتبة سعيد رافت، القاهرة، ط2، 1983، ص 105.

3- أبو غاتم، مرجع سابق، ص 149.

4- بطريقة الميراث، أو الحيازة، أو الوصية، أو العقد، أو الشفعة. أبو غاتم، مرجع سابق، ص 148.

5- المرجع نفسه .

كان من الطبيعي والحالة هذه أن تكون الملكية الزراعية في تهامة انعكاس لطبيعة العلاقات الاقتصادية، التي فرضت نفسها بقوة على المجتمع يومذاك، فضلاً عن أن تاريخ المنطقة وشهرة بعض مدنها كمجتمعات سكانية، ومراكز علمية، كان له دور في تعدد أشكال الملكية وتتنوعها، مما جعل الكثير من طلاب العلم يفدون إليها ويجدون مأكليهم ومشربهم فيها، الأمر الذي أوجد فئة من التجار وملاك الأراضي قاموا بوقف كثير من أراضيهم على المدارس العلمية والمساجد ودور العلم، كل ذلك أدى إلى ظهور ثلاثة أشكال للملكية في تهامة وهي^(١):

أولاً - الملكية الخاصة:

هي الأرضي الزراعية التي تعود ملكيتها إلى الأفراد من عامة الناس، لهم حق التصرف فيها ببيعها أو رهنها أو تخصيصها للأوقاف، سواءً كانت هذه الأرض وصايا أو صوافي أو أملاكاً حرة، أو أراضي موات تم إحياؤها ، ومشاع تم استصلاحها، وملكتها أصحابها في الغالب إما بالشراء، أو حقوق مكتسبة (إرث)، ويتم تقسيمها غالباً بين أفراد العائلة، وفقاً لأحكام الشرع والعرف بعد موت المورث أو في حياته^(٢).

في تهامة تكاد تكون هذه الملكية حكراً على عدد من الملوك، حيث تملك أربعون عائلة ما بين 50 - 70 % من الأرضي الزراعية في الوديان، هؤلاء الملوك نادراً ما كانوا يعيشون في القرى أو قريباً من أراضيهم، بل كان أغلبيتهم يعيشون في المدن كالحديدة وزبيد والزهرة وبيت الفقيه و يجعلون لهم شركاء في أراضيهم لزراعتها^(٣).

ففي مسح شامل لأراضي وادي زبيد، وجد أن هناك 24 عائلة تمتلك 6150 هكتار (أي ما نسبته 36% من مجموع أراضي الوادي) ، بينما خمس عائلات تمتلك لوحدها 3741 هكتار، أما من يمتلكون أقل من هذا القدر فأغلبهم يعيشون في القرى^(٤).

1- جعفر، مرجع سابق، ص 44.

2- الدودجي، فيصل محمد : الأرض والسلطة في اليمن للعاصر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2009م، ص 130.

3- الجهاز المركزي للتحيط (نظم الحياة والعلاقات الزراعية في اليمن)، نشرة رقم 65 صناعة، يناير / كانون الثاني 1973م، ص 8 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 45.

وعلى الرغم من خصوص حجم الملكيات الزراعية في اليمن للتقديرات، بسبب عدم وجود نظام لتسجيل الأراضي خلال فترة الدراسة كما أشرنا سابقاً، إلا أنه ومن خلال هذه التقديرات التي تناولتها بعض الدراسات، التي اعتمدت على تقديرات بعض البعثات الزراعية التي زارت اليمن خلال تلك الفترة فضلاً عن بعض التقديرات التي أوردتها منظمات هيئة الأمم المتحدة، خاصة منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، واعتماداً على دفاتر تحصيل الضرائب، يمكننا القول أن الملكية الخاصة بمحفظها أحجامها الكبيرة والمتوسطة والصغرى كانت منتشرة في كافة أنحاء اليمن ومنها تهامة، وأنها شكلت القسم الأكبر بين الملكيات الزراعية الأخرى في تهامة، حيث تراوحت مساحتها ما بين 70 - 80 % من إجمالي الأراضي الزراعية في اليمن، وبلغت في تهامة ما بين 50 - 54 % من إجمالي الأراضي الزراعية، أي ما نسبته 30% من مجموع الأراضي الزراعية في اليمن⁽¹⁾. ويرجع ذلك للأسباب والعوامل التالية :

1- العامل الجغرافي: إن التنوع الجغرافي الذي يتميز به اليمن عامه، وتهامة جزء منه قد أثر على نظام الملكية بشكل عام، غير أن تأثيره على الملكية الخاصة هو الأهم، لارتباط الملكية الخاصة بعموم السكان، الذين يتوزعون على كل مناطق تهامة؛ لأن مساحة الأرض الزراعية في المناطق السهلية هي الأكثر اتساعاً وخصوصية مما ساعد على نشوء ملكيات خاصة فضلاً عن أن العديد من سكان تهامة وأمام سعة الأرض الزراعية، وعدم قدرتهم على استثمارها، فقد لجأوا إلى الاحتفاظ بمساحات تتناسب مع قدرتهم وخاصةً الأرضي القريبة من مناطق سكناهم، علاوة على ذلك فإن توفر مصادر المياه المختلفة في المنطقة شكل بيئية مناسبة لقيام كافة أشكال الملكية الخاصة⁽²⁾.

2- العامل السياسي: وتمثل ذلك باستغلال بعض الأفراد والأسر مكانتهم السياسية والإدارية وقربهم من السلطة الحاكمة في الحصول على أراضي واسعة في تهامة، وخاصةً بعض الأسر الحاكمة والمتوفدة في أجهزة الدولة المختلفة حينذاك .

3- العامل الاقتصادي . الاجتماعي: للذين ظهر أثراًهما من خلال الرغبة في تملك الأرض لما لها من أهمية في تعزيز المكانة الاجتماعية وتحسين المستوى الاقتصادي للمالك، حيث أن مكانة الفرد في المجتمع ترتبط غالباً بما يملكه من أرض، ليس فقط لأن الأرض تمثل مصدر

1- الشرجي، الشائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 25- 27 .

2- اليدودحي، مرجع سابق، ص 133- 134 .

معيشته، بل لأن التمسك والارتباط بها تمنحه شرعية الوجود والانتقاء، وتعزز من مكانته الاجتماعية بين أفراد المجتمع⁽¹⁾.

4- عقود المشاركة: لجأ الكثير من المالك وكبار موظفي الدولة وبعض مشايخ القبائل والتجار إلى استثمار أراضي الأوقاف والوصايا وأملاك الدولة بعقود المشاركة، وبأشكال مختلفة، ومع مرور الزمن وضعف الدولة قام هؤلاء المتعاقدين بالسيطرة على تلك الأرضي وضمها إلى أملاكهم الخاصة بطرق مختلفة، كالشراء، والمناقلة، والمعاوضة، والمصادرة، مستغلين نفوذهم في ذلك⁽²⁾.

تبعاً لذلك تقواط الملكيات الخاصة في تهامة من حيث حجمها، تتبعاً لنوعية المالك، ونشاطهم الاقتصادي، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، وقد تجلى ذلك التقواط على النحو الآتي:

أ- ملكية خاصة كبيرة: تتركز في المناطق الخصبة الواسعة المساحة من تهامة وحول المدن والأوبياء، بلغت نسبتها 40% من إجمالي الأراضي الزراعية في المنطقة⁽³⁾.

جاءت هذه النسبة نتيجة النفوذ الذي كان يمارسه أصحاب الأرضي من شيوخ وسادة وقضاة، والذين سيطروا على أراضي الفلاحين بطرق عدّة: منها المراباء والحيل، أو تربيف وثائق الملكية لصالحهم، ولجبارهم على بيع أراضيهم بأثمان زهيدة، وفي حالة عجز الفلاحين عن تسديد ديونهم لكيان المالك يتم الاستيلاء على أرضهم تحت حماية السلطة⁽⁴⁾.

ومما يؤكد ذلك ما ذكره محمد علي عثمان الذي كان يرأس إتحاد الدول العربية الثلاثي عام 1959 المكون من العربية المتحدة، وسوريا والمملكة المتوكلية اليمنية في التقرير الذي قدمه لمجلس الإتحاد، والذي أشار فيه إلى تقديرات الملكيات الخاصة الكبيرة في منطقة تهامة حينذاك على الشكل التالي :

40% من الأرضي يملكونها كبار المالك، و60% من الأرضي ملكيات فلاحية صغيرة . ويورد التقرير أن 10% من سكان منطقة تهامة معدمون، ويعملون بالأجرة في أراضي كبار المالك⁽⁵⁾. فمن أبرز الأسر التي كانت تمتلك ملكيات كبيرة في تهامة أسرة هادي هيج إذ كان

1- المرجع نفسه، ص 135.

2- المسعودي، مرجع سابق، ص 96 - 97.

3- غالب، محمد أنعم: اليمن، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط 1، 1962م، ص 40.

4- عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 64.

5- المرجع نفسه، ص 68.

يملك 15750 هكتار⁽¹⁾. جاءت له هذه الثروة بعد تعيينه عاملًا من قبل الإمام يحيى حميد الدين على منطقة الزهرة في تهامة، وقد منحه الإمام امتيازات سياسية واقتصادية، حيث كان ميناء اللحج⁽²⁾، تحت تصرفه الشخصي يستغلها في الاستيراد والتصدير⁽³⁾. كما قدرت أموال أسرة حميد الدين في تهامة بـ 11700 هكتار، وعائلة علي محمد الجبلي 2250 هكتار⁽⁴⁾.

ب- ملكيات خاصة متوسطة : وتنشر في أنحاء مختلفة من اليمن، ومنها تهامة ، يتراوح حجمها في شمال اليمن وجنوبه الغربي ما بين 300-500 هكتار⁽⁵⁾.

ج - ملكيات خاصة صغيرة : تكون نتيجة نتاج الملكيات الكبيرة والمتوسطة بفعل نظام الميراث، والتحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها اليمن آنذاك، وتنشر في كافة أنحاء اليمن ومنها تهامة، وقدرت هذه الملكيات حسب إحدى المصادر، بناءً على ما قامت به من الدراسات :) (بأن 90% من صغار الفلاحين، لا يملكون سوى 2% من الأراضي القابلة للحرث، وهذه الأرض هي بصفة عامة قطع صغيرة، يتراوح حجمها ما بين 1-20 هكتار للملك الواحد)⁽⁶⁾.

1- العطار، مرجع سابق، ص 124.

2- *اللّحج* : بلايين إحداها مضمومة ومتشددة، وفتح الحاء المهملة، والياء للشدة، ثم هاء ساكنه، بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدة. انظر: الحجري، محمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تج/ إسماعيل الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط 3، 2004م، مج 2، ج 2، ص 679 .

3- خضلاً إلى قيامه بفرض على كل عقد قرآن في منطقته مبلغًا من المال يقدر بـ 21ريالًا وهو مبلغ كبير قياساً على ما كانت عليه الحياة الاقتصادية في تلك الفترة . انظر: الشهاري، محمد علي: طريق الثورة اليمنية، دار الهلال، القاهرة، (د.ط)، 1966، ص 66 .

4- العطار، مرجع سابق، ص 124.

5- للسعودي، مرجع سابق ، ص 91 .

6- العطار، مرجع سابق، ص 124.

ثانياً - ملكية الأوقاف⁽¹⁾:

وهي الأرضي التي أوقفها ملوكها في أعمال البر والخير، وكانت في الغالب توقف إما للمدارس أو للمساجد، أو توقف ملكاً خاصاً لعائلة الواقف حتى لا تقسم ضمن الإرث، ويستفيد منها جميع أفراد العائلة على حد سواء.

احتلت ملكية الأوقاف المرتبة الثانية بين أشكال الملكية في تهامة من حيث مساحتها، على أن تلك المساحة تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وهي تزيد في تهامة على أكثر من ثلاثة أراضيها⁽²⁾. ويُعد وادي زبيد من أكثر الأودية في تهامة الذي يسود فيه نظام وقف الأرضي، ويرجع ذلك إلى تاريخ مدينة زبيد كمدينة علمية احتوت على العديد من المدارس والمساجد والبيوت الخيرية التي كانت تحصل على احتياجاتها من الوقف⁽³⁾. وتقسام أراضي الوقف في تهامة إلى خمسة أنواع هي:

1- الوقف الداخلي (الكائن): وهي الأرضي المجهولة واقفوها، فضمت إلى الأوقاف العامة لشرف عليها وزارة الأوقاف، وتصرف ما حدد منها للمساجد والمدارس وغيرها، ولا يجوز بيع هذا الوقف أورنه أو التصرف فيه⁽⁴⁾.

2- الوقف الخارجي: وهو الوقف الذي لا تدار أراضيه من قبل وزارة الأوقاف، وإنما يديره شخص من عائلة الواقف، ويعطى له 5% من دخل هذا الوقف، ويُعطى لوزارة الأوقاف منه 5%， ويتم صرف ما حدد للمدارس والمساجد وغيرها، ويقسمباقي على العائلة بحسب الشرع، ولا يجوز بيع أورهن أراضي هذا الوقف .

1- الوقف في اللغة: الحبس وللنفع، يقال: وقفت الدار أي حبسنها في سبيل الله، وفي الاصطلاح: جس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة، وتحبس الشيء أن يبقى أصله ويجعل ثراه في سبيل الله، والوقف نوعان: وقف الأهلي ذري، وهو ما تكون منافعه للأولاد والأحفاد أو الأقارب، ووقف خيري وهو ما تصرف منفعته على جهة خيرية كفالة من فئات المجتمع، أو المساجد والملوؤں والمستشفيات والرُّط وغيرها . انظر: الطراطليسي، برهان الدين : الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي ، بيروت ، (د.ط) ، 1401هـ/1981م، ص 7 .

2- جعفر، مرجع سابق ، ص 45 .

3- مكرد ، عبد الواحد عثمان ، آخرون : الدليل الزراعي لسهل تهامة ، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي ، صنعاء ، (د.ط) ، 1998 ، ص 13 .

4- رئاسة الجمهورية: قانون بشأن الوقف، صنعاء، 25 رمضان 1421هـ/1992م، مادة 4، ص 2.

3- وقف الواصي : يتولى إدارة هذا الوقف الأكبر سنًا في العائلة ويسمى (ناظر)، ويحصل على 2,5% زيادة على نصبيه، ويقسم الباقى على أسرة الواقف بحسب الشرع، ولا يعطى لوزارة الأوقاف منه شيء⁽¹⁾.

4- وقف الثالث: سمي بذلك لأن مردود هذا الوقف يوزع على ثلات جهات هي ثلاثة أعشار للحكومة، وعشر للزكاة، وعشرين لوزارة الأوقاف، ويمكن بيع هذا الوقف من شخص آخر، ونقله بما عليه من شخص آخر⁽²⁾.

5- وقف مثلث الحرمين: وسمى بذلك نسبة إلى الحرمين الشريفين، حيث يعطى من دخل هذا الوقف للأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وعشر من الدخل للدولة⁽³⁾، ويجوز التصرف فيه بالبيع أو الرهن⁽⁴⁾.

علاوة على ذلك فقد أسهمت الأوقاف في نشوء المؤسسات الدينية والعلمية والصحية وحفظتها من أن تتقطع أو أن تتوقف عن أداء وظيفتها، لأن العائد المتجدد من الأصول الثابتة (الأوقاف) يكفل لهذه المؤسسات الاستمرارية في أداء رسالتها دون توقف .

ثالثاً - ملكية الدولة:

ويقصد بها الأرضي التي تعود ملكيتها للدولة، ولها حق التصرف بمنفعتها بشكل دائم، وتشمل الأرضي الزراعية المعروفة باسم أملاك الدولة، إلى جانب صوافي بيت المال، والأوقاف والوصايا التي لم يعد يُعرف واقفوها والموصيبين بها، لموت أو جلاء أو انقطاع ذرية، وكل أرض لا مالك لها . كما اُعدت أراضي الموات والمشاع البعيدة عن مناطق السُّكُنِيَّ والتى لا تدخل ضمن حدود القبائل أو القرى والمدن المجاورة المأهولة بالسكان من أملاك الدولة⁽⁵⁾. تقدر مساحة هذه الأرض في تهامة بحوالي 10 % من مجموع الأرضي الزراعية، يطلق عليها في بيت الفقيه بأراضي الميري، وفي زيد مثلث بيت المال، وسبب التسمية ترجع إلى أن ربع دخل هذه الأرض

1- مكرد، مرجع سابق، ص 14.

2- جعفر، مرجع سابق، ص 45.

3- مكرد ، مرجع سابق ، ص 14.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 46.

5- البدوي، مرجع سابق، ص 151 .

يعود إلى خزينة الدولة كنظير للزكاة، والثلاثة الأخرى تدفع كل نوع من الإيجار لمستغلي هذه الأرض من صغار المزارعين للدولة صاحبة الحق⁽¹⁾.

وخلاصة القول: أن الملكية في تهامة بكل أشكالها قد ساهمت بدور بارز في حدوث التحولات الاجتماعية المختلفة، حيث أن مكانة الفرد ترتبط غالباً بما يملكه من أرض، ليس فقط لأن الأرض تمثل مصدر معيشته، بل لأن التمسك والارتباط بها هو الذي يمنحه شرعية الوجود والانتماء، ويعزز من مكانته بين أفراد مجتمعه، كما أن طبيعة العلاقات بين القبائل مع بعضها البعض أو مع الدولة يرتبط الكثير منها بالملكية كون الكثير من النزاعات القبلية . القبلية، أو مع الدولة تحدث في معظمها بسبب الخلافات حول ملكية الأرض ومصادر الري، فضلاً عن أن الكثير من الانتقادات والتمردات القبلية والمناطقية كانت تحدث نتيجة أسباب تتعلق بملكية الأرض ونظام الجباية .

ج- طرق استغلال الأراضي الزراعية في تهامة :

إن استغلال الأراضي الزراعية في منطقة تهامة، يُعد أهم موارد المنطقة ومصدر ثراء الفئة الاجتماعية الميسورة من كبار المالك الذين يتصرفون في نسبة كبيرة من الأماكن الخاصة، ويسيطرون على كامل الحزام الترابي المتاخم للمنطقة، وكذلك على الأوقاف التابعة للمؤسسات الدينية والاجتماعية، إن هذا الوضع قد أفرز تباينات اجتماعية واقتصادية كبيرة بين قمة كبار المالك وفئة صغار الفلاحين الذين كانوا يمثلون الأغلبية في تهامة، الذين ترثت أوضاعهم الاقتصادية بسبب قلة وسائل الإنتاج وتخلفها، وضعف قدرتهم على المنافسة، وارتفاع كلفة الإنتاج⁽²⁾.

وفيمما يلي أهم الطرق المتبعة في استغلال الأراضي الزراعية في تهامة خلال فترة الدراسة:

1- طريقة الإجارة : يقوم أصحاب الأراضي سواء من كبار المالك أو من صغار المالك بما فيهم بعض الفلاحين الميسورين باستئجار أفراد للقيام بالعمليات الزراعية مقابل أجر معين، يتم دفعه يومياً ، إما بشكل نقدي أو عيني، وإن كان النقدي هو الغالب والأوسع انتشاراً وبخاصة في الأراضي المخصصة لزراعة القطن في تهامة، كان الأجر اليومي للعامل يتراوح ما بين ربع ريال

1- جعفر، مرجع سابق، ص 45-46.

2- الشريف، مرجع سابق، ص 240-242.

وثلاثة أثمان ريال⁽¹⁾، فضلاً عن الأجر اليومي فقد كان العامل يحصل على وجبة غذائية في اليوم⁽²⁾.

تختلف هذه الأعمال الزراعية في الموسم الزراعي بحسب ما تتطلبه العملية الزراعية، فمثلاً الحراثة يقوم بها شخص يدعى بالباتل⁽³⁾ والذي يُعد كمزارع أجير يعمل في حراثة الأرض وخدمة الثيران عند كبار الفلاحين وأصحاب الأراضي⁽⁴⁾.

يستعمل الباتل في حرث الأرض سحوب من حديد تسمى بالمحراث يصنعها الحدادون في ورشهم التقليدية، يجر هذا المحراث ثوران يعرفان في تهامة باسم الضمد⁽⁵⁾. يشترط في الباتل أن يكون على علم بالمواعيد المناسبة لحرث التربة التي قد تواجه مشقة في حرثها لاسيما إذا كانت طينية صلبة وقوية غير لينة⁽⁶⁾.

يأتي بعد الباتل عامل يعرف باسم الذاري⁽⁷⁾ يباشر العمل في الأرض بعد أن يكمل الباتل مهمته في قلب التربة، يُشترط في الذاري أن يكون ذو خبرة في مجال عمله، حيث أن إلقائه لرمي الحبوب يكون له دور فيما تعطيه الأرض من زرع حسب رميها وتوزيعها⁽⁸⁾.

بعد نضج الزرع يكون بحاجة إلى من يقوم بالحفظ عليه، يتولى هذه المهمة شخص يستعين به يطلق عليه اسم الشارح⁽⁹⁾، وقد يكون الشارح من لا يدخل له بالأراضي الزراعية وإنما يستعين به للحفظ على الزرع من اللصوص أو الحيوانات أو الطيور مقابل مبلغ من المال أو نصيب من غلة الأرض يتم الاتفاق عليها مع مالك الأرض، يجب على الشارح أن يبيت في الأرض لتقديرها

1- كانت قيمة ريال آنذاك تحددتها أثمان الفضة في الأسواق العالمية، فكانت القيمة التقريبية للريال تساوي ما بين 0,76 إلى 0,80 . ستيم من الدولار الأمريكي . انظر: العطار، مرجع سابق، ص 236.

2- الشرجي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 30 – 31 .

3- الباتل هي: حراثة الأرض وشقها خدمة لها، وقلباً لتربتها إعداداً لبذرها، والباتل هو من يقوم بذلك .

أنظر: الإرياني، مظہر علی: الموسوعة الیمنیة، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط 1، 1412 / 1992، ج 1، ص 148.

4- هديل، طه حسين عوض : الحياة الاجتماعية في اليمن، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2007، ص 157 - 158 .

5- المرجع نفسه، ص 158 .

6- المرجع نفسه .

7- الذاري: هو الشخص الذي يقوم برمي الحبوب في التربة متبعاً الشقوق التي يتركها الباتل .

8- مجهول : نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفرى الوارف، تج / محمد عبد الرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط 1، 2003م ، ج 1، ص 368 - 369 .

9- الشارح: هو الذي يحفظ الزرع من الطيور وغيرها . انظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 2، ص 497 .

ما بين الحين والآخر بالليل والنهار، مستعملًا نوعً من الحبال المعروفة بالسلب لطرد الطيور، التي يمكن أن تضر بالزرع والثمار، ويستعمل الشارح أخشابًا تكون مرتفعة عن الأرض ليقف عليها عند قيامه بمهمته، إذ يصعد عليه ليرتفع عن مستوى الزرع، ويجلس عليها ليستريح من عناه الوقف والتركيز عند الحراسة، تستمر هذه العملية حتى تتضج الثمار وتبدأ عملية الحصاد⁽¹⁾.

بعد نضج الثمار تبدأ عملية الحصاد، وعادة ما يقوم بهذه المهمة عدد من العمال يطلق على الواحد منهم اسم **الصراب**⁽²⁾. حيث يستغل هؤلاء نضج الزروع والثمار ليتجهوا إلى أراضي المزارعين للعمل في حصد ثمارها، ويصبحون ذو قيمة في مثل هذه المواسم، لاسيما عند قاتلهم، أما إذا ازدادت أعدادهم فإنهم يشكلون عبئاً على ملاك الأراضي، وقد كانت أجرتهم في تهامة ترتفع عند قاتلهم، وتتحفظ عند زيادة عددهم⁽³⁾. غالباً ما كان يتقاضى هؤلاء العمال أجراً لهم في نفس اليوم ويكون الأجر عيناً من المحصول بحيث يتقاضى الواحد منهم الثمن أو العشر من ثمار السنابل التي قام بتصاريها⁽⁴⁾. عقب ذلك تبدأ عملية **الخبيط**⁽⁵⁾، يقوم بهذه المهمة شخص يعرف باسم (**اللبايج**) مقابل أجرة يتقاضاها مع مالك الأرض، حيث كانوا يحصلون على 9 أو 10 % من الثمار بعد خبطها⁽⁶⁾.

ويبدو أن الدافع لهذه الطريقة في استغلال الأرض هو انشغال أصحاب الأراضي بأعمال أخرى، كما يلجأ إلى هذه الطريقة أصحاب الملكيات الكبيرة، التي تحتاج إلى جهد ووقت لاستصلاحها.

1- هديل، مرجع سابق، ص 159.

2- **الصراب** : هو الحصاد، وهي كلمة عربية يمنية قديمة وردت في عدد من القوosh ، وأصلها من مادة صرب صرباً يمعنى قطع يقطع قطعاً، وما زالت باقية إلى اليوم، إذ يقال اليوم، صرب الناس الزرع يصربونه أي يحصدونه . أنظر: الإرياني ، المعجم اليمني ، مرجع سابق، ص 542 .

3- نور للعارف، مرجع سابق، ص 374-375 .

4- حبيب، عبد الإله : زيد المعاصرة (دراسة اجتماعية واقتصادية 1962-1980)، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب . جامعة عدن ، 2007 ، ص 143 .

5- **الخبيط**: هي مأخوذة من الفعل خبط، يخطه، خططاً، أي ضربه ضرباً شديداً . والخبيط هو: الضرب بقوة لفصل الحب عن السنابل، ويستخدم في ذلك عصى طويلة من الخشب معقوفة من الأطراف تسمى في تهامة بالحنية (**الخبيط**) يقبض عليها الشخص بيديه وبهوي بما ضربة وراء ضربة على السنابل المرمية على الأرض الصلبة المخصصة لهذا الغرض. أنظر: الإرياني، مرجع سابق، ص 794 .

6- مقابلة شخصية مع الأخ / عبد الرحمن المزجاجي ، بتاريخ 20/6/2009 م .

2- طريقة المشاركة بالمحصول (المزارعة):

يُعد نظام المشاركة في المحصول الأعم والأوسع انتشاراً في كثير من المناطق اليمنية، ومنها سهل تهامة، وخاصة لدى أصحاب الملكيات الكبيرة، ويتم هذا النظام عبر عقد بين المالك والمزارع (الشريك) يُحدد فيه نصيب كل من المالك والشريك، يختلف هذا النصيب باختلاف خصوبة الأرض، ومصدر المياه، ونوع المحصول كما يلي⁽¹⁾:

أ- المشاركة في الأراضي المروية : الأراضي التي تعتمد في سقيها على السيول المتلقفة من الأودية تكون ذو خصوبة عالية، وكثيرة الإنتاج وبالتالي فإن نصيب مالك الأرض فيها يكون ثلاثة أرباع المحصول، مقابل تقديمها للأرض وألات الحرش، والبذور والحيوانات العاملة، والربع الباقي للشريك مقابل عمله وجهده في استصلاح الأرض، وذلك بعد إخراج الزكاة⁽²⁾.

ب- المشاركة في الأراضي البعلية (المطرية):

الأراضي التي تعتمد في سقيها على مياه الأمطار تكون ذات خصوبة متوسطة، وبالتالي فإن الشريك يبذل جهداً كبيراً في استصلاحها وزراعتها، لذلك تكون قسمة المحصول من هذه الأرض مناصفة بين الشريك والمالك، نظير أن يتحمل الطرفان مناصفة لكل التكاليف، بما في ذلك الزكاة⁽³⁾، ويرتفع نصيب المالك في تهامة إلى ثلاثة أرباع المحصول مقابل تقديمها آلات الحرش ووسائلها⁽⁴⁾.

ج - المشاركة في الأراضي المروية بمياه الآبار :

الأراضي التي تُسقى بواسطة المياه الجوفية (الآبار) تكلف الكثير من النفقات، ففي هذه الحالة إذا كان مالك الأرض هو صاحب البئر، وتحمل تكاليف المياه والبذور والحراثة فإنه يحصل على ثلاثة أرباع المحصول، بينما يحصل الشريك على الربع الباقي، وتخصم الزكاة قبل توزيع الحصص، أما إذا كان صاحب البئر مستثمراً آخر فإن مالك الأرض يحصل على 25% من

1- الشرجي، قائد : القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990م، ص 200.

2- عمر، مرجع سابق، ص 80-81.

3- جعفر، مرجع سابق، ص 47.

4- العطار، مرجع سابق، ص 162.

المحصول، بينما يحصل الشريك على 25%， ويحصل مالك البئر على 50% من المحصول، مع تحمله تكاليف المياه، أما التكاليف الأخرى فتخصم من المحصول قبل توزيعه^(١).

3- طريقة الاستئجار: تقسم الأراضي المؤجرة في تهامة إلى قسمين:

أ- أراضي الوقف : تقع معظم أراضي الوقف في تهامة تحت أيدي كبار المالك، حيث يقومون باستئجارها مقابل دفع الخمس من المحصول للوقف، والعشر لبيت المال، ويسمى هذا النوع من الاستئجار (البدل)، كما أن من حق المستأجر بيع هذه الأرض، ولكن بالنقلة وذلك لأن يكتب في العقد انتقال لاشتري، وذلك لأن المستأجر لا يملك الأرض، وإنما له مقابل ما استحدث من إصلاحات في الأرض، أو مقابل تنازله عن بسط هذه الأرض^(٢)، ويعطي المستأجر لناظر الوقف محاصيل الحبوب عيناً، وإذا كانت الأرض تزرع بالخضروات فيسلم إيجارها نقداً^(٣).

ب- استئجار الأملاك الخاصة : يقوم كبار المالك من المزارعين الذين يعيشون في المدن، بتأجير أراضيهم لمجموعة من الفلاحين مقابل مبلغ معين من المال يحصل عليه المالك للأرض، وذلك بناء على اتفاق مكتوب بينهما، حيث تصل مدة الإجارة إلى أكثر من عشر سنوات أحياناً، وذلك وفق شروط وقوانين يتفق عليها مابين الطرفين^(٤).

ويشير أحد الباحثين إلى نوع آخر من استغلال الأراضي في تهامة، حيث يقول أنه وجدت فئة من الفلاحين في منطقة زبيد يسمى الواحد منهم (بالمترعوي)، يقوم مالك الأرض بإعطاء هذا المترعوي مجموعة أراض لزراعتها، موفراً له أدوات الحراثة والبذور، مقابل ذلك الحصول على قطعة صغيرة من الأرض يستخدمها لصالحه الشخصي، حيث تعد هذه القطعة التي تعطى له من قبل مالك الأرض هي المصدر الأساسي لمعيشه، ومعيشة أسرته مقابل عمله في أرض المالك^(٥). وبناءً على ما نقدم، يتضح أن العلاقات الزراعية في تهامة مابين المالك والفلاحين أثناء فترة الدراسة، تؤكد على وجود تعدد الأنماط الاقتصادية، وتعدد الفئات الاجتماعية في المجتمع التهامي وذلك كما سيتضح في دراستنا هذه .

2- أدوات العمل الزراعي في تهامة :

1- مكرد، مرجع سابق ، ص 16.

2- حبيب، مرجع سابق، ص 144.

3- جوليو فسكايا، ثورة 26 سبتمبر في اليمن، مرجع سابق، ص 118.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 47.

5- الشهاري، مرجع سابق ، ص 64 .

استخدم الفلاح اليمني في تهامة أثناء فترة الدراسة العديد من الأدوات في استصلاح الأرضي الزراعية، وهي أدوات صنعتها من بيئته، وكانت غاية في البدائية والتخلف بالقياس إلى بقية بلدان الوطن العربي في تلك الفترة، ويرجع ذلك إلى سياسة السلطة الحاكمة التي عزلت اليمن في تلك الفترة عن كل جديد، ولم تسعى للتطور والخروج عما تركته فترة الحكم العثماني بكل ثقلها الإقطاعي المتخلف . وأهم هذه الأدوات التي تؤكد ذلك :

1- المحراث: هو عبارة عن أداة خشبية، ينتهي طرفيها بآلية حديدية حادة، وظيفته شق الأرض بخطوط مستقيمة ⁽¹⁾ يربط بواسطة حبال بجسم حيوان غالباً ما يكون ثوراً أو حماراً أو جملأ لجره، وذلك لحرث الأرض وبذرها، من أهم مميزاته خفته التي تجعله قابلاً للحمل والتเคลل به من مكان إلى آخر بسهولة ⁽²⁾.

2- النبال: ويسمى بالجلاب أو (مزره)، وهو عبارة عن خشب واحد ملتصقة بالمحراث، له فتحة ترمي فيه الحبوب المراد بذرها، ومن خلاله يتم وضع الحبوب في مكانها من الأرض المراد بذرها ⁽³⁾.

3- المنجل: جمعه مناجل، يطلق عليه في تهامة بالمحش أو الشريم، يتكون من ممسك خشبي مركب فيه نصل حديدي مقوس، له أسنان حادة، يستخدم في جني المحاصيل، وبعذ الأعشاب الصغيرة التي تستخدم كأعلاف للحيوانات، وقطع قصب الذرة المستخدم لغذاء الحيوانات ⁽⁴⁾.

4- المحفر : (الفأس) أداة تستخدم في حفر القنوات الزراعية، واستصلاح السوافي، وترصيف التراب، وخلع الأشجار الصغيرة واقتلاع جذورها ⁽⁵⁾، يتكون من ممسك خشبي متصل بقطعة حديدية مربعة الشكل، دقة الرأس ⁽⁶⁾.

1- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 21 .

2- المندعي، مرجع سابق، ص 90 ؛ لطف، محمد : الجهات الحيسية في العصر الرسولي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن ، 2008 ، ص 273.

3- المندعي، مرجع سابق، ص 90 .

4- الأشرف، عمر بن رسول : ملخص الملاحة في معرفة الفلاح ، تج/ عبدالله المخاهد، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط 1، 1987، ص 66 .

5- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 21 .

6- العطار، مرجع سابق، ص 177 .

5- الحجنة : جمعها (حجن) وهي عبارة عن أداة يستخدمها المزارع في تهامة لإبعاد عروق الأشجار المضرة للزرع، وتصفية التربة من الأعشاب، ولحفر الأرض بشكل سطحي، ولقلب التربة وبذرها⁽¹⁾، تتكون من ممسك خشبي متصل بنصل حديدي مقوس⁽²⁾.

6- المحر : هو عبارة عن قطعة من الحديد مستطيلة الشكل، بها فتحات صغيرة في جوانبها تربط بالحبال إلى الثيران لجرها، يستخدمه المزارعون في تهامة لتسوية الأرض وتنعيمها بعد الحراثة، وإصلاح ما تفسده السيول في الأرض⁽³⁾.

7- المخبط : ويطلق عليه في تهامة (الحنية)، وهو عبارة عن عصى أو أعواد خشبية تؤخذ من فروع الأشجار المعتدلة، وتحنى أطرافها ليتمكن مستخدمها من القبض عليها بكلتا يديه تستخدم لخط السنابل وفصل الحبوب عنها⁽⁴⁾.

8- الآجاب : جمع أجب، وهي عبارة عن أوعية تستخدم في نقل الحبوب والمحاصيل الزراعية من الأراضي الزراعية إلى القرى والأسواق، تصنع من سعف النخل مفتوحة من الأعلى، لها مقاسات مختلفة، ولا تزال إلى عصرنا الحالي معروفة بأسمائها⁽⁵⁾.

3- نظام الري في تهامة :

يلعب نظام الري في اليمن دوراً أساسياً في الزراعة، فقد استخدمه المزارعون منذ أقدم العصور، فهو قديم بقدم الحضارة اليمنية، حيث قامت الحضارة اليمنية على الأودية التي أقيمت عليها السدود، وعرف عن اليمن بأنها بلد السدود.

ففي تهامة تختلف نظم ري الأراضي الزراعية من منطقة إلى أخرى تبعاً لمصادر الري، وطبيعة الأرضي وقربها أو بعدها عن مجاري الأودية، ويوجد في تهامة أربع طرق للري هي مالي:

1- الري بمياه السيول (الأودية):

كان الاعتماد على مياه السيول من أهم طرق الري في تهامة، حيث يؤدي سقوط الأمطار على الجبال والمرتفعات إلى نشوء مجاري للسيول التي تُعد ملكاً عاماً للجميع، لا يجوز لأحد أن يملكها

1- لطف، مرجع سابق، ص 274.

2- المندعي، مرجع سابق ، ص 90 .

3- الأفضل، مرجع سابق، ج 1، ص 96.

4- المندعي، مرجع سابق ، ص 90 .

5- الأشرف، مرجع سابق، ص 164 .

أو يقطعها، وكان هناك نظام محكم ودقيق في ري الأراضي الزراعية في تهامة قائم على مبدأ الأعلى فالأعلى، حيث يروي المزارع الذي في أعلى الوادي أرضه أولاً ثم الذي يليه بحسب دوره⁽¹⁾. إلا أن أكبر كمية من مياه السيول تكون من نصيب الأراضي الزراعية العليا القريبة من مجاري الماء، بينما نقل في الأراضي الواقعة في أسفل الوادي بعيدة عن مجاري المياه، وقد لا تسقي في حالة نقص الأمطار الموسمية⁽²⁾. فعند قلة مياه السيول وعدم كفايتها لجذب جميع الأراضي، تروي الأرض الزراعية العليا ثم التي تليها بحسب الدور وتتوسع علامة عند الأرض التي توقف الري عنها، عند هطول الأمطار مرة ثانية وجريان السيول يبدأ الري عند آخر أرض تمرّر بها في المرة الأولى، وهكذا حتى ينتهي سقي أراضي الوادي كله⁽³⁾.

وعلى أساس التشابه في العرف القائم بين سكان تهامة فيما يختص بتوزيع مياه السيول، فإننا سوف نتخدّم من وادي زبيد نموذجاً لعرض كيفية توزيع هذه المياه على الأراضي الزراعية⁽⁴⁾. إذ يُعد نظام الري بالسيول في وادي زبيد من أقدم النظم التقليدية المعروفة التي تسمى بحقوق الماء، يعود هذا النظام في زبيد إلى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي⁽⁵⁾، وإلى واسعه الشيخ إسماعيل الجبرتي، والذي استتبّط هذا النظام من الواقع الذي كان يعيش فيه المجتمع في زبيد، الذي أصبح نوعاً من العرف يرجع إليه سكان تهامة في فض بعض المنازعات التي كانت تنشأ عن توزيع المياه⁽⁶⁾.

عمل المزارعون في تهامة بهذا النظام في توزيع مياه السيول على القنوات الرئيسية للأراضي بالترتيب، وفق فترات زمنية محددة، تتناسب ومساحة الأراضي الزراعية العليا والوسطى والسفلى،

1 - السروري، محمد عبده : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 2004، ص . 440

2 - الشريف، مرجع سابق، ص 233.

3 - السروري، مرجع سابق، ص 440 .

4 - يعتبر وادي زبيد وطريقة استغلال مياهه نموذجاً يرجع إليه كثير من سكان تهامة ، ذلك لارتباط منطقة زبيد بالزعامة الدينية للمذهب الشافعي، الذي يعتقد غالبية سكان تهامة .

5 - Tesco V.V : survey of the Agricultural potential of the Wadi Zabid , Yarland Tenure and Water Rights, Report, Budapest 1971 P. 4

6 - الحضرمي، عبد الرحمن: ثقافة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2005م، ص 329 – 330 .

التي ترويها كل قناة على صفتى الوادي، وبصورة عادلة نسبياً روعي فيها فرات شح المياه، وفترات تدفق غزارة السيول⁽¹⁾.

قسمت قنوات وادي زيد حسب هذا النظام إلى ثلاثة مجموعات (علياً، وسطى ، سفلى).

أ- المجموعة الأولى : (القنوات العليا) تضم ست قنوات هي البنى، البرى، المنصوري، الجربة، الريان، البقر، هذه المجموعة تحصل على مياهها في الفترة ما بين 19 أكتوبر، حتى 3 أغسطس التالي، أي تحصل على فترة تزيد على 283 يوماً للي، بمعنى أن الري فيها دائم يرتبط بقانون الأعلى فال أعلى، وتروي هذه المجموعة مساحة قدرها 4805 هكتار⁽²⁾.

ب- المجموعة الثانية: (القنوات الوسطى) وتشمل على سبع قنوات هي الماوي، واليوسفى، والعبرى، والجر هزى، والجريب، والبيرة، والناصري، هذه القنوات تأخذ مياهها في الفترة من 3 أغسطس حتى 13 سبتمبر، أي يواقع 42 يوماً تقريباً، يكون تقسيم المياه فيها تبعاً لقانون الأعلى فال أعلى، عدا قناة البيرة والناصري فتقسم عليهما المياه بالتساوي، وتروي هذه المجموعة مساحة قدرها 10175 هكتار⁽³⁾.

ج - المجموعة الثالثة: (القنوات السفلى) تضم أربع قنوات وهي الشرعبي، المحرقى، الحرم، وادي عين، هذه القنوات تأخذ مياهها ما بين 14 سبتمبر حتى 18 أكتوبر، أي ي الواقع 35 يوماً، في هذه الفترة كثيراً ما يقل سقوط الأمطار، وبالتالي فهذه المجموعة أكثر أجزاء زيد تعرضأً لخطر الجفاف، تروي هذه المجموعة مساحة قدرها 1450 هكتار. يشرف على توزيع المياه في كل قناة شخص يدعى شيخ القناة، من مهامه إصلاح ما تجرفه السيول، وفتح وغلق قناة الري الرئيسية، وذلك نظير بعض المستحقات السنوية التي تعطى له من قبل أصحاب الأراضي أو شركائهم⁽⁴⁾.
فضلاً عن هذه المجموعات الثلاث هناك قنوات صغيرة تقع على المجرى الرئيسي للوادي تروي من مياه الوادي مباشرة، وتسمى بأرض الجلال تبلغ مساحتها 470 هكتار، يسمح بريها عن طريق شخص يُعرف بالمنصوب في أي وقت وبأى كمية⁽⁵⁾.

1- ينظر الوثيقة التي توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زيد، حسب النظام القديم الذي وضعه الجربى، ملحق رقم (10).

2- الحضرمى، ثغامة فى التاریخ، مرجع سابق، ص 327.

3- جعفر، مرجع سابق، ص 38.

4- المرجع نفسه، ص 38 - 40.

5- الجهاز المركزى للتخطيط، دراسات اقتصادية وتوظيفية واجتماعية، أغسطس / آب، 1975م، ص 88 .

2- الري ب المياه الغيول (الينابيع) :

يوجد في اليمن الكثير من الغيول في المناطق الجبلية، وهي عبارة عن عيون أو ينابيع تخرج منها المياه بعد سقوط المطر وتتدفق السيول، وتقل مياهها عند انحباس المطر ، والنظام المتبعة في ري الأراضي الزراعية بالغيول هو أن يقوم المزارعون بالتعاون فيما بينهم كل على قدر حصته ببناء سد أو خزان من الحجر بالقرب من ماء العين، يكون مستوى أسفل من مستوى مخرج ماء العين، كي تجتمع إليها المياه الخارجة من مجاري العين، تمتد من هذا الخزان قناة رئيسية تنقل المياه إلى الأراضي الزراعية عن طريق شبكة من القنوات الفرعية وتحت هذه القناة الرئيسية ملماً عاماً لجميع المزارعين، أما القنوات الفرعية فهي ملك لأصحاب الأراضي، ولذا ما كانت هناك أراضي بعيدة عن هذه القنوات فإن صاحبها يسقيها عن طريق الأرضي القريبة من القنوات، إما باستئجار القنوات الفرعية أو بشرائها⁽¹⁾.

في تهامة تقتصر المساحة المروية بنظام الغيول على الأجزاء الشرقية والشمالية من السهل والتي تستقبل الجريان السطحي من المنحدرات الجبلية القريبة الواقعة بالقرب من أعلى السدود التحويلية، تُعد الزراعة في هذا النظام أكثر ضماناً ومروداً من الزراعة بنظام الأمطار، إلا أن المساحات الزراعية أقل بكثير من مساحات الزراعة المطرية⁽²⁾.

يتولى الإشراف على توزيع المياه رجل له خبرة في توزيع الحصص لكل المزارعين، يختاره المزارعون ليقوم بمراقبة حصة كل فرد من الماء، وترا تبهم فيأخذ المياه، وفض النزاع الذي قد ينشأ بين المزارعين بشأن أحقيتهم في المياه⁽³⁾.

3- الري ب المياه الأمطار:

ينتشر هذا النظام في السهول والكتبان الرملية، والمناطق الواقعة في الجزء الشرقي من سهل تهامة، والتي لا تصل إليها مياه السيول، حيث تعتمد هذه الأراضي في زراعتها على الأمطار الموسمية الكافية في بعض السنوات، والتي تسمح بزراعة مساحات واسعة من محاصيل الذرة والدخن وبعض البقوليات⁽⁴⁾، أما في السنوات المتوسطة والقليلة المطر فإن المساحة المزروعة تقل

1- الأهدل، حسين بن أبي القاسم : كشف النقاب في معرفة أحكام الزراع، تج / عبد الله الحبشي ، مجلة الإكيليل، ع(1)، السنة الأولى، صنعاء ، 1400هـ / 1980م ، ص 124 .

2- مكرد، مرجع سابق، ص 11-12 .

3- السروري، مرجع سابق، ص 441 .

4- مكرد، مرجع سابق، ص 11 .

كثيراً، وقد تتعرض هذه المزروعات للجفاف ويتوقف نموها مما يضطر المزارعين إلى حصادها كعلف للحيوانات .

4- الري من الآبار :

لما كان حفر الآبار مجهاً ومكلفاً فإن على من يريد أن يحفر بئراً أن يتتأكد قبل ذلك من وجود الماء من عدمه أو قرينه أو بعده في الموضع الذي يريد الحفر فيه، وخلال فترة الدراسة كان للمهندسين طرفيهم الخاصة في الكشف عن ذلك منها، أن يؤخذ حجر قدر بيضة ويلف عليه صوف أبيض مغسول نقى على شكل كرة، ثم يطلى هذا الصوف من أحد جوانبه بشمع مذاب وتلتصق هذه الكرة بداخل قدر من النحاس في أسفله بعد أن يكون هذا القدر قد دهن داخله بالشحم ، ثم تحفر حفرة بعمق ثلاثة أذرع أو أربعة، وبعد غروب الشمس يوضع هذا القدر في الحفرة بحيث تكون فتحته إلى أسفل والكرة التي من القماش معلقة فيه من الداخل، ثم يدفن عليه التراب قدر ذراع أو زيادة ، وقبل طلوع الشمس يخرج القدر من الحفرة، فإن كان القدر مليئاً ب قطر الماء الكثيف المتقارب من بعضه والصوفة مبتلة بالماء فهذا دليل على قرب الماء، وإن كان قطر الماء متفرقًا والصوفة ماؤها واسطاً فهذا دليل على أن الماء ليس بالقريب ولا بالبعيد ، وأما إن كان القطر متبعداً والماء في الصوفة قليلاً فإن الماء بعيد، وإن لم يوجد شيء من القطر فليس هناك ماء^(١).

لقد شكلت الآبار مصدراً من مصادر الري في تهامة، وتنشر هذه الآبار في أسفل من تهامة بالقرب من مصبات الأودية، وحتى الساحل في بعض المناطق^(٢).

وكان يتم رفع المياه منها بطريقتين:

أ- منها ما كان يعتمد على جهد الإنسان كوسيلة للرفع، حيث يقوم الفلاح بسحب دلو كبير مربوط بعده حبالي بربط حول البئر ثم يصب الماء في حوض كبير يجري منه الماء في الساقية لري الأرض^(٣).

ب- ما كان يتم بواسطة الحيوان، حيث يربط حبل موصول من الدلو إلى الحيوان (جمل أو حمار) باستخدام رافعة دوار معتمدة على التوازن، يظل الحيوان يهبط ويصعد في منحدر

1- الأشرف، مرجع سابق، ص 66 - 67.

2- مكرد، مرجع سابق، ص 11.

3- العطار، مرجع سابق، ص 170.

بجانب البئر ^{لعد خصيصاً لهذا الغرض، يصب الماء تلقائياً} في حوض أو يمر مباشرة إلى الساقية ^(١).

وبالرغم من بدائية هذه الطرق المستخدمة وقدمها، إلا أنها ظلت مستخدمة في تهامة في فترة الدراسة. أما المضخات الآلية فإنها لم تدخل اليمن إلا في بداية عام 1959، واقتصر استخدامها على أراضي الملكيات الكبيرة التي تنتج القطن بتهامة، ولم يتجاوز عددها في تلك الفترة إلى 200 مضخة، ويرجع ذلك إلى أن ثمنها المرتفعة من جهة، وعجز ميزانية الفلاح في تهامة من جهة أخرى ^(٢).

وعلى الرغم من مهارة الفلاح اليمني في تهامة وقدرته ومهاراته في استعمال مجاري المياه، إلا أن قسماً كبيراً منها كان يضيع سدى، وكانت تتعدى نسبة الضياع 50 %، وأحياناً أعلى من ذلك بكثير، وليس الفلاح مسؤولاً عن هذا الضياع للمياه، بل بسبب بدائية الآلات الزراعية المتوفرة لديه في تلك الفترة، والتي كانت عبارة عن تراب وأحجار، وأدوات بدائية تم التحدث عنها سابقاً.

5- أنواع الضرائب الزراعية وطرق تقديرها وجيابتها في تهامة :

ظل الفلاحون طيلة فترة الدراسة المصدر الرئيس الذي يرفد خزينة الدولة المركزية بالأموال النقدية والعينية عبر دفعهم أكثر من شكل من الضرائب المباشرة وغير المباشرة المفروضة عليهم وعلى أملاكهم ومداخيلهم الاقتصادية، حيث تتحدث بعض الكتابات الاقتصادية أن المبالغ التي كانت تفرضها السلطة على الفلاحين تصل إلى 40 % على محاصيل الأراضي الزراعية، والمداخيل التجارية تحت مبررات وذرائع عده، ناهيك عن النسب الأخرى التي يدفعها الفلاحون المشاركون لأراضي كبار المالك مقابل حصتهم من المنتوج الزراعي ^(٣).

وقد اكتسبت الضرائب أهميتها تلك من طبيعة اليمن الزراعية، إلى جانب طبيعة السياسة المالية والإدارية التي انتهت بها السلطة في تلك الفترة، تلك السياسة التي اتسمت بالعزلة والجمود وإغلاق اليمن عن كل ما هو جديد، مما أدى إلى عدم استثمار موارد الأرض الأخرى المتمثلة باستخراج النفط والثروات المعدنية الأخرى، ذلك مما جعل السلطة تعتمد بشكل رئيس على الضرائب بشتى أنواعها، وخاصة ضرائب الإنتاج الزراعي والحيواني، وتشدد في تحصيلها، وتضرب بشدة على

1- الشرجي، الشريحة الاجتماعية ، مرجع سابق، ص 20 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 171 .

3- الشهاري، مرجع سابق، ص 61-62 .

المتهربين من دفعها . وقبل البدء بتوضيح النظام الضريبي في اليمن أثناء فترة الدراسة، يجدر بنا أن نتعرف على نظام الضريبة ومقدارها في الشريعة الإسلامية، وذلك لمعرفة تذكرة السلطة بالدين والتزامها بشرائعه. ويا ليتها لو طبقت الإسلام الصحيح لنهضت بالبلاد أيمان نهضة.

فالضريبة في الشريعة الإسلامية هي الزكاة التي أوجبها الله على كل مسلم يؤديها سنويًا مما يملأ وذلك على الشكل التالي⁽¹⁾ :

- ضريبة رأس المال وهي 2,5% في كل ماله قيمة عينية كالنقود، والذهب والفضة .
- ضريبة الأرض 10% من كل محصول زراعي بعلی (أي يسقى بماء المطر) و5% عن كل محصول زراعي يسقى بالواسطة.
- أما زكاة الحيوانات فهي بغير عن كل 30 من الإبل، وبقرة عن كل أربعين، وكذا بالنسبة للأغنام والماعز (واحدة من كل أربعين) ⁽²⁾.

وبالرجوع إلى النظام الضريبي في اليمن أثناء فترة الدراسة، نجد أنه كان يستمد شرعيته من الشريعة الإسلامية نظرياً ، أما في الواقع العملي فقد حدث تجاوزات، وفرضت قوانين جديدة في تحصيل الضرائب وذلك بما يتفق مع صالح السلطة الحاكمة، إلى جانب التقديرات السابقة. كانت حكومة الإمام في اليمن تفرض ضرائب أخرى على المحاصيل الزراعية في تهامة، وبأشكال مختلفة، من هذه الضرائب ضريبة الخيرية ونسبتها 3% ، وكانت تجبي بدعوى لصالح الفقراء والمساكين، كما فرضت نسب أخرى لصالح موظفي الدولة وللملحقين بهم، مقابل خدماتهم أثناء فترة التقدير والجباية ⁽³⁾! هذه الضرائب كان يتم تحصيلها نقداً وعيناً، وذلك حسب حاجة الدولة إليها، فمثى كانت السلطة بحاجة إلى محاصيل زراعية كالذرة، والسمسم، والدخن، فيتم تحصيل

1- العطار، مرجع سابق، ص 239.

2- حدد الإسلام شروط لدفع هذه الضرائب (الزكاة) فيشترط في ضريبة رأس المال استمرار الملكية لستة، وتتوفر النصاب، أما ضريبة المحاصيل الزراعية فتحضر كلها للضريبة بشرط لا تقل عن خمسة أحوال من الإبل، وتدفع مرة واحدة عند الحصاد . أما ضريبة الحيوانات فيشترط فيها ثلاثة شروط وهي : استمرار الملكية لستة، وتتوفر النصاب، وأن لا تستعمل في العمل. أنظر: الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 34 - 35 .

3- العطار، مرجع سابق، ص 240.

ضرائبها عيناً⁽¹⁾ فإذا ما استغنت عن هذه المحاصيل فقد كانت تُقدر قيمتها وتُدفع نقداً⁽²⁾. أما الفواكه والخضروات فكانت تُثمن وتدفع ضرائبها نقداً، وتسمى بضريبة المحضر⁽³⁾.

أما ضريبة الماشي (الحيوانات) فقد كانت تُدفع نقداً كما يلي :

• بقشتان ونصف⁽⁴⁾ عن كل رأس غنم أو ماعز .

• عشر بقش عن كل بقرة .

• ريال عن كل رأس من الإبل غير مستعمل في النقل التجاري .

• ريالان ونصف عن كل رأس إبل مستعمل في النقل التجاري⁽⁵⁾.

ولأهمية هذه الضرائب، أولتها السلطة الأمامية اهتماماً بالغاً، وعبروا عنها في خطاباتهم بلفظ زكاة، وربطوا تأديتها بالركن الثاني من أركان الإسلام، وشددوا في تحصيلها من خلال عدة طرق.

طرق تقدير وجباية الضرائب:

لابد أن نشير أنه خلال فترة الدراسة لم يكن يوجد في اليمن أي نظام مكتوب يحدد طرائق تقدير الضرائب، وأنّ ما كان موجوداً وعمولاً به هو إتباع طرائق عده عند تحديد مقدار الضريبة تختلف باختلاف نوع الضريبة وكانت على الأغلب وفقاً لما يخدم مصالح السلطة من الضرائب .

إنّ غياب مثل ذلك النظام الضريبي المكتوب أعطى إمكانات فعلية ليس فحسب بعدم التزام السلطات الحاكمة في أكثر الأحيان بتطبيق الضرائب التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، بل والتحايل عليها وفرض ضرائب أخرى إضافية لغير الأغراض الإسلامية التي لأجلها أوجبت الضرائب وحددت مقاييرها، والدليل على ذلك ما قام به الإمام يحيى ابن حميد الدين بفرض ضريبة الخيرية بواقع 3%، وكانت أبرز الطرق المتبعة في اليمن ومنها تهامة لتقدير وجباية الضرائب

مايلي:

1- المركز الوطني للوثائق، وثيقة توضح مقدار ضرائب منطقة للعلاف في تجارة للمحاصيل الزراعية لعام 1357/1938، ملحق رقم (11).

2- الدودجي، مرجع سابق ، ص 224 .

3- المرجع نفسه، ص 225 .

4- البقشة: عبارة عن قطعة معدنية صغيرة، فضية ونحاسية، كانت من العملات المتداولة في عهد الإمامة في اليمن، وقد صكها الإمام يحيى لتكون مساعدة للريال، وكان ريال = 40 بقشة، وينقسم على نصف بقشة وربع بقشة. أنظر: الأكوع، إسماعيل : هجر العلم ومعاقله في اليمن، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص 590 .

5- العطار، مرجع سابق، ص 240 – 241 .؛ جوليو فوسكايا، مرجع سابق ، ص 80 .

1- طريقة التخمين (التقدير)⁽¹⁾: كانت هذه الطريقة من أكثر الطرق استخداماً لتقدير الضرائب الزراعية في تهامة خلال فترة الدراسة، وذلك لتناسبها والأهمية التي كانت تمثلها عائدات الأراضي الزراعية لخزينة الدولة، كونها طريقة مماثلة مكتندة في تلك الفترة من الإشراف المباشر على عائداتها من الضرائب، كما هدفت الدولة من استخدامها للاتصال بالسكان من خلال موظفيها الذين يقومون بالتخمين والجباية، إذ أن بعضهم كانوا يؤدون وظائف أمنية، إلى جانب وظائفهم الأساسية في الجباية⁽²⁾. وكان تخمين المحصول (أي تقديره)، يتم إما قبل نضوج الثمر أو بعد حصاده⁽³⁾. فإذا وصل المخمنون قبل حصاد المحصول قاموا بالتقدير بمجرد الرؤية والنظر، بحكم الخبرة والممارسة، وفي هذه الحالة غالباً ما يكون التخمين مجحفاً بحق المزارعين، وأما إذا وصل المخمن وقد تم حصاد المحصول فإنه يقوم بالتقدير قياساً على الجزء المتبقى من المحصول، أو على نوعية الأرض والقرية والري الذي تعتمد عليه، أو قياساً على ما جاورها من أرض، أو يتم التخمين للمحصول في مجرى الدرس⁽⁴⁾.

ويذكر بعض المعاصرین لفترة الدراسة بأن البعض من هؤلاء المخمنين كانوا يشغلون وظائف رسمية في الدولة، وهو ما يطلق عليهم بـ«أموري التخمين»، وكانوا يتشكلون من الفئات العليا في المجتمع كالقضاة والفقهاء والبعض الآخر لا يشغلون أي وظيفة حكومية، بل يلتحقون بهذه المهمة أثناء موسم الحصاد، وهم في الأغلب من مشايخ وأمناء وعقال القرى في وكل إليهم أمر التخمين بحكم وظيفتهم ومكانتهم الاجتماعية، ومعرفتهم لمناطقهم⁽⁵⁾.

بعد أن ينتهي المخمنون من أعمالهم، يرفعون تقديرات التخمين إلى الإدارة المختصة في المنطقة، فإن حازت رضاها ولم يتظلم أحد من المزارعين تم التصديق عليها، لتبدأ مرحلة الجباية، وإن لم ترض هذه الإدارة المختصة في المنطقة، وتقدم المزارعون بالتلطيم من جور التخمين، فإن الإدارة في هذه الحالة ترسل ما يُعرف بالكافش أو الطواف لتحري نتائج التخمين،

1- المخمن: هو الشخص الذي كان يكلف من قبل السلطة ليقوم بزيارة الأراضي الزراعية قبل الحصاد، لتقدير ضريبة المحصول، ورفعها إلى الجهة المختصة لتحصيل الضريبة.

2- النودحي، مرجع سابق، ص 227 – 228 .

3- الشرجي، القرية والدولة، مرجع سابق ، ص 204 .

4- المحران (البيدر): هو المكان الذي يتم فيه درس المحصول، وهو عبارة عن أرض مستوية، غالباً ما تكون صخرية، تحاط بسور من الحجر، ارتفاعه متراً تقريراً، يعمل على حفظ الحبوب المتطايرة أثناء الدرس، ولا تزال التسمية إلى يومنا هذا .

5- المقبلي، حسين محمد: مذكرة المقبلي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1986م، ص 31.

هؤلاء الكُتّاف لا يختلفون كثيراً عن المخمنين، من حيث علاقتهم بالسلطة ووظائفهم، ووضعهم الاجتماعي، غالباً يكون إرسالهم ناتج عن عدم قناعة الإدارة المختصة بتقدير المخمنين، والتأكد من دقة تخمينهم، أو التحري عن صحة تظلم المزارعين⁽¹⁾.

وعلى الرغم أن من أحد أهداف الكشف هو رفع الظلم عن الفلاح، إلا أن هذه العملية كانت تشكل عبئاً ثقيلاً عليه، تتمثل بأجرة الكاشف وضيافته لمدة إقامته هو وأتباعه المرافقين . بعد أن تنتهي بيانات عملية الكشف ترفع في دفاتر خاصة إلى الدوائر المالية في المنطقة، لمراجعةها ومقارنتها بدفاتر المخمنين ، والتأكد من شكاوى وتظلمات المزارعين، فإن كانت تقديرات المخمنين متساوية مع تقديرات الكَشاف تم اعتمادها، ورفض تظلم المزارعين، وزال شك الإدارة في تقدير المخمنين ، وإذا اختلف، لأن تكون تقديرات المخمنين تحتوي على زيادة في التقدير عن تقديرات الكَشاف، فإنه يتم مقارنتها مع ضرائب العام السابق، فإذا تأكدت تلك الزيادة، لا يؤخذ بتقدير المخمنين وتسقط الزيادة، ويتم الأخذ بتقدير الكَشاف، وتقبل في هذه الحالة تظلمات المزارعين ، وكانت هذه الحالات نادرة جداً ، وفي حالة وجود نقص في دفاتر الكَشاف عن دفاتر المخمنين ، وجود اختلافات بالزيادة أو النقصان بين دفاتر التخمين والكشف، مع استمرار تظلمات المزارعين فإن الإدارة ترفض تلك التقديرات وتتجأ إلى التقدير بناءً على السنة السابقة وتسمى هذه العملية بضرائب (البدل)، أو أخذ أعلى تقدير خلال عدة أعوام سابقة وتسمى هذه العملية بضرائب الصبرة⁽²⁾.

2- طريقة الجبائية، كانت هذه الطريقة تتم بعدة وسائل منها:

أ- الجباء الذين ترسلهم الدولة لتحصيل الضرائب من المزارعين ، ويسمون هؤلاء بـمأموري التحصيل، وهم موظفون رسميون يرسلون في مواسم الحصاد لجباية الضرائب المختلفة من المزارعين ، وكان يتم اختيارهم من ذوي الأمانة والعفة والاستقامة، وكان هؤلاء الجباء يزودون ببيانات عن المناطق التي يرسلون إليها، وعند وصولهم إلى المناطق المكلفين بتحصيل ضرائبها يصاحبهم شيخ المنطقة كدليل لهم ومعرف ، أو أن يقوموا بأعمالهم دون المعرفين معتمدين على خبراتهم السابقة ، وب مجرد وصولهم ينزلون عند المزارعين كضيوف، وإشعار الأهالي بالتسليم يتم تحرير إعلانات في السوق، أو بواسطة جندي ينفذ ذلك الغرض .

1- البدودحي، مرجع سابق، ص 232 - 233 .

2- البدودحي، مرجع سابق، ص 233 - 234 .

بعد الانتهاء من عملية التحصيل التي لا تتجاوز شهر على الأغلب يُعطى المزارع سند يسمى (نظير) يحتوي على مقدار ما أخذ منه من الضرائب، وسنة التحصيل، واسم المحصل، بعدها يرجع المحصلون إلى مراكزهم الإدارية لتسليم الضرائب النقدية إلى مالية المنطقة، أما الضرائب العينية فغالباً ما يقوم المزارعون بتوصيلها بأنفسهم إلى مخازن بيت المال في مركز المنطقة لحفظها في مخازن خاصة، وفي حالة عجز بعض المزارعين عن دفع الضريبة كاملة، تسجل عليهم باسم الباقي، ويتم إنفاذ مأموريين آخرين لجبيتها يسمون (بمأموري البقية)، أو يتم استيفائها عند التحصيل في العام القادم⁽¹⁾.

بـ- الضمان أو الالتزام: تتمثل هذه الطريقة بقيام أحد الأشخاص بضمان والالتزام جمع وتحصيل الضرائب من المزارعين في منطقة ما، مقابل مبلغ يتقى عليه مع الإدارة المختصة، وكان أغلب من يقوم بهذه المهمة هم مشايخ القبائل والقرى، والقضاء، والتجار، حيث أنه في حالة عجز هؤلاء عن سداد ما ضمنوا به، فإنه تتصادر أموالهم لصالح بيت المال⁽²⁾.

والجدير ذكره أن حكومة الإمام كانت تهدف من وراء هذه الطريقة إلى ربط المكلفين بدفع الضرائب بالدولة مباشرة، إلى جانب أنها طريقة اقتصادية لا تكلف الدولة موظفين رسميين من قبلها يتلقاضون أجوراً علاوة على أن استخدام هذه الطريقة يُمكّن الدولة من بسط سيطرتها على المناطق الريفية البعيدة عن مراكز السلطة، باعتبار أن مشايخ الضمان إلى جانب دورهم كوسطاء في الجباية، كانوا يمثلون الدولة في أوساط قبائلهم، من خلال حل المشاكل ومسؤولياتهم في حفظ الأمن في مناطقهم⁽³⁾.

كان نظام الالتزام خلال فترة الدراسة يقسم إلى نوعين :

الأول: تقوم الدولة ببيع الالتزام لمن يريد، ويحدد قدر الالتزام ومدته، ثم للملتزم أن يقبل به أو يرفضه.

الثاني: هو أن تقوم الدولة بإجراء مزاد مفتوح بين الراغبين في الالتزام، ويتم تحديد المدة الزمنية للمزايدة، على أن يرسو المزاد على أكثر المزایدات مبلغاً وكان يُؤخذ من المتقدم للمزايدة ضمانة

1- المرجع نفسه، ص 241-242 .

2- الشرجي، القرية والدولة، مرجع سابق ، ص 204 – 205 .

3- الفقيه، أحمد محمد: السياسة الإدارية والمالية في عهد الإمام يحيى ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، ص 186 .

نقدية بنسبة 10% من المبلغ الذي التزم به، فإذا وقع عليه المزاد تحسب له الضمانة في آخر قسط يدفعه مما التزم به، وإذا لم يرسِ عليه المزاد يتم إرجاع الضمانة النقدية له، بعد أن يرسو المزاد على أحد الملزمين يتم منحه وثيقة رسمية بالالتزام، مختومة بختم الإمام تتضمن اسم منطقة الالتزام، ومدة الالتزام التي عادة ما تكون سنة كاملة، ومقدار مبلغ الالتزام⁽¹⁾.

والجدير ذكره أن الدولة لم تكن تترك الملزمين دون مراقبة، بل كانت تشرف على أعمالهم من خلال إرسال مأمورين للكشف عن أعمالهم، ومدى التزامهم بنصوص الاتفاق. ففي حال عجز بعض الملزمين عن الوفاء بما التزموا به، كانوا يقدمون التماسات إلى الإمام بتخفيض مبلغ الالتزام أو الإعفاء من بعضه، فيما أن يُخفض المبلغ أو يعطي لهم مبلغ من المال جراء زيادة الالتزام، أو أن يُرفض طلبهم، ويطلبون بالتسديد، فإذا عجزوا عن التسديد في حينه، يسجل عليهم باسم الباقي ليُسدّد فيما بعد من أموالهم الخاصة، وإذا تأخروا عن التسديد يتم التنفيذ عليهم وسجنهم⁽²⁾.

ج - دفع الفلاحين الضرائب بأنفسهم إلى بيت المال حيث كانت تُعطى لهم فترة محددة لدفع الضريبة وإيصالها إلى مالية القضاء، وفي حالة تأخر الفلاح عن الفترة المسموحة للدفع التي كانت لا تتجاوز شهراً، تستخدم الحكومة وسائل ضبط قهيرية تجبر الفلاحين على دفعها من هذه الوسائل التنافية، والخطاط.

من خلال ما سبق يتضح أن النظام الضريبي السائد في عهد الإمام في تهامة كان قاسياً وشكل مصدر قلق وابتزاز للفلاحين، وذلك عبر أوجه عدة :

1- إن طريقة تقدير المحصول قبل نضج الثمار يمثل ظلماً بيناً، حيث يمكن أن يتضرر المحصول قبل نضجه، لأسباب طبيعية، كقلة الأمطار، أو زیادتها التي تؤدي إلى جرف المحصول، أو تعرضه لآفة من الآفات، كالجراد وغيره .

2- إن الجباية وتحصيل الضرائب عن طريق الضمانة والملزمين للدولة، كانت له عواقبه الوخيمة على الفلاح، حيث يلجأ بعض هؤلاء الملزمون إلى زيادة تقدير المحصول ليضمنوا من الفرق بين ما التزموا به للدولة، وبين ما يحصلون عليه من الفلاحين .

3- إن الجباية عن طريق مأموري الدولة، كان يتم أحياناً بناءً على سجلات سابقة دون التحقق مما في الواقع، وهو ما يؤدي إلى وقوع الظلم على الفلاحين .

1- الدودجي، مرجع سابق، ص 245- 246 .

2- الدودجي، مرجع سابق، ص 247 .

4- إن صرفيات المزارعين على موظفي الدولة أثناء فترة التخمين والجباية، من خلال إيوائهم وضيافتهم كان يشكل عبئاً على المزارعين، علاوة على العباء النفسي والمعاملة القاسية التي يلاقونها منهم.

فضلاً عن ذلك، نستطيع القول أن الفلاح عملياً كان ينفق ثلاثة أرباع دخله، ليس فحسب لتسديد الضرائب المحددة شرعاً، بل ولتسديد ضريبة الخيرية بواقع 3%， والإتفاق لمواجهة الأعباء الإضافية الناجمة عن إرسال سلطات الدولة للمخمنين والكتاف ومأموري الأسواق وعساكرهم على الفلاحين الذين يضطرون لتقديم الرشاوى النقدية والعينية كيلاً يضع هؤلاء تقديرات كبيرة على محاصيل الفلاحين الزراعية، فضلاً عن الإيفاء بما هو للملك وأغنياء الفلاحين . ووفقاً لبعض المصادر فإن نسبة ما كان يتبقى للفلاح المشارك بالمحصول لا يتعدى إلى 10% أو 20% فقط من محصوله الزراعي^(١). وقد نجم عما سبق، تقلص الأراضي الزراعية في تهامة، ونقص الإنتاج، وهجرة الفلاحين القادرين على الزراعة بحثاً عن الرزق والاستقرار ، تاركين الأرض لمن هم أقل إنتاجيةً وحرفيةً، فضلاً عن تقلص إنتاج الخضروات والفواكه تجنباً للضريبة الجائرة، ورافق ذلك تقلص مماثل لتربية الماشية، كما نتج عن هذه السياسة الضريبية ظهور التمردات، والانتفاضات الفلاحية على السلطة، حيث كان لهذه الانتفاضات فيما بعد إلى جانب دور المستirين من قوى المعارضة الوطنية دور مؤثر في إسقاط النظام الإمامي في سبتمبر/أيلول عام 1962 وقيام النظام الجمهوري .

1- العطار، مرجع سابق، ص 130.

الفصل الثاني
مجالات الحياة الاقتصادية في تهامة
اليمن (1918-1962) :

- أولاً - الزراعة والإنتاج الحيواني في تهامة اليمن (1918 - 1962).**
- ثانياً - الصناعات الحرفية في تهامة اليمن (1918 - 1962).**
- ثالثاً - التجارة في تهامة اليمن (1918 - 1962).**

أولاً - الزراعة والإنتاج الحيواني في تهامة (1918-1962):

1- الزراعة في تهامة :

أ- مقومات ازدهار الزراعة في تهامة :

تكتسب الزراعة في منطقة تهامة أهمية خاصة في حياة اليمن الاقتصادية، فهي من أقدم النشاطات الاقتصادية القديمة التي عرفها أهل اليمن، وهي المصدر الأول والأساس في معيشتهم اليومية، حيث تتوفر العوامل الملائمة للزراعة في تهامة أكثر من المناطق اليمنية الأخرى، من حيث الأرض المنبسطة، والمساحة الواسعة، والأودية الكثيرة، ولأهمية هذا الجانب ومآلاته من تأثير على مختلف أنواع النشاط الاقتصادي في تهامة، فإن الدراسة ستبدأ أولاً بالمقومات التي ساعدت على ازدهار الزراعة في تهامة، ومن أهمها :

1.الموقع :

كان لموقع تهامة وما يزال دور مهم في الحياة الاقتصادية في اليمن، فهي تقع في الجزء الغربي للجمهورية اليمنية على امتداد الشريط الساحلي للبحر الأحمر، من باب المندب جنوباً إلى آخر نقطة حدودية مع المملكة العربية السعودية شمالاً عند مدينة ميدي، وتمتد على شكل شريط متراوّل يتراوح عرضه بين 30 . 60 كم ، ويزيد طوله على 450 كم⁽¹⁾. يخترق سهل تهامة عدداً من الأودية التي تحدّر من المناطق الجبلية، ويصب بعضها في البحر الأحمر⁽²⁾، مما كان لها

1- الفقيه: جغرافية الجمهورية اليمنية، مرجع سابق، ص 49-50.

2- من أبرز أودية تهامة : وادي مور الذي يُعد من أكبر أودية تهامة طولاً ومساحة، حيث تبلغ مساحة حوضه بحوالي (7500 كم²)، ويبلغ طوله 700 كم ، ويصب في البحر الأحمر شمال منطقة الملحمة . ووادي زيد، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد وادي مور من حيث الطول والمساحة ، حيث تبلغ مساحة حوضه بحوالي 4500 كم²، وبطول 250 كم ، ويصب في البحر الأحمر غرب مدينة زيد . ووادي سهام التي تقدر مساحة حوضه بحوالي 3200 كم²، وبطول 235 كم، ويصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الحديدة . ووادي رماع، وتقدر مساحة حوضه بحوالي 2540 كم²، وبطول 210 كم ، ويصب في البحر الأحمر شمال منطقة الفازة . ووادي سرددود ، تقدر مساحة حوضه بحوالي 2450 كم²، وبطوله حوالي

تأثيرها على طبيعة الحياة الاقتصادية في سهل تهامة، مما دفع بالسكان للعمل بالزراعة متمركزين على مساحات تلك الأودية، لما تتميز به من الإمكانيات الزراعية، كتوفر المياه والتربة الرسوبيّة الخصبة⁽¹⁾.

2. التربة الصالحة للزراعة :

تُعد خصوبة التربة وطريقة استغلالها في الزراعة من العوامل المهمة التي ساعدت على نمو النشاط الزراعي في تهامة، حيث كان لتتنوع التضاريس ما بين مناطق جبلية وسهليّة وساحلية الأثر الإيجابي لازدهار النشاط الزراعي، فاستفاد المزارعون من سفوح الجبال فزرعواها على شكل مدرجات كما في جبل رأس⁽²⁾، وجبل برع⁽³⁾. واستفادوا من المناطق السهلية حيث الأودية التي اشتهرت بالبساتين والمزارع حول وادي زيد ودُمُور ورماع وسُرِّيد وسهام، كما انعكست خصوبة التربة على تنوع المحاصيل في تهامة التي تزرع فيها الذرة بأنواعها، والقطن والسمسم والموز والمانجو والجوافة⁽⁴⁾! ولما كانت التربة الجيدة مطلباً ضرورياً للزراعة وذات تأثير مباشر على الإنتاج الزراعي، فقد أهتم المزارعون بتحسينها، ومعالجتها والعنابة بها وذلك عن طريق تسميدها بمختلف أنواع الأسمدة الطبيعية ، التي كان من أهمها مخلفات الطيور والحمير والخيول والماعز والأغنام والأبقار وكانت تخلط هذه المخلفات بعضها ببعض وتُعطي سماداً جيداً⁽⁵⁾.

3. المناخ:

يُعد المناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي وتنوع المحاصيل، وبخاصة عنصر الحرارة، فكل نوع من النباتات حد أقصى وأدنى من الحرارة، لا ينمو إذا ما زاد أو

240كم ، ويصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الزيدية ، فضلاً عن وادي خلة ، ووادي رسنان ، ووادي موزع . أنظر: عباس، مرجع سابق، ص 81-82. ؛ الويسي ، مرجع سابق، ص 38-41 .
1 - الحفيان، مرجع سابق، ص 73.

2 - يقع جبل رأس بالمنطقة الجنوبية الشرقية من زيد ، يطل من شماله على وادي زيد ، ومن جنوبه على وادي خلة، يبلغ ارتفاعه 2000 متر عن مستوى سطح البحر . أنظر: ألويسى، مرجع سابق ، ص 105 .

3 - جبل برع يقع شرقي مدينة الجديدة ، وهو من الجبال الوعرة ، ومن بين جنباته تحدّر مساليل وادي سهام .
أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق، ج 1، ص 156-157 .

4 - ابن الدبيع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد: بغية للمستفيد في تاريخ مدينة زيد، تتح / عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، (د.ط)، (د.ت)، ص 36 .

5-الأفضل، العباس بن الجاهد : بغية الفلاحين في الأشجار المشمرة والرياحين ، تتح / عبد الله الجاهد ، مطباع الدار العربية ، ط 2، 2006م، ج 1، ص 47-51 .

نقص^(١)، وقد أدى وقوع اليمن فيما يعرف بالمنطقة المدارية إلى تنوع تضاريسها مابين السهل الساحلي والجبال والهضاب إلى اختلاف درجة الحرارة مابين منطقة وأخرى، ففي تهامة ترتفع درجة الحرارة في الصيف، وتتميز بالدفء في الشتاء، مما انعكس بدوره على طبيعة المحاصيل التي تزرع فيها والتي تحتاج إلى الحرارة المرتفعة كالذرة والموز والنخيل وغيرها من المحاصيل الزراعية^(٢).

4. توفر مصادر المياه :

تنوعت مصادر المياه في تهامة، فمنها ما هو مصدره مياه الأمطار التي تسقط على الجبال المطلة على تهامة، ثم تتدحر مكونة الأودية التي تتجمع مياهاها لتروي الأراضي الزراعية، كما يحتوي سهل تهامة على مخزون مائي في باطن الأرض تغذيه السيول والمياه المتسربة من الصخور البازلتية والجيرية والرواسب الخشنة، حيث أكدت بعض الدراسات التطبيقية أهمية هذا المخزون المائي لسهل تهامة الذي يمكن أن يفي بحاجيات المنطقة لمدة لا تقل عن 200 سنة^(٣). كما أن للأودية الموجودة في تهامة أكبر الأثر في النواحي الزراعية، التي تمتلئ بالمياه المتجمعة من الأمطار الساقطة على الجبال المطلة على تهامة، ثم تتدفق على شكل سيول تجري في هذه الوديان، وتصب في البحر الأحمر في مواسم فيضانها، وقد قدر متوسط هذه المياه بحوالي 500 - 1000 مليون متر مكعب في السنة^(٤).

ب- الإنتاج الزراعي في تهامة :

1- المعالم الزراعية في تهامة:

المعالم: مفرد لها مَطْمَم، وهو في اللغة : الأثر الذي يستدل به على الطريق، وفي اصطلاح الزراع : الوقت المناسب للزراعة وغرس الأشجار المثمرة^(٥).

1- الزوكه، محمد خميس : في جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط) ، 1986، ص 235 .

2- عسيري، منيرة محمد حسن : النشاط الاقتصادي في منطقة زيد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . جامعة الملك سعود ، 1427هـ، ص 50 .

3- الشريف، مرجع سابق، ص 231 .

4- مكرد، مرجع سابق ، ص 7 .

5- شحاب، محمد سالم : معالم الزراعة في اليمن، للموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط 3، 2002م، مج 2، ص 1476 .

هذه المعالم الزراعية تختلف من منطقة إلى أخرى، فالمعالم الزراعية في المناطق الجبلية، تختلف عن المعالم الزراعية في تهامة، وقد تم تقديم هذه المعالم الزراعية لمختلف المحاصيل في تهامة على هيئة جدول وفق التقويم الشمسي، موضحاً المعلم الزراعي في كل شهر، والمحاصيل والأعمال الزراعية فيها، بالإضافة إلى بعض الملاحظات التوضيحية، مع نكر المصادر والصفحات .

الشهر	المعلم	الأعمال والمحاصيل الزراعية	ملاحظات	المراجع
شرين أول(أكتوبر)	شريني	يزرع في هذا المعلم الدرجة، والحجينة وتسمى شرينية .	الدرجة: هي اللوبيا . الحجينة: هي نوع من الذرة الحمراء يسمونها شرينية ، لأنها تزرع في شرين . شريني: موسم زراعي في تهامة يبدأ من بداية شرين أول حتى نهاية شرين ثاني	شجاب، مرجع سابق، ص 1493 . حبيب، زبيد المعاصرة، مرجع سابق، ص 151 .
الوسمى	الوسمى	يبدأ دخوله في تهامة من 7 تشرين أول ويستمر أربعين يوماً .	الوسمى : هو أول مطر الخريف، وسمي وسمياً لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثر في أول السنة.	شجاب، مرجع سابق، ص 1492 .
العشوي		وفيه تزرع الذرة الحمراء، وتسمى عشوي .	العشوي: نوع من أنواع الذرة الحمراء تزرع في تهامة عند طلوع الثريا من 6 تشرين أول حتى 15 شرين ثاني .	الأشرف، ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، مرجع سابق، ص 69 .
محتم الججلان (السمسم)		يعد تشرين أول هو انسب موعد لزراعة الججلان في تهامة .	يبدأ زراعته من 10 - 20 شرين أول .	الأشرف، مرجع سابق، ص 79.78 .
الهند التشريني		يبدأ فيه زراعة الذرة الشامية الصفراء (الهند) .		الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق،

ص 314.				
المندعي، تاريخ اليمن الاقتصادي ، مرجع سابق ، ص 99 .	يبدأ هذا المعلم في تهامة في السادس عشر من شهر تشرين الثاني .	فيه يتم زراعة مجموعة من المحاصيل الزراعية في تهامة أهمها الذرة	متم النسي	
شجاب، مرجع سابق ، ص 1492 .	السري: معلم زراعي في تهامة يبدأ من يوم 16 تشرين ثاني حتى نهاية يوم 21 من الشهر.	يزرع فيه نوع من الذرة يسمى الحرجي في وادي زيد ورمع.	متم السري	
حبيب، مرجع سابق ، ص 151. شجاب ، مرجع سابق ، ص 1492 .	مدته 8 أيام يبدأ من 22 تشرين ثاني حتى 30 من الشهر.	يزرع فيه نوع من الذرة تسمى الحمراء.	متم الحمراء	
الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 314.	كانونية : معلم زراعي في تهامة يبدأ من كانون أول ويستمر حتى نهاية كانون ثاني .	تصلح فيه زراعة الدخن واللوبيا، والس้มسم، والبازيليا، ونوع من الذرة الشامية تسمى (زعر).	كانونية	كانون أول(ديسمبر)
شجاب، مرجع سابق ، ص 1492.	مدته 12 يوما ، يبدأ من 121 كانون أول .	يتم فيه حرش الأرض وتزرع نوع من الذرة يسمى الحجري.	متم الحجري	
الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 314.		تزرع فيه الذرة الشامية، ونوع من الذرة تسمى حمراء .	الهند الكانوني .	
المندعي، مرجع سابق ، ص 99 . حبيب، مرجع سابق ، ص 152	السابعي: نوع من أنواع الذرة تزرع عند طلوع النجم السابع من بذات نعش في 9 أيلول .	موعد حصاد نوع من الذرة تسمى السابع .	حصاد السابعي	
شجاب، مرجع سابق ، ص 1492 .		يبدأ فيه طلع النخل من يوم 31. 13 كانون أول .	الحصاد التمري	
المندعي، مرجع سابق ، ص 100 .	البياني: هو نوع من أنواع الذرة البيضاء تزرع مابين طلوع النجم الثالث والسبعين من بذات نعش.	موعد زراعة البياني في وادي مور بتهامة .	متم البياني	كانون ثاني(يناير)
المندعي، مرجع سابق ، ص 100 .		يصلح هذا المعلم لزراعة مجموعة من المحاصيل	متم البطيخ	

		أهمها البطيخ .		
شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .	يبدأ الغرس من 15 . قانون الثاني، وذلك قبل جري الماء في العود.	يتم في هذا المعلم غرس فسيل النخل .	غرس	
شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .	يبدأ من النصف الثاني من كانون ثاني من 16 . 31 من الشهر .	يتم فيه سقي غرس فسيل النخل	جري الماء في العود	
شبابي ، مرجع سابق ، ص 152. شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .	شبابي : معلم زراعي في تهامة، تزرع فيه مجموعة من المحاصيل تسمى شبابية أو شبابي	يزرع فيه الهند والدخن والغرب، ونوع من الذرة يسمى حجينة .	شبابي	شباط(فبراير)
شجاب، مرجع سابق ، ص 1491 . ، حبيب ، مرجع سابق ، ص 152	معلم زراعي في تهامة يبدأ من أول شباط ويستمر 73 يوما .	تزرع فيه الذرة الرفيعة المعروفة بالغرب .	العرضية	
المرجع نفسه، ص 152	العقب: هو ما يحصد للمرة الثانية.	يتم فيه حصاد عقب السباعي	حصاد عقب السباعي	
المندعي ، مرجع سابق . ، ص 101 .		يتم في هذا المعلم حصاد الذرة التي تعرف بالبيني في وادي مور .	حصاد البيني	آذار (مارس)
المرجع نفسه، ص 101 .	الزعر : نوع من أنواع الذرة يزرع في وادي سردد ووادي ومور بتهامة	موعد لزراعة مجموعة من المحاصيل أهمها الزعر.	متم الزعر	
هارون، عبده علي: الدر النضيد في تحديد معالم مدينة زبيد، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، (د.ط) 2004،ص 282		يزرع فيه الذرة الشامية (الهند).	الأذاري	
المندعي، مرجع سابق ، ص 101 .		البطيخ في تهامة	بداية وجود	نيسان(إبريل)
حبيب ، مرجع سابق ،		فريك البيني في وادي سردد	بداية وجود	

ص 152 .				
المندعي ، مرجع سابق ، ص 101 .		يتم فيه زراعة نوع من الذرة يسمى صيفي .	صيفي	
شجاب ، مرجع سابق ، ص 1492 .	الثوري : نسبة الى طلوع نجم الثور ومدته 16 يوما ، يبدأ من 15 . 30 من نيسان .	يزرع فيه الذرة الرفيعة والمعروفة بالغرب ، ونوع آخر من الذرة تسمى ثوري في وادي مور .	الثوري	
الحضرمي ، تهامة في التاريخ ، مرجع سابق ، ص 313 .	مبكر: معلم زراعي في تهامة ، مدته خمسة أيام ، من 1 . 5 أيار	تزرع فيه الذرة الحمراء ، والدخن المبكري ، والدجرة السوداء (قطن) .	مبكر	أيار (مايو)
المندعي ، مرجع سابق . ، ص 102 .		البطيخ في تهامة	انتهاء وجود	
الحضرمي ، تهامة في التاريخ ، مرجع سابق ، ص 313 .		يزرع فيه الدخن المسمى حزيراني ، والذرة الحمراء .	حزيران (يونيو)	
هارون ، مرجع سابق ، ص 280 .	الباجس: معلم زراعي لأهل زيد ، مدته 40 يوما يبدأ من 10 حزيران حتى 20 تموز	في هذا يزرع الدخن	الباجس	
شجاب ، مرجع سابق ص 1492 .الحضرمي ، تهامة في التاريخ ، ص .311	الأولين: معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجمين الأول والثاني من نجوم بنات نعش السبعة ، مدته 14 يوما، يبدأ من 17 تموز حتى نهاية يوم 30 منه .	تصلح فيه زراعة الذرة البيضاء (القيرع) ، والسمسم ، واللوبيا .	الأولين	تموز (يوليو)
المندعي ، مرجع سابق ، ص 103 .	الباجسي : نوع من أنواع الذرة يسمى الباجسي .	زراعة الباجسي في تهامة	بداية	
المندعي ، مرجع سابق ، ص 103 .		يتم فيه زراعة مجموعة من المحاصيل أهمها الذرة .	متن الثالثي	
المراجع نفسه ، ص . 103		وجود الياسمين (الفلفل) ، في تهامة	يكثر	

آب (أغسطس)	الثالث	يزرع فيه الذرة البيضاء، والسمسم، واللوبية والقطن.	الثالث	هارون، مرجع سابق، ص 280؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 311.	الثالث: معلم زراعي في تهامة بلي معلم الأولين، ينسب إلى النجم الثالث من نجوم بنات نعش، وعدد أيامه عشرة أيام يبدأ من 16 آب حتى 25 آب.
الرابع الثانية	الرابع الثانية	ترزع فيه الذرة البيضاء والحرماء في وادي زيد ورمع .	الرابع الثانية	حبيب ، زيد المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 154 .	الرابع الثانية: معلم زراعي في تهامة مدته 13 يوماً يبدأ من آب .
موسم الست	موسم الست	يزرع في هذا المعلم نوع من الذرة يسمى الست في وادي سردد ووادي مور .	موسم الست	شجاب ، مرجع سابق ، ص 1495 .	الست: موسم زراعي في تهامة ينسب إلى السادس بنات نعش، مدته 22 يوماً، يبدأ من 10 . 31 من شهر آب .
الخامسي	الخامسي	يزرع في هذا المعلم كل ما يزرع في الرابع الثانية ، إضافة إلى زراعة السمسم .	الخامسي	حبيب ، مرجع سابق ، ص 154 ؛ المنديعي ، مرجع سابق، ص 103 .	الخامس: معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجم الخامس من بنات نعش الكبرى، ومدته 14 يوماً في مناطق جنوب تهامة ، يبدأ من 8 . 21 من الشهر ، أما في شمال تهامة فمدته 15 يوماً ، من 21 آب حتى 3 أيلول .
أيلول(سبتمبر)	السادس	تصلح فيه معظم أنواع المحاصيل، كالهند والدخن والقطن والسمسم، إلا الشب فإنه يضعف وتقل ثمرته.	السادس	شجاب، مرجع سابق، ص 1492 .	السادس: معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجم السادس من بنات نعش، وعدد أيامه 5 أيام يبدأ من 5 . 10 أيلول.
السابع	السابع	يزرع في هذا المعلم نوع من الأشرف، ملح الملاحة	السابع	السابع : نسبة إلى النجم	

، مرجع سابق ، ص 67 . 68 .	السابع من بنات نعش ، عدد أيامه 14 يوماً من 14 أيلول في وادي زبيد ورمع والمناطق الجنوبية من تهامة، أما في مناطق شمال تهامة فعدد أيامه 15 يوماً من 29 أيلول .	الذرة في وادي مور تسمى الثوري، ويزرع فيه الدخن والدجرة، والسمسم ، والقطن، والذرة الشامية .		
المرجع نفسه، ص 68 حبيب، مرجع سابق ، ص 154 .	السابعي : معلم زراعي خاص بوادي زبيد ورمع، مدته 18 يوماً من 19 أيلول . حتى 6 تشرين أول .	تزرع فيه معظم أنواع الذرة، وبخاصة الذرة البيضاء والتي تسمى في هذا المعلم سابعي .	السابعي	

2- المحاصيل الزراعية في تهامة:

تمت الإشارة سابقاً إلى أن تهامة تمتلك من المقومات ما يجعلها من أهم المناطق الزراعية في اليمن، حيث تتتوفر فيها مصادر المياه والتربة الخصبة والأيدي العاملة، مما كان لهذه العوامل الأثر المباشر على تنوع المحاصيل فيها، التي تتمثل فيما يلي :

أولاً - الحبوب:

تمثل الحبوب المنتج الزراعي الأول في اليمن حيث يُعد من أهم مصادر الغذاء للإنسان والحيوان، إذ تحتوي بذورها الجافة على نسبة عالية من النشا تقدر بنحو 70 % إضافة إلى بعض البروتينات والدهنيات، كما أن سيقانها تقدم كغذاء للحيوانات⁽¹⁾.

تقدير المساحة المزروعة بالحبوب بـ 90 % من جملة المساحة المزروعة باليمن، بينما تساهم بقية المحاصيل الأخرى بالنسبة الباقيه، ويرجع ذلك إلى أن زراعة محاصيل الحبوب لا تتطلب الماء الكثير، فهي تزرع بزراعة بعلية في الغالب (أي بماء المطر)، إلى جانب أهميتها الغذائية للسكان باعتبارها الغذاء الأساسي لهم، وغذاء رئيسي لحيواناتهم⁽²⁾.

1- للتوكل، إسماعيل محمد وآخرون : الزراعة والمحاصيل في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط2، 2003، مج2، ص1470.

2- العطار، مرجع سابق، ص 197.

وفي تهامة تعد محاصيل الحبوب هي الزراعة السائدة، حيث تزرع فيها جميع أنواع الحبوب عدا القمح والشعير، لعدم توفر الظروف الطبيعية الملائمة لزراعة هذين المحصولين، تزرع محاصيل الحبوب في تهامة على أنظمة الري المختلفة وفي جميع الأراضي المطيرية، والمروية بالسيول، والمروية من الآبار⁽¹⁾.

ومن أهم محاصيل الحبوب التي تزرع في تهامة مailyi :

1 - الذرة الرفيعة:

تُعد الذرة الرفيعة من محاصيل الأقاليم المدارية والمعتدلة على حد سواء، وأنسب درجة حرارة نموها هي من 25 . 30 درجة مئوية، هذا الظرف متوفّر في تهامة، حيث يتراوح المدى السنوي لدرجة الحرارة فيها ما بين 25 . 34 درجة مئوية⁽²⁾.

تُعد الذرة الرفيعة مادة الغذاء الأساسي لمعظم سكان تهامة، حيث تستخدم حبوبها في غذاء الإنسان، وساقانها كأعلاف للحيوانات إلا أنه في الآونة الأخيرة تضاءلت أهمية هذا المحصول كغذاء للإنسان، بسبب تعدد الأنماط الغذائية، ودخول القمح في تركيبة العديد من أصناف الغذاء التي كانت الذرة عمادها الأساسي، وعلى الرغم من ذلك لا تزال أهمية الذرة كعلف للحيوانات في تزايد مستمر، كما أن أهميتها لا تزال تشكل حيزاً لا جدال فيه⁽³⁾.

تتميز الذرة الرفيعة بخاصية استمرار نموها بعد حصادها لعدة مرات، حيث يمكن أن تعطي 3 . 4 محاصيل (أعاقاب) بعد الحصاد الأول، فضلاً عن أنها لا تتطلب عمليات زراعية كبيرة، حيث تحرث الأرض مررتين بواسطة محرك يجره ثور، الأولى لترطيب التربة وتسمى في تهامة (بالترويب)، والثانية بعد سقوط المطر أو الري وفيها تذر البذور وتسمى (التتيم)⁽⁴⁾.

أما الأصناف المزروعة من الذرة الرفيعة في تهامة فهي القيرع، والزعر، والذرة الحمراء، والشاحبي⁽⁵⁾. ففي وادي سهام يزرع حوالي 80% من المزارعين صنف الزعر، و20% صنف

1- الوشلي، يحيى أحمد حسين : محافظة الحديدة (دراسة جغرافية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة صنعاء . كلية الآداب، 1989م ، ص 229 .

2- المخاهد، عبد الله محمد: إنتاج المحاصيل، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1986م ، ص 74 .

3- مكرد، مرجع سابق ، ص 45 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 51.

5- مكرد، مرجع سابق، ص 47 .

القيرع، أما في وادي مور فيزرع صنف الحمراء بنسبة 23%， والقيرع بنسبة 47%， والزعر بنسبة 30%⁽¹⁾.

تختلف إنتاجية الهاكتار من الذرة الرفيعة في أراضي تهامة، تبعاً لنوع التربة وكمية المياه، كما تختلف تقديرات المزارعين، وقد يكون مصدر هذا الاختلاف عدم توحيد المقاييس والمكاييل عند مزارعي تهامة، إلا أن متوسط الإنتاجية في فترة الدراسة هو مابين 0,5 . 0,8 طن / هكتار، هذه الإنتاجية تزيد في الأراضي المروية، حيث تقدر منظمة الأغذية والزراعة متوسط إنتاجية الذرة الرفيعة في منطقة وادي زيد مابين 0,5 . 1,6 طن / هكتار⁽²⁾. أما أهم المناطق التهامية التي تجود بزراعة الذرة الرفيعة فهي زيد، وبيت الفقيه، وباجل، والزیدية، واللحية، وميدي، وحيس⁽³⁾.

2- الدخن:

بعد الدخن المحصول الثاني من حيث الأهمية في مختلف مناطق سهل تهامة، حيث يعتمد عليه أغلب السكان في غذائهم اليومي، كما تستخدم سيقانه الخضراء والجافة كأعلاف للحيوانات⁽⁴⁾. يمتاز محصول الدخن بأنه أكثر تحملًا للجفاف، حيث أن احتياجاته للماء قليلة، فهو يزرع في الأراضي المطيرة والمروية، وتنشر زراعته أكثر في الكثبان الرملية (الخبوت)، وتتصدر تهامة الدرجة الأولى من مناطق اليمن من حيث المساحة المشغولة بزراعة محصول الدخن، والتي تقدر بحوالي 64% من المساحة الكلية المزروعة سنوياً⁽⁵⁾.

أما الأصناف المزروعة من الدخن في تهامة، فهي الدخن البلدي ويطلق عليه في تهامة باسم (بكاري)، وصنف آخر يطلق عليه خبتي، أما الصنف الثالث فيسمى تهامة 1، وتتراوح إنتاجية الهاكتار من الدخن على النحو التالي⁽⁶⁾:

الصنف	الإنتاجية / طن / هكتار
دخن تهامة 1	1 . 0,9
دخن بلدي (بكاري)	1 . 0,9

1- الوشلي، مرجع سابق ، ص 232 .

2- جعفر، مرجع سابق، ص 52 . 51 .

3- الويسي، مرجع سابق ، ص 106 .

4- مكرد، مرجع سابق ، ص 61 .

5- الوشلي، مرجع سابق ، ص 232- 233 .

6- مكرد، مرجع سابق، ص 62 . 61 .

ينضج محصول الدخن بعد فترة ثلاثة أشهر من زراعته، ويتم حصاده في تتابع يومي، بخلع كل العناقيد الناضجة تباعاً، وستمر هذه العملية شهر على الأغلب، وتترك عيدانه بعد قطف السبابل فترة تالية لحماية التربة من الانجراف⁽¹⁾.

بعد انتهاء حصاد السبابل تجمع في مكان واحد وتترك لتجف من 3 - 5 أيام ، ثم تدرس(تضرب) بواسطة أداة خشبية معقوفة من الأعلى تُعرف في تهامة بالحنية (المخطب)، وذلك لفصل الحب عن السبابل، ثم توضع في أكياس كبيرة وتنتقل إلى المخازن بعد تسويق الفائض⁽²⁾.

3- الذرة الشامية:

تحتل الذرة الشامية المرتبة الثالثة من بين محاصيل الحبوب المزروعة في تهامة، وتستخدم كغذاء للإنسان والحيوان، وأحياناً تزرع من أجل الحصول على العلف وبخاصة في الحديدة التي تفتقر للمراعي الطبيعية⁽³⁾.

تنتشر زراعة الذرة الشامية في الأراضي المروية بالسيول والينابيع ومياه الآبار ، حيث تحتاج إلى الري الدائم والذي يصل إلى 7 رياط، ويلجأ بعض المزارعين في تهامة إلى زيادة عدد الريات مع تقليل كمية الماء في كل رية، لأجل أن تبقى التربة في حالة رطوبة مستمرة، لتقليل الإصابة بالحشرات، التي يمكن أن تلحق الضرر بالمحصول في مختلف مراحل عمره ، وَعُد الأصناف المحلية من الذرة الشامية أجود الأنواع ملائمة لظروف المنطقة، والتي تتميز بوفرة الإنتاج، ونقاوة بنورها، والتي يصل إنتاجها إلى 2 طن/ هكتار⁽⁴⁾.

ثانياً - المحاصيل النقدية وتشمل مايلي :

1- القطن:

يعود تاريخ بداية زراعة القطن في سهل تهامة إلى عام 1951، فهو من المحاصيل الحديثة في تهامة، حظي هذا المحصول باهتمام كبير من قبل الإمام أحمد يحيى حميد الدين وبعضاً من تجار تهامة⁽⁵⁾، بسبب الأرباح النقدية التي حصلوا عليها من زراعته⁽¹⁾.

1- جعفر، مرجع سابق، 52.

2- مكرد، مرجع سابق ، ص 66 .

3- الوشلي، مرجع سابق، ص 234 .

4- الوشلي، مرجع سابق، ص 236 .

5- من أبرزهم : الناجر علي محمد الجبلي ، والناجر حسين غالب الوجه .

يصنف القطن من نباتات الأقاليم المدارية التي تتطلب حرارة مرتفعة طوال فترة نموها ونضوجها، وتعد درجة الحرارة 21 - 29 درجة أفضل الدرجات الحرارية الملائمة لإنبات المحصول، هذه الخاصية تتتوفر في إقليم تهامة طوال العام، وهو من محاصيل التصدير الرئيسية، ويحتوي على أهم الألياف التي كانت تستخدم في صناعة المنسوجات وأكثرها استهلاكاً⁽²⁾.

بعد الصنف أكالا هو الصنف الوحيد المنتشر في سهل تهامة، وهو متوسط التيلة، ويستمر نموه في الحقل بين خمسة إلى ستة أشهر، تتراوح إنتاجيته ما بين 2.1 طن / للهكتار⁽³⁾.

يتميز هذا الصنف بزيادة نموه الخضري، وارتفاع شجيراته، وكبر حجم لوزاته، وميل زهوره إلى اللون الأبيض أكثر منها للون الأصفر، ونظراً لاعتماد محصول القطن في تهامة على عنصر الري، لذا تتركز مساحات زراعته عند مخارج الوديان، وبعض المناطق الجيدة التربة التي تسقى من الآبار⁽⁴⁾.

يتراوح عدد مرات ريه ما بين خمس إلى ثمان ريات طوال فترة نموه، وفي ظروف الري من الوادي تروي الأرض ريتين غزيرتين قبل الزراعة، ثم تعطى رية أخرى عند مرحلة التزهر، يتم جني المحصول عند تفتح اللوز، ويكون الجني على دفعات مع الحفاظ على نظافة الأقطان المجنية من بقايا النباتات والأثرياء والأوساخ، تصل مرات الجني إلى ثلاثة جنيهات بين كل جنيه وأخرى عشرة أيام، وقد تمتد فترة الجني إلى شهر ونصف⁽⁵⁾.

خلاصة القول: أن القطن في تهامة يمثل مصدراً اقتصادياً يمكن عن طريقه تنمية اقتصاد البلد فهو بوصفه محصولاً ممتازاً يتلاءم مع ظروف المنطقة، وإن بذل أي مجهود في سبيل تنمية الموارد المائية سوف يزيد من المساحة المزروعة منه في سهل تهامة .

2- السمم (الججلان) :

يلي القطن من حيث الأهمية الاقتصادية والنقدية، فهو من أهم وأقدم المحاصيل الزيتية المنتشرة في سهل تهامة، ترجع أهميته إلى احتواء بذوره على نسبة عالية من الزيت والذي يصل إلى 60 %، فضلاً عن احتوائه على نسبة مرتفعة من البروتين تبلغ 25%， ويتميز أيضاً بأنه

1- عمر، مرجع سابق، ص 131.

2- الوشلي، مرجع سابق، ص 236.

3- مكرد، مرجع سابق ، ص 71 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 53.

5- مكرد، مرجع سابق، ص 73 - 74 .

سهل الاستخراج والتتقية ويحتفظ بطعمه وجودته لمدة طويلة، يستخدمه السكان كغذاء من خلال بذوره التي تنشر فوق الخبز والمعجنات، كما يستخدم في بعض الجوانب العلاجية كمرطب للبشرة، وملين للأمعاء، ولملطف للأغشية المخاطية ومفيد للجهاز الهضمي^(١).

ينمو محصول السمسم في أغلب أنواع الترب المنتشرة في سهل تهامة، عدا التربة الرملية، وتعد التربة الرسوبيّة متوسطة القوام، والتربة الطينية الخفيفة من أنساب الترب التي ينمو فيها محصول السمسم، أما طريقة ريه فيعطي المحصول في تهامة أربع إلى خمس ريات من الآبار، أي بواقع رية كل عشرين يوما بما فيها رية الزراعة، أما في حالة الري من الوادي يعطى المحصول رية واحدة أو ريتان قبل زراعته، ولا يسقى بعد ذلك حتى موعد الحصاد، حيث تكفي الرطوبة المتوفرة في التربة المحصول طوال موسم النمو الذي يصل إلى تسعين يوما، أما أصنافه الموجودة في تهامة فتنتشر الأصناف المحلية التي تتميز بالجودة العالية، واللون الذي يميل مابين البني والأحمر، ووفرة إنتاجه الذي يقدر مابين 600 - 700 كجم / للهكتار^(٢).

تم عملية جني المحصول قبل وصوله لطور النضج حتى لا تتفرط البذور، فقطع النباتات وتجمع في صورة حزم وتترك في الحقل لتجف مدة خمسة أيام، بعد تمام جفافها توضع في هيئة أكواخ مخروطة على أرض مفروشة بقمash، يتم عليها انفراط القرون، تؤخذ حزم النباتات وتهز بقوة حتى تتساقط البذور، وتضرب الثمار التي لم تتفتح بالعصي، بعدها يتم تنقية المحصول من الشوائب، ويعبا في أكياس وتنتقل للخزن أو التسويق^(٣).

3- التبغ (التباك) :

بعد التبغ ثالث المحاصيل الزراعية النقدية في سهل تهامة، رغم أن المساحة المزروعة منه قليلة، حيث يزرع في كل اليمن حوالي 3400 هكتار سنويا، تزرع في تهامة التبغ الشرقية السوداء التي تستهلك محلياً في المداعة (الأرجيلة)^(٤). تعتمد المساحة المزروعة منه في تهامة على الري من الآبار، حيث يرى رياً غزيراً لثلاث مرات طوال فترة نموه، تزرع شتلاته في يوليو/تموز ، ويتم نقلها إلى أراضي الزراعة في أكتوبر/تشرين أول^(٥).

1- الأفضل، مرجع سابق، ص 165.

2- مكرد، مرجع سابق، ص 75 - 77.

3- جعفر، مرجع سابق، ص 55 ؛ الأفضل، مرجع سابق، ص 172.

4- مكرد ، مرجع سابق ، ص 79 .

5- جعفر، مرجع سابق، ص 55.

عند بداية نضج المحصول يتم تصويمه (أي قطع الماء عنه)، وتكسير أوراقه السفلية، وتترك لمدة عشرة أيام حتى تجف، ثم تجمع وتخزن في مكان رطب بعيداً عن حرارة الشمس المباشرة، بعدها يكون المحصول جاهزاً للبيع، حيث يعبئ في كرابيس مصنوعة من الحصير ويتم تسويقه واستهلاكه محلياً ضمن عمليات مضخ القات اليومية⁽¹⁾.

ثالثاً - البقوليات:

يزرع في سهل تهامة عدد من البقوليات أهمها: الـدجره (اللوببا)، والـهندية (الـلبـلـاب)، والـعـتر (الـبـازـلـاء)، وتزرع إما مختلطة مع محاصيل أخرى كالذرة والدخن، أو منفردة في الكثبان الرملية، وتستخدم حبوب هذه المحاصيل كغذاء للإنسان، كما يتم استخدام مجموعها الخضري كعلف للحيوانات لاحتوائه على نسبة عالية من البروتين، أما الأصناف التي تزرع في تهامة فهو الصنف البلدي الذي يتراوح إنتاجيته بين 400 - 500 كجم / للهكتار تحت ظروف الزراعة المطرية في مناطق الكثبان الرملية، وقد تصل إنتاجيته إلى 900 . 1000 كجم / للهكتار تحت ظروف الري من الآبار أو السيول⁽²⁾.

رابعاً - الفواكه والخضار:

تزرع في تهامة العديد من الفاكهة كالـحـمـضـيـات، والـمـوز، والـمانـجو، والـجـوـافـة، والـبـابـاي، والـتـمـور . تُعد فاكهة الموز من أهم أنواع الفواكه المنتشرة في سهل تهامة، ذلك لتوفرها على مدار العام، وبأسعار معقولة تمكن مختلف فئات المجتمع من شرائها، وهي من الفواكه ذات القيمة الغذائية لاحتواء ثمارها على نسبة عالية من السكريات، والأملاح غير المعدنية⁽³⁾. ونظراً لكثرة احتياجاته المائية، فإنه يعتمد على الري من الآبار والسيول، وأكبر مساحة له تقع في وادي رمع وزبيد⁽⁴⁾.

1- مكرد، مرجع سابق ، ص 82 .

2- المرجع نفسه، ص 67 .

3- الأفضل، مرجع سابق، ج 3، ص 129.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 57 .

كما تزرع فاكهة المانجو التي تعود على المزارع بفوائد كثيرة من خلال تصديرها، وتعتبر مصدراً مهماً لفيتامين (أ)، مع وجود نسبة قليلة من فيتامين (ب، ج) ⁽¹⁾.

ومن بين أنواع الفاكهة المزروعة بصورة تجارية في تهامة نخيل البلح، التي تتركز زراعته على امتداد الشريط الساحلي لسهل تهامة، من جنوب محافظة الحديدة حتى وادي موزع في محافظة تعز، تتركز زراعة النخيل عند مخارج الوديان، وأكبر تركز لمساحاتها في غرب مدينة زبيد ⁽²⁾. تشير الدراسات إلى أن المساحات المزروعة في سهل تهامة بالنخيل تمثل حوالي 97% من إجمالي المساحات المزروعة بالنخيل في شمال اليمن ⁽³⁾.

يتراوح عدد أشجار النخيل في سهل تهامة ما بين 2,5 . 3 مليون نخلة، بمتوسط كثافة 180 شجرة في الهاكتار الواحد، كما يوجد أكثر من 35 صنفاً من التمور وهي : ((بوم، بطاطي، باثور، بقعي، ثعل، جيري، عنيبي، جهراء، حقبى، خضارى، خفوش، ديري، دليل، دباش، ذكور، زتكى، غبلى، صعفانى، طبىقى، عرجى، عجوة، قوفل، قيرعان، لبان، مقري، مقصاب، شهر، مخلص، مجازية، مدینى)) وبعد صنف المناصف (ثعل) أكثر الأصناف انتشاراً في سهل تهامة، حيث ينتشر بنسبة تزيد عن 90%， يليه في الأهمية أصناف أقل انتشاراً وهي الطبقي، والحضارى، والعنبى، والعرجى، والبطاطى، والخفوش ⁽⁴⁾.

أما الزراعات الأخرى من الفاكهة، فلا تتجاوز ما بين الربع والنصف هكتار، يزرع معظمها بجانب الآبار، ويتم تسويق معظمها داخل البلد ⁽⁵⁾.

كما يزرع في سهل تهامة أنواع من الخضار أهمها: الطماطم، والبصل، واللفلف الحار، والبامية، والحبب (البطيخ الأخضر)، الذي يزرع على وجه الخصوص في الجزء الشمالي من تهامة وفي أقصى الجنوب، كما تزرع الكوسة، والخيار، والملوخية، والشمام (الأناناس) ⁽⁶⁾.

2- الإنتاج الحيواني في تهامة :

1- مكرد، مرجع سابق، ص 138 .

2- عبد الحافظ، عبد القوى: وضع النخيل في الجمهورية العربية اليمنية، مجلة تهامة والتنمية الزراعية، الهيئة العامة لتطوير تهامة، ع (4)، 1987م، ص 63.

3- المرجع نفسه .

4- مكرد، مرجع سابق ، ص 160 . 161.

5- جعفر، مرجع سابق، ص 56.

6- هارون، مرجع سابق، ص 285 . 286.

تُعد الثروة الحيوانية أحد الركائز الأساسية للاقتصاد الزراعي في تهامة، فهي جزء لا يتجزء من النشاط الزراعي في المنطقة وعانياً مهماً للتنمية الزراعية، كما تعد مصدراً من مصادر الغذاء البروتيني للسكان، والمصدر الحيوي للدخل لدى بعض المزارعين، فهي مصدر للحوم والألبان والزبدة والجبن، كما تستخدم للحراثة والأعمال الزراعية، حيث تُربى الأبقار للحصول على الألبان ومشتقاتها، وللقيام بالأعمال الزراعية المختلفة كما تُستخدم الإبل والحمير للأعمال الزراعية أيضاً، ونقل الأغراض، علاوة على ذلك الفوائد فإن منتجاتها تشكل لدى بعض الفلاحين في تهامة مصدر الدخل الوحيد للإنفاق على الأسرة، كما أن عائد بيعها يستعين به الفلاحين على مواجهة الضائقة المالية، ومواجهة متطلبات الزراعة وتحضير الأرض وشراء البذور والحراثة، لذلك فهم يبذلون جهودهم في تسمينها ورعايتها لوقت الحاجة⁽¹⁾.

وبالرغم من هذه الأهمية التي تمثلها الثروة الحيوانية للمزارعين في تهامة، إلا أن أعدادها كانت تتناقص يوماً بعد يوم ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها:

1- قلة المراعي الطبيعية التي تعتمد على مياه الأمطار، حيث يكون نصيب الحيوانات منها مخلفات الزراعة من المجموع الخضري، ولذا فإن أعداد الحيوانات في أوقات الجفاف في تهامة تتناقص بسبة كبيرة، بسبب تسويقها إلى المناطق الجبلية الأخرى وبيعها في الأسواق، وذلك نتيجة لقلة المراعي⁽²⁾.

2- انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكـة التي تقضي على كثير من الثروة الحيوانية، وعدم توفر الرعاية البيطرية في مواجهة هذه الأمراض، ذلك مثل ما حدث في عام 1950 . 1951 ، حيث جاءت هذه الإـمراض على معظم الحيوانات في تهامة، وأدت إلى موت كثير منها. ومن أهم هذه الأمراض: () الحمى القلاعـية، وجدرـي الأـغنـام، والسل، والـلاتـهـابـ الرئـويـ، والـتهـابـ الـضرـعـ، وأـمـراضـ الدـوـدـةـ الـكـبـيـةـ ()⁽³⁾.

وتتمثل الثروة الحيوانية في تهامة بما يلي:

1- حبيب، مرجع سابق، ص 164.

2- مكرد، مرجع سابق ، ص 170 .

3- جعفر، مرجع سابق، ص 60 . 61

1- الماشية (الأبقار) : تتميز الأبقار في تهامة بوجود سنام لها فوق الأكتاف ، وذو قرون قاتمة قصيرة ، وألوانها متعددة مابين الرمادي والبني والأحمر ، والأسمر المنقط بالأبيض⁽¹⁾ . كما تتميز بأحجامها الصغيرة ، وقدرتها على احتمال درجة الحرارة والرطوبة الموجودة في المنطقة ، يستخدمها الفلاح للعمل في حراثة الأرض ، كما أنها مصدر للمشتقات الغذائية كالألبان والزبدة والجبن ، تتغذى على قصب الذرة الخضراء واليابسة⁽²⁾ .

2- الأغنام : تعد الأغنام الموجودة في تهامة من النوع الصغير ذو اللون الأبيض ، يعطي جسمها طبقان من الألياف ، السفلية من الصوف القصير ، والعلوية من الشعر المتوسط الطول ، وتتميز بغلظة ذيلها ، وألوانها البيضاء التي تميل للصفرة ، كما توجد بعض الأغنام ذو اللون الأسود في جنوب تهامة قرب منطقة المخا ، يبلغ متوسط وزنها من 22 - 28 كجم ، وتتغذى على المراعي الطبيعية بصفة أساسية⁽³⁾ .

3- الماعز يُعد الماعز أكثر حيوانات تهامة صحة ونشاطا ، ويعطي جسمها شعر ناعم قصير ، وتتميز بقرون طويلة في الذكر والأثني متوجهة للخلف مع وجود زؤائد لحمية أسفل الرأس ، ويغلب عليها اللون الأسود والبني الأحمر⁽⁴⁾ .

تنتشر الماعز بكثرة في وادي مور وتسمى بالماعز الموري ، وتتميز بصغر حجمها ، وشعرها القصير وبلونها الأبيض المخلوط ، وفي وادي سردد تسمى بالسردية ، وتتميز بلونها الأحمر الخليط وشعرها القصير ويعُد هذا النوع من أكبر سلالات الماعز حجماً في اليمن ، كما تتميز بالنمو السريع⁽⁵⁾ .

4- الإبل (الجمال) : تتنمي الإبل في اليمن إلى المجموعة ذات السنام الواحد التي تنتشر وتتوزع في المناطق الصحراوية ، والسهول الساحلية ومنها سهل تهامة⁽⁶⁾ ! أدت الإبل دوراً مهماً في النشاط الاقتصادي ، فهي وسيلة مهمة لنقل المحاصيل الزراعية والفواكه إلى أسواق المدن ، كما

1- مكدر، مرجع سابق، ص 173 .

2- جعفر، مرجع سابق، 58؛ المندعي، مرجع سابق ، ص 125 .

3- المتقى، إسماعيل: الثروة الحيوانية في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ/1992م، ج، 1، ص 291.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 59 .

5- مكدر ، مرجع سابق ، ص 173 .

6- المتقى، الثروة الحيوانية، مرجع سابق، ص 293-294 .

كانت تستخدم في تهامة للحرث ورفع المياه من الآبار ، ونقل البضائع التجارية والحجيج ^(١). ويغلب عليها اللون الأبيض والبني المائل للبياض، عكس إبل المنطقة الجبلية التي يغلب عليها اللون البني الداكن أو القريب من الأسود ^(٢).

5- الحمير : كانت الحمير مهمة للمزارعين في أرياف تهامة ولازالت خصوصاً في نقل المحاصيل من الحقول إلى القرى، وإلى أسواق المدن المجاورة، يستخدمها الفلاح أيضاً للحرث، وزرع المياه من الآبار في بعض الأحيان، ويتميز الحمار في تهامة بالقزامة ويغلب على لونه السواد ^(٣).

ثانياً- الصناعات الحرفية في تهامة اليمن (1918-1962) :

تمتعت بلاد اليمن منذ القدم بشهرة عالية في صناعاتها المتنوعة، التي لم تقصر على منطقة بعينها، بل وجدت تارة مجتمعة وتارة متفرقة في العديد من المدن اليمنية، كما اشتهرت بعض المدن بصناعة دون غيرها، حتى أصبح يطلق اسم الصناعة على المدينة التي اشتهرت بصناعتها مثل الفخار الحيسى الذي ينسب إلى مدينة حيس. ومما تجدر الإشارة إليه أن اليمن أثناء فترة الدراسة كان مكتفياً ذاتياً بصناعاته الحرفية، والتي كانت غايتها موجهة لأجل الاستهلاك المحلي، عدا الجلود والبن الذي كان يصدر جزء منه إلى الخارج. إلا أنه وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الصناعات الحرفية التقليدية في اليمن ومنه تهامة تتدحر شيئاً فشيئاً ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها ^(٤):

1- منافسة السلع الرخيصة المستوردة من الدول الصناعية الأوروبية التي غزت الأسواق اليمنية بعد الحرب العالمية الثانية، فأغرقت أسواقها بالمصنوعات الأجنبية، وأدى ذلك إلى تدهور

1- المندعي، مرجع سابق، ص 125.

2- جعفر، مرجع سابق، ص 59.

3- المندعي، مرجع سابق، ص 127.

4- الشرجي، الشراح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 40.

المصانع التقليدية، وانقراض أخرى، فعلى سبيل المثال تقلص عدد مصانع الصباغة من مئة وخمسين مصنعاً في تهامة إلى ثمان مصانع مع بداية عام 1962 .

2- ارتباط المؤسسات التجارية الاحتكارية من قبل أفراد الأسرة الحاكمة وأقربائهم من التجار بالسوق الخارجية، أدى ذلك أيضاً إلى تحطيم الصناعات الحرفية وبالتالي إلى فقدان الاعتماد على الذات مما أدى إلى مزيد من الاعتماد على المصنوعات الأجنبية المستوردة .

وتُعد تهامة من المناطق التي اشتهرت بالعديد من الصناعات الحرفية التقليدية، ويرجع ذلك إلى توفر العوامل البشرية المتمثلة بالأيدي العاملة، وتتوفر المواد الخام الزراعية والحيوانية التي كانت الأساس في قيام هذه الصناعات التي اشتهرت بها تهامة منذ القدم واستمرت حتى فترة الدراسة . ومن أهم هذه الصناعات الحرفية مايلي :

1- صناعة المنسوجات :

صناعة المنسوجات من أهم الصناعات التي كانت تنتشر في مناطق تهامة، ومما ساعد على قيام هذه الصناعة وانتشارها توفر المواد الخام اللازمة لها ، والمتمثلة بالقطن والكتان الذي كان يزرع حول أودية تهامة، وصوف وشعر الماعز ونباتات الصباغة المحلية ⁽¹⁾ ، بالإضافة إلى استيراد جزء بسيط من المواد الخام من بلدان جنوب شرق آسيا (كالهند والباكستان) ⁽²⁾ .

نالت هذه الصناعة المكانة الأولى في اليمن بشكل عام وفي تهامة بشكل خاص، وذلك لما كانت تدره من أرباح على أصحابها، حيث قدر الإنتاج السنوي الكلي للمنسوجات أثناء فترة الدراسة في اليمن بـ 137 ألف متر ⁽³⁾.

وقد تعددت أنواع المنسوجات التي كانت تصنع في تهامة فمن أشهرها:

أ- البرود: وهي التي تعرف بالبرود اليمانية، اختص بصناعتها عدد من المدن التهامية، مثل زيد وبيت الفقيه والحديدة والدريهمي، وكانت تصنع من القطن أو الحرير أو من كليهما معاً ، وكان طول الواحد منها ثمانية أذرع، وعرفت بعض البرود باسم المنطقة التي صُنعت فيها مثل البرود الزبيدية نسبةً إلى زيد⁽⁴⁾.

1- عسيري، مرجع سابق، ص 102.103.

2- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صناعة، ط 1، 1412هـ / 1992م، ج 2، ص 576.

3- العطار، مرجع سابق، ص 212.

4- المنذعي، مرجع سابق، ص 256 - 257.

بـ- الثياب: صنعت في تهامة العديد من الثياب، مثل الملابس والجراب التي كانت تصنع من القطن الخالص، والمعاجر التي يحتزم بها الرجل على وسطه، والملاحف وهي ما يلبس فوق سائر اللباس، ونوع من الثياب تسمى القطائف، حيث كانت زبيدة من أشهر المراكز في صناعة هذا النوع الذي تميز بالجودة والوفرة كما كانت تُصنع الفوط والمآزر والمخاد والفرش^(١).

وقد اشتهرت بعض الأسر في تهامة بصناعة نوع معين من المنسوجات كأسرة الغشيمي التي اشتهرت بصناعة الوسائل الغشيمي المتعدد الألوان، وأسرة عبود التي اشتهرت بصناعة الوسائل العبودي^(٢).

جـ- الحرير: تميزت تهامة بجودتها في صناعة المنسوجات الحريرية، والتي كان منها شقق الحرير الأبيض، ونوع يسمى البيرم، وهو نوع من المنسوجات طول الواحد منه ستة أذرع، والسباعيات من الأردية وطوله سبعة أذرع وعرضه أربعة أذرع، وكان على نوعين من الحرير الخالص، وحرير مخلوط بالقطن والكتان^(٣). وقد اشتهرت المنسوجات الحريرية التي تنتجها زبيدة باسم القماش الزبيدي^(٤).

كما كانت تصنع من المنسوجات فرش من القطن خاصة بالعروض، حيث جرت العادة في تهامة أن العروس لا تُزف إلى بيت الزوجية إلاً ومعها فراش خاص مصنوع من القطن ووسادتين، فضلاً إلى ما يلزمها من ملابس، ولازال هذا التقليد سارياً حتى عصرنا الحالي، رغم استبدال هذه الفرش بالإسفنج المستورد ويسمى فرش عرائسي^(٥).

كانت أهم مراكز هذه الصناعة تنتشر في مدينة زبيدة التي اشتهرت بقدمها في هذه الصناعة والتي استمرت إلى فترة الدراسة، حيث بلغت معامل المنسوجات فيها 150 معملاً يدوياً^(٦).

1- الحضرمي، زبيدة مساجدها ومدارسها، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، (د.ط)، 2000، ص 26 .

2- هارون، مرجع سابق، ص 219 .

3- الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 363 .

4- حماد، أسامة أحمد: مظاهر الحضارة في اليمن، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1425هـ/2004، ص 316 .

5- مقابلة شخصية مع الأستاذ / عبد الحبيب الذبحاني، بتاريخ 2009/5/15 .

6- الحضرمي، تحامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 363 .

كما اشتهرت بيت الفقيه⁽¹⁾ بمنسوجاتها الجميلة المتنية المصنوعة من الحرير والقطن⁽²⁾، حيث بلغ عدد معامل الحياكة فيها 100 معمل يدوى، وما يدل على شهرتها بهذه الصنعة تسمية إحدى حاراتها بحارة الحوك حيث لا تزال هذه التسمية إلى يومنا هذا، ولم يبق من معامل الحياكة فيها إلا الجزء اليسير⁽³⁾، ومدينة الحديدية التي كان بها أثناء فترة الدراسة عشر مشاغل يدوية لتطريز الشيلان بالحواشي الزخرفية، والعذبات، وقد بلغ عدد المشغلين بها 80 عاملًا⁽⁴⁾. والدربيمي⁽⁵⁾، التي وجد بها نحو 25 معملاً لحياكة المنسوجات حتى قيام ثورة سبتمبر / أيلول 1962⁽⁶⁾، ومنطقة المراوعة⁽⁷⁾، التي اشتهرت بصناعة نسج الفوط والبرود المتتوعة⁽⁸⁾.

أما أهم الأسر التي اشتهرت بمزاولة هذه الصنعة فتتمثل بما يليه⁽⁹⁾:

- 1- أسرة الغشيمي وعلى رأسهم عبد العظيم الغشيمي واحوانه من بعده، حيث اشتهرت هذه الأسرة بدقة صناعاتها حتى عرف إنتاجهم بالغضيمي .
- 2- أسرة علي عواض شطوط.
- 3- أسرة علي صالح عبود .
- 4- أسرة منصور علي قائد الوجيه .
- 5- أسرة المعافا وعلى رأسهم عبده معافا .

1- بيت الفقيه: هي إحدى مدن تهامة تبعد عن محافظة الحديدية بحوالي 62 كم في الجنوب الشرقي، تقع ما بين زبيد والهديدة على الطريق العام، تنسب إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجبل المنوفي سنة 690هـ، وهي حالياً إحدى مديريات محافظة الحديدية. أنظر: الحجري، مرجع سابق، مجل 2، ص 636.

2- زكريا، أحمد وصفي: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1406/1986، ص 86.

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 363.

4- جوساروف، مرجع سابق، ص 83-84.

5- الدربيمي : بلدة تهامية تقع شمال غرب مدينة بيت الفقيه، وبالجنوب من محافظة الحديدية ، بمسافة 20 كم ، يسكنها جماعة من السادة آل مقبول الأهلل. أنظر: الحجري، مرجع سابق، مجل 1، ج 2، ص 330. ؛ المحففي، مرجع سابق، ص 156.

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 364.

7- المراوعة : بفتح اللام والراء بلدة تهامية تقع بوادي سهام، على طريق الحديدية باجل، شرق مدينة الحديدية ، بمسافة 30 كم ، يعود تاريخ ظهورها إلى القرن الثالث الهجري . أنظر: الحجري، مرجع سابق، مجل 2، ج 4، ص 704.

8- زكريا، مرجع سابق ، ص 85.

9- هارون، مرجع سابق، ص 219.

كما اشتهرت أسر بصناعات معينة كالمفارات المحسوسة بالقطن ، واللحافات كاسرة بنى البيلم ، والجرهزي ، وبني النداف⁽¹⁾.

ومن خلال ما سبق يتضح أن صناعة المنسوجات التقليدية كانت تشكل رافداً اقتصادياً لكثير من سكان تهامة، حيث كانت تحتل المرتبة الأولى بين الصناعات الحرفية، وذلك لتوفر المواد الازمة لتلك الصناعة مثل القطن والحرير وصوف وشعر الماعز والذُّ ساج المهره ، وأنَّ هذه المنسوجات قد تعددت أنواعها مابين البرود ، والثياب ، والحرير وغيرها من المنسوجات القطنية التي اشتهرت بها تهامة في تلك الفترة .

2- الصباغة:

صناعة الصباغة في تهامة من الفنون التي قامت بها معامل بدائية ، والتي يتم بواسطتها صباغة القماش الأبيض بمادة النيلة ، التي كانت تستخرج محلياً من شجيرات الحور التي تكثر زراعتها في أودية تهامة⁽²⁾.

وتُعد منطقة التُّربة التي تقع شمال شرقى زيد المركز الرئيس لإنتاج مادة النيلة المحلية ، حيث يتم بيعه وتوزيعه على مصانع الصباغة في زيد وبيت الفقيه ، وقد ظلت مادة الحور هي المادة الخام الرئيسية لإنتاج الأصباغ في تهامة حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، حيث أدخلت تهامة مادة أخرى للصباغة ، كانت تستورد من الهند ، وهي مادة النيلة الزرقاء ، التي كانت تسمى بالإنديجو ، وكانت تأتي مطحونة ومعبأة في براميل⁽³⁾! وكانت تُعطى هذه المادة المستوردة للأقمشة لمعاناً ومتانةً حتى وصفت الأقمشة في زيد في تلك الفترة أذَّها ليس لها مثيل في اليمن ، من حيث الحسن الجودة⁽⁴⁾.

1- مقابلة شخصية مع الأستاذ/ عرفات حضرمي ، بتاريخ 23/4/2009.

2- الحداد ، عبد الله عبد السلام : مدينة حيس اليمنية (تاريخها وأثارها الدينية) ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 1999م ، ص 62.

3- الحضرمي ، تهامة في التاريخ ، مرجع سابق ، ص 364.

4- خليفة ، ربيع حامد: مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، مجلة الإكيليل ، ع (2)، السنة السادسة، 1988م، ص 52.

لم يقتصر استخدام الأصياغ في تهامة لتلوين المنسوجات والأقمشة فقط، بل كان يستخدم لتزين بعض الأواني الفخارية، كما استخدمته النساء في التزيين، حيث كانت تخلط الأصياغ بالعطور لتكتب الملابس رائحة عطرية⁽¹⁾.

ومما ساعد على انتعاش هذه الصناعة وانتشارها في تهامة، وبخاصة في زبيد وبيت الفقيه، توفر نبات النيلة (الحور) في سهل تهامة ، فضلاً إلى زيادة الطلب عليها، حيث بلغت مصانع الصباغة في زبيد عام 1936 مائة وخمسين مصنعاً ، وبلغ عدد العمال في كل مصنع ما بين 150 - 200 عامل⁽²⁾.

وقد انتقلت هذه الصناعة من زبيد إلى مناطق سهل تهامة بشكل عام، وبخاصة في بيت الفقيه والحدية والدريهمي، وكانت الأقمشة المصبوغة تُباع في المناطق الجبلية ذو المناخ البارد مثل صنعاء، وذمار، ولب، والبيضاء، وحجة، والعدين، وتعز، وصعدة⁽³⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان لكل مصبغة في تهامة علامة تجارية تميزها عن غيرها، يكتب عليها اسم التاجر وعلامته التجارية. وفي حالة حدوث تزوير لتلك العلامة التجارية فإن المحكمة تتولى حل مثل هذه القضايا، ويصدر بذلك حكم شرعي يقضي بتغريم المعتدي مبلغاً من المال، والتعهد بعدم التكرار⁽⁴⁾. مما يدلل على أن هذه الصناعة كانت مزدهرة حينها، وأن حقوق التصنيع كانت محفوظة .

كانت تلك العلامة التجارية تمثل بقطعة من الخشب، يوضع عليها اسم صاحب المصبغة، وعلامته التجارية الخاصة به، حيث تطبع هذه العلامة بمادة الصمغ المخلوط بمادة ذهبية⁽⁵⁾ . من هذه العلامات على سبيل المثال ما وجد في متحف قلعة زبيد على النحو التالي :

* ختم من الخشب على شكل نصف دائرة، بمقبض مستطيل، يظهر عليه في الواجهة شعار صاحب المصبغة واسمها، يغطي واجهة الختم زخارف على شكل فروع وأوراق نباتية متباورة،

1- حماد، مرجع سابق، ص 319 .

2- الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 678.

3- الحضرمي، تحفة في التاريخ، ص 364 .

4- هارون، مرجع سابق، ص 195 .

5- المرجع نفسه .

يتوسط الختم زخارف كتابية باسم صاحب المصبغة مكونة من ثلاثة اسطر نصها كما يلي :) (فاتح الخير قاصد، كريم محمد عامر، باعامر) (⁽¹⁾ .

* ختم من الخشب يشبه الطفرة، يمثل شعار المصبغة، يتوسط الختم خرطوش فيه كتابة بخط النسخ، مكون من سطرين نصه: () الواشق بالرحمن - أحمد عبده جuman) (⁽²⁾ .

تمر عملية الصباغة بمراحل، تبدأ باستخراج المادة الخام من أوراق أشجار الحور التي تكثر زراعتها في تهامة، حيث تجف هذه الأوراق، وتتقطع بالماء في وعاء كبير لفترة تستغرق ثلاثة أيام، بعدها يتم استخلاص مادة الصباغة التي تهبط إلى أسفل الإناء وبيعها ⁽³⁾. بعدها يقوم الحرفي بقطيع القماش المراد صباغته وتتقىعه بالماء الساخن لتصفيته وتنظيفه، وبعد التصفية يوضع القماش في إناء آخر مملوء ماء ومضافاً إليه مادة الصباغة، وبعض المواد المثبتة للون ⁽⁴⁾، وبعد لحرريك المستمر للقماش في الخليط، يصبح لونه مغبراً، ولكي يزداد لونه لمعاناً تكرر العملية، حتى يصبح لونه زاهياً، وبهذه الخطوات تنتهي عملية الصباغة ⁽⁵⁾ .

3 - الصناعات الفخارية:

عبرت صناعة الفخار عن تلبية حاجات الإنسان في اليمن، وهي من الصناعات الشائعة في البلاد، وقد تفنن أهل اليمن في صناعتها، فكانت أشكالها والرسوم التي نقشت عليها قد حملت دلالات رمزية مستوحاة من الطبيعة، وهي من أقدم الصناعات التي تركها الإنسان في اليمن .

وقد اشتهرت العديد من المدن اليمنية بجودة صناعاتها الفخارية والخزفية، وتعد مدن زيد وحيس التي كانت ولازالت من أهم المدن التهامية التي صنع فيها الفخار منذ فترة ما قبل الإسلام، وفترة الإسلام، وهو ما أكدته الألقى الأثرية، التي تم العثور عليها من خلال الحفريات والتقييّبات التي قامت بهابعثة الأثرية الكندية في مناطق حيس وزيد عام 1998⁽⁶⁾ .

1- نموذج موجود في متحف قلعة زيد إحدى مدن تهامة .

2- نموذج موجود في متحف قلعة زيد إحدى مدن تهامة .

3- هارون، مرجع سابق، ص 197-198 .

4- كمادة الصبر (المر)، وكمية من التمر أو السكر، ومادة من الصمغ.

5- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 365. ٤ هارون، مرجع سابق، ص 201-203 .

6 -Dr- Keel –The Bronze Agesitealal - Midammen Rerortes , director , Archeological misslon, Canada , Toronto, December, 2005, P. 140

وقد تואفت عوامل عدة جعلت من هذه الصناعة ذو شهرة واسعة الصيت منها : توفر مادة الطين النقي في سهل تهامة، وتتوفر الأكاسيد المعدنية الداخلة في هذه الصناعة، فضلاً عن الطلب المتزايد من قبل السكان على منتجات هذه الصناعة لاستخداماتهم اليومية⁽¹⁾.

مررت هذه الصناعة بتطورات بعد اختراع الإنسان للعجلة، وما يسمى بدولايب الفخار، الذي هو عبارة عن قرص دائري من الخشب أو الحجر يتصل بذراع عمود طويل يتم تحريكه باليد، توضع كتلة الطين فوق القرص، وعند دوران القرص يقوم الحرفي بعمل الآنية المطلوبة بواسطة اليد، ثم تطورت هذه الآلة فأصبحت حركتها تتم بواسطة القدم ليسهل على الحرفي استعمال كلتا يديه في عمل الأواني والمشغولات الفخارية بالشكل الذي يريده⁽²⁾. رافق هذا التطور اتجاه الإنسان إلى محاولة السيطرة على النار والتحكم في حرارتها، فاحدثى إلى بناء الفرن (المحراق)، فظهرت أنواع متعددة من الأواني الفخارية، نتيجة اختلاف درجات الحرارة التي يتعرض لها الفخار، منها الفخار الذي يميل لونه إلى الأحمر، بسبب عدم تعرضه للحرارة الكافية، ونوع آخر يميل لونه إلى الأصفر بسبب تعرضه إلى حرارة عالية أكثر من الأول، كما ظهر نوع آخر يميل لونه إلى الأبيض وهو أرقى الأنواع ، حيث يمتاز بجودة صناعته لجودة الطينة المصنوع منها فضلاً إلى تعرضه لدرجة حرارة مناسبة⁽³⁾.

تنوعت منتجات هذه الصناعة وأغراضها في تهامة فمنها ما كان يستعمل للزينة، ومنها ما كان يستخدم لتحضير المأكولات وطهيها، كالتور⁽⁴⁾، والصحون التي بواسطتها يتم طهي المأكولات ولها أحجام متفاوتة، والبرمة والمقلى⁽⁵⁾، كما صُنعت نوع من الأواني الفخارية تسمى (الطحة)، وهي عبارة عن وعاء فخاري تستخدم لتحضير نوع من الخبز الهش يسمى اللوح .

1- الحداد، مرجع سابق، ص 58 ؛ لطف، مرجع سابق، ص 287.

2- حمودي، خالد جليل : الفخار والخزف الإسلامي، مجلة المتحف العربي، ع(3)، مارس/آذار ، 1987م، ص 60 . ينظر ملحق رقم (5) والذي يوضح كيفية صناعة الأواني الفخارية في مدينة حيس التهامية .

3- حمودي، مرجع سابق، ص 60 .

4- التور يعرف في تهامة باسم لوفي، وهو وعاء فخاري يصنع بشكل دائري ، مجوف من الداخل ومفتوح من الخارجين العلوي والسفلي، يستخدم لتحضير الخبز في المنازل .

5- البرمة : وعاء فخاري مجوف من الداخل ، ذو فتحة صغيرة من الأعلى ، تستعمل لطهي وطبع اللحوم . أما للمقلى : فهو عبارة عن صحن فخاري يشبه المقلبي الحديدي الحديثة، يستخدم لطهي وقلي الأسماك ، وما زال يستخدم إلى يومنا هذا في بعض مناطق تهامة . انظر: هارون ، مرجع سابق ، ص 209 – 210 . ؛ لطف، مرجع سابق، 288.

أما الأدوات الفخارية التي استخدمت كأوعية للسوائل وحفظ الماء فمنها الزير الذي يستخدم لحفظ الماء، ويطلق على الكبير منها في تهامة اسم الدوح، والصغير ببلة⁽¹⁾، والجرار والكيزان والمنازع والشرب ، والأباريق، والجُن ، والفناجين ، والمصاب⁽²⁾.

كما صنعت في تهامة أدوات فخارية استخدمت لإغراض مختلفة، كالمجاول التي استخدمت لغرس شتلات أشجار الزينة في المنازل، والزهريات التي توضع عليها زهور الزينة، والمجامح التي استخدمت لإيقاد النار، والمبادر التي استخدمت لنشر الروائح الزكية في المساجد والمنازل، وجلاسات الأطفال التي استخدمت لغرض تعويد الأطفال الرضع على الجلوس، والميازيب⁽³⁾.

أما عن المكونات التي كان يتعامل معها صانع الفخار لإنتاج الأواني الفخارية فهي مايلي⁽⁴⁾:

1- الطين: وهو المكون الأساسي لصناعة الفخار، ويتم جلبه من أودية تهامة، ويشترط فيه الجودة العالية والنقاوة.

2- مخلفات الحيوانات: وتسمى في تهامة (بالذبل)، وتخلط مع الطين .

3- الأخشاب: ويتم تجميعها من الأشجار المتواجدة حول أودية تهامة، تستخدم في أفران الفخار.

4- المحراق : وهو عبارة عن بناء بشكل دائري من الياجور (البن) ، يتكون من قسمين علوي وسفلي، القسم السفلي يستخدم كموقد للنار ، له فتحة تسمى عين المحراق، يتم من خلالها تزويد

1- الدوح : ووعاء فخاري كبير يتسع لأكثر من مائة لتر تقريبا ، ضيق من الأسفل والأعلى ، متسع من الوسط ، له مقاسات مختلفة يستخدم لحفظ الماء في المنازل . أما الببلة فهي ووعاء فخاري يشبه الدوح ، إلا أنها ذو حجم أصغر ، تتراوح سعتها بمحدود 40 لتر تقريبا ، ولازالت هذه الأواني تصنع في أرياف تهامة . أنظر: لطف، مرجع سابق، ص 288 . هارون، مرجع سابق، ص 209.

2- الجِزارجع (جره)، وهي ووعاء أصغر من البُلْمَة ، وأكبر من المترع ، تستخدم لتبريد مياه الشرب . أما الشرب (بكسر الشين)، وهي ووعاء فخاري ضيقة فوهرته من الأعلى، ومتسع من الوسط والأسفل، يستخدم لحفظ الماء وتبریده. أما الأباريق: جمع (إباريق) وهو ووعاء يستخدم لمياه الوضوء في تهامة. والجُن : أوعية صغيرة يستخدم نوع منها لحفظ القهوة ومنها لحفظ الزيت والسمن . أما الفناجين : فهي كؤوس تستخدم لشرب الشاي والقهوة . والمصاب: مفرد (مصب)، وهو ووعاء أكبر من الفنجان، يستخدم لصب المشروب إلى الفناجين(الكاسات). أنظر: لطف، مرجع سابق، ص 288.

3- للزراب (للزراب): ووعاء فخاري على شكل قصبة شبيهة بالقصبة البلاستيكية ، يستخدم في أسطع المنازل لإزالة مياه الأمطار من الأسطح ، ومازالت هذه الأواني ، تصنع إلى الآن . أنظر: لطف، مرجع سابق، ص 289 .

4- نزول ميداني إلى إحدى معامل الفخار في تهامة، بتاريخ 25/5/2009م.

المحراق بالحطب أثناء الحرق . والقسم العلوي على شكل التور المنزلي بشكل القبة، له فتحة قطرها 73 سم، يتم من خلالها رص الأواني الفخارية، وخارجها بعد نضجها ^(١).

4 . الصناعات الجلدية:

دباغة الجلود والصناعات الجلدية من الصناعات التي كانت منتشرة في سهل تهامة، وقد ساعد على ازدهار هذه الصناعة وانتشارها عوامل عدة منها:

1- توفر الحيوانات في تهامة التي تستخدم جلودها في الدباغة كالإبل والبقر والأغنام والماعز ^(٢)، تختلف جودة الجلود المدبغة حسب نوعيتها، فأفضلها جلود الأبقار التي تُصنع منها الأحذية، يليها في الجودة ما صنع من جلود الماعز، ثم ما صنع من جلود الأغنام ^(٣).

2- ملائمة مناخ تهامة لدباغة الجلود، فلا هو بالممطر دائمًا ، ولا الجاف يضاف إلى ذلك تميزه بالصحو ^(٤).

3- توفر شجر القرظ ^(٥) في سهل تهامة والتي يُستخرج منها مادة السحاء لاستخدامها في عملية الدباغة، إضافة إلى توفر مادة النورة البيضاء التي تستخدم في تصفية الجلد من الأوساخ ^(٦).

4- خبرة سكان تهامة في دبغ الجلود ذلك مما ساعد على ازدهار هذه الصناعة وانتشارها. تتم عملية دباغة الجلود في تهامة بجمع الجلود في أحواض مملوءة بالماء لمدة يومين حتى تصير لينة، ثم تدلك بمادة النورة البيضاء (الكلس) لإزالة بقايا الأوساخ العالقة بالجلد، بعدها تقع الجلود مرة أخرى في أحواض من الماء ويضاف لها طحين مادة القرظ ، تستمر العملية لمدة أربعة أيام

1- انظر ملحق رقم (٦) ، الذي يبين شكل المحرق وتكويناته .

2- المندعي، مرجع سابق، ص 265 .

3- عسيري، مرجع سابق، ص 110 .

4- المندعي، مرجع سابق ، ص 265 .

5- القرظ: نوع من أنواع الشجر يوجد في تهامة ، تستخدم أوراقه كمادة مطهرة تقوم بازالة الشعر من الجلود، كما تضيف على الجلد لون أحمر، وتعرف في تهامة باسم (السوح) . انظر: سعيد، شائف عبده : الحياة الاقتصادية في اليمن، مجلة دراسات يمنية ، صناعة، ع (٤١) ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص 179 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 360؛ هارون، مرجع سابق، ص 212.

حتى ينطف الجلد تماماً من الأوساخ والشعيارات، ومن ثم يُغسل ويُجفف تحت أشعة الشمس حتى يصير جاهزاً للاستعمال⁽¹⁾.

كما كانت تتم زخرفة الجلود وتربيتها برسوم متنوعة عن طريق الضغط عليها بأدوات معينة، كما كان يُذهب بعضها حيث يجعل فيها خطوط مذهبة فيُرى بعضها في أثر بعض كأنها متتابعة⁽²⁾.

أدوات الدباغة والصناعات الجلدية:

استخدمت في عملية الدباغة والصناعات الجلدية عدّد من الأدوات أهمها :

* المحط: يستخدم لصقل الجلد وتتميقه، وكان يصنع من الخشب أو الحديد.

* المِجلة: تستخدم لتنظيف الأوساخ التي تبقى عالقة في الجلد.

كما استخدمت أدوات منها المبقر⁽³⁾، والمسرد⁽⁴⁾، والمنحاز⁽⁵⁾، والمقراض⁽⁶⁾، والمخصف⁽⁷⁾، والمفراص⁽⁸⁾.

تعددت منتجات هذه الصناعات الجلدية في تهامة، ومن أشهرها قُرب الماء، والحقائب الجلدية، والنعال (الأحذية)، والدروع، وأغماد السكاكين والخناجر والأحزمة، وسرور الخيل، والدلاء الذي يستخدم لنزع الماء من الآبار ، والمزاود: وهي الأوعية التي تحفظ فيها الأطعمة⁽⁹⁾. كما شهدت

1- مقابله شخصية مع الأخ عرفات حضرمي، بتاريخ 23/4/2009م.

2- شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ط 2، 1981م، ص 161.

3- المبقر: آلة تُستخدم للشق والفتح والتوصّع ، فيقال : بقرت الشئ بقراً أي فتحته ووسعته . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 4، ص 73.

4- المِسْدَو: هو المِثقب، وسرد الشئ سرداً وسرده وأسرده أي أثقبه . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 3، ص 211 .

5- نحاز : النحر كالشخص، نحره ينحره نحزاً ، والنحر: هو الضرب والدفع، وللنحاز بكسر اللام هو ما يدق به . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 5، ص 414 .

6- لمِقْرَاض: القرص في اللغة القطع فنقول قرضه يقرضه قرضاً أي قطعه ، ولا مِقْرَاض هو ما يقطع به الجلود . ابن منظور، مرجع سابق، ج 7، ص 216.

7- لمِخْصَف: هو ما يعزز به الجلود ، فنقول خصف النعل يخصفها خصفاً يعني يعززها . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 9، ص 71.

8- لمِغْرَاص الغرصة هو الشق والقطع ، وفرض الجلد فرضاً قطعه ، والمفرص والمفراص الآلة الحديدية التي تقطع بها، أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 7، ص 64 .

9- شهاب، مرجع سابق، ص 161.

تهامة أثناء فترة الدراسة صناعة قصيب المداعع (الأرجيلة) وكانت تُصنع من جلد الماعز المدبوغ⁽¹⁾، والأكياس الجلدية (الجواني)؛ وهي عبارة عن أوعية من الجلد تستخدمه المرأة في تهامة لحفظ حاجاتها الخاصة كأدوات زينتها من الطيب والعطر⁽²⁾.

5 . الصناعات الخشبية:

اعتمدت الصناعات الخشبية في تهامة على الأشجار التي توافرت بكثرة في أوديتها، مما ساعد على ازدهار الصناعات الخشبية في تهامة، والاعتماد على هذه الأشجار للحصول على الأخشاب المتنوعة التي كان من أهمها: أشجار الطنب⁽³⁾، والعرج(السدر)⁽⁴⁾، والهلج⁽⁵⁾، والحرم⁽⁶⁾.

كما استخدم سكان تهامة هذه الأخشاب في صناعات أخرى متنوعة أهمها: صناعة المراكب والقوارب البحرية، حيث عمل سكان المناطق القريبة من سواحل البحر الأحمر على صنع القوارب والمراكب البحرية الصغيرة، التي يطلق عليها في تهامة باسم (الهواري أو السنايك)، ترجع أهمية هذه الصناعة إلى استخدامها في العديد من الأغراض، ودرجة رئيسية للأغراض التجارية، إذ تُشحن عليها السلع التجارية، ويصاد بها الأسماك التي اشتهرت اليمن بتصديرها إلى العديد من البلدان ولازالت، وفي نقل عليها الحجيج⁽⁷⁾.

1 - مقابله شخصية مع الأخ عرفات حضرمي، بتاريخ 23/4/2009م.

2 - الشيباني، عبد القادر : الصناعات التقليدية في اليمن، بحث غير منشور، ص 6 .

3-طنة بـ: بفتح الطاء وكسر النون، وهي شجرة ضخمة ، تُعد أخشابها من أجود أنواع الخشب ، يتميز بصلابته، وطول ارتفاعه، الذي قد يصل إلى ثلاثة متراً، ولجلودته فقد كان يصنع منه أبواب المنازل، والتواقد، والأعتاب الخشبية المزخرفة .
أنظر: بونفان، بول : فن الزخرفة الخشبية في صنعاء ، تر / محمد علي العروسي ، (د.ط)، 1996م، ص 17 .

4 - يصنع من هذه الأشجار القعادن(أسرة النوم)،والتحوط، والصناديق الخشبية ، كما يصنع منه معاصر زيت السمسم .
أنظر: بونفان، مرجع سابق، ص 17 .

5 - تشتهر هذه الأشجار بجودة أخشابها، التي تدخل في صناعة الأعتاب الخشبية للأبواب، وأقطاب معاصر زيوت السمسم .
أنظر: نور المعارف، مرجع سابق، ص 30.

6 - وتميّز أخشاب هذا النوع من الأشجار بالصلابة، والبقاء لمدة أطول، تُستخدمها السكان في تهامة لصناعة التحوط، وأقطاب المداعع (الأرجيلة) ومدققات للمصابيح .
أنظر: بونفان، مرجع سابق، ص 18 .

7 - المندعي، مرجع سابق، ص 273 .

وقد توافرت عوامل عدة ساعدت على ازدهار صناعة المراكب والقوارب في اليمن وبخاصة في تهامة أهمها⁽¹⁾:

- 1- طول السواحل اليمنية، والتي تبلغ حوالي 2000 كم موزعة على البحرين الأحمر والعربي، ولذا من الطبيعي أن توجد في اليمن وخاصة في تهامة هذه الصناعة.
- 2- توفر المواد الخام الرئيسية التي تدخل في هذه الصناعة، من أخشاب ودهون وحبال والتي كانت تصنع من أشجار الدوم التي تتوفر بكثرة في تهامة، حيث تستخدم لسد الفراغات بين الألواح لمنع تسرب الماء، كما كانت تستخرج الدهون من أجوف الأسماك، لتكون مادة عازلة للقارب من الماء، كما تحافظ عليه من التآكل .

وكانت أهم المناطق المشهورة بهذه الصناعة هي اللاجنة، والخوخة، وابن عباس، والمضا، والصليف، وكمران⁽²⁾.

تم صناعة القوارب على الشواطئ القريبة من البحر، حيث يحدد صانع القارب حجمه من حيث الطول والعرض والارتفاع، بعدها يتم التركيب باستخدام قياسات دقيقة، حيث يقوم الصانع ببناء الهيكل الرئيسي للقارب، والذي يُعرف بالهراب، ويتم وضعه في التجويف الباطني للقارب من أجل حفظ توازن القارب، ثم يثبت عليه الأضلاع (السلامان)، بشكل مقوس يمتد من مؤخرة القارب إلى مقدمته، بعد الانتهاء من بناء الهيكل تُثبت الألواح الخارجية بمسامير (براغي) طويلة، بعدها يتم تركيب السطح العلوي للقارب، وفي الأخير تستخدم الجبال لسد الفراغات بين الألواح لمنع تسرب الماء ثم يُطلى القارب بمادة دهنية عازلة للماء عن الخشب، بعد الانتهاء من صناعة القارب يُسحب إلى البحر على ألواح خشبية دائمة حتى يستقر في البحر⁽³⁾.

كما مارس السكان في تهامة حرفة النجارة، التي تُعد من الحرف التقليدية التي لازالت مستمرة وان دخلت عليها الآلات الحديثة في مراحل التصنيع المختلفة.

وقد تفنن النجار التهامي في إنتاج العديد من الصناعات الخشبية التي كان من أهمها:

- 1- الأبواب الخشبية: التي تعددت أنواعها ما بين الأبواب الخشبية الخارجية للمنازل، والتي تكون من فريتين (مصراعين)، يصل ارتفاع هذه الأبواب إلى 2,50 متر، وعرضها 1,20 متر،

1 - المرجع نفسه، ص 273 - 274 .

2 - صحيفة الجمهورية، اليمن، ع (140601) 16 ذوالقعدة 1430هـ، 4 نوفمبر / تشرين الثاني 2009م، ص 2.

3 - مقابلة شخصية مع أحد المختصين بصناعة القوارب في محافظة الحديدة بتاريخ 15/4/2009م .

ت تكون كل فردة من الواح خشبية عمودية مثبتة بمسامير صلبة⁽¹⁾، والأبواب الداخلية للمرابع⁽²⁾، والليوانات⁽³⁾.

2- النوافذ الخشبية: وتميزت بالتنوع في أشكالها، وزخرفتها، حيث وجدت عدة أنواع منها النوافذ ذات الأربع درفات، ونوافذ خشبية بدرفتين .

3- الأعتاب الخشبية: والتي تستخدم للأبواب والنوافذ والخزائن الجدارية(الخز رطانات)⁽⁴⁾، وكل ما يتعلق بالفتحات لداخل وخارج المنزل.

4- التخوت: وهي عبارة عن صناديق خشبية مستطيلة الشكل، توضع في وسط غرفة استقبال الضيوف في البيت التهامي، تستخدم لوضع أدوات الزينة عليها، وتُرص عليها المدائع(الأرجيلة).

5- الأسره: تسمى في تهامة بالقاعيد، وتتعد أغراضها فمنها ما يُستخدم للنوم، ومنها للجلوس، كما تزين قوائمها بالنقوش المنحوتة والمطعمة، كما تحت على قوائم الأسرة رسوم هندسية ونباتية .

6- الملائد الخشبية: وهي أوعية مجوفة تُصنع من الخشب، تستخدم لدق البهارات والحبوب وممواد أخرى عديدة⁽⁵⁾.

7- القرافح الخشبية (القباب): وهي عبارة عن قطع خشبية على شكل الحذا، تستخدم عند الدخول إلى المغاسل وعند الوضوء . فضلاً عن ذلك فقد صنعت من الأخشاب المكابيل، وميازيب للماء(مزاريب) التي يتم من خلالها إزالة ماء المطر من أسطح المنازل⁽⁶⁾.

6. صناعة استخراج زيت السمسم (الجلجلان) :

تُعد صناعة استخراج زيت السمسم من الصناعات التي عرفت بها تهامة في وقت مبكر⁽¹⁾. ظلت هذه الصناعة في تهامة حتى فترة الدراسة، وكانت أهم المراكز التي اشتهرت بها هذه الصناعة هي المخا، وزبيد، وبيت الفقيه، وحيس، والمراوعة، والمنصورية .

1- مقابلة شخصية مع عبد الحبيب الذجاني، بتاريخ 15/5/2009 .

2- المربع: جمع مربعة وتطلق في تهامة على غرف النوم .

3- الليوان: مفرد (ليوانات ولوارون)، وهي غرفة أكبر من المربعة، تستخدم لاستقبال النساء في تهامة .

4- الخزرتان: الكلمة تركية الأصل ، تعني الخزائن الجدارية التي توضع داخل الغرف، حيث تقسم من الداخل إلى رفوف خشبية لوضع للممتلكات الثمينة كالأموال، والذهب، والعطور .

5- جحاف، أمة الرزاق: الحرف التقليدية والأزياء التقليدية، ((ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحفاظ على مدينة زيد التاريخية المنعقدة بجامعة الحديدة من الفترة 13 - 15 ديسمبر / كانون الأول 2004م))، ص 3-4 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 360 .

يستخرج زيت السمسم في تهامة بواسطة معاصر بدائية، يتم فيها بذل الجهد البشري والحيواني، عن طريق وضع كمية من بذور السمسم في وعاء خشبي يصنع من جذوع الأشجار، مثبت رأسياً في الأرض، يتصل بهذا الوعاء ذراع خشبي بشكل عمودي يسمى القطب، يربط بجوف الوعاء الخشبي، وعن طريق تدويره بواسطة حيوان (جمل) تحدث عملية العصر للسمسم، وبعد عملية العصر يُنزع الزيت من قاع الوعاء الخشبي⁽²⁾.

أما عن مكونات المعاصرة التي يتم بواسطتها استخراج زيت السمسم (الجلجان) فتتألف مما يلي⁽³⁾:

- 1 جذع خشبي كبير يسمى (المعصرة) يصل ارتفاعه إلى 3 أمتار يغطي منه ما يقارب مترين تحت الأرض، ويبقى الجزء الآخر فوق الأرض، ويتم حفره بمنقار من الوسط بعمق 70 إلى 80 سم، ذو فتحة واسعة من الأعلى وضيق من الأسفل، ويتم وضع السمسم المراد عصره بداخله .
- 2 القطب: وهو عبارة عن عمود خشبي ذو شكل مخروطي عريض من الأسفل ورقيق في الأعلى، يُربط من الأعلى بحبل إلى الحيوان لجره ، يستخدم كطاحونة لعصر بذور السمسم.
- 3 القوس: وهو عبارة عن قطعة خشبية مقوسة، الجانب العلوي يتصل برأس القطب، والجانب السفلي يتم ربطه مع المرحل، ليشكل قوة ضغط على القطب عند عصر السمسم.

1- وما يدل على ذلك ما ذكره للقدسي حيث أشار إلى أن زراعة السمسم انتشرت في وادي زيد أحد أودية تهامة، وأنه كان يُصدر إلى المناطق المجاورة ضمن المنتجات التي كانت تصدرها المنطقة ، كما أشار ابن المخاور إلى أن أشهر مناطق إنتاجه وانتشار زراعته في منطقة تهامة، وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن معاصر (مصانع) استخراج زيت السمسم كانت منتشرة في تهامة، وأن السكان كانوا يستخدمون زيت السمسم كوقود للإضاءة. أما في عصر الدولة الروسية فقد شهدت هذه الصناعة ظهاراً كبيراً، وانتشرت في أكثر مناطق تهامة، وكانت أكثر وجوداً في زيد . حيث يذكر ابن الدبيع أن السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس أمر بإحصاء عدد معاصر زيت السمسم في زيد فبلغت 37 معاصرة ، وهذا الرقم إنما يدل على ما بلغته هذه الصناعة من ازدهار في تلك الفترة. أنظر: القدسي، محمد أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تج/دي جويه، مطبعة برلين، ليدن، ط1327/1909، ص 97 .؛ ابن الدبيع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزید على بغية المستفيد، تج/يوسف شلحه، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صناعة، (د.ط)، 1404/1983، ص 104 .

2- الجعيدي، عبد الله سعيد : الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 – 1945، دار الثقافة العربية، الشارقة ، ط1، 2001 ، ص 117 .

3- زيارة ميدانية لإحدى معاصر زيت السمسم في تهامة، بتاريخ 24/6/2009م.

4- المرحل: وهو عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة الشكل، يغطي الجزء الخلفي منه مجموعة من الأكياس المعلوقة بالرمل، تتصل بالقوس، والجزء الأمامي يُربط بواسطة حبل متصل بلوح خشبي يمتد منه إلى الحيوان، ليتم من خلاله عصر السمسم .

كان يستخدم زيت السمسم للعديد من الأغراض، حيث استخدم كمادة أساسية في صناعة الصابون⁽¹⁾، وكوقود لزيارة المساجد والمتجار والمساكن، وصناعة الحلويات⁽²⁾. أما في وقتنا فقد انحسر استخدامه كغذاء من خلال بذوره التي تنشر فوق الخبز والمعجنات، وكعلاج شعبي طبيعي⁽³⁾.

لا تزال هذه الصناعة موجودة إلى عصرنا الحالي في تهامة، إلا أنها بكميات قليلة، حيث أصبحت تُعد بأصابع اليد، ويرجع ذلك إلى انحسار زراعة السمسم في تهامة، وعلى الرغم من قلتها، إلا أنها تُعد المصدر الوحيد لإنتاج زيت السمسم .

7. صناعة الحصير (الخوص):

تُعد صناعة الحصير من أهم الصناعات اليدوية التي كانت تنتشر في سهل تهامة، وقد اشتهر بهذه الصناعة عدد من المناطق التهامية⁽⁴⁾. تمتاز هذه الصناعة بأنها صناعة منزلية، غالباً ما تقوم بها النساء في البيوت، وتعد أشجار النخيل والدوم المواد الأولية والأساسية لهذه الصناعة، حيث أدت كثرة زراعة النخيل في تهامة إلى ازدهار هذه الصناعة، وهذا يدل على أهمية النخيل لا كمصدر غذائي فقط، لكنه مصدر مهم لصناعة الحصير والذي ساعد بدوره على تشغيل عدد كبير من سكان تهامة في هذه الحرفة⁽⁵⁾.

حظيت تهامة بشهرة عالية في هذه الصناعة، وربما كانت هذه الشهرة تمتد لفترة سابقة، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن هذا النوع من الصناعات كان يصدر منه إلى مكة المكرمة، كما ترجع هذه الشهرة إلى تفان أصحاب هذه الحرفة بتصنيع وجك الحصير، وتزيينه وتلوينه

1- المندعي، مرجع سابق، ص 268 .

2- لطف، مرجع سابق، ص 301 .

3- الأفضل، مرجع سابق، ص 165 .

4- أهم هذه المناطق: جزيرة كمران، والضحي، والجاج، والسويق، والقناوص، واللحية، والزيدية، وزبيد، وحيس، والدربيهمي، والخوخة، والحديدة .

5- جحاف، مرجع سابق، ص 4 .

بالعديد من الألوان، مما جعل الحصير التهامي الملون بالأصباغ من السلع التي كان يرسلها سلاطين بنى رسول إلى الكعبة المشرفة^(١).

كان يتم تلوين الحصير بالأصباغ الطبيعية، ويتم ذلك في وعاء فخاري كبير، حيث توضع الصبغة المطلوبة وتخلط مع الماء، ثم يغمر الحصير المطلوب تلوينه في الوعاء الفخاري لمدة خمس دقائق، وبعد التجفيف يصبح جاهزاً لتشكيله حسب ما يريده الحرفي^(٢).

تعددت منتجات صناعة الحصير في تهامة أثناء فترة الدراسة، التي كانت تُعد من ضرورات الحياة اليومية لاستخدامها في العديد من الأغراض المنزلية، والأعمال الزراعية. فمن أهم منتجات هذه الصناعة، السجاد الذي تفرش بها المساجد والبيوت، وله أحجام مختلفة وأشكال عديدة^(٣). ومما يصنع من الحصير القاع التي تستخدم لحفظ المحاصيل الزراعية^(٤)، والأجاب، والقواصر^(٥). ومن منتجات هذه الصناعة الخدور^(٦)، والمسارف^(٧)، والمهاجن^(٨)، والحبال^(٩)، والمشب^(١٠)، والبحاربة^(١١)، والموهفة^(١)، والشمامية^(٢).

1- نور للعارف، مرجع سابق، ص 116.

2- مقابلة شخصية مع أحد صانعي الحصير في تهامة بتاريخ 23 / 5 / 2009م.

3- لطف، مرجع سابق، ص 291.

4- القفاع : عبارة عن وعاء دائري الشكل، كبير الحجم ، مفتوح من الأعلى، يستخدم لحفظ محاصيل الحبوب وبذور السمسم .

5- الآجاب : مفردها (أجب) ، والقواصر مفردها(قوصرة): وهو عبارة عن وعائين الأول ذو فتحة من الأعلى، والآخر ذو فتحة جانبية، يستخدمان في تهامة لنقل المحاصيل الزراعية من الحقول إلى الأسواق والقرى، كما يستخدم الأجب لحفظ الأطعمة من الأثرية . أنظر: المندعى: مرجع سابق ، ص 91 .

6- الخدور: مفردها(حدر): ويصنع من الحصير الأحمر، يستخدم لتغطية جوانب وسقوف الأكواخ الخشبية في تهامة لمنع تسرب الماء إلى داخل الكوخ.

7- المسرفة: عبارة عن وعاء دائري منبسط، يستخدم في تهامة كموائد لتقديم الطعام.

8- المهاجن: هي نفس المسارف، إلا أنها أكبر حجماً ، تستخدم في تهامة لتجفيف الحبوب والشمور .

9- للحبال عدة أنواع في تهامة، ولها أغراض متعددة، منها نوع يسمى بالحُجز: وهي حبال كبيرة تستخدم في ربط حمولة الجمال وشلّها، ورفع الأشياء الثقيلة. ومنها نوع يسمى المواسر ، وتستخدم في ربط المواشي (الأبقار)، وضيبيث الأنوار عند الحرف . ونوع آخر يسمى بالشبطة، وهي حبال صغيرة تستخدم في صناعة القعائد (الأسرة)، وكراسي الجلوس، كما يوجد نوع من الحبال يسمى الرشا، يستخدم في رفع للبياه من الآبار . أنظر: هارون، مرجع سابق، ص 220 – 221؛ لطف، مرجع سابق، ص 291.

10- المشب: قطعة ذو شكل دائري ، تستخدم في شب النار لإشعالها، وخاصة أثناء صناعة الخبز، أو التهوية على الطعام.

11- البحاربة: عبارة عن سرير صغير تستخدمه النساء في تهامة لتقويم الأطفال .

ومن منتجات هذه الصناعة الشباك التي تستخدم لحفظ المنتجات الفخارية والزجاجية، والمكابس المصنوعة من سعف النخيل، التي تستخدم في تنظيف البيوت، فضلاً إلى البطاط، والمحابر والكرابيس⁽³⁾.

8_ صناعة مواد وأدوات البناء :

يُعد المناخ من العناصر المؤثرة في بناء البيوت في اليمن، ففي المناطق الجبلية تنخفض درجة الحرارة، وتبعاً لذلك تختار مواد البناء بما يلائمها، كالبناء بالأحجار والجص وغيرهما من المواد التي تعمل على تخفيف درجة البرودة في فصل الشتاء .

أما في المناطق السهلية ومنها تهامة، فنظراً لارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف فقد عمل السكان فيها على بناء بيوتهم بمواد تساعد على تخفيف درجة الحرارة، وتم صناعة هذه المواد من البيئة المحيطة بتهامة.

ومن أهم مواد البناء في تهامة مايلي :

1- الطوب الطيني (البن): تُعد هذه المادة من أقدم المواد التي استخدمت في بناء البيوت في تهامة، وتسمى بالأجر أو القولب، ولم ينحصر استخدام الطوب في بناء البيوت فقط، بل استخدمه السكان في بناء البرك (الأحواض) الخاصة بتصرف مياه المساجد، كما استخدم في تغطية قبور الموتى⁽⁴⁾.

تم صناعة الطوب بمزج الطين النقي والناعم مع مخلفات زراعية، وخاصة مخلفات محصول الدخن والذي يسمى في تهامة (بالحماط) وبعض من مخلفات الماشية، حيث تُخلط هاتان المادتان بالطين لتكوين قولب الأجر (الياجور) الممتاز المتماسك. ويصبح بعد هذا الخلط عند حرقه قوياً صعب الانكسار، ولذا لم تدخل هاتان المادتان ضمن صناعة الأجر يصبح الأجر ضعيفاً سهل الانكسار، مع إضافة مادة الحور التي يتم بها صباغة الأقمشة كما أشرنا فيما سبق. وفائدة هذه المادة هو إعطاء الطوب لوناً داكناً، ويترك للتخمير لمدة يومين في حوض مستطيل

1- الموهفة : تصنع من سعف النخيل، ومقبضها يصنع من جريدة التخل ، تستخدم كمرورة للتهوية ، وترطيب الجو .

2- الشماميسية : قبعة كبيرة دائمة الشكل ، توضع على الرأس للوقاية من الشمس .

3- البطاط : أوعية من الخصير تستخدم في تحمل نقل حاويات الزيت والسمن ، على ظهور الدواب . أما المحابر فهي : نوع من الفقاع المصنوعة من الخصير تنقل بها البضائع أيضاً . والكرابيس : مفردها (كرابيس)، تستخدم في تحمل التدفعه خالل فصل الشتاء. أنظر: هارون، مرجع سابق، ص 225.؛ لطف، مرجع سابق، ص 293

4- تقرير الفريق اليمني المشارك للبعثة الأممية الكندية في تحمل لعام 1996م .

الشكل، بعد فترة التخمير يُدَسْ (يضرب) المخلوط بالأرجل والأيدي حتى يصبح ليناً، ثم يوزع في قالب ذات أحجام محددة، مصنوعة من الخشب، ويترك ليجف حتى يتحول إلى كتلة صلبة، ثم يُجمع ويرص لإحراقه^(١).

يتم حرق الطوب في المحراق (الفرن)^(٢)، وذلك برص مجموعة من جذوع الأشجار في قاع المحراق رصاً محكماً، حتى يتم عمل أرضية مستوية لرص الطوب، بعد رص الطوب في المحراق بشكل منتظم دائري يتم سد الفراغات بمخلفات الحيوانات، بعدها تبدأ عملية الحرق بواسطة عين المحراق، ويترك لمدة عشرة أيام حتى تتطفى النار، ثم يخرج الطوب من المحراق ويصبح جاهزاً للاستخدام^(٣).

2- النورة الكدرى: هي عبارة عن أحجار جيرية، يتم جلبها من الجبال القريبة من تهامة^(٤)، كما يمكن الحصول عليها تحت سطح الأرض على عمق يصل ما بين 5 - 6 أمتار، وتتوارد بكثرة في مناطق حيس والبدوة^(٥). تحرق مادة النورة الخام (الكلس) بالأختاب في أفران خاصة، وتتم عملية الحرق بعدة خطوات هي^(٦) :

1- جمع الأخشاب المعدة للحرق وغالباً ما تستخدم في عملية الحرق أشجار العرج (السر)، حيث يتم تقطيع هذه الأخشاب إلى أجزاء صغيرة، لرصها في أسفل المحراق بشكل منتظم .

2- ترص قطع النورة (الكلس) على شكل دائري، وذلك بجعل القطع الكبيرة في الأسفل وبشكل قوسي .

3- تسد الفتحات والفراغات بقطع من النورة الصغيرة، وذلك لمنع تسرب الهواء إلى القطع الكبيرة أثناء عملية الحرق، وتسمى هذه العملية بالتجليس .

1- مقابلة شخصية مع الأخ عبد الحبيب الديجاني، بتاريخ 15 / 5 / 2009م .؛ ينظر ملحق رقم (٧) الذي يوضح كيفية صناعة الطوب الطيني (الأجر) في تهامة .

2- المحرق : هو عبارة عن بناء بشكل مستطيل، يستخدم لحرق قطع الباجور، له فتحتين، عليا وتستخدم لرص قطع الباجور ولأختاب، وفتحة جانبية من الأسفل تسمى عين المحرق، وتستخدم للتهوية وإيقاد النار .

3- بونغان، بول : العمارة في زيد ،الموسوعة اليمنية ، تر/ علي محمد زيد ، مرجع سابق، ج 3، ص 2153 .

4- المرجع نفسه، ص 2154 .

5- البدوة : قرية صغيرة من قرى تهامة ، تبعد عن زيد 8 كم تقريباً . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 182 .

6- نزول ميداني إلى أحد مفارق صناعة النورة الكدرى في تهامة بتاريخ 25 / 5 / 2009م .

4- يقوم الصانع برص قطع الكلس الخام بشكل دائري خارج إطار القوس، ليكون بمثابة حاجز للكلس المراد حرقه لإنتاج النوره الكدرى، وتسمى هذه العملية (بالفحول والتسبيير).

5- يُحاط المحراق بأعمدة خشبية من الجهة التي تتحرك منها التيارات الهوائية، ويثبت فيها مجموعة من الأكياس لمنع التيارات الهوائية من التأثير على عملية حرق النوره الكدرى، وتسمى هذه العملية بالحجاجية .

6- بعد هذه الخطوات السابقة تأتي الخطوة الأخيرة وهي عملية الحرق، حيث يقوم صاحب المحراق باستخدام عين المحراق لإيقاد النار، وتنتشر عملية الحرق لمدة 8 ساعات بعدها يتم إخراج النوره الصالحة للاستخدام، وتعباً في أكياس وترحل إلى المستهلك.

تستخدم مادة النوره الكدرى بعد تجهيزها وحرقها كمادة رابطة في أعمال البناء، حيث تعمل على لصق الطوب بعضه ببعض، كما تستخدم في زخرفة البيوت وواجهات الجدران، وعمل النقش، وأعمال التشطيبات الداخلية والخارجية لمنازل تهامة . وكانت النوره ولازالت تمثل العنصر المكمل للبناء في تهامة، وذلك لما لها من أهمية في إضفاء الجوانب الجمالية على البيت التهامي وخاصة في المدن القديمة⁽¹⁾.

3- القصاص: أستخدم أثناء فترة الدراسة كالأسمنت، حيث يعطى به أسقف المنازل والقباب، كما أستخدم أيضاً لتغطية الجدران، وأرضيات البرك(الأحواض)، وأماكن الوضوء وذلك لمنع تسرب المياه، كما استخدم في تغطية الواجهات، وملء الفراغات بين الأحجار⁽²⁾. ويتألف من عدد من المواد الأساسية كالنوره، والنليس، والحسى، وعدد القصاص من المواد التي تدوم لفترة طويلة إلا أنها متعبة العمل ومكلفة ولذا اقتصر استخدامها خلال فترة الدراسة على المباني المهمة كالمساجد والأحواض، والسدود، وقوافل الري⁽³⁾ .

4- الأحجار: تعد من أهم مواد البناء المستخدمة في المناطق القريبة من الجبال، إلا أن كمية الاستخدام من هذه المادة يختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب موقع المدينة أو القرية والمواد البناءية المتوفرة فيها. فمثلاً المناطق القريبة من الجبال كانت منازلهم تبني بالأحجار، أما القرى والمدن الوسطى كمدينة حيس، وزبيد، وبيت الفقيه فهي تستخدم هذه الأحجار كأسس للبناء،

1- لطف، مرجع سابق، ص 144.

2- بونفان، العمارة في زبيد، مرجع سابق ص 2155 .

3- المرجع نفسه .

وكذلك الحال في المدن والقرى الساحلية كالمحا و الخوخه والحديده والزيديه، واللحّيه، فقد استخدمت الأحجار كأسس للبناء⁽¹⁾.

أدوات البناء في تهامة :

اشتهر الإنسان اليمني بصناعة الأدوات التي يحتاجها في حياته المعيشية وذلك لتلبية متطلباته. وإنشاء مساكن له تؤويه من الظروف المحيطة به. وفي تهامة ونواحيها فقد استخدم السكان لبناء البيوت عدداً من الأدوات التقليدية التي دلنا عليها وأعطانا عنها بعض المعلومات أحد البناءين في تهامة وهو البناء داودد أحمد أقرع⁽²⁾.

ومن هذه الأدوات المستخدمة في البناء :

1- **المجرفة**: تكون من عود خشبي طويل يقارب طوله المتر ، وقطعة حديدية مربعة الشكل مفتوحة في طرفها الأعلى بشكل دائري ينفذ من خلالها العود الخشبي، تستخدم المجرفة في قلب وخلط الطين وتجميعه، ولازالت تستخدم إلى عصرنا الحالي في البناء التقليدي وخاصة في القرى .

2- **الحجنة**: هي عبارة عن عود خشبي منحنٍ في أحد أطرافه، وقطعة حديدية شبه مثلثة الشكل في جزئها الأوسع انحناه فيه منفذ دائري الشكل يدخل من خلاله العود الخشبي، وتستخدم هذه الحجنة كأداة حفر لمكان تأسيس البناء، كما كان يستخدمها الفلاح في تهامة لتسوية الأرض، وابعاد عروق الأشجار المضرة للزرروع، وتصفية التربة من الأعشاب، ولحفر الأرض بشكل سطحي .

3- **الملعقة**: هي من الأدوات التقليدية في بناء المنشآت التهامية، وهي عبارة عن قطعة حديدية مستطيلة يأتي في وسط أحد أضلاعها ارتفاع عمودي رقيق يربط القطعة الحديدية بمقبض الملعقة الخشبي، تستخدم هذه الأداة في أخذ الطين من الصفيحة الخشبية إلى مكان وضع الطين للبناء.

4- **الخشبة**: هي عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة الشكل أو مربعة، تستخدم في أخذ كمية من الطين من مكان الخلطة الطينية إلى مكان البناء، حيث يقوم البناء (المعلم) بأخذ الطين بالملعقة من هذه الصفيحة الخشبية ووضعها في مكان البناء. وقد كانت هذه الأداة تقوم بدور الوعاء البلاستيكي الذي يستخدمه العمال (البناءون) اليوم في تفريغ المادة البناءية من موقع الخلطة إلى مكان البناء.

1- لطف، مرجع سابق، ص 146.

2- مقابلة شخصية مع أحد البناءين في تهامة، بتاريخ 17 / 4 / 2009.

5- المَعْرَاج : ويطلق عليه اليوم إسم (سلم) علمًا بأنه إلى يومنا الحالي يطلق عليه في مدينة تهامة ونواحيها نفس التسمية (معراج) وهو عبارة عن عمودين خشبيين طويلين يربط بينهما أخشاب صغيرة يختلف عددها حسب طول هذا المَعْرَاج أو قصره ، يصعد على هذه الأعماد الخشبية البناء ليصل إلى مكان عمله، حيث يستخدم هذا المَعْرَاج في توصيل أدوات البناء من طين وغيره إلى المنطقة المرتفعة من البناء حيث يكون موقع البناء في المنزل.

6- حجر الخدمة: وهي حجرة صغيرة مستطيلة الشكل أو مربعة من أحجار الجير الناعمة. وتستخدم هذه الحجرة لذلك السقوف والأرضيات بعد وضع القَضاض، ويستمر ذلك حتى يصبح السقف أو الأرضية ملساء ناعمة.

7- المطابع: (جمع مطبعة) وهي من أدوات البناء التي كانت وما زالت تستخدم في البناء التقليدي، حيث يستخدمها البناء في بناء الأسقف وتثبيس الجدران وتربيتها وزخرفتها. وهي عبارة عن قطعة خشبية يضرب بها مادة التوره وكذلك القصاص ثم بذلك بها حتى يصبح السقف أو غيره جاهزاً.

إضافة إلى ما سبق، فقد وجدت في تهامة أثناء فترة الدراسة معامل يدوية لتقشير البن، وكان مركز تجمعها في مدينة الحديدة، وكان يعمل في هذه المعامل العديد من النساء، حيث يقومون بتقشير حبوب البن وفرزه وتنظيمه، وتعبيته في أكياس لتصديره إلى الخارج، وكانوا يتقاضون أجوراً قليلة جداً، حيث لا يتعدي دخل الواحدة منهن 30 بقشة في الأسبوع، أي بما يعادل 48 ريال سنوياً⁽¹⁾. وعلى الرغم من قلة أجور العاملات في هذه المعامل اليدوية إلا أن أجورهن لا تُعطى لهن كاملة، حيث يقوم أصحاب هذه المعامل بحجز قسط من أجورهن حتى يُسدد كل ضرر يلحق بالمعدات، حتى ولو كان هذا الضرر خارج عن إرادة العاملات. كان يملك هذه المعامل كبار تجار التصدير في تهامة، وعلى رأسهم علي محمد الجبلي الذي كان وكيلًا للإمام أحمد في تصدير البن والجود والحبوب، وحسين غالب الوجيه⁽²⁾.

أما الصناعات الحديثة فلم يكن لها وجود في تهامة خلال فترة الدراسة، عدا حالات استثنائية تمثلت بوجود معملان صغيران للحاج القطن في الحديدة، وكانت وسائله في غاية من البدائية، حيث يشير العطار أن عدد آلاتهما لا تتجاوز الأربعين آلة، كما لا يتجاوز عدد العمال

1- العطار، مرجع سابق، ص 132.

2- جوليوسكيا، ثورة 26 سبتمبر، ص 103.

فيهما مئة عامل، وتقدر الطاقة الإنتاجية السنوية لهما بـ 1500 طن، وهي طاقة غير كافية لما تنتجه المنطقة من القطن آنذاك، كما وجدت بعض المطاحن الصغيرة لطحن الحبوب، إلا أن عددها كان ضئيل جداً⁽¹⁾.

كما ظهر في عام 1957 مشروع صناعي حديث، وهو مصنع الغزل والنسيج في باجل⁽²⁾، بمعدات فرنسية، وبرأسمال مشترك بين الإمام أحمد إمام اليمن وأحد المستثمرين السوريين⁽³⁾، وكان يتكون المصنع من تسعين مثلاً، وتسع آلات نسيج لكل منها 248 معزلاً، ومولدين للكهرباء طاقة كل منها 220 فولت⁽⁴⁾. وعندما أنجزت الشركة الفرنسية ثلاثة أرباع المصنع، رفض الإمام أحمد دفع القسط الأخير المترتب عليه حسب الاتفاقية، وقيمتها 300,000 دولار أمريكي⁽⁵⁾، وظل المصنع مجداً دون تشغيل، بعد أن اكتشفت حكومة الإمام وأنصارها من محظوظي التجارة أن تصدير القطن إلى الخارج واستيراد سلع قطنية جاهزة أكثر ربحاً من تشغيل المصنع⁽⁶⁾. ويدلل ذلك على تخلف الإمامة في اليمن آنذاك، ومحاربتها لأي تطور صناعي.

أما الصناعات الإستخراجية، فعلى الرغم من العزلة التي فرضت على اليمن ومنها تهامة، إلا أنه جرت محاولات من قبل بعض الشركات الأجنبية لاستخراج المعادن، إلا أنها وجهت بحذر ورقابة شديدة من قبل حكومة الإمام، التي كانت تخشى التدخل الأجنبي في البلاد، مبررة ذلك بهدم الدين، وأن حكومة الإمام كانت تفضل أن يبقى الشعب اليمني في الفقر وهو حر بدلأ من العيش في الغنى وهو تابع لدولة أخرى⁽⁷⁾.

والقرار الوحيد الذي اتخذه الإمام أحمد في هذا المجال، هو أنه في سنة 1959 عقد اتفاقية مع شركة يابانية باستخراج الملح الحجري في منطقة الصليف في تهامة، حيث بلغ الإنتاج في عام

1- العطار، مرجع سابق، ص 214.

2- باجل: مدينة تقع في الشمال الشرقي من مدينة الحديدة ، على طريق الحديدة صنعاء، تبعد عن الحديدة نحو 55 كم . انظر: الويسي : مرجع سابق ، ج 1، ص 111-112 .

3- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 39 .

4 - Basic data on The Economy of Yemen, Washington, 1960, p. 138.

5- العطار، مرجع سابق، ص 215.

6- عمر، مرجع سابق، ص 138. ؛ غالب، مرجع سابق، ص 43 .

7- العطار، مرجع سابق، ص 81 .

كان يُصاب بتعثرات شديدة، ويرجع ذلك إلى عدم صلاحية أرصفة ميناء الصليف لرسو السفن اليابانية، والى تعاون الإمام مع شركة الملح الإيطالية المحتكرة لملح عدن باعتباره شريكاً لها⁽¹⁾. بينما يرجع الباحث محمد أنعم غالب، أسباب التعرّض إلى النزاع اليمني البريطاني في تلك الفترة، مما نتج عنه رفض السلطات البريطانية في عدن تموين السفن اليابانية بالوقود، حيث لم يكن هناك محطة للوقود في الصليف، حيث أصبح من المتعذر على السفن اليابانية أن تواصل شحن الملح ، فضلاً عن أنَّ منافسة مصنع الملح في عدن التابع للشركة الإيطالية، ودور الأيدي الإيطالية التي كانت تعمل مع الحكومة اليمنية لتخرِيب المشروع قد لعبت دوراً كبيراً في تعثر المشروع⁽³⁾. ومهما تكن العوامل التي كانت وراء تعثر المشروع، إلا أنه يبدو أن النقص في التنظيم، والافتقار إلى ميناء حديث مناسب كانت من أهم الأسباب لتعثر المشروع فيما بعد.

كما يرجع أسباب تأخر وانعدام الصناعات الحديثة في اليمن، ومنه تهامة خلال فترة الدراسة إلى مايلي :

- 1- سياسة حكومة الإمامة القائمة على معارضة قيام الصناعات الحديثة، خوفاً من تكون طبقة عمالية، قد تحول إلى جهة معارضة لها. لذا كانت ترفض أي ترخيص بإنشاء المصانع الحديثة، عدا بعض الحالات الاستثنائية المشار إليها فيما سبق، وفي ظل مثل هذه الظروف أحجم أصحاب رؤوس الأموال اليمنيين والأجانب على دخول هذا الميدان، لعدم وجود ضمانات كافية لنجاح مشاريعهم وخوفهم لحجزها من قبل السلطة .
- 2- أن الأسواق اليمنية في تلك الفترة لم تكن واعدة، حيث كانت خاضعة للاحتكار من قبل فئة معينة من ذوي الامتيازات والمقربين للسلطة الحاكمة⁽⁴⁾.
- 3- ندرة الموارد المالية في الدولة واعتمادها على قطاع زراعي متخلَّف قائم على الاقتصاد الزراعي المعيشي .

1- المرجع نفسه، ص 216 .

2- عمر، مرجع سابق، ص 138 - 139 .

3- غالب، مرجع سابق، ص 44 .

4- العطار، للرجوع السابق، ص 215 .؛ جوساروف، آخرون : مرجع سابق ، ص 74 - 75 .

4- انخفاض المستوى المعيشي للسكان، وبالتالي عدم إمكانية إيجاد أسواق للمنتجات الصناعية الحديثة.

5- ندرة الكوادر القادرة على التخطيط والبرمجة للموارد أو للصناعات المختلفة.

6- فقر اليمن في تلك الفترة من الهياكل الأساسية، والتي بدونها يصعب بناء مؤسسات صناعية حديثة⁽¹⁾.

وخلال ملخص سابق يمكن القول أن الباقي التحتية المطلوب وجودها لقيام الصناعات الحديثة لم يكن لها وجود حينذاك .

ثالثاً - التجارة في تهامة اليمن (1918-1962) :

أ - التجارة الداخلية :

1- العوائق التي حُلت من نمو الحركة التجارية في تهامة :

شكلت التجارة حلقة مهمة من حلقات النشاط الاقتصادي في اليمن، حيث كانت تلعب دوراً أساسياً في الحياة الاقتصادية، إلا أنها كانت تصاب في بعض الفترات بتدحرج شديد، وخاصة في

1- رسول، أحمد حبيب: دراسات في الجغرافيا الاقتصادية والبشرية لليمن، دار الكلمة، صنعاء، 1985م، ص 73.

فترات الفوضى السياسية والتدخل الخارجي، وقد أثرت الأوضاع السياسية في اليمن خلال فترة الدراسة على نمو واتساع الحركة التجارية في تهامة، كما حالت دون نشوة تجارية مؤثرة عدا بعض التجار الذين ارتبطوا بالسلطة السياسية، وعملوا على احتكار التجارة، وكان عددهم محدود جداً، ومن كانوا يقومون باستيراد السلع عن طريق عدن وتوزيعها في الأسواق المحلية على التجار الصغار⁽¹⁾.

أدى هذا الاحتكار إلى ضعف السوق المحلية، مما انعكس بدوره على تأخر التجارة الداخلية لمنطقة تهامة وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : (إن التجارة كانت تشكل مكاناً ضيقاً في الاقتصاد بشكل عام، خاصة أنه لم يتقدم توغلها بسرعة إلى المناطق المتعددة في الدورة التجارية في السوق اليمنية العامة، وكذلك في محيط الاقتصاد العالمي)⁽²⁾. وباختصار يمكن القول أن أهم الأسباب والعوامل التي وقفت عائقاً أمام نمو الحركة التجارية الداخلية في اليمن بشكل عام ومنها تهامة بشكل خاص، وتمثل بما يلي⁽³⁾:

- 1- انعدام وسائل المواصلات الحديثة.
- 2- قلة الطرق المعبدة .
- 3- انعدام المؤسسات المالية والمصرفية.
- 4- هيمنة الأسرة المالكة وكبار الموظفين على التجارة الداخلية والخارجية .
- 5- الافتقار إلى عملة وطنية .
- 6- ضعف كمية العرض النقدي في البلاد والذي أدى إلى استمرار نظام المقايضة (بيع سلعة بسلعة)، وسياسة الحكم الإمامي المتصرف بالانعزالية والجمود، وقوانين الضرائب الباهضة فضلاً عن عوامل اجتماعية يقف في مقدمتها النظام القبلي، والشتت السكاني، والاكتفاء الذاتي المناطقي⁽⁴⁾.

هذه الأسباب حالت دون ظهور تجارة متطرفة في البلاد خلال فترة الدراسة، كما وقفت عائقاً أمام فئة التجار الصغار الذين بحثوا لأنفسهم عن مكان يمارسون فيه نشاطهم التجاري بعيداً عن

1- عمر، مرجع سابق، ص 124.

2- جوليو فسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 62 - 63 .

3- الشرجي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 42 - 43 .

4- جوليو فسكايا، مرجع سابق ، ص 62 .

سلطة الإمامة، لذا كانت الهجرة هي المنفذ المناسب لخروج هذه الفئة لممارسة نشاطها فانتشر التجار اليمنيون في مناطق مختلفة من العالم، وسيتضح ذلك من خلال دراستنا.

2- الأسواق التجارية في تهامة:

تُعد الأسواق في تهامة مركز الحركة التجارية، وتتعدد مابين الأسواق الأسبوعية واليومية والموسمية، وكانت أغلب أسواق تهامة خلال فترة الدراسة أسبوعية، وخاصة في المدن الصغيرة والقرى، وتسمى بأسماء الأيام التي تُعقد فيها، كسوق الخميس، وسوق الجمعة⁽¹⁾ يُطلق على السوق الأسبوعي في تهامة باسم (الوعد)، تعبيراً عن الملتقى الزماني والمكاني لأفراد المجتمع⁽²⁾، والذي يتم فيه تبادل المنافع فيما بينهم، حيث يبدأ التوافد على السوق من قبل الباعة وأصحاب الحاج منذ الساعات الأولى من فجر اليوم المحدد فيه إقامة السوق، ويصل السوق ذروته من حيث الحركة واتكتمال الوافدين في الغالب بعد الساعة العاشرة صباحاً، وينتهي مع غروب شمس ذلك اليوم⁽³⁾.

كان السوق الأسبوعي في تهامة غالباً مِلْقاً في منطقة متوسطة بين مجموعة من القرى، بحيث يستطيع سكان هذه القرى الوصول إليه، والعودة منه في نفس اليوم وأحياناً قد يسافر بعض التجار إلى أسواق أخرى بعيدة يستغرق الذهاب إليها عدة أيام بحثاً عن السلع والبضائع التي لم تكن تتواجد في الأسواق القروية الصغيرة⁽⁴⁾.

كانت الوسيلة الرئيسية للبيع والشراء في هذه الأسواق تقوم على نظام المقابلة والمبادعة، ولم يُعرف البيع نقداً إلا في نطاق محدود وبخاصة في المدن الرئيسية، ويرجع ذلك إلى قلة النقد المتداول، التي لم تكن كافية لحاجة السوق في تلك الفترة، ومما يدلل على ذلك ما ذكره أحد المعاصرين لفترة الدراسة في كتابه تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي ما نصه:

(ولا أعرف أن هناك نقوداً متداولة، اللهم إلا عند أناس معدودين، وإنما كانوا يتصرفون بالحبوب، فيذهب المشتري إلى الحانوت (مكان بيع السلع)، وقد صرَّ في ثيابه، أو حمل على عائقه كمية من الحب، إما براً (فتح) أو ذرةً شامية (الذرة الصفراء)، ويسلمه بمكيال، وهو بدوره

1- السروري، مرجع سابق، ص 501-502.

2- من الجدير ملاحظته، أن هذه الأسواق الأسبوعية ، منتشرة في أغلب بلدان الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه .

3- الأهدل، علي مغربي: أسواق تهامة الشعبية، صحيفة الجمهورية، العدد (14658)، الجمعة 25 ديسمبر / كانون الأول 2009م، ص 3.

4- السروري، مرجع سابق ، ص 502.

صاحب الحانوت يجمع تلك الحبوب ويتسوق بها، وسرع هذه الحبوب معروفة فيعطي البائع للمشتري مطلوبه بقدر ما أخذ منه ... وهكذا يتم البيع والشراء)⁽¹⁾.

كانت ترد إلى أسواق تهامة الكثير من السلع والبضائع سواء ما تنتجه المنطقة، أو ما يستورد من خارج اليمن، فكان من السلع المحلية التي يتم تبادلها في هذه الأسواق: الحبوب بأنواعها الحمراء والصفراء، والفاكه والخضروات، والحسير، ومنتجات الصناعات الفخارية، والجلود، والعسل، والمواشي (الحيوانات)، والبن والأخشاب⁽²⁾. ومن السلع المستوردة الأرز، والسكر، والجازولين، والصابون، والدقيق (القمح)، والأنسجة القطنية والصوفية، والكريبت، والشاي والزيت⁽³⁾. لم يقتصر دور الأسواق في تهامة على تبادل السلع، بل كانت أماكن مناسبة لقاء المشايخ والأعيان للباحث حول بعض القضايا، وحل بعض المشكلات، كما كان يتم في السوق تسليم الضرائب الزراعية للدولة، حيث تعلن فيه الإعلانات العامة، وتتبادل الآراء⁽⁴⁾.

كان السوق الأسبوعي في تهامة مثل غيره من الأسواق اليمنية قد عرف نوعاً من التخصص في السلع . أي أماكن مخصصة . لكل سلعة ضمن إطار السوق ، الأمر الذي يزيد من التناقض التجاري ويعطي فرصة للمشتري لشراء الأفضل والأرخص سعراً . ومما يدل على ذلك أن هذه التخصصات في السوق مازالت مستمرة إلى عصرنا الحالي ، حيث يوجد من ضمن السوق المعجار⁽⁵⁾ ، والمحيط⁽⁶⁾ ، والميزار⁽⁷⁾ ، والمصال⁽⁸⁾ ، والمحوات⁽⁹⁾ ، والمجزرة⁽¹⁰⁾ ، والمقوات⁽¹¹⁾

1- الأكوع، محمد بن علي : صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياني ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، (د.ط)، د.ت، ص 111.

2- دوستال، ولتر : الأسواق في اليمن، تر/ أحمد قائد بركات ، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412هـ / 1992م، ج 1، ص 116 - 117.

3- فخرى، أحمد: اليمن ماضيها وحاضرها، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1409هـ / 1988م، ص 67.

4- بن دغر، أحمد عبيد : اليمن تحت حكم الإمام أحمد (1948 - 1962م)، مكتبة مدبوبي، القاهرة، ط1، 2005م، ص 35.

5- لما عجّار : مكان بيع قصب الذرة ، وهي تسمية معروفة في جميع أسواق تهامة .

6- لما حنّاط : بكسر الميم ، وهو المكان الذي يتم فيه بيع وشراء أنواع الحبوب من المحاصيل الموسمية في المنطقة .

7- لما مِيزَار : مكان بيع الملابس والأقمشة .

8- لما مِصال : مكان بيع الخضروات والفاكه .

9- لما حَوَّات : مكان بيع الأسماك .

10- لما حُجْرَة: مكان بيع اللحوم بأنواعها.

11- لما مِقوَات : المكان الخاص ببيع القات .

الخ، هذا إلى جانب سوق المواشي والذي يُعرف بالمجلاب⁽¹⁾. كما كان يتم تبادل السلع الثمينة في هذه الأسواق ما بين البائع والمشتري عبر وسيط يسمى دلال، يتم اختياره من قبل شيخ السوق، أو من قبل الجماعة المكلفة بضمان أمن السوق، حيث يقوم هذا الوسيط بتنظيم عملية التبادل بين البائع والمشتري بما يحول دون وقوع الشجار أو الصراع بينهما⁽²⁾.

ونظراً لأهمية هذه الأسواق ومالها من انعكاسات على حياة المجتمع الاقتصادية، فقد صدرت بها القوانين التي تنظمها، من هذه القوانين: قانون سوق صناعي الذي يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، والذي اشتمل على قواعد لضبط جودة السلع والأسعار والموازين والمكاييل، وقد سرت هذه القوانين على الأسواق في فترة الدراسة ومنها أسواق تهامة⁽³⁾. فكان لكل سوق أسبوعي في تهامة شيخ أو عاقل (مختر)، يسمى بشيخ السوق، يقوم بحل المشكلات بين تجار السوق بعضهم ببعض، أو بينهم وبين الأفراد المتسوقين، فضلاً إلى قيامه بمراقبة المخالفين والمتلاعبين بالأسعار، كما يمنع الغش والتسلیس⁽⁴⁾. كما وجد في بعض الأسواق وخاصة أسواق المدن الرئيسية ما يسمى بشيخ الليل، مهمته حراسة الأسواق ليلاً، وتأمينها من اللصوص، والتأكد من إغلاق التجار لمحلاتهم التجارية، وذلك مقابل أجرة محددة يتلقاها من قبل أصحاب محلات في السوق⁽⁵⁾.

انتشرت العديد من الأسواق الأسبوعية في تهامة، حتى أنه في كل يوم من أيام الأسبوع يُقام أكثر من سوق.

والجدول التالي يوضح أهم هذه الأسواق في تهامة⁽⁶⁾.

اسم السوق	موعده الأسبوعي	منطقة الذي يُقام فيها السوق
سوق المعرض	السبت	قرية المعرض . الزهرة
. المغلاف	-	منطقة المغلاف

1-المجلاب: هو المكان الذي يتم فيه بيع وشراء الثروة الحيوانية بأنواعها(البقر ، والغنم ، وللماعز ، والحمير)، وبعض الطيور، وسمى بـجلاباً، لكون الناس يجلبون إليه الثروة الحيوانية للبيع ، أو جلبها منه إلى البيوت شراءً .

2- دوستال، مرجع سابق، ص 116 – 117 .

3- الدهي، أحمد سعيد : الحياة الاقتصادية لليمن الحديث، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء ، ط1، (د.ت)، ص 376 – 392 .

4- السروري، مرجع سابق ، ص 502 .

5- دوستال، مرجع سابق، ص 116 .

منطقة السوق/ التحينا	.	. السوق.
منطقة خيران	.	. المحرق.
قرية الدهار / اللحية	الأحد	. الدهار.
منطقة عبس	.	. عبس.
منطقة الركب	.	. الركب.
مدينة المراوعة	الإثنين	سوق المراوعة
مدينة الصحي	.	. الصحي.
مدينة حيس	.	. حيس.
منطقة المدن	.	. المدن.
قرية الرافعي . الزهرة	الثلاثاء	. الزهرة.
منطقة القطيع	.	. القطيع.
منطقة الجراحى	.	. الجراحى.
منطقة الزيدية	.	. الزيدية.
منطقة حرض	.	. حرض.
منطقة باجل	الأربعاء	. باجل.
منطقة المنصورية	.	. المنصورية.
منطقة المؤقر	.	. المؤقر.
منطقة عبس	.	. ربوع مطوله.
منطقة القناوص	الخميس	. القناوص.
الواعظات . الزهرة	.	. الخميس.
منطقة التربية	.	. التربية.
مدينة بيت الفقيه	الجمعة	. بيت الفقيه.
منطقة الدريهمي	.	. الدريهمي.
منطقة القطيع	.	. القطيع.
منطقة الخوخة	.	. الخوخة.

إلى جانب هذه الأسواق الأسبوعية، كانت تقام أسواق يومية في تهامة وخاصة في المدن الرئيسية، وهي لا تختلف كثيراً عن الأسواق الأسبوعية إلا من حيث الزمان والمكان، وكميات

البضائع ونوعياتها، وتتوفر المنتجات الحرفية، إضافة إلى أن هذه الأسواق اليومية كانت تقام في أماكن معزولة عن الأحياء السكنية⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة أنه إلى جانب ما نُكر من أسواق فقد وجدت أيضاً الأسواق الموسمية، التي كانت تُقام في أيام حصاد النخيل، وتمتد هذه الأسواق لفترات سابقة لدراستنا، حيث أورد ابن المجاور في مجله حديثه عن النخيل في زبيد ما نصه : ((أنه إذا حمل (أثمر) النخيل يتقبل⁽²⁾ كل واحد من الناس على قدره، ويجيء (يأتي) إليه الناس من باب حرض، إلى آخر أعمال أبيين، وينزل أهل الجبال إلى تهامة ... ويقيم الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة))⁽³⁾. كما كانت تُقام أسواق خلال مواسم زيارات الأولياء في تهامة، كزيارة عمر بن محمد الخامري في حيس، وزيارة الجبرتي والحداد في زبيد وزيارة الهاطر في التربية، وغيرها من الزيارات التي عادة ما يتخاللها عملية البيع والشراء⁽⁴⁾.

3- التجار والمؤسسات التجارية في تهامة :

ظهر في تهامة خلال فترة الدراسة مجموعة من التجار، الذين عملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية استيراداً وتصديراً، هذه المجموعة تشكلت من أوساط الأسرة الحاكمة، وكبار الموظفين، والمقربين من السلطة، ومن أبرزهم:

* علي محمد الجبلي، كان الوكيل التجاري للإمام، ورجل أمواله الأول، وكان من أكبر تجار تهامة في تلك الفترة، بامتلاكه أكثر مناطق تهامة المزروعة بالقطن والمحاصيل الزراعية⁽⁵⁾. وتشير المصادر بأن التجارة التي كان يمتلكها الجبلي لم يرثها من آبائه، وإنما بدأ حياته كعامل عند بائع جلود في تهامة، لكنه بذكائه ومهاراته أصبح من أكبر تجار اليمن حينها، مما أهله لأن يصبح وكيلًا للإمام يحيى ومن بعده الإمام أحمد لتجارتهما بعدن⁽⁶⁾.

1- دوستال، مرجع سابق، ص 115 - 116 .

2- يقصد بالتقيل هنا: هو استئجار الأراضي الزراعية المزروعة بالتحليل من مالكها للقيام برعاية الحصول، حتى موعد نضوجها، ثم يبعها على القادمين لشرائها.

3- ابن المجاور، مرجع سابق، ص 95 .

4- مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب/ عبد الجبار نعمان باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 6/7/2009م .

5- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 134 - 142 .

6- بن دغر، مرجع سابق، ص 36 .

استفاد الجبلي من هذه الوكالة التي جعلته يحظى بعدد من الامتيازات، حيث أصبح مدير أكبر شركة في اليمن، وهي الشركة التجارية اليمنية، والتي كانت أسهامها موزعة بين الإمام وحاشيته من التجار، و كان للجبلي وكبار تجار تهامة الحظ الأوفر من أسهامها .

تأسست الشركة عام 1950، برأسمال قدره 600,000 ستمائة ألف ريال ماريا تريزا، قيمة السهم الواحد 1000 ألف ريال، وكانت أسماء المساهمين في هذه الشركة، والمبلغ الذي شارك به كل منهم كالتالي⁽¹⁾.

جدول يوضح أسماء المساهمين في الشركة ونسبة المبلغ والوظيفة:

المنصب والوظيفة	المبلغ بآلاف الريالات	أسماء المساهمين
الإمام	310,000	أحمد يحيى حميد الدين
بعضهم وزراء في الحكومة	60,000	إخوه سيف الإسلام
رئيس الوزراء	5,000	سيف الإسلام الحسن
رئيس الديوان الملكي	5,000	القاضي حسين الحلبي
الوكيل التجاري للإمام، مدير الشركة	40,000	علي محمد الجبلي
تاجر . الحديدة	20,000	العطاس
تاجر . الحديدة	25,000	الرفاعي
تجار	70,000	مجموعة تجار صغار
تجار	20,000	أعضاء آخرين

ومن خلال الجدول السابق يتضح أن رأس مال الشركة لا يصل إلى 600 ألف ريال كما أشار المصدر ، إنما بلغ 555 ألف ريال، ويبدو أن الفارق يرجع إلى أخطاء في نقل الأرقام، كما يلاحظ على الجدول أن الإمام أحمد انفرد بأكثر من نصف رأس المال الشركة، حيث بلغت مساهمته ما نسبته 55,8 %، والبقية وزعت على أقربائه من الأسرة الحاكمة وحلفائه التجار . وهذا إنما يدل على مدى الاحتكار الذي كانت تعانيه التجارة في تهامة اليمن خلال فترة الدراسة.

احتكرت الشركة تصدير المنتجات الزراعية والحيوانية في تهامة والمتمثلة بالبن والجلود، والقطن، والتباك(التبغ)، كما احتكرت استيراد الدقيق، والجازولين، والأرز، والسكر، والمنسوجات القطنية، وبعض السلع الضرورية⁽²⁾. كان لهذه الشركة فروع في المدن والقرى ومنها تهامة، تقوم

- العززي، مرجع سابق، ص 84 .

- للقرمي، عبد الملك : التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 ، 1991م ، هامش ص 120 .

من خلالها بشراء المحاصيل الزراعية من المزارعين بالأسعار التي تحددها، ل تقوم بعد ذلك ببيعها إلى المواطنين، وتصدير الفائض منها، كما كان لها فروع في مدينة عدن يديره موظفون عرب وأجانب تقوم بالتصدير والاستيراد⁽¹⁾. إلى جانب ذلك كانت الشركة تمتلك معملاً للحج القطن، ومعصراً للزيت في مدينة الحديدة، كما امتلكت جزءاً هاماً من وسائل المواصلات البرية والبحرية، وكان لها مكاتب للصرف تتجزء بواسطتها عمليات بنكية ومالية⁽²⁾.

كما بُرِزَ من تجار تهامة عائلة الحاج حسين غالب الوجيه، الذين قاموا بتأسيس شركة الوجيه إخوان التي بدأت نشاطها التجاري في مدينة زبيد بإقامة مصانع يدوية لصياغة المنتسوجات المحلية (البز الأبيض) والذي كُنْ يُعرف في تهامة بالمرىكنى، الذي كان يوزع منه إلى المناطق الجبلية الباردة في اليمن⁽³⁾.

تطورت شركة الوجيه إخوان في تجارتها حيث أصبحت تزاول الاتجار بما تتوجه المنطقة من المحاصيل الزراعية في تهامة وتوزيعها إلى مناطق اليمن الأخرى، وتسود ما تحتاجه المنطقة من مواد الصياغة (النيلة الزرقاء)، والأرز ، والسكر ، والأقمشة القطنية بأنواعها، وبوفاة حسين غالب الوجيه عام 1929 ، انتقلت إدارة الشركة لابن أخيه الخادم غالب الوجيه، الذي تمتع بمهارة تجارية استطاع من خلالها أن يكسب ثقة أبناء الإمام يحيى في الاتجار معهم كوكيل ثانٍ لهم، فنشرت تجارتة وتوسعت ميادينها، واستطاع أن يفتح مكاتب تجارية في كل من الحديدة، ومستعمرة عدن آنذاك ، وأسمراً لتصبح شركة الوجيه إخوان ثاني شركة في اليمن بعد الشركة التجارية اليمنية⁽⁴⁾.

بعد تراكم رؤوس أموال الشركة قام الخادم غالب باستثمار هذه الأموال في ميادين أخرى تمثلت بشراء الأراضي الزراعية المحيطة بزبيد والجروبة، والأراضي الواقعة على وادي رماع، كما قامت الشركة بفتح المصانع الحرفية، التي جنت من ورائها أرباحاً وفيرة⁽⁵⁾.

إلا أن مؤسسة الوجيه سرعان ما تلاشت ثم انتهت، ويرجع السبب في ذلك إلى أنها كانت أكثر حرراً من الناحية السياسية، حيث اتخذت في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين خطأً معارضًا للسلطة، وذلك بانخراط مديرها الخادم غالب في سلك المعارضة الوطنية ضد السلطة،

1- بن دغر، مرجع سابق ، ص 36 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 232.

3- الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 596.

4- المرجع نفسه، ص 596 – 597.

5- الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 597.

وأصبح الممول المالي للمعارضة⁽¹⁾ . ظل الخادم الوجيه يساند حركة المعارضة حتى قامت حركة 1948 التي تم فيها القضاء على الإمام يحيى حميد الدين، وقيام حكومة دستورية استمرت 25 يوماً بقيادة السيد عبد الله الوزير⁽²⁾.

ولأسباب عدة⁽³⁾ سقطت الحكومة الدستورية وتولى حكم اليمن الإمام أحمد حميد الدين، الذي أستطاع أن يزج بالأحرار الذين شاركوا في حركة 1948 إلى السجون ومن ثم الإعدام، وكان الخادم غالب من ضمن الذين أعدموا في مدينة حجة يوم الثلاثاء 26 يونيو / حزيران 1948، وبموته انتهت شركة الوجيه إخوان⁽⁴⁾.

كما بُرِزَ في النشاط التجاري في تهامة الشيخ عمر سليمان المزجاجي، ومن بعد ابنه أحمد عمر سليمان المزجاجي، حيث عمل كوكلاً ومندوبين للشركات والمصانع الألمانية، التي كانت تصدر إلى اليمن الحديد، والمواد المعدنية، والأواني، والعطور والألوان، والأدوية، والمصايح الغازية، وأوراق الكتابة والأقلام⁽⁵⁾ ، كما عمل في استيراد الدقيق، والسكر، والأخشاب من الإتحاد السوفيتي (سابقاً)⁽⁶⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤسسات التجارية التي وجدت في تهامة خلال فترة الدراسة، لم تكن تهتم بمجال التصنيع الحديث، بل كان توجهها إلى الصناعات التحويلية لبعض المواد الاستهلاكية، وكان تركيزها الأساسي على الاستيراد والتصدير، وشراء الأراضي الزراعية، والقطاع الحرفى التقليدي .

1- الصوفي، نبيل: الخادم غالب الوجيه عاشق الحرية ، مجلة للمنتدى الأدبي الثقافي، زيد 1428 / 2007، ص 34.

2- حركة 1948 هي حركة قامت بها قوى للمعارضة من المستربين وبعض رجال القبائل ضد أسرة آل حميد الدين، وانتهت هذه الحركة بالقضاء على الإمام يحيى ، ورئيس وزرائه عبدالله العمري ، في 17 فبراير / شباط في منطقة حزير جنوب صنعاء .
أنظر: الصائدي، حركة للمعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 207- 208 .

3- من هذه الأسباب، ضعف قيادة الحركة، سوء الإعداد والتخطيط لها، تدني مستوىوعي لدى عامة الناس بأهداف الحركة، براعة القيادة المضادة المتمثلة بالإمام أحمد. أنظر: الصائدي، مرجع سابق، ص 223 – 229 .

4- الصوفي، مرجع سابق، ص 30 – 31 .

5- الصائدي، أحمد قائد: (العلاقات التجارية اليمنية – الألمانية للفترة 1927- 1940م) على ضوء أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع (49)، 1413هـ / 1993م، ص 29 – 31 .

6- طهير، أحمد عثمان : الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة ، دار المصباح ، الحديدة ، (د.ت)، ص 197 .

أما بالنسبة للوكالات التجارية الأجنبية فقد كانت قليلة وفي حدود ما كان يسمح به الإمام من علاقات مع الخارج، حيث وجدت شركة يونانية تسمى شركة ليفراتو في الحديد، تتاجر في تصدير البن، كما وجدت شركة إيطالية وشركة سوفيتية للغرض نفسه⁽¹⁾.

إلى جانب كبار التجار في تهامة، فقد ظهرت مجموعة من التجار الصغار الذين امتلكوا رؤوس أموال متواضعة استثمروها في عملية البيع والشراء بالتجزئة من خلال حوانينهم الصغيرة ⁽²⁾، كانوا يتوزعون في مدن وأرياف تهامة منقسمين إلى قسمين :

1- تجار المدن: وهم الذين كانوا يمارسون تجارتهم في المدن كالحديدة وزبيد وبيت الفقيه، ويتميزون عن تجار الأرياف بكثرتهم، وتتوفر رؤوس أموالهم، وكان أغلبهم من توارثوا مهنة التجارة من آبائهم، وتحصصوا فيها، كتجار الأقمشة، وتجار العطور، والجلود وغيرها ⁽³⁾.

2- تجار الريف: ويقصد بهم من يزاولون التجارة في القرى والمدن الصغيرة التهامية عبر حوانينهم المتواضعة، والتي تحتوي على بضائع وسلع ضرورية للاستخدام اليومي، مثل السكر والكريت، والجازولين، والصابون، والتوايل، وكانت الوسيلة الرئيسية للبيع والشراء في أرياف تهامة هي المقايضة، وذلك نظراً لندرة العملة كما أشرنا. كانت الظاهرة العامة للتجارة في المراكز الإدارية للأرياف تمثل بقلة المحلات التجارية، وقلة عدد التجار، مما نتج عنه ركود تجاري، إلا أن هذه المراكز كانت تنشط تجارياً أيام الأسواق الأسبوعية، وخلال مواسم الأعياد.

ومن خلال ما كان يتميز به تجار المدن عن تجار الأرياف في تهامة من توفر رؤوس الأموال والخبرة، ومستوى معين من التعليم، كل ذلك جعل بعض تجار المدن يشعرون بنوع من التعالي على تجار الأرياف، كما أن السلع والبضائع كانت تمر أولاً بتجار المدن قبل أن توزع إلى القرى

1- العظم، مصدر سابق، ص 34

2- من أبرز هؤلاء التجار : أحمد سليمان هنومي، وصالح الشاذلي، وال حاج عبد الله عزي سعيد مسلماني، والسيد حسن بن يحيى شرعان، والشيخ صالح بن علي عاموه، كما برب من زيد ، محمد سالم وجيه، ومحمد حسن جمعان، ومحمد حسن بلكم، ومحمد حسين إبراهيم بلو، ومحمد عزي تبريري، ومحمد عبده صالح ، محمود أبو الخير، وعبد الرحيم حسن الحديدي، وحسن عبده شوه، ومحمود زيلي، ويحيى حسن بناي، ويحيى على جريدة، ومحمود ضاحه، ومحمد أحمد عبد الكريم ، وحسين محمد الوصاية . أظرر: مطير، مرجع سابق ، ص 190 – 197 . ؛ الوصاية، حسين بن محمد: الرحلة

الحسينية في الديار اليمنية، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة المؤلف بزيد، ص 40

3- الشرجي، الشراح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 202 – 203 .

والأرياف هو ما أعطى نوعاً من الأهمية لتجار المدن، واحساس تجار الريف بنوع من التبعية والانقياد لهم⁽¹⁾.

4- سياسة الدولة التجارية وانعكاسها على التجارة في تهامة :

تفاوتت مواقف التجار في تهامة تجاه السلطة السياسية حسب ما تقتضيه المصلحة، فكبار التجار الذين كانت مصالحهم الشخصية مرتبطة بوجود السلطة، تبلورت مواقفهم بدعم سياسة السلطة الرامية إلى إيجاد دولة مركبة، لما في ذلك من نفع لهم بإيجاد سوق يشترك فيه الجميع، حيث شكل هؤلاء التجار مع كبار ملاك الأراضي الزراعية، وأفراد الأسرة المالكة الركيزة الإجتماعية والجدار المنيع لحكم أسرة حميد الدين⁽²⁾.

فيحكم مصلحتهم المرتبطة ببقاء السلطة السياسية، وقفوا إلى جانبها، بل كانوا كما يصفهم أحد المعاصرين : (يكرهون أي تغيير ، وتقليديون في نظرتهم، وناقصوا الخيال، وقصيروا النظر بدرجة أنهم ظلوا عاجزين عن إقامة أي استقرار سياسي طويل الأمد)⁽³⁾. كما يؤكد أحد الباحثين بأنهم كانوا : (يبذلون الولاء من أجل مصلحتهم الشخصية إلى الدرجة التي توقعهم في الأضطرابات السياسية)⁽⁴⁾، وبمقابل ذلك قدمت لهم السلطة الحاكمة مختلف التسهيلات منها إعفائهم من بعض الرسوم الجمركية الداخلية، والسماح لهم بممارسة الاحتكار دون غيرهم مع توفير الحماية الكاملة لهم ، واعطائهم الحق بجمع الضرائب الباهظة على غيرهم من صغار التجار⁽⁵⁾.

أما مواقف صغار التجار تجاه السلطة السياسية فقد اتسمت بالذمر والسخط نتيجة السياسة الضريبية الباهظة، فضلاً عن العوائق التي كانت تقف أمام نمو نشاطهم التجاري، وهو ما أدى بالكثير منهم إلى الهجرة للبحث عن أماكن ملائمة لمزاولة نشاطهم التجاري، وبمرور الوقت أصبح هؤلاء التجار من العناصر النشطة الذين شاركوا بأموالهم لدعم حركة المعارضة الوطنية ضد النظام، إلى جانب مساهمة بعضهم في القيادة والتحضير للقضاء على النظام الإمامي، وإقامة النظام الجمهوري عام 1962 .

5- العملة والبنوك:

1- الشرجي، الشرائع، مرجع سابق، ص 204 – 207 .

2- جوليو فسكيايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 133 – 135 .

3- نعمان، أحمد محمد: أخيار الرجعية في اليمن، مرجع سابق، ص 32 – 33 .

4- غالب، نظام الحكم والتخلّف الاقتصادي في اليمن، مرجع سابق، ص 29 .

5- جوليو فسكيايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 135 .

اعتمد التعامل التجاري في تهامة خلال فترة الدراسة على الريال الذي كان يُدعى بالفرنسي، وهي عملة نمساوية تعرف بماريا تريزا نسبة إلى اسم إمبراطورة النمسا (ماريا تريزا)، وكان لهذه العملة وجهان، وجه يحمل صورة الملكة، والآخر يحمل شعار الإمبراطورية النمساوية⁽¹⁾. كان ريال يزن 26,0668 ملليجرام، تبلغ نسبة الفضة في هذا الوزن 833 في الألف، ولذا كانت قيمته تتحدد باستمرار في ضوء أسعار الفضة في العالم، فإذا ارتفعت أسعار الفضة ارتفعت قيمة الريال والعكس، وكانت قيمته تساوي من 0,76 إلى 0,80 سنتيم من الدولار الأمريكي⁽²⁾.

دخل الريال الفضي إلى اليمن عام 1924 عن طريق المعاملات التجارية فوجد قبولاً ورواجاً لدى السلطات الإمامية وعامة السكان في اليمن ليصبح عملة البلاد الرئيسية ويرجع ذلك القبول والرواج لعدة أسباب منها⁽³⁾ :

- 1- افتقار البلاد إلى عملة وطنية تحظى بتقة كافة المواطنين.
- 2- المحتوى الفضي للريال، وهي صفة جعلته مفضلاً عن غيره من العملات للصفات المعدنية التي يحملها، كاللمعان، وعدم تعرضه للصدأ أو التلف، فضلاً إلى التناسق والدقة في صناعته.
- 3- استخدام الدولة له في كل معاملاتها وأغراضها المختلفة، من دفع المستحقات، وتحصيل الإيرادات.
- 4- أصبح وسيلة التعامل بين المواطنين أنفسهم في تسديد معاملاتهم، والوفاء بالتزاماتهم، بمعنى أنه أصبح عملة رسمية فرضتها الضرورة.
- 5- قابليته لحفظ والإكتاز .

فضلاً عن ذلك قام الإمام يحيى سك عملة مساعدة لريال سماها بالبقة: وهي عبارة عن قطعة معدنية صغيرة فضية ونحاسية، تنقسم إلى نصف بقة وربع بقة وثمن بقة، وكان ريال يساوي 40 بقة⁽⁴⁾. وعلى الرغم من سك هذه العملة المحلية، إلا أن كمية عرضها لم تكن كافية،

1- المقطرى، عبد العزيز أحمد : النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث ، دار الحداثة ، بيروت ، ط 1 ، 1985م، ص 30 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 236.

3- المقطرى، مرجع سابق، ص 31 - 32.

4- العظم، مصدر سابق، ص 184.

وتعاني من تقلبات في أسعارها، وكان وراء ذلك عدد من العوامل التي تحكمت في كمية عرض

النقد ونقلباتها منها⁽¹⁾ :

1- أسعار الفضة في الأسواق العالمية، فكلما انخفضت أسعارها زادت القدرة على زيادة الكمية من الريال الفضي، والعكس أي أنه كلما ارتفعت أسعار الفضة عالمياً، كلما قلَّ كمية عرض الريال في الأسواق اليمنية.

2- عدم مراكز سك الريال عن السوق اليمنية، وذلك مما أثرَ كثيراً في تحديد حجم الكمية منه، وخاصة في موسم الحصاد والأعياد والمناسبات التي يتطلب فيها زيادة الكمية من النقد.

3- في موسم جباية الضرائب وتحصيلها تستنزف كمية كبيرة من السيولة النقدية المتدالة في السوق، وتجد طريقها إلى خزينة الدولة من غير أن يقابل ذلك إنفاق حكومي عام يعوض ذلك الاستنزاف مما يؤثر سلباً على عرض كمية النقد وبالتالي على أسعارها .

4- افقار اليمن إلى بنوك للاستثمار والادخار، مما دفع أغلب التجار إلى خزن الريالات لديهم، مما يؤدي إلى سحب كمية من النقد وتجميدها، وبالتالي إخراجها من حركة السوق بما يؤدي إلى نقص كميتها .

5- التقلبات في أسعار الصرف الناجمة عن العوامل السياسية والمضاربات، التي تؤدي إلى نقص في العرض النقدي في السوق اليمنية .

6- تحويلات المغتربين خارج اليمن إلى أسرهم في الداخل كانت تلعب دوراً كبيراً في عرض النقد والطلب عليها .

فضلاً عن هذه العملة الرئيسية المتدالة في اليمن آنذاك، فقد وجدت عملات أجنبية كان يتم تداولها في بعض مناطق اليمن منها الروبية الهندية، والشلن الإفريقي، والجنيه الإسترليني، والريال السعودي، إلى جانب الدولار الأمريكي⁽²⁾. ويرجع السبب في ذلك بأن أي تعامل تجاري لابد أن يستوعب أكثر من عملة، فوجود الروبية الهندية نتيجة للعلاقات التجارية التي تربط اليمن بالهند منذ القدم، أما الشلن الإفريقي لكون قرب الموقع الجغرافي بين اليمن وافريقيا، أما التعامل بالجنيه الإسترليني فيرجع إلى وجود الإنجليز في عدن حينذاك ، أما وجود الريال السعودي فنتيجة للاستثمارات السعودية، وحركة المهاجرين (المغتربين) اليمنيين في داخل المملكة، أما الدولار فكان

1- المقطرى، مرجع سابق، ص40-41.

2- المقطرى، مرجع سابق، ص33-34.

عملة متداولة بين جميع البلدان ومنها اليمن، مما يشير إلى السيطرة الاقتصادية الأمريكية التي أخذت تثبت دورها العالمي.

أما البنوك فلم تكن هناك مصارف بنكية تسهم في تنظيم الشؤون المالية والاقتصادية غير مصرفان أحدهما فرع للبنك الفرنسي أندوشين وافتتح في مدينة الحديدة عام 1949، إلا أنه لم يستمر طويلاً حيث أغلق في عام 1951⁽¹⁾. وفي عام 1959 افتتح فرع آخر للبنك الأهلي السعودي في مدينة الحديدة أيضاً، وكان يتبع مؤسسة سعودية خاصة⁽²⁾، مع فتح مكتبين له في كل من صنعاء وتعز⁽³⁾.

اقتصرت خدمات البنك على الخدمات البسيطة والمحدودة، والمتمثلة بعمليات الإيداع، والخدمات المصرفية، وفتح الاعتمادات الصغيرة، وتقديم بعض القروض الصغيرة لذوي الجاه والنفوذ من أصحاب الامتيازات⁽⁴⁾، كما كان يتحكم في تداول العملة، وتحديد أسعار الصرف وخاصة في أوقات أزمات تقلب أسعار الفضة، وذلك بالتوافق والتنسيق مع البنوك التجارية في مدينة عدن⁽⁵⁾.

ظل دور البنك الأهلي السعودي مقتضاً على هذه الخدمات السابقة، ولم يحقق أي تطور في المجال الاقتصادي داخلياً أو خارجياً، ولعل ذلك يعود إلى ضآلة رأس المال، وحدودية موارده المالية، وصعوبة الاتصالات مع الأسواق الخارجية، فضلاً عن أن أي محاولة منه في التجارة الخارجية ستدخله في منافسة خاسرة مع بنوك عدن التي كانت على كفالة كبيرة من التنظيم والإدارة، والقدرة المالية، والعلاقة الوطيدة بمراكز التجارة والأسواق العالمية⁽⁶⁾.

إلى جانب هذين الفرعين، فقد وجد فرعاً صغيراً لبنك الهند الصينية تركزت خدماته للتجار الهنود والآسيويين، وبعض الأوروبيين الذين كانوا يتاجرون ببعض محاصيل المنطقة⁽⁷⁾.

1- المرجع نفسه، ص 34.

2- كان يملك هذه المؤسسة الشيخ سالم بن محفوظ، الخضرمي الأصل، وأحد ثرياء مدينة جدة. انظر: العطار، مرجع سابق، ص 238.

3- المقطرى، مرجع سابق، ص 34.

4- المرجع نفسه.

5- العطار، مرجع سابق، ص 238.

6- المقطرى، مرجع سابق، ص 37 - 38.

7- صحيفة فتاة الجزيرة، عدن، ع (1333) بتاريخ 16 مايو/أيار 1960م، ص 1.

ومما سبق يتضح أن بلداً ليس لديه نقدة الوطني، ولا توجد لديه مؤسسات تتولى إصدار العملة، ويستخدم عملة أجنبية، كل ذلك إنما يدل على التبعية النقدية والاقتصادية للخارج، وقد دفع الاقتصاد اليمني ثمناً باهظاً إزاء هذه التبعية .

6- المقاييس والمكاييل والأوزان في تهامة:

تعددت الأوزان والمكاييل والمقاييس في تهامة، وذلك حسب نوعية السلعة من حيث الصلابة والسيولة والعدد. ففي المقاييس أُستخدم المعاد⁽¹⁾ لقياس مساحات الأراضي الزراعية⁽²⁾. كما أُستخدم الذراع لتحديد أطوال بعض السلع كالأقمشة والأخشاب، وكان الذراع على نوعين، الأول ذراع اليد وهو الذراع الشرعي ويبلغ طوله 49.32 سم، وكانت تُقاس به أطوال بعض الأقمشة ولازال مستعملاً به في أسواق تهامة⁽³⁾. والثاني الذراع الحديدي ويسمى في تهامة (بالوار)، ويبلغ طوله 90 سم، وتُقاس به بعض الأقمشة مثل شقق الحرير البيضاء والذي كان يصل طول الواحدة منها إلى عشرين ذراعاً ، كما كان يُقاس به أطوال ألواح الأخشاب⁽⁴⁾.

أما المكاييل: فقد أُستخدم العديد من وحدات الكيل لتقدير المحاصيل والسلع المختلفة في فترة الدراسة، وقد اختلفت المكاييل من منطقة إلى أخرى. ففي المناطق الجنوبية من تهامة أُستخدمت الكيلة لتقدير سلعة الحبوب وكانت تساوي 5 كجم، وتُقسم إلى نصف الكيلة، وربعها وثمانها⁽⁵⁾. كما أُستخدم القدح والذي كان يساوي ثمان كيلات أي ما مقداره 40 كجم ، كما أُستخدم الثمن والذي يساوي 40 كيلة، أي ما مقداره 200 كجم⁽⁶⁾. أما المناطق الشمالية من تهامة فقد استخدمت عدة مكاييل منه الرباعية، والحكم، والقوية ونصف القوية، والثرة والقرف⁽⁷⁾.

1- المعاد: تبلغ مساحته 3600 م، أي بضرب الطول في العرض $60 \times 60 = 3600$ م.

2- السروري، مرجع سابق ، ص 513 .

3- هنتس، فالتر : للمكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى ، تر / كامل العсли، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ط 2 ، (د.ت) ، ص 91 - 92 .

4- هنتس، مرجع سابق، ص 87 .

5- الحضرمي، ثغامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 370 .

6- هارون، مرجع سابق، ص 192 - 193 .

7- الرباعية : كانت تساوي 7 كيل أي ما يساوي 35 كجم ، أما الحكم فتساوي 17.5 كجم ، والقوية تساوي 7.5 كجم ، والثرة تساوي أربعة كيلو إلأ ربع ، أما القرف فيساوي كيلو وربع الكيلو . أنظر: الحضرمي ، ثغامة في التاريخ، مرجع سابق ، ص 370 .

كما أستخدم في مكاييل السوائل كالزيوت والسمن والعسل، والأوقية، والريعي، والدولة، ومكيال آخر سمي بالجوز، وكان يقسم إلى نصف الجوز وربع الجوز، وخاصة في مدينة الحديدة^(١).

أما الأوزان فقد أستخدم الكيلو والذي يساوي 1000 جرام، ويقسم إلى نصف كيلو وربع كيلو وثمن كيلو، واستخدم الرطل الذي يزن حوالي 560 جرام ، واستخدم المَنْ الذي يزن حوالي 1400 جرام^(٢). ومن الأوزان التي استخدمت في تهامة ولازالت إلى وقتنا الحالي الفراسلة والتي يوزن بها السلع الثقيلة ، كالتبغ ، والقطن ، والبن ، وكانت الفراسلة تزن من 11 إلى 12 كجم^(٣).

فضلاً إلى ماسبق، فقد كانت بعض السلع تقدر بـ لوعاء الذي تحفظ وتتباع فيه، ظراً ل المناسبتها طبيعة تلك السلع، واعتبرت تلك الأووعية في تهامة وحدات للتقدير وزناً أو كيلاً، كالجمنة، والقمقام للسمن والعسل، كما قدرت بعض السلع كالأقمشة والجلود بالقطعة والكورجة^(٤). وهذا تتوزع الموازين والمكاييل في تهامة حسب المنطقة، وحسب نوع السلعة.

ب - التجارة الخارجية :

١- صادرات تهامة :

تمثلت صادرات تهامة في فترة الدراسة في مجموعة من السلع الزراعية والحيوانية، من أهمها البن الذي كان يصدر منه كميات كبيرة، وكان يتم جلبه من المناطق الجبلية المجاورة لتهامة، ويجمع في بيت الفقيه ثم يُنقل على ظهور الجمال والحمير إلى موانئ الحديدة والمخا لتصديره إلى الخارج^(٥). ويلي البن القطن الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث التصدير، ويرجع ذلك إلى

1- المرجع نفسه .

2- هارون، مرجع سابق، ص 193.

3- العطار، مرجع سابق، ص 242.

4- الكورجة : تساوي عشرون قطعة . أنظر: العطار، مرجع سابق، ص 242 .

5- تُعد أثيوبيا (الحبشة) الموطن الأصلي لشجرة البن، حيث كان ينمو برياً في أقاليم (كافا) بمنوب غرب أثيوبيا، ومنه انتقل إلى اليمن ، إذ يرجع تاريخ دخول شجرة البن إلى اليمن إلى القرنين التاسع والعشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، عن طريق شيخ الصوفية علي بن عمر الشاذلي ، ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى إدخالها اليمن ، هو اكتشاف شيوخ الصوفية أن شرائها يعين على السهر والذكر ، وبخاصة بعد الإفشاء من قبل العلماء بحمل شرائها ، ظراً لعدم ثبوت ما يخل بالقوى العقلية عند فقهاء الدين وذلك مما أدى إلى انتشارها بين الناس، ومن ثم الاهتمام بزراعتها، ولم يمر وقت طويل حتى ذاع صيتها خارج اليمن ، وأصبحت سلعة تجارية تختتم بها الدول الأجنبية ، وتقوم باستيرادها . أنظر: الحبشي، عبد الله محمد: ظهور القهوة في اليمن، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع (124)، ص 53.؛ الخطابي، أروى أحمد: تجارة البن في اليمن، مجلة الإكيليل، وزارة الثقافة، صنعاء، ع (29- 30)، يناير، مارس/كانون الثاني، آذار، 2006، ص 180 – 185.

توسيع زراعته في منطقة تهامة وخاصة في نهاية الخمسينات⁽¹⁾. ومن الصادرات التي اختصت بها تهامة الجلود، والأقمشة المصبوغة بالنيلة، والمواشي (الثروة الحيوانية)، والملح، والأسماك المجففة، والسمسم (الجلجلان)، والبيض والتمور⁽²⁾.

أما عن حجم هذه الصادرات، فلم نعثر على أرقام خاصة لمنطقة تهامة، كون المنطقة كانت جزءاً من اليمن، إلا أن بعض الدراسات العلمية حصلت على تقديرات لحجم الصادرات اليمنية بشكل عام، مثلت صادرات تهامة النسبة الأكبر فيها، حيث تشير هذه الدراسات إلى أن حجم صادرات اليمن بلغت في عام 1960 ما قيمته 7,845,000 دولار أمريكي، أما في عام 1961 فقد ارتفعت قيمة الصادرات إلى 8,456,000 دولار أمريكي، شكلت صادرات تهامة المتمثلة بالبن الذي يمر عبر مدن تهامة والقطن والجلود ما نسبته 76% من أجمالي هذه الصادرات⁽³⁾. والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول يوضح للصادرات الكلية لليمن لعامي 1960م . 1961م بآلاف الدولارات الأمريكية⁽⁴⁾.

المواد المصدرة	قيمة الصادرات لعام 1960م بالدولار	قيمة الصادرات لعام 1961م بالدولار	قيمة الصادرات لعام 1961م بالدولار
البن	4,500	4,302	البن
القطن	800	1,600	القطن
الجلود	751	668	الجلود
الملح	294	364	الملح
خضروات وفواكه	481	420	خضروات وفواكه
سمك مجفف	9	17	سمك مجفف
الماشية الحية بالرأس (الحيوانات)	22	50	الماشية الحية بالرأس (الحيوانات)
البيض	147	143	البيض
القات	135	96	القات

1- العطار، مرجع سابق، ص 221 – 222.

2- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 53 . ؛ الحضرمي، قحامة في التاريخ ، مرجع سابق، ص 134 .

3- العطار، مرجع سابق، ص 221.

4- المرجع نفسه .

96	32	الخشب وفحم الخشب
504	500	صادرات مختلفة إلى المملكة العربية السعودية
196	174	متفرقات
8,456 مليون دولار	7,845	المجموع

وبالنظر إلى الجدول يتضح مايلي :

- 1- أن البن كان يشكل مادة التصدير الأساسية، فهو وحده يمثل 50% وأكثر من إجمالي الصادرات، وهو ما يعكس قدم وتاريخية هذا المنتج الزراعي في اليمن، ومدى الاهتمام بزراعته، برغم محدودية محصوله .
- 2- يتصدر القطن المرتبة الثانية، ويرجع ذلك كما أشرنا إلى توسيع زراعته في تهامة، بينما يأتي الجلود في المرتبة الثالثة من قائمة التصدير.
- 3- كما يتضح من الجدول مدى ضعف قيمة الصادرات اليمنية خلال فترة الدراسة، وتدنى أسعارها، ويظهر ذلك واضحاً في استحواذ ثلات منتجات على هيكل الصادرات، مما كان يعرض هذا الهيكل وعائد الصادرات عموماً إلى حالة من التذبذب، وعدم الاستقرار .
- 4- أن الصادرات اليمنية هي عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية، مما يعكس السمة الطبيعية الزراعية للاقتصاد البدائي اليمني خلال تلك الفترة .

كما يتضح أن النسب المئوية للصادرات من حيث القيمة الإجمالية تتمثل فيما يلي:

المادة	المجموع	1960م	1961م
البن	%57,3	%49,3	%
القطن	%9,6	%18,5	%
الجلود	%9,5	%8,3	%
المنتجات الأخرى	%23,6	%23,9	%
المجموع	%100	%100	%

أما من حيث وجهة هذه الصادرات، فنجد أنها كانت تتوزع بين مدينة عدن، التي كانت تلعب دور الوسيط التجاري في صادرات وواردات اليمن، وبعض الدول العربية، التي كان على رأسها

المملكة العربية السعودية، التي حظيت بنصيب وافر من صادرات تهامة، وبخاصة المواشي الحية والجلود⁽¹⁾.

كما كانت تصدر بعض السلع إلى بعض الدول الأجنبية، وخاصة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الإتحاد السوفيتي (سابقاً)، ويصدر البن والجلود إلى الأسواق الغربية، كالولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، وألمانيا الغربية، وبريطانيا، وفرنسا، واليابان مقابل استيراد اليمن منها لبعض السلع⁽²⁾.

2 - الواردات إلى تهامة :

أما أهم الواردات التي كانت تصل إلى اليمن بشكل عام ومنها تهامة، فتمثل بالأقمشة القطنية بأنواعها، والمواد الغذائية المتمثلة بالسكر والدقيق والأرز، ومشتقات النفط، والإسمنت، والحديد، والأدوية، والأدوات المنزلية، وأدوات الكتابة⁽³⁾.

أما عن مصدر هذه الواردات فكانت تأتي من الدول الرأسمالية، وعلى رأسها اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا الغربية، وبعض الدول العربية كمصر والسودان وال سعودية، إلا أن أكثر السلع تدفقاً إلى اليمن كانت تأتي عبر الإتحاد السوفيتي، والتي لاقت قبولاً واسعاً لدى السكان، حيث تشير بعض المصادر إلى أن صادرات الإتحاد السوفيتي إلى اليمن في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين وصل إلى 75% من الكيروسين، و50% من السكر، و39% من الكبريت، و100% من الأسمنت⁽⁴⁾.

1- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 53 .

2- المرجع نفسه، ص 72 - 73 .

3- المركز الوطني للوثائق، تقرير حول البضائع والسلع الواردة إلى موانئ تهامة لعام 1359هـ/1940م. ملحق (12). ؛ العظم، مصدر سابق، ص 27 . ؛ انكارين، مذكرة دبلوماسي في اليمن، تر/ قائد محمد طريوش ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط 1 ، 1993م ، ص 53 .

4- جولوبوفسكايا، مرجع سابق، ص 72 - 73 .

وقد ساعد نمو العلاقات السلعية النقدية، والاستيراد الكبير للسلع الأجنبية خلال فترة الدراسة على توسيع التجارة الداخلية في تهامة، التي كان يمارسها قطاع كبير من صغار ومتواسطي التجار⁽¹⁾.

وقد شهدت بعض المواد المستوردة ارتفاعاً ملحوظاً من سنة إلى أخرى خلال فترة الدراسة، حيث تم استيراد 2 مليون متر من الأقمشة عام 1960، ثم أرتفع عام 1961 ب نحو 26 مليون متر، وإلى خمسة أضعاف عام 1962 مقارنة بعام 1929⁽²⁾.

وترجع تلك الزيادة في الاستيراد لهذه السلعة إلى سياسة الإمامة التي كانت تفضل تصدير القطن الخام عوضاً عن استخدامه في الإنتاج المحلي، حيث رأت أن تصدير القطن الخام، واستيراد الأقمشة الجاهزة سيوفر لها ربحاً أوفراً، وهذا إنما يدل على غياب دور النظام في تنمية النشاط الاقتصادي الإنتاجي، والاعتماد على الموارد المحلية في تلبية الطلب الداخلي، وهو ما نتج عنه إغفال لكثير من مصانع الحياكة والغزل التقليدية في تهامة، نتيجة منافسة وجودة ورخص القطنيان المستوردة . ونظراً لعدم وجود أرقام موثوقة بها تشير إلى الحجم الكلي لقيمة الواردات، نجد الاختلاف في ذلك من باحث لأخر، حيث يقدر العطار قيمة الواردات لعام 1961 ب نحو 16,836,000 دولار⁽³⁾، بينما تقدر الباحثة الروسية جولوبوفسكايا تلك القيمة في نفس العام ب نحو 3,459,000 مليون جنيه إسترليني⁽⁴⁾، وهذا الرقم يكاد يكون قريباً نوعاً ما من الرقم الذي أورده العطار، بعد الأخذ في الاعتبار فارق الصرف السائد بين العملات حينذاك. ولذا أخذنا بتقديرات العطار من حيث قيمة الصادرات والواردات لعام 1961 في اليمن، فإن الميزان التجاري سيكون على النحو التالي:

إجمالي قيمة الصادرات	8,456,000 مليون دولار أمريكي
إجمالي قيمة الواردات	16,836,000 مليون دولار أمريكي
العجز الكلي في الميزان التجاري	8,380,000 مليون دولار أمريكي

1- مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر(1917- 1982م)، ترجمة / محمد علي البحر، مكتبة مدبوبي، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت)، ص 96.

2- جولوبوفسكايا، مرجع سابق ، ص 71 .

3- العطار، مرجع سابق، ص 226.

4- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 71 .

وبالنظر إلى الجدول السابق نجد أن العجز الكلي يساوي ما نسبته 50% من الإجمالي العام، وهو رقم يعكس مدى تدهور الوضع الاقتصادي في تلك الفترة، حيث لم يكن هذا العجز عجزاً مؤقتاً بل استمر طوال فترة الحكم الإمامي لليمن، ولم يظهر واضحاً إلا في السنوات الأخيرة من فترة الدراسة، وذلك حينما بدأت السلع المستوردة تتدفق على اليمن منافسة المنتجات المحلية الزراعية والصناعية والحرفية، مما أدى إلى الإضرار بها، وتدهور العديد من الصناعات، وانقراض البعض الآخر واحتفائها من الأسواق اليمنية ، ولم يكن يغطي هذا العجز سوى القروض والمساعدات التي تلقتها اليمن من بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتي، والصين الشعبية، وألمانيا الغربية^(١). فضلاً عن تحويلات المغتربين المهاجرين الذين كانوا يُعدون بالمليين، حيث كانوا يرسلون المبالغ الكبيرة إلى ذويهم وأقربائهم في كل مناسبة^(٢).

- 3- الموانئ في تهامة:

الموانئ رئة الحياة لأي دولة، باعتبارها النافذة التي تطل منها على العالم الخارجي. وتمتلك تهامة شريطاً سلحيلاً يمتد على طول حدودها مع البحر الأحمر، مما أهلها لأن تمتلك عدداً من الموانئ التي أدت دوراً مهماً في التجارة الداخلية والخارجية لليمن، حيث مثلت هذه الموانئ نقطة انطلاق للسكان في تهامة نحو البحر كصيادي وملاحين وتجار، كما مثلت مركز الاستقبال الأول لل الصادرات والواردات . إلا أن هذه الموانئ كانت تقليدية، لا تُمكن السفن والبواخر من الرسو، وإدارة عمليات الشحن والتفریغ على الأرصفة مباشرة، بل كانت عمليات الشحن والتفریغ تتم عبر القوارب والسنابيك^(٣) التي تقترب من الشاطئ بمسافة تتراوح ما بين 80-100 متر، لتنقل البضائع والسلع على ظهور الحمالين إلى بر الشاطئ والتي هذه الوضعية التي كانت عليها الموانئ يشير أحد الباحثين الأجانب بقوله:

() قد تبقى البواخر على بعد 7 كيلومترات بعيداً عن الشاطئ، حيث تفرغ حمولتها إلى بعض المراكب الشراعية الصغيرة، لتمضي هذه المراكب بحمولتها في رحلة ثانية إلى مسافة آمنة من الرصيف، فتنقل حمولتها إلى نوع من الزوارق الصغيرة، ثم تمضي هذه الزوارق في رحلة ثالثة إلى

1- العطار، مرجع سابق، ص 230.

2- بن دغر، مرجع سابق ، ص 34 .

3- السنابيك : جمع (سنبوك)، وهي نوع من أنواع القوارب التي تعمل في البحر .

قرب نقطة من المياه الضحلة القرية من الرصيف، فيتولى الحمالون نقلها إلى الرصيف)^(١). كانت هذه العملية ترفع من تكاليف السلع المستوردة فتصل إلى المستهلك بأسعار مرتفعة . ومن أهم موانئ تهامة مايلي :

أ- ميناء الحديدة :

يقع ميناء الحديدة على ساحل البحر الأحمر ، ويرجع تاريخه إلى فترة سابقة تعود إلى بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي^(٢)، وقد عمل العثمانيون على تطوير ميناء الحديدة ليحل بديلاً عن ميناء المخا الذي تعرض للتدمير والخراب^(٣). ومنذ ذلك الوقت أصبح ميناء الحديدة الميناء الأول والرئيس لليمن على البحر الأحمر، إلا أنه تعرض في نهاية الحرب العالمية الأولى 1918 للقصف من قبل القوات الجوية البريطانية، ومن ثم الاستيلاء عليه وعلى المدينة، وترجع أسباب قصف الميناء إلى أسباب اقتصادية بحثه تتمثل بمنافسته لميناء عدن كونه الوحيد في شمال اليمن حينذاك، وذلك لما كان يتمتع به من موقع تجاري، وكان في حساب الانجليز أن قصف ميناء الحديدة سيتيح المجال أمام ميناء عدن لاستقبال كل السلع الصادرة والواردة إلى اليمن^(٤).

ظل الاحتلال البريطاني لمدينة الحديدة وميناؤها ثلاث سنوات، وفي عام 1921 سلمت بريطانيا الحديدة والميناء إلى محمد الإدريسي الحليف لهم في منطقة عسير^(٥). ويرجع السبب في تسليم مدينة الحديدة وميناؤها إلى محمد الإدريسي كمكافأة له على تعاونه معها في الحرب العالمية الأولى^(٦)، فضلاً عن تأجج الصراع نسبياً بين دول الحلفاء المنتصرة في الحرب حول

1- هولفريتز، هائز : اليمن من الباب الخلفي، تر/ خيري حماد ، دار العودة ، بيروت ، 1986 م ، ص 214 .
بن دغر، مرجع سابق، ص 49 .

2 - بدأ استخدامه كمراضاً لصيد الأسماك وتخمييعها وتوزيعها على الأسواق القرية، كما يعود له الفضل في ظهور مدينة الحديدة التي تدرجت في الظهور من قرية صغيرة إلى أن أصبحت أكبر مدينة ثمانية، بدأت أهمية الميناء تظهر خلال القرن السادس عشر الميلادي، وذلك خلال الصراع ما بين البرتغاليين والملوك في البحر الأحمر، كما ازدادت أهميته حينما أخذه العثمانيون قاعدة عسكرية لهم عام 1849 أثناء صراعهم مع البريطانيين الذين قاموا باحتلال عدن عام 1839. أنظر: مطير، مرجع سابق، ص 33-34.

3- الدهي، مرجع سابق ، ص 227-228 .

4- العطار، مرجع سابق، ص 35 .

5- المرجع نفسه .

6 -Basic Chronology for a history of the Yemen, Middle East journal, 1963, vol. 17. p. 148.

تقسيم الممتلكات العثمانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وخوفاً من وقوع المناطق الساحلية للبحر الأحمر والواقعة قرب عدن في أيدي دولة أخرى سارعت بريطانيا بإعطاء الحديد وميناؤها للأدارسة للتخلص من أطماع الحلفاء⁽¹⁾ ونكاية في الإمام يحيى الذي قام بمحاكمة المناطق القريبة من عدن أثناء الحرب العالمية الأولى⁽²⁾. وبسيطرة الإدريسي على مناطق تهامة وفصلها عن المناطق الجبلية إدارياً، أدى ذلك إلى انهيار الروابط التجارية والاقتصادية بين المنطقة الساحلية والمناطق الجبلية، حيث حلت المجاعة في بعض المدن الساحلية، وعانت المناطق الجبلية من اختفاء السلع الصناعية، التي كانت تصل عبر ميناء الحديد⁽³⁾.

وبموت محمد الإدريسي مؤسس الإمارة الإدريسية، دبَّ الصراع على السلطة بين الأسرة الإدريسية، مما أدى إلى ضعف الإمارة الإدريسية، ذلك مما مكَّن الإمام يحيى من انتهاز الفرصة والزحف بجيشه على تهامة عام 1925، و إعادة كل المناطق التهامية بما فيها الحديد إلى مملكته⁽⁴⁾، لم يكتُ الإمام يحيى بذلك بل اتجهت قواته شمالاً حتى وصلت إلى ميدي، وحاصرت صبيا وأبي عريش، عندِ عرض الأدارسة على الإمام يحيى صلحاً يقضي بأنْ يُكَفَ عن محاولة الاستيلاء على المدينتين مقابل اعترافهم له بالولاء ، لكن الإمام رفض العرض وأصرَ على مواصلة القتال والزحف، مما حمل الأدارسة على اللجوء إلى الملك عبد العزيز لطلب الحماية في عام 1926، ثم الانضمام تحت رايته في عام 1930⁽⁵⁾. ونتيجة لذلك أصبح الإمام يحيى والملك عبد العزيز وجهاً لوجه، مما أدى إلى وقوع الحرب بينهما عام 1934، ووقوع بعض المدن التهامية، ومنها الحديد في أيدي القوات السعودية وتغلق القوات اليمنية إلى داخل الحدود السعودية ومناطق أخرى، وانتهت تلك الحرب باتفاقية الطائف عام 1934، التي قبضت بانسحاب القوات السعودية من تهامة مقابل انسحاب القوات اليمنية من الأراضي السعودية، وفرضت هذه الاتفاقية خط الحدود بين اليمن وال السعودية⁽⁶⁾.

1- جوليو فسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 20 .

2- بولدرى، جون : أهم الأحداث في تاريخ الحديد، تر/ محمد عزيز صالح وآخرون، مجلة الإكليل، صنعاء ، ع(5)، 1401هـ/1981م، ص 70 .

3- مجموعة من المؤلفين السوفيت، مرجع سابق، ص 13.

4- أبااظه، فاروق عثمان: عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 68.

5- بن دغر، مرجع سابق ، ص 209 .

6- أبو عز الدين، نجيب: عشرون عاماً في خدمة اليمن، دار الباحث، بيروت، (د.ط)، 1990م، ص 242 .

وفي الوقت الذي كان فيه ميناء عدن يحتكر تجارة اليمن الخارجية ، فإن ميناء الحديدة كان أقل أهمية، وذلك لعدم توفر الإمكانيات المتأحة لاستقبال السفن الكبيرة، حيث كان الميناء عبارة عن حوض صغير يتكون من حاجزين للأمواج يمتدان داخل البحر أحدهما موازي للشاطئ، والآخر متعمد عليه، وليس هناك أي ترابط بينهما، ولذا ما جاءت إحدى السفن الكبيرة فإن عليها أن ترسو في عرض البحر بمسافة عدة كيلو مترات والأَّ تعرضت للارتطام بالكتل الصخرية التي كانت تكثر على شواطئ البحر الأحمر ^(١) ، إلا أنه في عام 1956 عقدت اليمن اتفاقية مع الإتحاد السوفياتي لغرض إنشاء ميناء حديث على بعد أربعة كيلومترات شمال الحديدة، وقد بدأت أعمال الإنشاء في عام 1958، ولم يمض وقت طويل حتى تم تجهيز الميناء وأفتتح رسمياً في عام 1961، وكان يتكون من قناة للرسو يبلغ طولها 9,5 كم ويعمق 9 متر، وحوض تبلغ مساحته 18 هكتار يتيح لسفينة طولها 150 متر أن تتحرك فيه بسهولة كما تم إنجاز رصيفين لاستقبال السفن الكبيرة البالغ طولها 300 متر ^(٢) .

وبسبب هذه التجهيزات بدأ ميناء الحديدة يستقطب معظم تجارة اليمن للخارجية، استيراداً وتصديراً ، كما أنه في الوقت نفسه قلل من اعتماد اليمن على ميناء عدن الذي كان يخضع آنذاك للاستعمار البريطاني، حيث انخفض حجم المعاملات التجارية التي كانت تأتي عبر عدن من 90% عام 1955 إلى 55% عام 1961 ثم تلاشت تماماً في السنوات اللاحقة خصوصاً عندما بدأ الاهتمام يزداد بموانئ أخرى في تهامة كالمخا والصليف ^(٣) . غير أن الميناء الجديد ظل غير قابل لرسو شركات الملاحة الدولية التي تعبّر بواخرها طريق البحر الأحمر وذلك لأسباب منها ^(٤) :

1- إنارة القناة لم تكن على مستوى كافٍ حتى تتمكن سفن الملاحة الكبيرة من الرسو ليلاً، حيث لم يكن الإمام أحمد يرغب في بذل تكاليف إضافية لإنارة القناة، وكانت حجته في ذلك قوله:

(ما حاجة السفن في الدخول إلى الميناء ليلاً) .

. (نص للمعاهدة).

- أنكارين، مرجع سابق، ص 45 . ؛ آل يحيى ، سيف الدين سعيد : تاريخبعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة (1940 – 1943)، دائرة التدريب والتطوير القتالي ، العراق ، ط1، 1986 ، ج 1، ص 233 – 234 .
- العطار، مرجع سابق، ص 55 - 56 .
- ماكرو، أريك : اليمن والغرب (1571 - 1962 م) ، تر/ حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط2، 1987 ، ص 228 .
- العطار، مرجع سابق، ص 56 .

2- عدم توفر الإمكانيات لإفراغ البضائع أو شحنها ليلاً، نظراً لمنع العمل بعد الساعة السادسة مساءً.

3- ضآلة حجم الصادرات والواردات لا يتيح لأي شركة للملاحة تنظيم وقوف منتظم لبواخرها في الميناء.

4- ارتفاع تكاليف الرسو بالنسبة لأهمية الميناء.

لعب ميناء الحديدة دوراً حاسماً في ثورة سبتمبر / أيلول 1962، حيث أنه لو لا وجود الميناء الحديث، لكان على الثوار أن يلجأوا إلى استعمال ميناء عدن، وكانت بريطانيا قد طرحت مقابل ذلك حصولها على بدائل سياسية في مقابل استعمال ميناء عدن، ولمارست ما بوسعتها من ضغط يعرض مصير الثورة ذاتها للخطر، وبعد قيام الثورة اليمنية قامت الحكومة اليمنية بتوسيع الميناء بزيادة أرصفته فأصبح الميناء يستوعب العشرات من السفن التجارية في آن واحد.

ب- ميناء المخا:

المخا: بفتح الميم والخاء المعجمة وألف ممدودة، مدينة وميناء قديم مشهور يقع على ساحل البحر الأحمر غربي مدينة تعز بمسافة 94كم، وهو من الموانئ القديمة التي ذكرت في النقوش اليمنية باسم (مخن)⁽¹⁾.

وبسبب أهمية موقعه الإستراتيجي وقربه من الممر الدولي للسفن العابرة في مضيق باب المندب والذي لا يبعد عنه سوى 75كم⁽²⁾، تعرض الميناء لعدة حملات عسكرية من قبل البرتغاليين في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت هذه الحملات سبباً في تنافس الدولة العثمانية والحكومة البريطانية على المنطقة⁽³⁾.

1- عُرف ميناء المخا منذ القدم باستخدامه للأغراض الملاحية والتجارية بين اليمن وشرق إفريقيا، كونه أقرب الموانئ اليمنية لدول القرن الأفريقي، حيث لا يبعد عن الساحل الإريتري سوى 35كم، وما ساعد على شهرة ميناء المخا قبل الإسلام هو تصديره مادة (اللن) الذي كان يدخل في الصناعات الحيوية، كصناعة تحنيط الموتى في مصر القديمة. أنظر: الخطابي، مرجع سابق، ص 183؛ العديني، مارش أحمد سعيد: جغرافية الموانئ اليمنية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صناعة، ط 1، 2003/1424، ص 18- 20.

2- المرجع نفسه، ص 63.

3- مطهر، نجوى عبد اللطيف: صراع القوى حول خamaة اليمن (1818- 1849م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة صنعاء، 2005م، ص 17.

كان لميناء المخا دور مهم في تاريخ اليمن الاقتصادي، حيث كان من أهم الموانئ اليمنية التي اشتهرت بتصدير البن اليمني منذ القرن السابع عشر الميلادي، وفي ذلك يقول المؤرخ الواسعي : () وباسم المخا يسمى الإفرنج أفسر أنواع البن عندهم Moka acoffe () (⁽¹⁾) ويقصد به بن المخا . وقد ذكر الرحالة نبيور أهمية ميناء المخا بقوله: () فهو من أهم الموانئ اليمنية على الإطلاق، ومنه أكتسب البن اليمني اسمه العالمي [ُ] كما، ويقع ضمن مملكة الإمام، وله علاقات تجارية مع الموانئ الإفريقية الشرقية () (⁽²⁾).

وخلال فترة الدراسة تقلصت أهمية ميناء المخا التجارية، وذلك نتيجة منافسة ميناء عدن والحديدة له، ويسبب الدمار الذي لحق به خلال الحرب العالمية الأولى من قبل مدافع الإنجليز والإيطاليين، انحصرت إسهاماته التجارية في تصدير بعض السلع والمنتجات الغذائية، كالبن والجلود التي تشحن على السبابيك الصغيرة إلى ميناء عصب في إريتريا (⁽³⁾).

وفي بداية الخمسينات من القرن العشرين وبخاصة بعد انتقال الإمام أحمد إلى تعز، حظي ميناء المخا بنوع من الاهتمام من قبل السلطة، حيث تم الاتفاق مع شركة فرنسيتان في عام 1956 بتجديد الميناء وتطويره، و ذلك بإضافة رصيف حديث من الخرسانة بطول 200 متر، وعرض 7,5 مترا، إلا أن هذه الأعمال لم تُنجذ بسبب الضغوطات البريطانية أثناء أزمة السويس، وكان المبرر لهذا الاهتمام كون الميناء قريباً من مدينة تعز التي انتقلت إليها عاصمة المملكة اليمنية، إضافة لقربه من مضيق باب المندب (⁽⁴⁾).

ج- ميناء الصليف :

يقع ميناء الصليف على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من مدينة الحديدة بمسافة تقدر بنحو 65 كم (⁽⁵⁾). ومنطقة الصليف هي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاثة جهات، ويوجد حولها عدد

1- الواسعي، مرجع سابق، ص 180.

2- الصادقي، المادة التاريخية في كتابات نبيور عن اليمن ، مرجع سابق ، ص 179 .

3- أبونقي، سلفاتور: مملكة الإمام يحيى، تر/ طه فوزي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1366هـ/1947م، ص 19.

4- فلادلين أ. جوساروف، وآخرون : اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية ، تر/أحمد علي سلطان، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، (د.ط)، 1972، ص 91-92.

5- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، المسافات بين مراكز الحفاظة وللمديريات، محافظة الحديدة ، ص 84

من الجزر الصغيرة غير المأهولة منها: جزيرة زير ونتريل، وجزيرة خيكوك⁽¹⁾، وتتبع إدارياً قضاء الزيدية، والتي تبعد عنها بنحو 45 كم من ناحية الغرب⁽²⁾.

يتميز ميناء الصليف بعمقه الطبيعي الذي يسمح باستقبال السفن الكبيرة التي كانت لا تتمكن من الرسو في ميناء الحديد ، كما يتميز بقلة تعرضه للرياح القوية⁽³⁾. اشتهرت مدينة الصليف بوجود مناجم الجبس والملح الصخري العالي النقاوة، وهو من أجود أنواع الملح في العالم لاحتواه على مادة اليود الطبيعي ، والذي تعود بداية اكتشافه إلى عام 1880 على أيدي العثمانيين⁽⁴⁾.

ساهم ميناء الصليف خلال فترة الدراسة بدور بارز في النشاط الاقتصادي للمنطقة ، وذلك باستخدامه في تصدير الملح إلى الأسواق العالمية، وكانت به أرصفة لرسو السبابيك والقوارب الصغيرة التي يتم بواسطتها نقل الملح إلى ظهور السفن⁽⁵⁾. وقد تم تنفيذ أول مشروع لاستغلال ملح الصليف في عام 1959 من قبل شركة يابانية ، وذلك بالتعاقد مع الإمام أحمد إمام اليمن آنذاك ، حيث قامت الشركة باحتكار تصدير الملح إلى اليابان ، وبعد قيام الجمهورية العربية اليمنية عام 1962 حظيت منطقة الصليف وميناؤها باهتمام خاص من قبل الدولة حيث تم تأسيس الشركة اليمنية العامة لاستخراج الملح والجبس ، والتي تولت القيام بعملية طحن الملح وتصديره بكميات كبيرة إلى بلدان العالم ، كما كان يتم تصدير الجبس إلى المملكة العربية السعودية لاستخدامه في صناعة الإسمنت⁽⁶⁾.

ونظراً لتوارد صخور الملح المتراكمة في منطقة الصليف ، شجع ذلك شركات التنقيب عن النفط للبحث في المنطقة ، وكانت أول الشركات التي قامت بالتنقيب في الصليف شركة ديلمان الألمانية ، التي قامت بالمسح والحفr الاستكشافي في بداية الخمسينات ، إلا أن هذه الشركة لم تحقق شيئاً ، وأوقفت تنقيباتها عام 1956. كما أن المنطقة شهدت مرة أخرى في بداية السبعينات

1- المقحفي، معجم القبائل، مرجع سابق، ص 917.

2- الويسى، مرجع سابق، ص 113.

3- ترسىسى، عدنان، اليمن وحضارة الغرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 192.

4- بركات، أحمد قائد: منطقة الصليف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط 1، ج 2، ص 574.

5- جوساروف، مرجع سابق، ص 93.

6- الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 223؛ بركات، الموسوعة اليمنية، مرجع سابق، ص 574.

مرحلة من الكشف والتنقيب عن النفط، وقامت بها شركة ميكوم الأمريكية التي قامت بحفر ثلاثة آبار في كل من الحديدية والزيدية والصليفه إلا أنها أوقفت عملياتها ولم تتحقق شيء⁽¹⁾.

- ميناء اللُّحْيَة:

اللُّحْيَة: بلامين إحداهم مضمومة، وفتح الحاء المهملة، وياء مشددة، ثم هاء ساكنه⁽²⁾. بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدية على بعد 167 كم⁽³⁾.

ولأهمية موقع **اللُّحْيَة** وميناؤها، تعرضت لعدة هجمات استعمارية، وأولى هذه الهجمات كانت في عام 1912 من قبل السفن والبواخر التابعة للقوات البحرية الإيطالية أثناء حربها مع العثمانيين، كما تعرضت في عام 1918 لقصف مدفعي شديد من قبل القوات البريطانية واستولت عليها، ثم سلمتها في عام 1921 إلى الأدارسة، وظلت تحت سيطرة الأدارسة حتى عام 1925 ، وتم استعادتها مع بقية مناطق تهامة من قبل قوات الإمام يحيى حميد الدين⁽⁴⁾. استمد ميناء **اللُّحْيَة** دوره المهم خلال فترة الدراسة، حيث كان يتم عن طريقه تصدير بعض منتجات المنطقة، واستقبال عدد من السلع المستوردة، كما كان يوجد به جمرك لمراقبة السلع الصادرة والواردة، وفرض الرسوم الجمركية عليها⁽⁵⁾.

كان لميناء **اللُّحْيَة** دور تجاري في تصدير البن اليمني، والذي كان يأتي من المناطق الجبلية، ويتم تصديره من **اللُّحْيَة** إلى ميناء جدة القريب منه مما كان يقلل من تكاليف شرائه ونقله، ذلك مما شجع الكثير من التجار على شرائه من **اللُّحْيَة** وشحنها إلى ميناء جدة، ومن ثم إلى مصر وتركيا⁽⁶⁾.

1- العزري، مرجع سابق، ص 82 - 83 .

2 - المحففي، مرجع سابق، ص 548 .

3 - الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، المسافات بين مركز المحافظة والمديريات، محافظة الحديدية ، ص 84 . يرجع تاريخ بناء للمدينة إلى أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد تطورت حتى أصبحت ميناءً مهمًا على ساحل البحر الأحمر خلال القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أشار إليها نبيور خلال رحلته إلى اليمن عام 1763 ، وقال أن أول ميناء هام إلى الجنوب من جيزان هو ميناء **اللُّحْيَة**، وهو أحد موانئ الإمام من جهة الشمال.أنظر: الصائدی، المادة التاريخية في كتابات نبيور، مرجع سابق، ص 178 .

4- صحيفة اليمن، الجمهورية اليمنية، الأحد 14 ربى الأول 1431هـ / 28 فبراير(شباط) 2010م، ص 13.

5-مركز الوطني للوثائق،وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفين جمرك الحديدية واللُّحْيَة، ملحق رقم (13).

6- الصائدی، المادة التاريخية في كتابات نبيور، مرجع سابق، ص 167 .

اشتهرت اللحية بصناعاتها التقليدية والحرفية القديمة، كالصناعات الفخارية، وصناعة القوارب الصغيرة، كما تميزت بمعالمها الأثرية كالقلاع والحسون الدفاعية التي تطل على ميناء اللحية من أهم هذه القلاع قلعة المسيلة، والدوم الحمراء، وقلعة النعمان، وقلعة الكتف ، وقلعة القفل^(١).

هـ - ميناء الخوخة :

الخوخة: بضم الخاء المعجمة الأولى، وفتح الثانية وسكون الواو ، إحدى القرى والموانئ الساحلية على البحر الأحمر^(٢). تبعد عن مدينة الحديدة بمسافة 164 كم جنوباً ، وعن مدينة حيس 28 كم غرباً^(٣) كانت تُعرف قديماً بالخوخة بفتح الخاء وكسر الواو ، وفتح الهاء الأولى وأخرها هاء، ثم حرفت الكلمة وألت تصحيحاً إلى لفظها الحالي الخوخة^(٤). والخوخة في اللغة العربية تعني: الكوة (الثقب) في الجدار الذي يؤدي إلى الضوء^(٥).

يُعد ميناء الخوخة من الموانئ الصغيرة الذي استخدم خلال فترة الدراسة لتصدير الحبوب والجلود والأسماك، كما كانت ترسو فيه بعض السفن الشراعية الصغيرة، وكان يوجد به جمرك لفرض الضرائب على الصادرات والواردات يديره مجموعة من الموظفين^(٦).

تتميز منطقة الخوخة بشواطئها الطويلة والمتنوعة^(٧)، كما تتميز بتواجد المياه العذبة القريبة من شواطئها، وعلى عمق بضعة أمتار من سطح الأرض، وتغطي شواطئها أشجار التحيل والدوم الذي يُصنع منه الحصير^(٨).

والى جانب هذه الموانئ فقد وجدت موانئ صغيرة (مراكب) استعملت للنقل الداخلي على سواحل البحر الأحمر، ومراسي لقارب الصيادين ومن أبرزها مرفأ ميدي وابن عباس^(٩).

1- صحيفة اليمن، مرجع سابق، ص 13.

2- الحجري، مرجع سابق، مجل 1، ج 2، ص 312.

3- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، محافظة الحديدة، مرجع سابق، ص 84.

4- لطف، مرجع سابق، ص 25.

5- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح، ضبط وتصحيح / سميرة خلف المولى، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت ، (د.ط)، (د.ت) ، ص 148 .

6- المركز الوطني للوثائق، وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الخوخة، ملحق رقم (14)، الويسى ، مرجع سابق ، ص 105 .

7- من أهم شواطئها ، القطايا، والكداخ ، وأبو زهر ، وشاطئ الحبشة ، والخرق ، وشاطئ العترة .

8- صحيفة 26 سبتمبر، الجمهورية اليمنية، ع(1275)، بتاريخ 10 أغسطس (آب)، 2006م، ص 26.

4- الضرائب الجمركية على السلع التجارية في تهامة :

شكلت إيرادات الضرائب الجمركية على السلع التجارية، فضلاً عن إيرادات الضرائب الزراعية والحيوانية التي سبق التحدث عنها، المصدر الرئيس لخزينة الدولة خلال فترة الدراسة. وكانت الضرائب الجمركية في تهامة تؤخذ على الشكل التالي :

1- ضرائب الصادرات: تؤخذ بنسبة 10% من قيمتها، وبخاصة على الأنواع التي كانت تشجع الحكومة على تصديرها كالبن والقطن والجلود⁽²⁾، ويورد العطار تحديداً أدق لضريبة هذه السلع حيث يشير إلى أن ضريبة البن والقطن ريال عن كل فراسلة، والجلود ريال عن كل كورجة . أما المنتوجات الأخرى مثل الحبوب والفواكه فإن رسم التصدير كان يُقدر بواقع 2,5 % من قيمتها، وذلك راجع إلى قلة تصديرها⁽³⁾.

2- ضرائب الواردات: تؤخذ بنسبة 10% على السلع الأساسية الاستهلاكية، كالمواد الغذائية والمنسوجات، و20% على الكماليات⁽⁴⁾. إضافة لذلك كانت تفرض رسوم تحت مسميات عده منها رسوم المصالح الاجتماعية، والتي تسمى في عصرنا الحالي برسوم الخدمات ويتم تحديدها على النحو التالي :

أ- أربع بقش عن كل ريال يدفع للحكومة كضريبة جمركية، بدعوى أنها توزع على الفقراء، والمدارس، وعابري السبيل.

ب- يفرض على كل كيس بضاعة خمس بقش كضريبة للدخول، وبقشتان لضريبة الصحة، وخمس بقش أخرى مقابل توفير الحماية في الطرق والمدن، كما فرضت ضرائب لصالح بناء الطرق وصيانتها، وكانت تسمى بضرائب الأحmas، وتؤخذ عن كل سيارة شحن للبضائع 18 ريال + 4 بقش عن كل ريال مدفوع، أما سيارات النقل فيدفع عنها 9 ريال + 4 بقش عن كل ريال مدفوع⁽⁵⁾.

1- ترسيسبي، مرجع سابق، ص 192 .

2- الكحلاوي، مرجع سابق، ص 142 - 143 .

3- بن دغر، مرجع سابق ، ص 41 .

4- العطار، مرجع سابق، ص 242.

5- المرجع نفسه .

كما فُرضت رسوم جمركية على السلع التي تُنقل من منطقة إلى أخرى داخل البلد، وتتحدد قيمة الضريبة حسب نوعية السلعة، وهو ما ساعد على ضعف التبادل التجاري داخل أسواق تهامة⁽¹⁾. وفرضت رسوم على المنازل والحوانيت (محل بيع السلع)، والأسواق، ورسوم على بيع الماشي (الحيوانات) وكان يُطلق عليها مشغلات⁽²⁾.

ج. الطرق والمواصلات في تهامة :

أ- الطرق:

كانت الطرق في تهامة خلال فترة الدراسة بدائية رملية وحصوية غير معبدة، استخدمت لمرور الجمال والحمير والبغال، وقد اتسعت مع مرور الوقت بسبب مرور سيارات الشحن الكبيرة التي دخلت إلى اليمن في نهاية فترة الدراسة، ومن أهم هذه الطرق:

أولاً . الطرق البرية وهي نوعان⁽³⁾:

أ- الطرق الداخلية الفرعية التي تربط بين مدن وقرى تهامة، وهي عبارة عن مسارات ودروب صغيرة رملية وحصوية، غير مرصوفة، تطور بعضها نسبياً بحيث أصبحت فيما بعد ممراً لسيارات النقل، إلا أنّ وعورتها كانت تسبب بطئاً شديداً للسيارات، بحيث لا تتجاوز سرعتها مابين 10 - 15 كم في الساعة، مما يتسبب في ارتفاع معدل استهلاك السيارات، وبالتالي ارتفاع قيمة تكلفة النقل . وكان يتعرض معظمها في أغلب الأوقات للتخرّب من قبل السيول والكتبان الرملية التي تقطعها، وكان يُقدر طول هذه الطرق في كل تهامة بنحو 551 كم⁽⁴⁾.

وأهم هذه الطرق الفرعية:

1- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 81 .

2- الكحلاوي، مرجع سابق، ص 144 .

3 - ينظر ملحق رقم (8)، خارطة توضح أهم الطرق البرية في تهامة .

4 - جعفر، مرجع سابق، ص 79 .

1- طريق الحديدة ميدي: وهو طريق يربط بين كل مدن تهامة الشمالية، ويبلغ طوله 180 كم، ويتفرع عنه طرق فرعية وهي: طريق فرعي يربط بين منطقة الزيدية بالصليف، والزهرة بالمعرض، والزيدية باللُّحْيَة، والزيدية بالمغلاف، وباجل بالمغلاف، وميدي بحرض .

2- أما في المناطق الجنوبية من تهامة فترتبط بين أجزاءها بعض الطرق الفرعية أيضاً منها: طريق المنصورية السخنة، بيت الفقيه الريهمي والجاح، زيد التحيتا، حيس الخوخة، المفرق المخا، المخا باب المندب جنوباً⁽¹⁾.

بـ- الطرق التي تربط تهامة بمناطق اليمن المختلفة، غالباً ما كانت تتطلق من مدينة الحديدة أو تتجه إليها، باعتبارها أهم محطة في تهامة، وأهم هذه الطرق:

1- طريق الحديد . معبر. صنعاء :
وهو طريق رملي حصوي، يبدأ من مدينة الحديدة ماراً بمدينة باجل، ثم يتجه شرقاً فيمر بمنطقة عِبال، ثم مدينة العيد، ثم حمام علي في آنس، ثم بمعبر، ويصعد مرتفعاً إلى ممر المصنعة، ثم نقيل يسلح، ثم إلى صنعاء، يصل طول هذا الطريق إلى 340 كم⁽²⁾.

2- طريق الحديد . مناخه . صنعاء :
يبدأ من الحديدة ويمر بمنطقة المراوعة ثم باجل، ثم يصعد في الوبيان والجبال المتعرجة، حيث يمر بوادي سردد، ثم خميس بنى سعد، ثم القدم، فanax، فمفحق، فخميس مذبور، ويوعان ثم متنة، ثم عصر حتى يصل إلى صنعاء⁽³⁾.

يُعد هذا الطريق الوحيد الذي تم رصده بالإسفلت في نهاية فترة الدراسة من قبل جمهورية الصين الشعبية، حيث بدأ العمل فيه في عام 1959، وتم إنجازه عام 1961. يبلغ طول هذا الطريق 226 كم، وعرضه 8 أمتار، وهو ما جعل منه موضع نقد من قبل البعض، وهذا إنما يرجع إلى صعوبة المنطقة التي شُق فيها الطريق، التي كانت تحتوي على جبال شاهقة ومنعرجات عديدة،

1 - المرجع نفسه، ص 79 - 80 .

2 - ترسيري، مرجع سابق، ص 184 .؛ فاياد، كلودي: كنت طيبة في اليمن ، تر/ محسن العبي، دار العودة ، بيروت ، ط 2 ، 1987 ، ص 65 - 71 .

3 - الوبسي، مرجع سابق ، ص 78 .؛ زكريا ، مرجع سابق ، ص 166 .

ترتفع أحياناً حتى تصل إلى 2600 متر عن مستوى سطح البحر، ثم تنخفض إلى 2200 متر حيث مدينة صنعاء، وهو ما جعل العمل فيه شاقاً جداً⁽¹⁾.

3- طريق الحديد . حجة :

وهو طريق رملي حصوي، يربط بين مدينة الحديد وحجة، حيث يمر بمنطقة الزيدية، فالقاوص، ثم منطقة الطور، ثم سوق الأمان بوادي عيَان، حتى يصل حجة، يبلغ طول هذا الطريق 180 كم⁽²⁾.

4- طريق الحديد . تعز :

يبداً من الحديد باتجاه الجنوب، حيث يمر بالمنصورية، ثم بيت الفقيه، فزيدي، فحيس، ثم وادي الزراعي، ثم بهجرة وادي الحضيان حتى يصل تعز، يصل طول هذا الطريق إلى 240 كم⁽³⁾. كان هذا الطريق ممراً للبغال والحمير والجمال، وقد تم رصف هذا الطريق بالإسفلت عام 1969 عن طريق شركة سوفيتية⁽⁴⁾. وكان هناك طريق آخر يمر عبر الساحل من تعز إلى الحديد، حيث يبدأ من تعز مروراً بهجدة والبرح، ثم المخا، ثم حيس فزيدي حتى يصل الحديد⁽⁵⁾.

ثانياً . الطرق البحرية وتمثل بما يلي :

1- طريق بحري يربط بين ميناء الحديد وميناء عدن، حيث يبدأ من الحديد ويمر بميناء المخا، ثم جيبوتي ثم بمضيق باب المندب حتى يصل إلى ميناء عدن⁽⁶⁾.

2- طريق بحري يربط مابين ميناء اللحية وميناء جده، وكان يتم عن طريقه تصدير البن اليمني إلى جده، ومن ثم إلى مصر وتركيا⁽⁷⁾.

3- طريق بحري يربط بين ميناء المخا وميناء عصب في إريتريا، ويتم عن طريقه تصدير الجلود والحبوب، والبن إلى دول القرن الإفريقي⁽⁸⁾.

ب - المواصلات :

1- العطار، مرجع سابق، ص 58.

2- الويسي، مرجع سابق، ص 126.

3- ترسبيسي، مرجع سابق، ص 181 – 184.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 79.

5- الويسي، مرجع سابق ، ص 57.

6- العطار، مرجع سابق، ص 57.

7- الخطابي، مرجع سابق، ص 183.

8- أبوتنى، مرجع سابق ، ص 19.

١- وسائل النقل البري في تهامة :

كانت أغلب وسائل النقل البري في تهامة تقصر على الجمال والحمير والبغال حيث تُعد الجمال الوسيلة الأساسية لنقل المؤن والسلع والمسافرين خصوصاً للمسافات الطويلة، أما الحمير فقد استخدمت للمسافات القصيرة، كان يقوم بعملية النقل الطويل أصحاب الجمال (الإبل)، ويُعرفون بالجَمَالَة وكأنوا يتخذون من هذه العملية حرفَة يعتمدون عليها في حياتهم المعيشية، وقد وجدت بالمدن الرئيسية في تهامة محطات خاصة لقوافل الجمال، تكون على استعداد للتحرك في حالة وجود المسافرين أو البضائع إلى محطة أخرى^(١).

كما كان يتم عن طريق الجمال نقل السلع والبضائع الواردة إلى موانئ تهامة وتوصيلها إلى المناطق الداخلية، والعكس حيث تقوم هذه الجمال بنقل السلع المراد تصديرها إلى الموانئ، حيث يشير أحد الباحثين أنه في عام 1929 جاءت إلى الحديدة من المناطق الجبلية (ويقصد بها المناطق المحيطة بالحديدة)، 12 ألف جمل محمولة بالبن، و1150 جمل محمولة بالجلود لتصديره إلى الخارج^(٢). ويتم بواسطة الجَمَال (قائد القافلة)، تسلم البضاعة من التاجر (البائع)، ونقلها على ظهور الجمال لإيصالها إلى الزبائن (أصحاب الحوانيت الصغيرة)، كما يقوم الجَمَال باستلام قيمة السلع وإيصالها إلى التاجر^(٣). أي أن الجَمَال كان يقوم بمقام الوكيل المعتمد من قبل الطرفين مقابل أجرة توكيلاه.

ومن وسائل النقل البري التي استخدمت خلال فترة الدراسة السيارات، وكانت قليلة العدد، حيث لم تتنافس عملية النقل بالجمال إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وتركز وجودها في المدن الرئيسية، أما القرى والأرياف فلم يكن لها وجود فيها، لأن السيارات كانت محتكرة من قبل مجموعة من الأفراد، تمثلت في العائلة المالكة وبعض التجار في تهامة وعلى رأسهم الجبلي وكيل الإمام التجاري، وبهذا الصدد تقول الطبيبة الفرنسية كلودي فايان أثناء رحلتها إلى اليمن ووصولها إلى الحديدة : (وقد احتكر النقل في جميع أنحاء البلاد صاحب الجلة الإمام والجبلي، وهما

1- الجعدي، مرجع سابق، ص 127 .

2- بولدرى، مرجع سابق ، ص 71 .

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 135 .

يمتلكان أغلب سيارات النقل، أما التجار الآخرون الذين يمتلكون بعض السيارات فلكي يُسمح لهم بشحن البضائع ونقلها لأَدَن يُسْجِّلوا أنفسهم أولاً، وأن ينتظروا دورهم))⁽¹⁾.

كانت معظم هذه السيارات من طراز فورد ذات العجلات الكبيرة، والصناديق الخشبية المكشوف، وللتدليل على ذلك يصف لنا الرحالة السوري نزيه مؤيد العظم إحدى هذه السيارات أثناء زيارته لليمن وهو في طريقه من الحديدة إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحيى حميد الدين قائلاً :))⁽²⁾ أ茅طينا السيارة على بركة الله، وكانت في مجموعها سيارة دولية، من مصنوعات معامل فورد، كانت عجلاتها الأمامية من صنع إيطاليا، وكاشوكها (الماكينة الداخلية) من صنع فرنسا، وواحدة من العجلات الخلفية إنكليزية أما الأخرى فكانت أمريكية، وصناديقها الخشبي وسقفها كانوا مصنوعين من بقايا صناديق زيت الكاز))⁽²⁾.

ويبدو أن هناك نوعاً من المبالغة في هذا الوصف، إلا أنه يقترب نوعاً ما من حقيقة الوضع الذي كانت تعيشه البلاد خلال فترة الدراسة. ولوعدة الطرق كانت تتعرض هذه السيارات لحوادث التدرج، والسقوط من أعلى الجبال، مما يؤدي إلى إزهاق أرواح كثير من المواطنين.

2 - وسائل النقل البحري :

أما في مجال النقل البحري، فقد استخدمت القوارب الصغيرة والسنابيك لنقل الركاب والبضائع بين السواحل القريبة، وكانت حمولتها قليلة، ذلك لصغر حجمها، ولأنها كانت تعتمد في حركتها على المجهود البشري بواسطة المجاديف⁽³⁾، كما يتم بواسطتها نقل السلع من السفن الكبيرة التي ترسو على بعد كيلو مترات من البر، وتوصيلها بالقرب من الشاطئ، حيث يتولى الحمالون إيصالها إلى الرصيف⁽⁴⁾.

أما في مجال النقل البحري الخارجي، فقد استخدمت البوادر لنقل السلع والبضائع الثقيلة، وكانت حلقة الوصل بين الموانئ اليمنية في تهامة والموانئ الخارجية، وقد امتلكت اليمن خلال فترة الدراسة باخرتين لنقل بعض صادرات وواردات اليمن، كانت تتبع الإمام ووكيله التجاري الجبلي،

1- فايـان، مرجع سابق، ص 63 .

2- العـظم، مصدر سابق، ص 42-43 .

3- العـظم، مصدر سابق، ص 127 .

4- الشـرجـي، الشـرـائـعـ الإـجـتمـاعـيـةـ ، مـرـجـعـ سـابـقـ ، 48-49 .

تبلغ حمولة كل منها 300 طن و 900 طن⁽¹⁾ ! أما بقية صادرات وواردات اليمن فكانت تُنقل على بواخر أجنبية مستأجرة⁽²⁾.

-3 - وسائل النقل الجوي :

أما النقل الجوي فكان يتم بواسطة طائرات محدودة جداً ، وفي إطار خدمة الأسرة الحاكمة وموظفيها ، حيث كانت مهمة الطائرات خلال فترة الدراسة نقل كبار الموظفين والتجار ، ووفود الحكومة في المهام الداخلية⁽³⁾.

أما في مجال النقل الجوي الخارجي فقد قامت السلطة في عام 1950 ، تحت ضغط المعارضة لإخراج البلاد من العزلة بتسيير رحلات جوية غير منتظمة بين كل من عدن وصنعاء وتعز والحديدة ، وبدأت بعض شركات الطيران الإفريقية ترسل رحلات شبه منتظمة إلى اليمن ، وفي عام 1952 بدأت بتسيير رحلات جوية مابين صنعاء وجده والقاهرة ، وفي عام 1957 بادرت سوريا وبهدف مساعدة اليمن في الخروج من عزلته بافتتاح خط جوي بين دمشق وصنعاء⁽⁴⁾.

أما المطارات فقد وجدت ثلاثة مطارات في كل من صنعاء وتعز والحديدة ، وكانت هذه المطارات عبارة عن أرض ترابية تعاني من ضعف الإمكانيات ، وتمويل الطائرات بالمحروقات بما فيها مطار الحديدة ، وتتفقر إلى أبسط مقومات النظام والأمان وشروط السلامة ، ونظراً لعدم توفر الأنوار فيها ، وافتقارها إلى الخدمات الأرضية ، كالأرصاد والمراقبة لذا لم تستخدم إلا نهاراً فقط⁽⁵⁾.

أما وسائل الاتصال الأخرى ، فقد اعتمدت اليمن ومنها منطقة تهامة بعد خروج العثمانيين على ما خلفوه في مجال الاتصالات السلكية ، وهو التلغراف حيث استخدمه الإمام لصالحه من خلال متابعة أمور الدولة وضبطها ، ولإصدار الأوامر والتعليمات الإدارية ، واستقبال التقارير من موظفيه في الألوية أو الشكاوى من المواطنين⁽⁶⁾ ، حيث كان الإمام يتبع للمواطنين الاستفادة من هذه الخدمة إذا أرادوا التعامل معه ، فقد كان بإمكان أي مواطن أن يبعث بتلغراف إلى الإمام في

1- العطار، مرجع سابق، ص 57.

2- الدهي، مرجع سابق، ص 229.

3- العطار، مرجع سابق، ص 58 - 59.

4- بن دغر، مرجع سابق ، ص 51 - 52.

5- الشرجي، الشرائح الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 49 .

6- المرجع نفسه، ص 49 - 50.

صنعاء بشرط أن يدفع تكاليفه وتتكاليف الرد عليه⁽¹⁾. ونتيجة لذلك فقد كان الاتصال بين مناطق تهامة والمناطق الأخرى في اليمن محدودة جداً ومتخلفة، أما الاتصال بين مدن تهامة بعضها البعض فتكاد تكون مقطوعة، ولذا وجدت فإنها تمارس بوسائل بدائية ومتخلفة جداً.

أما الخدمات البريدية فقد ظلت خلال فترة الدراسة في تهامة بدائية ومتخلفة، تعتمد في نقلها على الحيوانات كالحمير والجمال والبغال، وتحت إشراف مدراء الأقضية والنواحي، ويرجع ذلك لانعدام الطرق الحديثة المعبدة⁽²⁾. وكانت تقتصر هذه الخدمات على أشياء تقليدية ترتبط بحياة المواطنين والدولة، مثل الرسائل العادية وبعض السلع الخفيفة، وكانت الرسالة تمثل شهراً أو أكثر حتى تصل لصاحبها، وكثيراً ما كان يتم فتح الرسائل ومعرفة محتوياتها⁽³⁾.

وبينما سبق أن تخلف وبدائية وسائل الاتصال، وانعدام الأمن، وبدائية الطرق، وانعدام المؤسسات المالية والمصرفية في تهامة خلال فترة الدراسة ساهم مع عوامل أخرى في تكريس حالة التخلف والجمود الاقتصادي والاجتماعي التي شهدتها المنطقة، كما وقفت عائقاً أمام نمو واتساع الحركة التجارية، حيث حالت دون نشأة تجارية مؤثرة، عدا الذين ارتبطوا بالسلطة السياسية، وعملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية، كما انعكس هذا التخلف على صادرات المنطقة التي اتسمت بالضعف، وكانت عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية . وهذا كله أدى إلى بقاء اليمن متخلفاً عن استثمار إمكانياته الاقتصادية الغنية بما يبرز دور هذه القطر الحضاري عبر العصور، في زمن نحن (عرب) أحوج لأن نكون أقوىاء بما لدينا من موارد تفوق حتماً موارد الغرب الطامع بكل ما نملك .

1- بن دغر، مرجع سابق، ص 53 .

مقابلة شخصية مع أحد المُعمرين في تهامة، بتاريخ 18/6/2009 .

3- بن دغر، مرجع سابق، ص 54 .

الباب الثاني

الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918 - 1962) :
الفصل الأول

التركيبة الاجتماعية في تهامة اليمن :

- 1- السادة.
- 2- القضاة.
- 3- كبار المالك والشيوخ.
- 4- التجار.
- 5- الفلاحون.
- 6- الحرفيون وأرباب المهن.
- 7- العبيد والخدم.

تعكس البنية الاقتصادية (المادية) بحسب طبيعة وسائل الإنتاج فيها التي أبرزت الدراسة مدى تخلفها وحافظها على نمطها العثماني القديم، واقع البنية الاجتماعية وتركيبتها، وعناصرها، وكيفية تعاملها من جراء حركتها الجدلية (أي تأثيرها وتأثرها) وانعكاس ذلك على واقع الحياة بكل تنويعاتها الفكرية والسياسية والعسكرية .

ومن الجدير ذكره بأن تركيبة المجتمع في اليمن ومنها تهمة لم تتغير كثيراً خلال فترة الدراسة، مما كان خلال الفترة العثمانية، بل كان للعثمانيين دورهم في الحفاظ على بنية المجتمع، كما كان للحكام الذين تولوا على اليمن من خلال القوى الاستعمارية (بريطانيا تحديداً) دور في بقاء هذه التركيبة الاجتماعية، وذلك خدمة لمصالحهم، وهو ما أدى إلى ترسيخ مفاهيم القبيلة من جهة، ومفاهيم المجتمع التقليدية من عادات وتقالييد بالية، بل والحفظ عليها، لاسيما الأفكار التي أبست بالدين، واستخدمت لفرض على الناس قسراً .

لذلك اتسم المجتمع اليمني بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة الاقتصادية والسياسية حيث: () مثلت القبيلة إلى حد كبير، ثقافة وهوية وأسلوب الحياة عبر التاريخ اليمني)⁽¹⁾. كما ضمت التركيبة الاجتماعية اليمنية إلى جانب القبيلة، مجموعة من الفئات المختلفة الأخرى ذكرها، التي كانت تتفاعل تحت ظل النظام القبلي وخلاله، في إطار حياة المجتمع العامة، أو على هامشه .

كان للنظام القبلي الذي تميز به اليمن خلال مراحل تاريخه، والعزلة الداخلية الناجمة عن طبيعة التضاريس، والعزلة الخارجية التي فرضتها السلطة الإمامية على اليمن خلال فترة الدراسة، فضلاً عن معارضته السلطة لكل تحديث، دور كبير في بقاء واستمرار هذا التقسيم القبلي

والمناطق البنيوي في اليمن⁽¹⁾. وتُعد تهامة جزء من المجتمع اليمني فقد انقسم السكان فيها إلى فئات عدّة على النحو الآتي:

1- السادة 2- القضاة 3- الملك والشيوخ 4- التجار 5- الفلاحون 6- الحرفيون وأرباب المهن 7- العبيد والخدم.

أولاً - فئة السادة⁽²⁾ :

ينتسب السادة إلى النبي محمد (ص) من ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب⁽³⁾.

إن هذا العامل السلالي، والانتماء الديني لهذه الفئة جعلها تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، ولذا يمكن اعتبار تلك المرتبة الاجتماعية التي تحظى بها هذه الفئة، إنما هي فرز مباشر للعاملين الديني والسلالي الذين أعطياها أحقيّة السلطة الدينية والسياسية، فضلاً عن الاحترام والتقدّيس أحياناً⁽⁴⁾.

عمل السادة منذ قدوتهم إلى اليمن⁽⁵⁾ على خلق حالة دينية، عزّزت مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وقد بالغوا في ذلك، حتى أدعى عدد منهم القدس كوسيلة لثبت نفوذهم في تهامة، وحرصوا على إتباع عادات وتقالييد منها⁽⁶⁾:

أ- مخاطبة الشخص من هذه الفئة سواءً كان صغيراً أو كبيراً بكلمة (سيدي)، وللأثني

1 - شاهر، خالد عبد الجليل: البنية الاجتماعية التقليدية في اليمن، مجلة دراسات يمنية، ع (43)، 1411هـ/1991م، ص 220-221. ؛ سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 440.

2 - تعني حكلاً السيد في اللغة: الرئيس، والإمام في الخير، والذي يفوق غيره بالعقل، في قال ساد قومه يسودهم سعادة وسؤداً فهو سيد. أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 3، ص 231 . ومن الجدير ذكره أن السادة هم الذين ينتسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أما الأشراف هم الذين ينتسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .

3 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 82.

4 - الغليسي، سعيد حميد : اليمن الجمهوري (الأوضاع السياسية والاجتماعية 1962-1970م) ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب - جامعة صنعاء ، 2008 ، ص 84 .

5 - قلم السادة إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع لليلادي ، على إثر استدعاء بعض القبائل اليمنية لأحد كبار الفاطميين وهو يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ، حل بعض الخلافات القبلية في منطقة خولان، وقد تمكن يحيى بن الحسين من نشر مذهبة الزيدية ومن ثم إقامة دولة الأئمة الزيديين والتي حكمت اليمن حتى عام 1962م. أنظر: المقرمي، مرجع سابق ، ص 175-176 .

6 - الصائدي، مرجع سابق، ص 84.

(ياستي)⁽¹⁾ . هذه الألقاب في معناها لم تكن تحمل مجرد المعنى العربي المألف، بل تدل على السيادة، وتعبر عن وضع متميز لفئة من السكان تتمتع بحقوق السيادة السياسية والاجتماعية، وأن عدم الالتزام بهذا التقليد عند التخاطب معهم، يُعدونه إهانةً لهم، وانتقاداً من مكانتهم⁽²⁾ .

ب- طريقة أسلوب التحية والمصافحة عند مقابلة أحدهم، حيث جرت العادة بأن على الفرد عند مقابلته لأحد السادة أن يقبل يده وركبتيه، وليس من الضرورة أن يرد السيد بالمثل، بل يكتفي بوضع يده على كتف الشخص المنحنى أمامه⁽³⁾ .

إلا أن هذا المظهر التقليدي يختلف تطبيقه باختلاف مكانة ونفوذ السيد، فهو يطبق بحذافيره بالنسبة للإمام وأفراد الأسرة المالكة، وكبار الشخصيات الإدارية والسياسية من السادة من قبل بقية فئات المجتمع الأخرى. أما بالنسبة لأفراد الفئات العليا من غير السادة كالمشايخ والقضاة وكبار التجار، فيتم التصافح بينهم وبين السادة بتقبيل الأيدي فقط، إن هذه الطريقة في المصافحة ما هي إلا انعكاساً للجهل، وتدني مستوى الوعي الاجتماعي لدى عامة الناس، وقد اخفت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة نتيجة انتشار التعليم وتطور الثقافة وخاصة بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962.

ج - في حالة دخول أحد السادة إلى ديوان أحد الأفراد⁽⁴⁾ ، فإنه يتوجب على الحاضرين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية، إخلاء صدر الديوان للسيد مهما كان وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي.

د - إذا صادف أن مر أحد الفلاحين أو الخدم، وبصحته قطيع من الغنم أو الماعز في أرض لأحد السادة ، فإن هذا الشخص يقوم بحمل أحد الأغنام على ظهره وذلك تعبيراً عن استعداده لأخذ كل الأغنام التي بحوزته على ظهره لو استطاع، حتى لا نطا بأقدامها أرض السيد⁽⁵⁾ .

1- سماكة كان يطلق على نساء السادة، أسماء أزواجهن، فمثلاً زوجة السيد محمد تُنادي بـ(سيدي محمد)، بدلًا من اسمها الحقيقي أو السيد عبد الله. انظر: جوهر، حسن محمد، آخرون: اليمن ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 110.

2- الشرجي ، الشرائع الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 148 .

3- الشرجي، الشرائع، مرجع سابق، ص 148-149 .

4- الديوان : غرفة طويلة واسعة ، تخصص في تجاه لاستقبال الضيوف، أو المقيل وتناول مضغ أوراق القات، وبهيا في أحد أركانها المواجه للحضور، مكان شرف لكتاب الضيوف .

5- الشرجي ، الشرائع ، مرجع سابق، ص 149-150 .

وعلى الرغم من هذه المظاهر التقليدية التي تعظم مكانة السادة خلال فترة الدراسة ، إلا أنه يمكن القول أن الكثير من أفراد هذه الفئة كانوا متواضعين في التعامل مع الآخرين، وكان البعض منهم يرفض مثل هذه التقاليد تواضعاً منه، وقد احتفت هذه المظاهر التقليدية، وأصبح الناس متباون في الحقوق والواجبات أمام القانون .

ومما زاد من احترام هذه الفئة خلال فترة الدراسة وزيادة قدرهم، وتعزيز مكانتهم الاجتماعية، ارتفاع نسبة التعليم والثقافة في أواسط بعض عائلاتهم، والتي كانت مرجعاً في قضايا الدين والشريعة، فضلاً عما كانوا يقومون به من إصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع والقبائل المتنازعة، ذلك مما جعلهم أن يكونوا طرفاً محايضاً بحكم عدم انتسابهم إلى التكوينات القبلية، وقد ساعدتهم هذا الدور على أن يمارسوا سلطتهم السياسية فضلاً عن سلطتهم الروحية⁽¹⁾ .

فمن طريق هذه السلطات استطاعت بعض أسر السادة في تهامة، أن تكون لنفسها ثروات كبيرة، وبالذات من الأراضي الزراعية، وأن تنتقل إلى صفات كبار ملوك الأرض في تهامة، أبرز هذه الأسر: أسرة هادي هييج في منطقة الوعاظات، التي امتلكت حوالي 15750 هكتاراً من الأراضي الزراعية⁽²⁾ . كما حصلت بعض الأسر على الكثير من الامتيازات، كأسرة الأنباري في زبيد التي استطاعت الوصول إلى السلطة في عهد الدولة العثمانية، حيث منحتها الأخيرة بعض الامتيازات منها، إعفاءها من دفع زكاة بعض الأراضي الزراعية، والتي كانت تقدر بخمسين معاداً⁽³⁾ ، وظلت هذه الأسرة تحكم زبيد خلال فترة الدراسة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962 .

ومن أجل الاحتفاظ بنقاء انتسابهم، وبالتالي الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية التي يتمتعون بها، فإنهم ألزموا أفرادهم على الزواج الداخلي فيما بينهم، فالسيد لا يتزوج إلا سيدة أو شريفة وبالعكس، هذه القاعدة في الزواج لدى أفراد هذه الفئة تقوم على مسألة الكفاءة في الزواج، بمعنى أن الرجل لا يجوز له أن يتزوج من هي أقل منه نسباً من الفئات الأخرى، إلا أن هذه القاعدة قد يحدث فيها بعض التجاوزات، فهي مقبولة بعض الشيء للذكور من السادة بالزواج من غير سيدات، وخاصة

1 - أبو غامد، مرجع سابق، 214 – 215.

2 - العطار، مرجع سابق، ص 124.

3 - ينظر الوثيقة المتضمنة إعفاء أسرة الأنباري من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في تهامة، ملحق رقم (15).

من أسر القضاة والمشايخ والتجار، إلا أنها بالنسبة للإثاث غير مقبولة، حيث يحظر على السيدات الزواج من غير السيد، إلا في حالات نادرة ، تواجه بالانتقادات والسخط من قبل أفراد هذه الفئة⁽¹⁾. إن هذا التساهل الذي يسمح أحياناً للذكور بالزواج من غير السيدات، والتشدد على نساء هذه الفئة بالزواج من غير أبناء شريحتها، يثير علامة استفهام وهي لماذا التساهل مع الذكور (بحكم سيادة المجتمع الذكوري) ، والتشدد مع الإناث ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تكمن بأن السيد الذي يتزوج من فتاة من غير أبناء فئته، أن أولاده من هذه المرأة يحصلون على لقب سيد ويتوارثونه، كما يحصلون على جميع الامتيازات المتعلقة بالانتماء إلى هذه الفئة، وفي ذلك يرى أفراد هذه الفئة بأنه ليس هناك ضرر من هذا الزواج مادام الأبناء سيرثون اللقب، والمكانة الاجتماعية. أما إذا تزوجت شريفة من غير سيد فإن أبناءها سيفقدون اللقب والامتيازات الأخرى، وذلك بأن الولد لا يُنْسَب إِلَّا لأبيه، وهو ما يجعلهم يتشددون في ذلك ويحافظون على مكانتهم الاجتماعية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظرة أفراد المجتمع القبلي لهذه الفئة، تقوم على عدم التفرقة بين السيد الغني والفقير، وكذا الشخص الذي يملك سلطة سياسية، والشخص الذي لا توجد له أية سلطة سياسية، حيث أن الكل يتمتعون بحق الحماية القبلية ؛ لأن الشروط الاجتماعية والدينية، والسياسية التي منحوا بموجبها الحماية والرعاية تطبق على كل فرد من أفراد السادة⁽²⁾ .

يطلق على السادة تسميات متعددة منها أهل البيت، الهاشميون، الأشراف، كما كان كثيراً من السادة في تهامة يحملون لقب (منصب)⁽³⁾ والذي يُعد مرجعاً في الأمور المهمة، والمشاكل الاجتماعية، ويحظى بامتيازات عده، حيث تقدم له بعض النذور، ويعفى من الضرائب⁽⁴⁾ .

كان لقب المنصب يتوارث بين أفراد العائلة في تهامة، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله:) أن الوظيفة أو المنصب عند العرب وراثية وانتخابية في آن واحد، سواء كانت دينية، أو زمنية، فالشيخ أو السلطان والإمام أو المنصب... ينتخبون من العائلة التي تقلدت هذه الوظيفة

1 - الشرجي، مرجع سابق، ص 139 – 140 .

2 - أبو غام، مرجع سابق، ص 220 – 221 .

3 - المنصب في اللغة : الأصل ولترجمة فيقال نصاب الشيء أصله، والمنصب الأصل . انظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج 1، ص 758 .

4 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 164 .

وراثياً) (١) . ومن أبرز من لقبوا بهذه الألقاب خلال فترة الدراسة في تهامة السيد يحيى بن أحمد البحر (منصب المنصورية) ، والذي على يديه حُسم الصراع بين الإمام يحيى وقبيلة الزرانيق عام 1928، والسيد أحمد عبد الباري الأهدل منصب المراوعة (٢) .

لم تكن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للسادة في تهامة على مستوى واحد، بل تفاوتت مابين أسر غنية، وأخرى فقيرة، حيث حصلت بعض الأسر كما أشرنا على مكانة سياسية واجتماعية لدى السلطة، فتولت بعض المناصب الإدارية في أجهزة الدولة، وقد استغلوا هذه المناصب في تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وكونوا لأنفسهم ثروات كبيرة، وكانوا يُعدون من كبار ملاك الأراضي الزراعية في تهامة (٣) .

في حين كان البعض منهم يعيش حياة اقتصادية متواضعة، والبعض منهم يعاني من الفقر، كما عمل البعض منهم في مزاولة مهنة التدريس في المدارس الدينية التابعة للمساجد، وفي المعلمات(الكتاتيب)، وعمل البعض منهم في أعمال غير وظيفية كوكلاء شريعة(محامون)، وتحرير العرائض والخطابات والشكاوى، وتحرير العقود المختلفة (كالبيع والشراء والزواج) (٤) .

كما عمل بعض السادة في مزاولة مهنة الطب الشعبي، مستغلين جهل الناس، واعتقادهم بكراماتهم، وقدرتهم على شفاء المرضى، وقد حصل البعض منهم على أموال كثيرة بمزاولة هذه المهنة (٥) .

تتوزع فئة السادة في تهامة على أسر عدة، تختلف فيما بينها من حيث الشهرة والمكانة، ومن أبرز النماذج عن أسر السادة في تهامة مايلي :

1 - آل الأهدل (بنو الأهدل) :

يُعد آل الأهدل من أكبر أسر السادة في تهامة، وترجع بداية وجودهم في تهامة إلى أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وينسبون إلى الشيخ علي بن عمر الذي سكن في

1 - Sergeant, R.B (The interplay between tribal Affinities and religious (Zaydi) authority in the Yemen. P. 50

2 - زيارة، محمد نيل الحُسينين بأنساب من باليمن من بيوت عزة الحسينين وغيرها من بيوت العلم والزهد والصلاح والرئاسة اليمنية، مكتبة المعارف، الطائف، (د.ط)، (د.ت)، ص 402.

3 - الحضرمي، زيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، مرجع سابق، ص 45 - 45 .

4 - الشرجي، مرجع سابق، ص 152 - 153 .

5 - المرجع نفسه، ص 153 .

مدينة المراوعة، واشتهر بعلي الأهل (١) . ويرى بعض المؤرخين أن سبب تلقيه بالأهل، يرجع إلى مكان عليه الشيخ علي بن عمر من الصلاح والتقوى، وأنه كان يدعوا الناس إلى الخير ويدلهم عليه، ولكثرة من اهتدى على يديه أطلق عليه وصف علي على الإله دل، ولكتلة الاستعمال لهذا الوصف، وتأثير استسهام اللفظ المتداول لصعوبة النطق، بتركيب الاسم واللقب، اختصرت الكلمة إلى علي الأهل، وأصبح اللقب كلمة واحدة، وهو ما عُرف به (٢) .

بينما يرى آخرون أن الأهل لقب تشريف وتكريم ومعناه الأدنى والأقرب، في قال هل الغصن إذا دنا وقرب ولان ثمره، وفيه إيماء إلى مكان عليه الشيخ علي الأهل من كمال التواضع لله تعالى وللناس، لذا لُقب بالأهل (٣) . وهذا الرأي كما يبدو في مضمونه لا ينافي ما تقدم من الرأي السابق، أن أصل كلمة أهل تعني على الإله دل، لأنه من دل الناس على الله بقوله وعمله ، يكون قريباً من الله متواضعاً له ولعباده .

ويتفرع السادة بنو الأهل في تهامة إلى فروع عدة أبرزها :

1- آل البطاح في مدينة زبيد: اشتهروا بالفضل والصلاح، وكثرة العلم، وبخاصة في العلوم الشرعية، ويزد منهن عدة علماء على رأسهم السيد يوسف بن محمد البطاح الأهل، الذي ألف عدة كتب أبرزها كتاب إفهام الإفهام بشرح بلوغ المرام في الحديث (٤) ، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد بطاح الأهل، والشيخ العلامة محمد صديق البطاح، الذي عمل في التدريس في أربطة زبيد خلال فترة الدراسة وكان يُعد من كبار علماء الحديث في زبيد، ومن بعده الشيخ محمد داود البطاح (٥) .

1 - علي الأهل : هو علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن علي بن عيسى بن محمد بن حمّام بن عون بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب من زوجته فاطمة بنت رسول الله . انظر: الوشلي، إسماعيل بن محمد : نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، تج/ إبراهيم المتفجفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1429/2008م، مج1، ج1، ص 125-130 .

2 - اليمني، محمد أهل : القول الأعدل في ترجمتي الأهل ، (د.ن) ، (د.م) ، ط1، (د.ت) ، ص 6 .

3 - الأهل، أبي بكر بن أبي القاسم: الأحساب العلية في الأنساب الأهلية، تج/ محمد طاهر الأهل وآخرون، (د.ن)، (د.م) ، ط1، (د.ت) ، ص 21 .

4 - الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج1، ص 276-278 .

5 - العمري، عبد الله خادم : النهضة الأدبية في اليمن، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ، ط1، (د.ت)، ص 284.

2- آل المقبول الأهلل: ويسكنون في منطقة الدريهمي، وقد انتقل بعضًا منهم إلى مدينة زيد، وكونوا أسرة اشتهرت بالعلم⁽¹⁾.

3- آل البحر: ومساكنهم في منطقة المنصورية، وينسبون إلى جدهم أبو القاسم الملقب بالبحر بن أبي بكر سبع بن الأسبع، والذي يتصل نسبه بالشيخ علي الأهلل⁽²⁾. كان آل البحر يلقبون بالمناصب، ومنهم منصب المنصورية السيد يحيى بن أحمد البحر الأهلل⁽³⁾.

4- آل الأهلل سادات المراوعة: ظهر منهم عدد كثير من العلماء، أبرزهم السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الباري المروعي، كما برز السيد منصب المراوعة أحمد عبد الباري بن أحمد بن محمد بن عبد الباري الأهلل، والسيد أحمد بن عبد الله بن أحمد المروعي الأهلل الحسيني⁽⁴⁾.

5- آل الهجام : ويرجع نسبهم إلى الهجام بن أبي بكر بن المقبول بن أبي بكر بن الهجام بن عمر بن أبي القاسم الأهلل، ومساكنهم في منطقة القطيع⁽⁵⁾.

2- آل الأنبا رى: يتصل نسب آل الأنباري إلى السيد المكرم الأنباري، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب⁽⁶⁾. ويُعد السادة آل الأنباري فرع من السادة آل المساوى سكان مدينة حرض

1 - الحضرمي، خاتمة في التاريخ، مرجع سابق، ص 167.

2 - البحر، محمد بن الطاهر: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، تتح /عبد الله محمد الجبشي ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 1425هـ/2004م ، ص 163.

3 - زيارة نيل الحُسينين، مرجع سابق ، ص 278 .

4 - المرجع نفسه، ص 401 - 402 .

5 - القطيع : بلدة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة المراوعة ، بمسافة نحو 10 كيلو ، أول من اخترطها الشيخ عمر بن أبي القاسم الأهلل الذي اشتهر بالحزان (ت 834هـ). أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج 1، ص 373 - 374 .

6 - وهو للكرم بن يحيى المساوى بن الطاهر بن عطيفة بن يحيى بن زكريا بن حسن بن ذروة بن يحيى بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . أنظر: زيارة نيل الحُسينين، مرجع سابق، ص 273 - 274 .

(١)، ووعلان والرباط وضحيان، وجميعهم ينحدر نسبهم إلى السيد المساوى بن الطاهر بن عطيفة، ومساكنهم في مدينة زبيد (٢).

برز من هذه الأسرة عدد من العلماء أبرزهم : السيد العلامة الطاهر بن أحمد الأنباري، والسيد عبد القادر ابن عبد الرحمن الأنباري، الذي تقلد الإفتاء في مدينة زبيد خلال الحكم العثماني (٣). تمنت هذه الأسرة بامتيازات خلال فترة الحكم العثماني على اليمن، وخلال حكم أسرة حميد الدين، ومن هذه الامتيازات تعينهم حكامًا وقضاة على مدينة زبيد (٤)، وقد استمروا في ذلك حتى قيام ثورة سبتمبر / أيلول 1962 (٥).

3- آل القديمي :

مساكنهم في منطقتي الزيدية (٦) والحديدة، وهم أشراف حسينيون (٧). ويترعرع من آل القديمي بنوالزواك الذين ينسبون إلى جدهم السيد عبدالله بن الطاهر بن حسن بن الطاهر الذي لقب (بالزواك) (٨). كما يتصل ببني القديمي أشراف بيت صائم الدهر، والذين ينسبون إلى أبي بكر بن أبي القاسم بن إسماعيل بن محمد الذي لقب (بصائم الدهر) (٩). كما يتصل بآل القديمي، بيت حجر في زبيدة الذين يُعدون من الأسر العلمية في تهامة، ومن أبرز علمائهم الشيخ داود بن عبد

1 - حرض : مدينة تقع شمال مدينة الحديدة ، سميت باسم حرض بن عمر بن مالك بن يحيى بن خولان بن همدان ، وأهم قبائلها بنو مروان . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 256.

2 - الأهدل، أبو بكر عبد الرحمن : جواهر التجحان في أنساب قحطان وعدنان، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة الأشاعر زبيدة ، ولدى الباحث نسخة مصورة منه ، ق 14 ؛ زيارة ، مرجع سابق ، 273-274 .

3 - الحضرمي، زيد مساجدتها ومدارسها، مرجع سابق، ص 121-123 .

4 - نظر الوثيقة ملحق رقم (١٦) . التي توضح بعض الامتيازات لأسرة الأنباري، ومنها تعينهم حكامًا لزبيد .

5 - الحضرمي، زيد مساجدتها ومدارسها، مرجع سابق، ص 274 .

6 - الزيدية : بلدة تقع شمال شرق الحديدة بمسافة 65 كم، وتعد من أوسع المناطق الزراعية في تهامة ، حيث يزرع فيها الذرة ، والقطن ، والبطيخ ، والسمسم . أنظر: الحجري، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجع سابق، ج 1، ص 755 .

7 - ينسبون إلى السيد إبراهيم أحمد القديمي بن أبي بكر بن علي بن محمد بن حسن بن يوسف بن حسن بن سالم بن عبدالله بن حسن بن علي بن القاسم بن إدريس بن جعفر بن علي الهادي بن محمد بن علي الرضي بن موسى الكاظم ، = بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج 1، ج 1، ص 74 .

8 - زيارة، مرجع سابق، ص 324-325 .

9 - يرجع بعض المؤرخين أن السبب في تلقينه بصائم الدهر يرجع إلى أنه متذلل صغره، وخلال فترة الإرتفاع، كان يعرض عن ثدي أمه أثناء النهار، ويقبله إذا جاء الليل، ولذا أطلق عليه بصائم الدهر. أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج 1، ص 17 .

الرحمٰن بن قاسم حجر القديمي، وقد تولى القضاء في مدينة الحديدة وزبيد خلال فترة الحكم العثماني على اليمن، اشتهر بالنزاهة والعدل بين الناس، كما بُرِزَ من بعده ابنه محمد بن داود، والذي بلغ قدرًا من العلم والزهد والورع ، توفي بمدينة اسطنبول في عهد أبيه ، وذلك عندما ذهب إلى السلطان العثماني، للشكایة ببعض ما لحق به من بعض ولاة زبيد، عندما قاموا بمصادرة بعض أموال أبيه ^(١) . انتقل بعض من أفراد هذه الأسرة إلى منطقة العبسية ^(٢) ، والحديدة، ودير حريش ^(٣) ، والضحى ^(٤) .

4- آل النعمي:

يُعدون من أشراف تهامة الحستيين، ينسبون إلى السيد نعمة الله الأصغر بن علي بن فليفة بن الحسين بن يوسف بن نعمة الله الأكبر بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى (الجون) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ^(٥) . يتوزع آل النعمي في أغلب مناطق تهامة في وادي مور ^(٦) ، والزيدية، والضحى، وزبيد ^(٧) ، ويتصدّل ببني النعمي عدد من الأسر وهم بنو القبقب ^(٨) ، وبنو جلاله ^(٩) ، وبنو الجبلي ^(١٠) ، وأآل العقعق ^(١) .

1 - زيارة ، مرجع سابق ، 295 ؛ الوشلي ، نشر الشاء الحسن ، مرجع سابق ، ج 1، ص 118-119 .

2 - العبسية : بلدة تهامية، تقع ضمن مدينة المراوعة، شرق مدينة الحديدة ، تسكنها قبيلة العبسية ، إحدى قبائل تهامة، التي تسمى باسمها. أنظر: المحففي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجع سابق، ج 2، ص 101 .

3 - دير حريش : قرية من قرى مدينة الضحي التهامية ، تبعد عنها مسافة 10كم، كانت مقراً لشيخ قبيلة الجرابع (المصالعه) . أنظر: الأهلـ، أبي القاسم: الـدةـةـ الـخـطـرـةـ فيـ تـارـيـخـ سـادـاتـ الـمـنـيـرـةـ، تـعـ السـيـدـ مـحـمـدـ، (ـدـ.ـنـ)، (ـدـ.ـمـ)، (ـدـ.ـطـ)، (ـدـ.ـتـ)، هـامـشـ، صـ 100 .

4 - الضحي : بلدة تهامية تقع على وادي سردد بالجنوب الشرقي من مدينة الزيدية بمسافة 20كم، وهي مركز قبيلة الجرابع التهامية . أنظر: المحففي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق، ج 1، ص 943 .

5 - الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، ج 2، ص 129 . زيارة ، مرجع سابق ، ص 422-423 .

6 - وادي مور: أكبر أودية تهامة، يقع شمال مدينة الزيدية، تبلغ مساحته 7500 كم² ، وتعد قبيلة الزعلية إحدى سكان هذا الوادي . أنظر: المحففي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق، ج 2 ، ص 1681 .

7 - الوشلي ، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، ج 2، ص 127 .

8 - آل القبقب : ينسبون إلى السيد عمر بن علي بن يحيى بن حسين بن يحيى بن الأمير بن أحمد بن عيسى النعمي ومساكفهم بقرية الدمنة ، إحدى قرى منطقة اللحية . أنظر: الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، مج 1، ج 2، ص 142-143 .

9 - بنو جلاله : ينسبون إلى محمود بن موسى بن عبد الله بن موسى (الجون) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و كانوا يُعرفون ببنوا المعروف ، لاً أئمَّ غلب عليهم اسم بنوجلاله ، ومساكفهم بأطراف بلاد العطاوية في تهامة . أنظر: البحر، محمد بن العلّاه بن أبي القاسم: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، مرجع سابق، ص 165 .

10 - بنو الجبلي : ينسبون إلى السيد حسن بن علي بن إبراهيم بن أحد الذي لقب بالجبلي ، والذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويسكنون بمنطقة اللحية . أنظر: الوشلي، نشر الشاء الحسن ، مج 1 ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 152 .

يُعد آل النعمي من البيوتات العلمية في تهامة، وقد أوكلت إليهم رئاسة القضاء والفتوى في المخلاف السليماني، وبرز منهم الكثير من العلماء⁽²⁾.

5- بنو الهيج :

ينسبون إلى السيد أحمد بن الهادي ابن الفقير بن مشعل بن الزين بن الصديق بن أحمد بن الهادي بن عمر بن أحمد الرديني، والذي يتصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب⁽³⁾. انفردت أسرة الهيج في تهامة بإدارة وحكم بلاد الوعظات، ومنطقة الزهرة، ومدينة اللحية⁽⁴⁾. ويُعد السيد أحمد بن الهادي الملقب(بالهيج) أول من تولى رئاسة هذه المناطق، وقد استطاع بحنكته وشجاعته أن يسود قومه، وسار فيهم سيرة حسنة حتى وفاته، وجاء من بعده ابنه زين بن أحمد الهيج، الذي سار على منوال أبيه في الحكم والإدارة، وبعد وفاته خلفه أخوه السيد هادي بن أحمد الهيج، وقد عينه الإمام يحيى حميد الدين حاكماً على مدينة اللحية، وكان من أكبر ملوك الأراضي في تهامة⁽⁵⁾. وخلفه ابنه السيد زين بن هادي الذي استمر حاكماً لمنطقة الوعظات حتى قيام ثورة سبتمبر / أيلول 1962⁽⁶⁾.

ثانياً - فئة القضاة :

احتلت فئة القضاة المرتبة الثانية، من حيث المركز الاجتماعي بعد السادة، وتُعد بمثابة الفئة الوسيطة بين السادة والملوك والشيوخ، وتحدر من الأسر العلمية المهتمة بعلوم الشريعة الإسلامية⁽⁷⁾. تكون هذه الفئة في جزء منها من الأسر الحجازية التي هاجرت إلى اليمن تحت تأثير

1 - آل العفيف : ينسبون إلى السيد عبد الرحمن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن عبد الرحمن النعمي ، ومساكنهم في بيت الفقيه .

2 - من أبرزهم : السيد العالمة الحسين بن مهدي النعمي ، والعلامة علي بن الحسين النعمي ، وإسماعيل بن عز الدين النعمي ، وإبراهيم بن علي النعمي ، ومحسن بن علي النعمي . الوشلي . أنظر: نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، مج 1، ج 2، ص 130-142.

3 - زيارة ، مرجع سابق ، ص 431-432 .

4 - الوعظات: هي من أعمال مدينة الزهرة ، وتقع شمال الجديدة ، أما الزهرة فهي مدينة خامدة تقع بالشرق من المحية بمسافة 40 كم . أنظر: المصحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق ، ص 194 .

5 - بلغ مقدار ما امتلكه هادي هيج من الأراضي الزراعية 15750 هكتار . أنظر: العطار ، مرجع سابق ، ص 124 .

6 - الوشلي ، نشر الشاء الحسن ، مرجع سابق ، مج 1 ، ج 2 ، ص 176 .

7 - عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، مرجع سابق ، ص 102 .

ظروف خاصة، وفي عهود مختلفة، فجد من بين هذه الفئة عائلات عمرية، وبكرية، وأنصارية، وأمية، وأخرى عراقية وأندلسية⁽¹⁾.

كانت هذه الفئة ردفة ومناسبة للساده حيث تتخذ من السادة نموذجاً اجتماعياً يحتذى به، سواء في الملبس، الذي لا يختلف كثيراً عن ملابس السادة، أو السلوكيات العامة، كنظرتهم الدونية لبقية الفئات الاجتماعية الأخرى، أو في مسألة الاحتفاظ بشجرة النسب، التي عن طريقها تحاول هذه الفئة إثبات أكبر قدر من عراقة أصولها وأنسابها⁽²⁾.

وتتجة لتأثير القضاة بالسادة، واعتمادهم كنموذج يحتذى به، جعل القضاة يتوجهون نحو الانغلاق تجاه الفئات الأخرى، عن طريق اعتماد قاعدة (الكافأة في الزواج)، على الرغم أن هذه القاعدة لدى السادة ترتبط بمسألة النسب، إلا أنها لدى القضاة تتحول إلى قيمة اجتماعية، مرتبطة بالأصول العائلية فقط، ويبقى الانضمام إلى فئة القضاة مسألة فردية وعائلية تتعلق بالوضع الاجتماعي فقط⁽³⁾. إلا أن أوجه الاختلاف مابين السادة والقضاة تكمن بأن مكانة القاضي ومركزه في المجتمع تأتي عن طريق الاتساب والتعلم، بينما يحصل السيد على مكانته ومركزه عن طريق الإنتماء السلالي لآل البيت والوراثة⁽⁴⁾.

إن مرتبة الحصول على لقب القاضي مفتوحة أمام أي فرد من الفئات الاجتماعية الأخرى كالفلاحين والمشايخ والتجار، بشرط الحصول على المؤهل العلمي الذي يلم فيه الشخص بالعلوم الدينية والشرعية. أما عن كيفية اكتساب الفرد لهذه المهنة، والحصول على لقب قاضي، فيتم ذلك عبر ثلاثة طرق وهي⁽⁵⁾:

1- توارث المهنة والمنصب في داخل العائلة الواحدة، حيث يكتسب الابن الخبرة في ممارسة المهنة مع والده، مع توفر المؤهل العلمي⁽⁶⁾.

1 - السبيطلي، محمد: المجتمع والدولة في عيون القضاة ، مجلة حوليات يمنية ، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ، 2006، ص 140 .

2 - المرجع نفسه، ص 136 - 139 .

3 - المرجع نفسه، ص 145 .

4 - أبو غامم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 221- 222.

5 - السبيطلي، مرجع سابق، ص 145 .

6 - للحصول على المؤهل العلمي الديني، كان على الشخص أن يلتحق بإحدى المدارس العلمية في تحامة، التي تدرس علوم الدين والشريعة واللغة، حيث كانت هذه العلوم ذات أهمية خلال فترة الدراسة، كونها تمثل ثقافة الدولة الرسمية، وقد انتشرت

2- حصول الفرد من خارج عائلات القضاة على المؤهل العلمي، ثم العمل مع أحد القضاة كمساعد، إلى أن يقوم القاضي المعلم بتزكيته، فيستقل عنه، ويصبح زميلاً له في المهنة.

3- انتقال الفرد مباشرةً من وظيفة التدريس والإفتاء إلى القضاء، دون اكتساب خبرة في هذا المجال، بصرف النظر عن الأصول العائلية، إنما الأمر يتعلق في بلوغ الفرد مرتبة من العلم الشرعي والاجتهداد، يمكنه من التحول من مجال التعليم، إلى الفصل في الخصومات بين الناس .

يجتاز الفرد مراحل عدة من أجل الحصول على لقب قاضي وهي:

1- إمام الشخص بالقراءة والكتابة، ومن ثم قيامه بتقديم خدمات اجتماعية لقريته أو مجتمعه، كالتدريس للقرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، ويطلق على الفرد في هذه المرحلة لقب فقيه.

2- بعد تحسن وضع الفرد الديني، ومكانته الاجتماعية نتيجة توسيعه في العلوم الدينية والشرعية، وحسن المعاملة والأمانة، ينتقل الفرد إلى مرحلة أخرى، تؤهله للقيام بمهامات اجتماعية تمثل بتحرير عقود البيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم المواريث، ويطلق عليه في هذه المرحلة لقب سيدنا ⁽¹⁾.

3- بعد حصول الفرد على قدر من العلوم الشرعية، يُجاز من قبل لجنة من العلماء ومن ثم يطلق عليه لقب قاضي ⁽²⁾ .

مما سبق يتبيّن أن الفرد لا يحصل على لقب قاضي قبل أن تمر عليه سنوات عدّة، وبخاصة للأفراد الذين يعودون المؤسسين للعائلة. أما بالنسبة للأبناء والأحفاد من بعده، فإنه يمكن أن يحصل الفرد منهم على لقب قاضي بمجرد انتهاء أسرته من إعداده وتعليمه، وحصوله على المؤهل العلمي الذي يؤهله لحمل هذا اللقب، دونما الحاجة إلى المرور بنفس المراحل السابقة .

اعتمد القضاة خلال فترة الدراسة في تهامة للفصل بين الناس في شؤونهم المدنية والشرعية على معارفهم الخاصة، وما كانوا قد حصلوا عليه من علوم في فقه الشريعة الإسلامية، حيث لم تكون هناك قوانين يرجع إليها القضاة للفصل بين الناس، كما كان يحكم بالأعراف والتقاليد والتي

هذه المدارس خلال فترة الدراسة في أغلب مناطق تهامة، كربيد والزيدية والمراوعة وحيس، وكانت هذه المدارس ليست لها مباني خاصة ومستقلة بها، بل كانت من ضمن المساجد التي تسمى في تهامة بالرُّوكَلْه ومن خلال هذه الرُّوكَلْه ينتقل الفرد الطالب من رباط إلى رباط للحصول على معارف وعلوم عديدة ، حتى إذا بلغ مستوى من العلم أجزى من قبل لجنة العلماء في المدينة ، للحصول على المؤهل العلمي، ومن ثم الحصول على لقب قاضي .

1 - وهو لقب غير الذي يطلق على أفراد شريحة السادة، وإنما هو لقب يعبر عن الاحترام والتقدير لهذا الفرد.

2 - أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، مرجع سابق، ص 223.

تعد مصدراً آخر للحكم بين الناس، وبخاصة في المناطق التي يسودها النظام القبلي، هذه الأعراف لها جذورها الاجتماعية في اليمن، والتي فرضتها الطبيعة القبلية للمجتمع اليمني، ولا تزال هذه الأعراف تمارس إلى وقتنا الحالي في ظل النظام القبلي⁽¹⁾.

أما عن مكان التقاضي خلال فترة الدراسة، فيصور لنا أحد القضاة المعاصرین لفترة الدراسة هذه الصورة بقوله: (ليس لقاضي محل(مكان) رسمي يقعد فيه للقضاء، ولا نظام معروف يشعره بالمسؤولية،... وإنما تجري المحاكمات في داره الخاصة به، أو في المسجد، حيث يشغل المسلمين عن صلاتهم، أو بطريقة الخروج إلى الدورة (النزة)، حيث لا قيد للدعوي، ولا تسجيل للحج و البراهين)⁽²⁾.

أما عن كيفية قضاء القاضي يومه فيذكر المعلمي، إن القاضي يقوم في الصباح متأخراً فيخرج إلى باب داره للمواجهة، حيث يجد الجنود قد شكلوا شبه دائرة ووضعوا له مقعداً من الحجر في وسطها، فيأتي الناس من وراء الدائرة ليدخلوا إرسالاً للنظر في شؤونهم، ويتم الدخول بصورة فوضوية، مما يعطي للجنود فرصة لأخذ الرشوة من قبل المتخاصمين، وذلك لايستطيعوا المثول أمام القاضي، ولذا كثرت الفوضى يقوم القاضي غاضباً إلى الدورة (النزة) فيتبعه الخصوم ويتداعون عليه وهم يركضون وراءه وهو راكب على بغلته، ويقضى بينهم وهو على هذه الحالة، بعدها يعود القاضي إلى بيته للغداء، ومن ثم ينزل إلى الديوان لمضغ أوراق القات بضع ساعات، ولا يُسمح لأحد بالدخول عليه في ذلك الوقت إلا إذا كان من خاصته، وبعد أن يأخذ قسطاً من الراحة، يبدأ بعد العصر بالإذن للمتخاصمين بالدخول، فيتدافعون عليه بطريقة فوضوية، وكالعادة لابد من رشوة الباب للمندول أمام القاضي⁽³⁾.

دور القاضي في الحياة الاجتماعية والسياسية :

شكل القضاة خلال فترة الدراسة أداء فعلة للحكم الإمامي، فسبب فهمهم للشريعة، واحتقارهم للثقافة الدينية مع فئة السادة، تبوأ هذه الفئة مراكز إدارية في جهاز الدولة، كما عملوا على مهمة

1 - الصياد، احمد صالح: السلطة وللمعارضة في اليمن المعاصر، دار الصداقة، بيروت، (د.ط)، 1992م، ص 136.

2 - المعلمي، أحمد عبد الرحمن: الشريعة المترکلة أو القضاء في اليمن، مجلة الإكيليل، ع (5)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، 1401هـ/ 1981م، ص 87 .

3 - المرجع نفسه، ص 87 - 88 .

الدفاع عن الإمامة، من خلال أدوارهم الاجتماعية والسياسية التي تمثلت بمجموعة من الأنشطة أبرزها⁽¹⁾:

- 1- الإشراف على التعليم في المدارس الدينية والجامع.
- 2- الإشراف على ساحات القضاء، وسير عمل المؤسسة القضائية.
- 3- إصدار الفتاوى والأحكام الدينية والتشريعات من خلال المساجد والمنابر والخطب الدينية.

وقد لعب العامل الديني دوراً بارزاً في تبوء فئة القضاة المرتبة الثانية، من حيث التمثيل في النخبة السياسية، وتمكنهم بحكم ثقافتها الدينية من مشاركة السادة في وظائف الدولة المختلفة، كما أن هناك عامل آخر ساعد القضاة في العمل داخل الجهاز الحكومي للمملكة، وهو حاجة السلطة المتوكلية لهم كمناسف للساسة، وبدلاء عن الطامحين للإمامنة كون القضاة لا يتطلعون للوصول للسلطة، لعدم انطباق شروط الإمامة عليهم⁽²⁾.

ويرز دور القضاة خلال فترة الدراسة، أنهم كانوا يمثلون القطب الأساسي في نظام البيعة، فحينما بدأت دولة الأئمة بالظهور في اليمن، كانت البيعة هي الشكل الأساسي لتولي السلطة، وكان المبايعون من القضاة يبدون من كل أنحاء البلاد ومنها تهامة لمبايعة الإمام بالنيابة عن الجماعات الاجتماعية الأخرى، بوصفهم أهل الحل والعقد، وبدون مبايعتهم لا تصح الإمامة⁽³⁾.

الأوضاع الاقتصادية للقضاة :

لم تكن أوضاع القضاة الاقتصادية في تهامة على مستوى واحد، بل وجد فيهم المالك الكبير للأرض، والموظف الصغير، والفلاح العامل، وكان للعامل الديني دوراً بارزاً في تقلد بعض أفراد هذه الفئة للوظائف العليا في جهاز الدولة⁽⁴⁾.

لقد شغل القضاة مناصب في الدولة كنواب للمناطق والألوية، أو كقضاة شرعيين في المحاكم، أو موظفين وكتبة في الإدارات، والأجهزة الحكومية، أو مدرسين في المدارس التي تشرف

1 - المقرمي، مرجع سابق، ص 185-186.

2 - من الوحيط الواجب توفرها في من يتولى الإمامة: البلوغ، الحرية، الاجتهاد، أن يكون فاطمياً، عدلاً سحيماً، ورعاً، سليم العقل والحواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبر، شجاعاً، والشرط الذي لا ينطبق على القضاة أئمهم ليسوا من ساللة فاطمة بنت رسول الله. أنظر: الشرجي، الشرائع الاجتماعية ، مرجع سابق ، 167 .

3 - المقرمي، مرجع سابق ، ص 188 .

4 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 98 .

عليها الحكومة⁽¹⁾. كما عمل البعض منهم في أعمال حرة غير مرتبطة بالسلطة، كوكلاء شريعة (محامون) وكتبة لعقود البيع والشراء، وعقود الزواج، والطلاق، وكتابة العرائض والشكاوى للمواطنين، والفصل في المنازعات بين الناس، والتدريس في الكتاتيب والجومع⁽²⁾.

أبرز أسر القضاة في تهامة :

1- أسرة البهكلي⁽³⁾ :

تُعدّ أسرة البهكلي من البيوت العلمية في تهامة، حيث ساهمت بتصنيف في عملية التعليم في تهامة، وقد أثرت بحضورها العلمي في العديد من الميادين العلمية، وأصبح جدها ومساعيها مع غيرها من الأسر مهماً وأساساً قوياً اتكأت عليه الحياة العلمية، التي ازدهرت في تهامة خلال فترة الدراسة، فقد وصفهم المؤرخ محمد زيارة بقوله : () وبيت البهكلي من أشهر البيوت المعمورة بالعلماء والفضلاء بتهامة ()⁽⁴⁾. وتُعدّ مدينة ضمد من أكثر المدن التي سكن فيها البهائلة، ومنها انتقلوا إلى أغلب مناطق تهامة، كمدينة بيت الفقيه، وزبيد، وكان لهذه الأسرة دور في تنشيط حركة التأليف والتدوين، فقد كان القاضي عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي أشهر أدباء عصره⁽⁵⁾. وقد وصفهم العقيلي في كتابه بأن بهم نشاطاً مشهوراً في التأليف⁽⁶⁾. اشتهرت هذه الأسرة بممارسة مهنة القضاء خلال فترة الدراسة، وبرز فيهم عدد من القضاة، أبرزهم القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي⁽⁷⁾، والقاضي أحمد بن محمد حسن البهكلي الذي تولى القضاء في مدينة

1 - الشرجي ، الشراح الاجتماعية ، مرجع سابق، ص 162 .

2 - عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 103.

3 - البهائلة : جمع بيكلي، وهو اسم عُرفت به هذه الأسرة ، نسبة إلى قرية صغيرة تقع شمال بلاد المسارحة، شرق قرية الجفادمة، تسمى البهائلة . أنظر: العقيلي، محمد بن أحمد : المعجم الجغرافي، منشورات نادي جازان الأدبي، جازان، (د.ط)، 1399هـ، ص 50 .

4 - زيارة ، محمد : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، (د.ط) ، 1376هـ، ص 27.

5 - أبو داوش عبد الله : الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية ، دار الأصالة، الرياض، (د.ط)، 1401هـ، ص 82 .

6 - العقيلي : تاريخ للخلاف السليماني، مرجع سابق ، ص 84 .

7 - عبد الرحمن بن أحمد البهكلي : درس على يد عممه القاضي إسماعيل بن عبد الرحمن البهكلي ، ثم انتقل إلى زبيد للدراسة ، فقرأ النحو، واستقر ببيت الفقيه ابن عجلن كان شغوفاً بطلب العلم، تولى القضاء في مدينة حيس، ومنطقة اللحية . أنظر: عاكش، الحسن بن أحمد : عقود الترر بتراجم علماء القرن الثالث عشر ، تلح / إسماعيل المشربي ، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، 1418هـ، ص 49 .

اللِّيَّةُ، وأبو طالب بن أحمد البهكلي، والقاضي أحمد بن علي بن حسن البهكلي، والقاضي خالد بن علي البهكلي⁽¹⁾.

2- القضاة بني حمادي، الساكنين في قرى عبس والواعظات ، وبنو الْعَوَاجِي الساكنين أيضاً في منطقة الواعظات، وبنو العواجي⁽²⁾، آل مطير⁽³⁾، آل الناشري⁽⁴⁾، آل المزجاجي في زبيد والتحيتا، وبنو الباري والسالمي في زبيد⁽⁵⁾.

ثالثاً - كبار الملك والشيوخ :

شكل الملك والشيخ في تهامة⁽⁶⁾، فئة ذات مكانة ونفوذ كبيرين، حيث فرض النظام القبلي وجودهم على رأس كل قبيلة ليتولوا شؤونها، ويديرها، ويمثلونها ويتحدثون باسمها، فالشيخ هو الحاكم الفعلي لقبيلته، والمسؤول الأول عنها، وعن جميع أفرادها. احتل أفراد هذه الفئة المرتبة الثالثة في السلم الاجتماعي في تهامة قبل عام 1962، إلا أن هذه المرتبة الاجتماعية للملك وشيوخ القبائل في تهامة، تختلف من منطقة إلى أخرى، طبقاً لشدة النظام القبلي من ناحية، وقوة وشخصية الشيخ من ناحية أخرى، حيث أن بعض المشايخ يُعدون أعلى مكانة من القضاة⁽⁷⁾.

1 - الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، مج 2 ، ج 3 ، ص 7-19 .

2 - من أبرز قضاة بنو العواجي، القاضي علي بن الحسن العواجي، عبد الكريم بن محمد العواجي، والقاضي الأديب أحمد بن أحمد حباجر العواجي، والقاضي نجم الدين بن أحمد العواجي . انظر: الوشلي، نشر الشاء الحسن ، مرجع سابق، مج 2 ، ج 3 ، ص 41-46 .

3 - يعد آل مطير من البيوت العلمية في تهامة، ومساكنهم بنواحي أبيات حسين بودي مور والزيدية ، وانقل بعضاً منهم إلى مدينة الحديدة، وأبرز قضاة آل مطير ، إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، والقاضي عثمان بن يحيى مطير ، والقاضي يحيى بن يحيى مطير ، والقاضي أحمد عثمان مطير . انظر: الوشلي، نشر الشاء، مرجع سابق ، مج 2 ، ج 3 ، ص 142-144 .

4 - آل الناشري : ومساكنهم في وادي مور انقل بعضاً منهم إلى زبيد ، وأصبحوا من قضاة زبيد وفقهائهم، ومن أبرز قضاهم ، إبراهيم بن عبد الرحمن الناشري، والقاضي أبو الفتوح عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عمر الناشري .
انظر: الوشلي، نشر الشاء ، مرجع سابق ، مج 2، ج 3 ، ص 158-164 .

5 - آل المزجاجي : يرجع سبب تسميتهم إلى قرية تقع بالقرب من مدينة زبيد تسمى موجاجة ، ويزد من هذه الأسرة عدد من القضاة على رأسهم القاضي محمد بن محمد المزجاجي ، والقاضي عبد الرحمن بن عبد الله بن الصديق المزجاجي الذي تولى القضاء في بيت الفقيه . انظر: الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، مج 2 ، ج 3 ، ص 196-198 .

6 - تطلق الكلمة شيخ في اللغة: على كل من جاوز الخمسين من عمره، وظهر عليه الشيب، كما يطلق على كل فرد بلغ درجة من العلوم الشرعية. انظر: ابن منظور، ج 3 (مادة شيخ) ، مرجع سابق، ص 31. أما في العرف القبلي فطلق على كل من يتولى زعامة القبيلة، ويدير شؤونها. ومن الجدير ذكره أن بعض الملوك والشيوخ في تهامة كانوا يتضمنون إلى فئة السادة.

7 - الشرجي، الشرائع ، مرجع سابق، ص 169 .

أما عن طريقة تولي منصب الشيخ في تهامة، فكان يتم عن طريق الانتخاب⁽¹⁾. الذي اقتصر على أعيان ووجهاء القبيلة⁽²⁾. وبمرور الوقت تحول منصب المشيخة إلى عملية وراثية، وهو أن يخلف الشيخ أحد أبنائه، أو أحدها من أفراد عائلته كالأخ أو ابن العم، ومثال ذلك ترأس الشيخ محمد صالح المقرعي منصب المشيخة بعد أبيه بالوراثة لمنطقة الزيدية في تهامة، إلا أن هذا الانتقال للمشيخة كان يشترط فيه مصادقة الإمام عليه، وهو ما كان يسمى بورقة المشيخة⁽³⁾، والهدف من ذلك إرغام مشايخ القبائل على الخضوع للسلطة المركزية من جهة، والعمل على إحكام الرقابة وربط المشايخ بالسلطة المركزية من جهة أخرى⁽⁴⁾.

ومما تجدر ملاحظته أن هذا المنصب يظل ملزماً لشيخ القبيلة، مادامت القبيلة مشدودة إليه بواسطة الولاء، ولأسباب وظروف معينة فقد يحدث أن تتخلى القبيلة عن شيخها، وتسحب المشيخة منه، وذلك إذا اتضح أن الشيخ عاجزاً عن إدارة أمور القبيلة، أو إذا اتسمت معاملته للسكان بالظلم والخيانة، أو إذا اتهم بقضية تخل بشرف القبيلة، ففي هذه الحالة تقوم القبيلة بعزل الشيخ عن منصبه، وتقليل المشيخة لشخص آخر من نفس الأسرة⁽⁵⁾. ومع أن هذا الأمر كان نادر الحدوث، إلا أنه يظل أمراً وارداً بالفعل، وبخاصة في المناطق التي يكون فيها النظام القبلي قوياً.

ألا عن مهام الشيخ ودوره في قبيلته، فيُعد الشيخ هو الحاكم الفعلي للقبيلة، والمسئول الأول عنها وعن جميع أفرادها. ولتوسيع هذا الموضوع يمكن القول أن المهام التي يقوم بها الشيخ في قبيلته، تنقسم إلى مهام داخل القبيلة، ومهام خارج القبيلة.

فمن مهام الشيخ الداخلية، حفظ الأمن والاستقرار في القبيلة، فالشيخ هو الوحيدة الذي يقوم بالفصل في كافة النزاعات والخلافات التي تنشأ بين أفراد القبيلة، والحكم فيها⁽⁶⁾. كما يقوم بتطبيق الأعراف المتعارف عليها في إطار القبيلة، ويحمل على عاته مسؤوليات تتعدى سلطته التشريعية، إلى السلطات الأخرى كالسلطة القضائية والتنفيذية، كما يساهم الشيخ في مساعدة موظفي الدولة لتحصيل الضرائب الزراعية والحيوانية في قبيلته، وتبرز أهمية الشيخ ودوره داخل

1 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 103 .

2 - الشرجي، الشراح، مرجع سابق ، ص 170 .

3 - ورقة المشيخة : عبارة عن وثيقة رسمية ، تمنحها السلطة بعض للشيخ، كاعتراف بمشيختهم في قبائلهم ومناطقهم .

4 - جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 103 .

5 - أبو غام، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 205 .

6 - الشرجي، الشراح، مرجع سابق، ص 198 .

قبيلته بشكل أكبر على وجه الخصوص في حالة الاضطرابات السياسية، وعدم الاستقرار السياسي، أو عند ضعف السلطة المركزية، وعدم تواجد مؤسساتها في المناطق القبلية⁽¹⁾.

أما المهام الخارجية التي يقوم بها الشيخ خارج منطقة نفوذه، فتتمثل بتمثيله لقبيلته في مختلف القضايا والنزاعات، التي تتشبّه بين قبيلته وقبائل أخرى، أو في حالة المعاهدات والتحالفات، حيث يقوم الشيخ بإبرام الصلح أو التحالف أو إعلان الحرب نيابة عن القبيلة، إلا أنه لا يتخذ أي قرارات حول هذه القضايا، وخاصة الكبيرة منها، إلا بعد التشاور مع رجال القبيلة ووجهائها⁽²⁾.

أوضاع المشايخ الاقتصادية في تهامة:

تفاوتت أوضاع المشايخ الاقتصادية في تهامة، فهم ليسوا في مستوى واحد بل كان بعضهم من كبار ملوك الأراضي، وعلى رأس هؤلاء هادي هيج شيخ قبيلة الوعاظات في منطقة اللحية، ومنهم من متواطي الملك، وبعض منهم من صغار الملك⁽³⁾.

وعلى الرغم من عدم توفر إحصاءات تتعلق بنسبة هذه الفئة من الأملال الزراعية، إلا أن غالبيتهم كانوا من كبار الملك⁽⁴⁾.

جرت العادة على قيام الملك من المشايخ بتأجير أملاكهم إلى الفلاحين، مهما صغرت أو كبرت، لأن ذلك لا يتاسب ومكانتهم الاجتماعية، وقد يستخدمون عملاً زراعيين⁽⁵⁾.

ومن خلال المقارنة بين أوضاع المشايخ الاقتصادية في منطقة تهامة، والمشايخ في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن خلال فترة الدراسة، نجد أن المشايخ في منطقة تهامة كانوا يستغلون نفوذهم وسلطاتهم التي كانت تستند إلى سلطة الدولة في فرض سيطرتهم على السكان، وعلى مصادر وعلاقات الإنتاج فيها، ومن ثم لم يكن هناك إحساس مشترك بروابط القرابة والمساواة في الحقوق والواجبات، والمسؤولية الجماعية بين المواطنين في تلك المناطق وبين المشايخ، ومن ثم أصبح بعضهم من كبار ملوك الأراضي الزراعية، وذلك على عكس ما كان عليه المشايخ في المناطق الشمالية والشرقية، حيث كانت العلاقة التي تربط الشيخ بقبيلته علاقة قرابة

1 - عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 104.

2 - الشرجي، الشرائع، مرجع سابق ، ص 175 .

3 - المرجع نفسه، ص 181 .

4 - عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 104.

5 - الشرجي، مرجع سابق ، ص 181 .

قائمة على مبدأ المساواة والاحترام المتبادل النابع من مفهوم العلاقة الندية عند التعامل حيث يُعد الشيخ ورجل القبيلة أمام قواعد العرف متساوين⁽¹⁾.

لم يقتصر اعتماد المشايخ في تهامة في دخلهم الاقتصادي على أملاكهم الزراعية، بل كانوا يستفيدون مالياً من أجور المصالحات بين الناس وحل مشاكلهم، ومن هدايا المواطنين في مناسبات الأعياد والمواسم الزراعية، كما يحصل بعض المشايخ على معونات سنوية من السلطة، وتختلف هذه المعونات من منطقة لأخرى، حسب قوة ونفوذ الشيخ في منطقته⁽²⁾.

علاقة مشايخ القبائل بالسلطة:

اعتمدت الإمامة في اليمن عبر تاريخها الطويل على رجال ومشايخ القبائل في الوصول إلى السلطة، وتبنيت حكمها، ولذلك نال مشايخ القبائل مكانة اجتماعية وسياسية واقتصادية طوال فترات التاريخ اليمني، باستثناء فترة حكم المملكة المتوكلية، حيث تدنت مكانة المشايخ من الناحية السياسية خاصة وأن الإمامة عمدت إلى تقليص مخصصاتهم المالية، بحيث ضمنت من هذا الإجراء عدم تحرك المشايخ ضدها، لأنهم أصبحوا غير قادرين على تغطية نفقات أسرهم، فكيف سيملئون أي تحرك ضدها؟ . كما نجحت الإمامة في جعل مصدر رزق هؤلاء المشايخ منها، لهذا كانوا يحاولون إرضاء الإمام وتأييده حتى يتكرم ويعطيهم القليل من المال أو الحبوب⁽³⁾.

وقد استخدمت السلطة مجموعة من الأساليب والوسائل لإخضاع مشايخ القبائل في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة تمثلت في الآتي:

- 1- استخدام القوة العسكرية، وشن الحروب على القبائل المناوبة لها لإخضاعها، كما فعلت مع قبيلة الزرانيق في تهامة عام 1928 .
- 2- إثارة الخلافات بين القبائل لضرب بعضها ببعض لإضعافها، ومن ثم جذب مشايخ وبعده آخرين، عن طريق استخدام ورقة المشيخة، حيث تمكنت السلطة بهذه الورقة من إحداث الفرقة بين المشايخ بعضهم ببعض في نفس القبيلة الواحدة، وخلق التنافس بينهم، فضلاً عن تجريد بعض الشيوخ المعارضين من مراكزهم القيادية القبلية⁽⁴⁾ .

1 - أبو غاثم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 201-202.

2 - المرجع نفسه، ص 200.

3 - الغليسي : اليمن الجمهوري، مرجع سابق، ص 50 .

4 - المسعودي، مرجع سابق ، ص 120 .

كانت هذه الوثيقة أو الورقة تجدد كل فترة زمنية لإعطاء الشيخ الاستمرارية في مشيخته، وكان من أهم شروطها: طاعة الله وطاعة الإمام، والامتثال لأوامره، وأوامر مماثلاته، وتجنب كل ما يغضب الإمام من الحركات في الأقوال، والأفعال، والمقاصد، والتمسك بولاء الإمام، ومعاداة من يعاديه، وموالاة من يواليه، والالتزام بقوانين السلطة والشريعة⁽¹⁾.

3- استخدام الإمام لنظام الرهائن لمنع التحركات من قبل بعض مشايخ القبائل، وقد استخدمت هذه الوسيلة كورقة ضغط على بعض مشايخ القبائل المشكوك بولائهم عندما يفكرون بالخروج عن طاعة الإمام، وكانت نفقات هؤلاء الرهائن على حساب قبائلهم⁽²⁾. وقد بلغ عدد الرهائن حتى نهاية الخمسينيات ألفي رهينة⁽³⁾.

4- استمالة بعض مشايخ القبائل عن طريق الرشوة والمعونات السنوية .

5- وسيلة الزواج والمصاهرة من بنات كبار المشايخ، وذلك كما فعل الإمام يحيى عندما تزوج أخت شيخ قبيلة بكيل، لتفوية العلاقة بين القبيلة والسلطة⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من سعي السلطة لإضعاف الدور السياسي لمشايخ القبائل خلال فترة الدراسة، إلا أن ذلك لا يعني إنهاء النظام القبلي، بل على العكس فقد حافظت السلطة على النظام القبلي وذلك خدمة لمصالحها، وضماناً لبقاءها؛ لأن النظام القبلي هو البنية الصالحة لنمو التعصب الديني والمذهبي الذي قام عليه حكم الأئمة في اليمن، ولذا حرصت السلطة على إبقاء الروح القبلية التي تحافظ على سيطرتها وتغدوها⁽⁵⁾. ومما يؤكد ذلك بقاء الأعراف القبلية جنباً إلى جنب مع الأحكام الرسمية، وكانت السلطة تغض النظر عن هذه الأعراف، عندما تكون في صالح الدولة، وخاصة في المسائل الأمنية مثل حماية الطرق والأسواق، وهي من الأمور المهمة التي

1 - الغليسي، اليمن الجمهوري، مرجع سابق ، ص 55 .

2 - Ingram's, H, The Yemen Imams, Rulers and Revolutions London 1963, p. 59.

3 - Wenner, W, Manfred, Modern Yemen (1918- 1966), Baltimore 1967. P. 79

4 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 150 .

5 - أبياظه، الحكم العثماني في اليمن، مرجع سابق ، ص 428 .

تخدم استقرار المملكة⁽¹⁾ . أما إذا كانت تلك الأعراف تتعارض وتوجهات السلطة وسياساتها، فإن الإمام كان يرفضها ويحاربها كونها وفقاً لسياسته تمثل حكم الطاغوت⁽²⁾ .

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإمام يحيى، ومن بعده الإمام أحمد مارسا سلطتهما، باعتبار كل منهما شيخ القبيلة الكبيرة (اليمن)، واستخدما عدة وسائل وأساليب للسيطرة على مشايخ وقبائل اليمن ومنها تهامة واستطاعا أن ينجحا في جعل ولاء أفراد القبيلة للسلطة أقوى من ولائهم لشيخ القبيلة .

أبرز قبائل تهامة:

شكلت القبائل في اليمن ظاهرة تاريخية، عاش اليمن في ظلها عبر مراحل تاريخه حياة سياسية واجتماعية غير مستقرة، على الرغم من مظاهر الوحدة الحضارية والثقافية والدينية التي تميز بها المجتمع اليمني القديم والحديث . وقد اختلفت هذه القبائل من حيث الاستقرار أو البداءة، فغلب الاستقرار على بعض قبائل جنوب وغرب اليمن ومنها تهامة، في حين غالب طابع البداءة على بعض القبائل القاطنة في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، حيث التعصب الشديد للقبيلة، والولاء للمشايخ⁽³⁾ .

وقد ارتبطت القبائل ببعضها عن طريق عاملين رئيسيين هما:

1- عامل القربي ورابطة الدم بين أعضائها، والذي يقوم على فكرة وحدة النسب، باعتبار أن جميع القبائل يجمعها جد واحد وأنها عبارة عن أسرة واحدة ، يتفرع منها فروع عدة ، وتُعد الأسرة هي البذرة الأولى لأي تجمع قبلي، إذ أن ترابط مجموعة من الأسر ذات الأصل الواحد مع بعضها قد زاد من ترابطها، وكون ما يسمى بالفخيدة⁽⁴⁾ . ومن عدد من الأخذاد تكون العشيرة، ومن العشيرات تتكون القبيلة، بوصفها وحدة سياسية واجتماعية⁽⁵⁾ . وقد جعل هذا التداخل عن طريق النسب

1 - الفقيه: السياسة الإدارية والمالية، مرجع سابق، ص 124.

2 - الغليسي، سعيد حيد: دور القبيلة في الحياة السياسية اليمنية خلال فترة حكم المملكة للمملكة اليمنية (1918-1962)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء ، 2003م، ص 117 .

3 - حداد، مرجع سابق، ص 453.

4 - الفخيدة: هي مجموعة من الأسر، والتي تلتقي في الجد الرابع أو الخامس، والتي غالباً ما تكون متقاربة متجاورة .

5 - هديل، مرجع سابق، ص 44.

والدم أن تقوم القبائل بالتعصب لنفسها وفروعها، وأصبحت تلك العصبية تمثل الحلقة الرئيسية في التكافف القبلي وفروعها حولها، حتى وإن كانت تلك الفروع متفرقة وبعيدة عن موطنها، كما أن شعور الفرد بانتمائه إلى قبيلة يجعله يتصرف بسلوك يتناسب مع ما للقبيلة من ثقل ومكانة بين أوساط القبائل الأخرى⁽¹⁾.

2- العامل الاقتصادي: يقوم على فكرة أن الترابط القبلي تفرضه العلاقات الاقتصادية، والمصالح المادية القائمة بين أفراد القبيلة الواحدة، أو مجموعة من القبائل، وإن لم يكن بينهم علاقة دم أو نسب، لكن المصلحة المادية في الأرض والزرع والماء والتجارة والحدود الجغرافية التي تجمع بينهم، قد تكون أقوى وأمن من علاقة النسب المشترك⁽²⁾.

وأبرز مثال على ذلك قبيلة الزرانيق في تهامة، التي كانت تُعد من أقوى وأكبر قبائل تهامة، نجد أن هناك روابط اقتصادية جمعت بين أفرادها، إلى جانب رابطة الدم، وهي رابطة الأرض والزرع، وهذه القبيلة وإن تميزت عن غيرها بكثرة رجالها وقوتها، إلا أن فروعها كافة ترتبط بالأرض والدفاع عنها، ضد أي اعتداء من قبل الآخرين.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في تكريس النظام القبلي في اليمن، وحافظت على تمسكه واستمراره، وعززت من دوره الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في غالبية المناطق اليمنية، ومنها تهامة، ولعل أبرز تلك العوامل تتمثل في الآتي:

1- العامل الجغرافي:

ويتمثل بأن طبيعة اليمن بأقسامه المختلفة، لا تحتمل وجود جماعات بشرية كبيرة تمتد لمسافات طويلة، فضلاً عن أن التضاريس الجغرافية الوعرة، قد فرضت العزلة على بعض المناطق، وجعلت الناس يتمسكون بعاداتهم وتقاليدتهم، وقللت من عمليات التواصل والانتقال والاتصال بين السكان، وأفضت في الأخير إلى تشكيل كيانات تتزع نحو الاستقلال، وفي الوقت ذاته عززت من قوة القبائل تجاه السلطة، إذ صار من الصعب استخدام القوة القهقرية تجاهها، مما

1 - المصري، أحمد عطية: النجم الأحمر فوق اليمن، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط.3، 1988م، ص32.

2 - الظاهري، محمد حسن : الدور السياسي للقبيلة في اليمن (1962 – 1990م) ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1 ، 1996م ، ص 66 - 67 .

يؤدي بالسلطة في أغلب الفترات إلى الاعتراف بهذا الواقع، والتعايش معه، وهو ما أثر على بقاء هذا النظام واستمرار ينته⁽¹⁾.

2- العامل الاقتصادي:

ويتمثل بقلة خصوبة الأرض وقلة إنتاجها، وخاصة في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، وذلك مما نتج عنه أن تصبح الأرض ذات إنتاجية ضعيفة لا تنتج إلا محصولاً واحداً في العام أثناء موسم الإمطار، وقد لا يهطل المطر بعض السنوات، مما يؤدي إلى الجدب والفقر لسكان تلك المناطق، وذلك مما يدفع بسكان تلك القبائل إلى التمسك بالنظام، والقوانين العرفية، ويدفعهم إلى التضامن وشن الحروب كوسيلة من وسائل الكسب ضد المناطق الأخرى، من أجل توفير لقمة العيش⁽²⁾.

3- العامل السياسي:

إن حالة التدهور الاقتصادي، والاضطراب السياسي، وانتشار الفوضى والحروب التي شهدتها اليمن خلال فترات تاريخه الحديث والمعاصر، لعب دوراً بارزاً في بقاء النظام القبلي واستمرارته، وبعبارة أخرى إن انعدام سلطة الدولة المركزية، أدى إلى غياب الاستقرار، وبالتالي أدى إلى وجود مصادر أخرى محلية تقوم بتوفير الأمن والاستقرار، وتمثل ذلك في اعتماد الجماعات والوحدات القرابية والسياسية القبلية على قوتها الذاتية، وعلى روابطها القرابية والعصبية في تحقيق الأمن والحماية لأعضائها⁽³⁾.

فضلاً عما سبق، يمكن اعتبار ظلم الحكام وموظفيهم للفلاحين والرعايا، عاملًا آخر عمل على استمرار قوة النظام القبلي، وذلك مما كان يحدوا بالفلاحين إلى القبيلة للاحتماء بها من الظلم الواقع عليهم⁽⁴⁾. كما كان للجهل والأمية دوراً كبيراً في بقاء هذا النظام، إلى جانب النزعة الاستقلالية للقبائل، وتوجيه الولاء للفقبيلة وشيخها، وهذا ما نرى آثاره في مجريات التحركات الشعبية الجارية اليوم في اليمن.

1 - سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 442-443.

2 - أبو غامد، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 70.

3 - المرجع نفسه.

4 - عمر، مرجع سابق، ص 113-114.

ومما تجدر ملاحظته أن النظام القبلي يختلف من حيث التشدد في العادات والتقاليد، وقوه تأثيرها في اليمن، حيث تشد أو تقوى في المناطق الشمالية والشرقية في اليمن وتقل في المناطق الوسطى والغربية (تهامة)، ويرجع ذلك لعدة عوامل منها :

- 1- أن المناطق الوسطى والغربية من اليمن بما فيها تهامة، أغنى المناطق زراعياً، كما أنها تستقبل أمطاراً غزيرة، وقد أدى ذلك إلى استقرار الجماعات البشرية في هذه المناطق، وأعطى أهمية أكبر للاشتغال بالزراعة، مما قلل من أهمية النظام القبلي في هذه المناطق⁽¹⁾.
- 2- قرب المناطق الوسطى والغربية من مناطق الاحتكاك بالخارج عن طريق عدن وسواحل البحر الأحمر، وهو ما هيأ لدخول نظم حديثة، تمثلت ببروز أساليب وتنظيمات وطرق عمل جديدة، مما أدى إلى ظهور تأثير واضح في البناء الاجتماعي، وذلك مما خف من قوة النظام القبلي في المنطقة، بينما ظلت المناطق الشمالية والشرقية أكثر انغلاقاً في اتصالاتها مع الخارج⁽²⁾.

وعلى الرغم من كثرة عدد القبائل التي كانت تتوزع على أغلب مناطق تهامة ونفرعاتها⁽³⁾، إلا أننا سنذكر بأبرز هذه القبائل وهي :

1 - قبيلة الزرانيق (المعازية)⁽⁴⁾ :

وهي من القبائل التهامية المشهورة بقوة بأسها، وكثرة رجالها، ومساكنها في وسط تهامة باتجاه الجنوب، وتقع مساكنها من وادي زيد شمالياً، إلى وادي سهام جنوباً، تحدها الجبال من

1 - الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 57 .

2 - الحديشي، نزار عبد اللطيف: أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1978م، ص 66-70.

3 - ينظر الشكل الذي يوضح أماكن توزيع القبائل في تهامة، ملحق رقم (9).

4 - المعازية : اختلف المؤرخون حول نسب قبيلة المعازية ، فالبعض يعدهم إلى الأشاعرة ، بينما بعضهم ينسبهم إلى قبيلة عك ، ويبيدوا أنه النسب الصحيح ، وتطلق عليهم بعض المصادر باسم الزرانيق ، ويبيدوا أن الزرانيق فرع من المعازية .

أنظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مرجع سابق، مجل 1، ج 2، ص 394.

الشرق، والبحر الأحمر غرباً، أما الحدود القبلية للزرانيق، فيحدها شماليًّاً قبيلة لفْ حري، وجنوباً قبيلة الأشاعرة، وغرياً البحر الأحمر، وشرقاً جبال ريمة⁽¹⁾.
وتتقسم قبيلة الزرانيق إلى ثلاثة أقسام⁽²⁾ :

1- القسم الشمالي: ويمتد من منتصف بيت الفقيه إلى المنصورية شماليًّاً، ويضم هذا القسم منطقة الجنوبية والخابع واللاوية، ويرأس هذا القسم الشيخ يحيى منصر معروف.

2- القسم الجنوبي: ويمتد من النصف الثاني لبيت الفقيه من ناحية الجنوب ماراً بالكويع فالحسينية، ويرأس هذا القسم مشايخ آل الفاشق .

3- القسم الغربي: ويمتد على طول ساحل البحر الأحمر، ويشمل الدريهمي، ومنطقة رمال، وقضبة، والطائف، ويرأس هذا القسم الشيخ أحمد فتبني جنيد .

لقد اكتسبت هذه القبيلة شهرتها من الدور الذي لعبته في تاريخ اليمن، فعبر تاريخها لم يُعرف أنها خضعت لأي سلطة سلماً، فقد قاومت الإمام المظفر بن شرف الدين⁽³⁾ في القرن السادس عشر الميلادي، ثم بسط نفوذه عليها ، بعد ذلك جُدد نشاطها في أواخر القرن التاسع عشر حتى أحمد ثورتها حمود بن محمد الحسني⁽⁴⁾ .

وفي بداية القرن العشرين قاومت هذه القبيلة العثمانيين مقاومة شديدة، تفوق فيها الزرانيق لخبرتهم في القتال ، ولما يتمتعون به من خفة وسرعة وشجاعة⁽⁵⁾ .

بعد خروج العثمانيين من اليمن، سعت السلطة الإمامية لبسط سيطرتها على مناطق تهامة، وذلك لما تمثله من أهمية إستراتيجية لليمن، وما تدره من موارد مالية للدولة، عن طريق الجمارك المفروضة على الصادرات والواردات، وقد تمكنت السلطة في عام 1925 من استرجاع مناطق

1 - مقتبس، مرجع سابق، ص 25.

2 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 486.

3 - المظفر بن شرف الدين : هو نجل الإمام شرف الدين ، وكان جلاً عسكرياً ، اشتهر بشدة البأس، ثار على والده، وتولى إمامية اليمن، دخل مع الأتراك في حروب عسكرية، حتى تغلب عليه سنان باشا بقوات كثيفة ، وكان الصلح، توفي عام 980هـ . انظر: الشرفي، محمد شوعي حسن : ثورة عام 1948م في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية . ابن رشد . جامعة بغداد ، 1417هـ/1996م، ص 32.

4 - الشريف حمود بن محمد الحسني : ولد إدارة منطقة أبي عريش، والمخلاف السليماني (بلاد عسير) في عهد الإمام المنصور علي بن المهدى عباس، ثم استقل بتهامة بعد أن وسع سيطرته على الملحمة، والحديدة، وزبيد، وحيس .
أنظر: الموسوعة اليمنية، مرجع سابق، ج 1، ص 422.

5 - إنكارين، مذكرات دبلوماسي في اليمن، مرجع سابق، ص 163 .

تهامة، بما فيها ميناء الحديدة من الأدارسة، لكن الاضطرابات التي قامت بها قبيلة الزرانيق، أدت إلى عرقلة حركة التجارة في المنطقة، وذلك مما حمل السلطة الإمامية للقيام بتأسيس مركز إداري لها في حدود هذه القبيلة، لتأمين الطرق وهو ما اعتبرته القبيلة تدخلاً في شؤونها، واعتراض شيخها أحمد الفتيني جنيد على هذا الإجراء، واستغلت السلطة الإمامية هذه المعارضة، فأرسلت حملة تأديبية لإجبارهم على دفع عائدات الزكاة، وتسلیم رهائن الطاعة للسلطة، إلا أن الزرانيق تصدوا لهذه الحملة، وتمكنوا من تشتت قواها، بعد مقتل قائد الحملة⁽¹⁾.

بعد تشتت الحملة وقتل قادتها، تشجع الزرانيق في توسيع نشاطهم وقاموا بشن هجمات خاطفة ومتقطعة على مقرات الجيش الإمامي في الحديدة⁽²⁾. كان الهدف من هذه الهجمات القضاء على القوات الإمامية المتواجدة في الحديدة، وقد استغلوا خبرتهم في المنطقة، حيث استطاعت بعض فرقهم أن توجه ضربات ليلية ضد الحاميات العسكرية الحكومية، واقامة الكمائن للانقضاض على الخصم، باستخدام الجمال والخيول، والانسحاب تحت وطأة الظلام . وفي هجوم ليلي جرى في ديسمبر/كانون الأول 1928، استطاع الزرانيق أن يبيدوا حامية عسكرية بكاملها كانت تخيم في ضواحي مدينة الحديدة⁽³⁾.

وفي فبراير/شباط 1929 قامت القوات الحكومية بالهجوم بالمدفعية على مدينة الذريهمي التابعة للزرانيق، حيث تمكنت من اقتحامها بعد قتال شديد، مما اضطر الزرانيق إلى التراجع، ونقل مركز قيادتهم إلى منطقة الطائف وغليفقة⁽⁴⁾ ، واتخذوا من هذه المناطق مراكز دفاعية لشن الغارات على مقرات الجيش الإمامي، كما استطاعوا من خلال هذه المناطق السيطرة على عدة طرق تجارية برية وبحرية تربط منطقتهم بالخارج عن طريق البحر الأحمر⁽⁵⁾ .

1 - المسعودي، مرجع سابق، ص 143 - 144 .

2 - شحاب، محمد سالم : قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع (12)، ديسمبر/كانون الأول 1987 م ، ص 47 .

3 - Robert, Stookey, Yemen politic of the Yemen Arab Republic . p. 174.

4 - الطائف : بلدة على ساحل البحر الأحمر ، جنوبى مدينة الحديدة ، تبعد عن بيت الفقيه بـ 20 كم ، ينظر الحجري، مرجع سابق، مج 2 ، ج 3، ص 557 ، أما غليفقة : فهي بلدة ساحلية تقع بالشمال الغربي من زيد . المحففي، معجم القبائل، مرجع سابق، ص 483 .

5 - المسعودي، مرجع سابق، ص 145 .

وفي مايو/أيار 1929 منع الزرانيق الجيش الإمامي من إرسال النجدة إلى إحدى الحاميات العسكرية المحاصرة قرب ميناء غليفقة، كما أنهم اشتبكوا مع قوات الجيش بالقرب من غليفقة المطلة على البحر الأحمر عندما حاولت الاقتراب منهم، وقد انتهى الهجوم الحكومي على غليفقة دون إحراز نجاح يذكر، لكن القتال استمر طوال فترة الصيف حيث عجز الجيش الإمامي عن مواصلة القتال نتيجة الحر الشديد، وشراسة المقاومة، واكتفى الجيش الإمامي بإحرق القرى وقصها بالمدفعية⁽¹⁾.

ونتيجة لهذه المقاومة الشرسة التي قام بها الزرانيق أرسل الإمام يحيى ابنه ولی العهد أحمد على رأس حملة عسكرية مكونة من مشايخ وجند قبائل حاشد وبكيل وخolan، واستطاع قائد الحملة بذاته السياسية وبعد قتال عنيف أن ينزل الهزائم بالزرانيق بعد تخليلهم عن منطقتي غليفقة والطائف، التي كانت تمثل آخر خط تمويني حيوى يضمن لهم استمرار المعركة، وبسقوط هاتين المنطقتين ضعفت مقاومة الزرانيق، وقطعت خطوط الإمدادات الخلفية لهم، وطوقت القبيلة برأً وبحراً⁽²⁾.

ونتيجة لهذا الانتصار من قبل القوات الإمامية فـر القائد العسكري لقبيلة الزرانيق الشيخ أحمد فتني جنيد إلى جزيرة كمران⁽³⁾. ومن هناك أخذ يرسل برقيات استغاثة إلى حكومة عدن، يطلب فيها دعم بريطانيا للزرانيق في نضالهم ضد الإمام يحيى وأعوانه، حتى يتم تخليلص تهامة من قبضتهم⁽⁴⁾.

وفي منتصف عام 1929 كانت القوات الإمامية قد أطبقت على حدود قبيلة الزرانيق وأصبح بيت الفقيه مركز القبيلة تحت ضربات المدفعية الحكومية، وخضعت معظم أراضي القبيلة لسلطة الإمامة، ودخلت القوات الإمامية مدينة بيت الفقيه، وقد استخدمت الجيوش الإمامية القسوة ضد رجال القبيلة، وهذا ما أشارت إليه تقارير القنصل الأمريكي في عدن ما نصه :

(إن المهاجمون للمدينة أبدوا وحشية مفرطة، حيث لم يفرقوا بين الرجال المقاتلين، والشيخ والأطفال، ويشير التقرير نفسه، إلى أن أمير الجيش أحمد طالب الزرانيق بدفع غرامة مالية مقدارها

1 - شحاب، قبيلة الزرانيق ، مرجع سابق ، ص 49 .

2 - المسعودي، مرجع سابق، ص 146 .

3 - جزيرة كمران : جزيرة تقع في البحر الأحمر ، بالقرب من مدينة الحديدة ، بمحاذاة منطقة الصليف . أنظر: الحجري، مرجع سابق، مج 1، ص 187 .

4 - المسعودي ، مرجع سابق ، ص 147 نقلًا عن التقارير البريطانية .

أربعين ألف ريال ماريا تريزا على القبيلة)⁽¹⁾. وبعد نهاية المعركة أُقيمت معظم رجال القبيلة المقاتلين إلى قلعة حجة معلم الإمامة الحصين، حيث تم سجنهم وقضى على الكثير منهم، حتى أصبحت لهم مقبرة في حجة تُعرف الآن بمقبرة الزرانيق . الأسباب التي كانت وراء انتفاضة الزرانيق في تهامة .

تمكن الإمام يحيى حميد الدين من إخراج الأدارسة من تهامة عام 1925، وفي أعقاب ذلك قام الشيخ أحمد فتني جنيد، بإرسال برقية إلى عصبة الأمم طالب فيها بالاستقلال، وتكوين دولة شافعية في تهامة، تكون عاصمتها الحديدة، وعندما لم يحصل على التأييد، و Yas من الحصول على الاعتراف الخارجي بالاستقلال، أعلن الحرب على الإمام، بائنأ حركته بالهجوم على عدد من مواقع الجيش الإمامي، وقطع الطرق والمواصلات⁽²⁾ .

غير أن بعض المصادر أشارت إلى دور بريطاني خفي في تشجيع الزرانيق ل القيام بهذا التمرد، فهم كانوا يسعون إلى استغلال أي حركة لإرباك سياسة الإمام يحيى الداخلية، ونشر الفوضى داخل المملكة، وأن هذا التمرد جاء متزامناً مع محاولة البريطانيين للاستيلاء على بعض مناطق اليمن، كقطعة والضالع⁽³⁾، فأرادوا أن يشغلوا الإمام بحرب الزرانيق⁽⁴⁾.

ويبدو أن كلا الإشارتين بعيدة عن الحقيقة، فالارتباط البريطانيين هي أولى التهم الموجهة إلى قبيلة الزرانيق من قبل السلطة لتأجيج مشاعر القبائل المحاربة ضد الزرانيق، وشعارهم بأنهم يقاتلون عمالء النصارى، ومما يدل على دحض هذا الارتباط هو ما أشارت إليه التقارير البريطانية السالفة الذكر : ((بأنه بعد فرار شيخ الزرانيق إلى كمران، أرسل برقيات استغاثة إلى حكومة عدن يطلب فيها دعم بريطانيا للزرانيق، في نصالها ضد الإمام يحيى وأعوانه حتى يتم تخلص تهامة من قبضتهم)) ، وهذا الطلب جاء بعد هزيمة الزرانيق، مما يوحي بأن الاتصال مع بريطانيا لم يحدث . كما أثنا لم نجد دليلاً يبين أن هذه القبيلة قد طالبت بالاستقلال عن

1 - المرجع نفسه ، ص 148. نقاً عن التقارير الأمريكية في عدن .

2 - Wenner, op.cit. p. 73.

3 - قطعة هي: مدينة يمنية تقع في الجنوب الشرقي من مدينة إب بمسافة 62 كم ، أما الضالع فهي تقع جنوب قطعة على بعد 96 كيلومتراً عن عدن ثللاً . أنظر: المحفني، مرجع سابق، ص 393، 520 .

4 - البردوني، عبد الله : اليمن الجمهوري، دار الفكر، بيروت، ط 4 ، 1994م، ص 128- 129 . ؛ فخرى، اليمن ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص 215.

اليمن، واقامة دولة في تهامة، لأن مدينة الحديدة ومعظم القبائل المجاورة، قد خضعت حينذاك لسلطة الإمامة، وبخاصة أن هناك قبائل تهامية اشتركت في قمع هذا التمرد .

ولعل السبب كما يبدو وراء تمرد قبيلة الزرانيق، يرجع إلى سياسة السلطة الإمامية، التي قامت بفرض سلطتها المركزية بالقوة على مناطقهم، والتدخل في شؤونهم، وهو ما لم تألفه القبيلة في مراحل تاريخها، فضلاً عن الوحشية والتطرف الذي استخدمه الجيش الإمامي ضدهم.

2-قبيلة الفُحْرِي :

وهي من القبائل الكبيرة في تهامة، وتسكن منطقة باجل المحاطة بجبال برع وريمة في الجنوب، وجبال حفاث وملحان والجبلة من الشمال، شرقي مدينة الحديدة بمسافة 60 كم^(١). يعمل سكان هذه القبيلة في الزراعة والرعي، ويتوزعون على عدة قرى أهمها، الجبلة، والبُحْرَج، وُعال، وجبل الضامر، والقوادره، والدباريش، وبنو أحمد، والمزارية، والزهوانية، والسامية، والريسانية^(٢) . وتتفرع هذه القبيلة إلى فروع عدة منها : الجمادية، وبنو خلف، والخضاربة، والمجاردة، وعزان، والضوامرة^(٣) .

عرفت هذه القبيلة كغيرها من قبائل تهامة، بعدم الخضوع للحكم العثماني، وظلت محافظة على استقلالها رافضة كل ما يؤدي إلى التدخل في شؤونها الداخلية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وخروج العثمانيين من اليمن، قاومت قبيلة الفُحْرِي الخضوع لسلطة الإدريسي في تهامة، ومن بعده سلطة الإمام يحيى حميد الدين، وكان لهذه الروح الاستقلالية، وعدم الرضوخ لسلطة الإمامة حينذاك، دور في إثارة حفيظة الإمام يحيى، الذي رأى أن موقفها هذا ينافي حكمه^(٤) .

كان أول تمرد لها ضد السلطة الإمامية، عندما قامت باحتجاز بعثة جاكوب البريطانية عام 1921، والتي كانت متوجهة في طريقها إلى صنعاء لمفتوحة الإمام يحيى على المناطق الحدودية في الجنوب، مقابل إرجاع ميناء الحديدة إلى السلطة الإمامية^(٥) . فضلاً عما كانت تهدف إليه من استطلاع الأوضاع بصورة عامة، والتعرف على نوايا الإمام يحيى الحقيقة تجاه حكومة

1 - الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، ج 3، ص 157.

2 - الحجري، بمجموع بلدان اليمن وقبائلها، مرجع سابق، مج 1، ص 101 - 102.

3 - المرجع نفسه، ص 101.

4 - Stookey , op.cit. p. 174.

5 - المسعودي، مرجع سابق، ص 139.

بريطانيا في عدن، والتعرف على مدى نفوذه السياسي على القبائل في تهامة، وهو ما أشار إليه جاكوب في مذكراته⁽¹⁾.

كان الهدف من احتجاز البعثة البريطانية، إجبار السلطة الإمامية على عدم الاقتراب من تهامة، خاصة بعد نجاح القوات الحكومية في بسط سيطرتها العسكرية على منطقة ملحان والحجيلة القريتان من حدود القبيلة . وازاء هذا الإجراء الذي قامت به القبيلة من احتجاز البعثة، التي كان الإمام يحيى ينتظر وصولها بفارغ الصبر لتفاوض معها بشأن ميناء الحديدة . بادر الإمام يحيى إلى إرسال عدد من رسائل الاحتجاز، ويرقيات التهديد بالعقوبة إلى مشايخ القبيلة، إلا أن قبيلة الفُحرى رفضت الاستجابة لمطالب السلطة⁽²⁾ . وعندما وجدت السلطة أن لغة التهديد والشدة لم تجِد مع شيخ القبيلة، عَلَّت من لهجتها، واستخدمت لغة التفاوض بهدف إطلاق البعثة، وتمت الاتصالات بين السلطة، ومشايخ قبيلة الفُحرى عن طريق القاضي محمد نديم بك العثماني، الذي استبقاء الإمام يحيى ليكون وزيراً لخارجيته، وعلى الرغم مما أبداه القاضي محمد نديم من التجاوب لمشايخ القبيلة، والعرض عليهم ببقاء الوضع على ما هو عليه في مناطقهم، ولقائهم كشيخ على مناطقهم، إلا أن تمسكهم بالاستقلال، وعدم التدخل في شؤونهم، أفشل المفاوضات . وبعد عدة محاولات واتصالات، وافق مشايخ القبيلة على إطلاق سراح البعثة، شريطة أن لا تعاود الاتصال بالإمام يحيى، أو تجري معه أي مفاوضات دبلوماسية، وقبلت البعثة بذلك، وتم الإفراج عنها بعد ثلاثة أشهر من احتجازها⁽³⁾.

-3- قبيلة صُلُّي:

يرجع اسم هذه القبيلة إلى رجل اسمه صُلُّي⁽⁴⁾، وهي من القبائل العَكَّية التي تستوطن منطقة الزيدية، وتمتد حدودها من منطقة الساحل المقابل لجزيرة كمران في البحر الأحمر غرباً ، حتى أقدام

1 - سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 258.

2 - المسعودي، مرجع سابق، ص 140 - 141 .

3 - المسعودي، مرجع سابق، ص 141 .

4 - صُلُّي بن حسين بن يوسف بن حسن بن المحرق، بن الغارس، بن التوام بن قيس، بن زيد، بن مسارحة ، بن ردم بن عيسى، بن ربيعة ، بن عيسى بن غالب، بن شخاره، بن عبد الله بن عك ن بن عدنان . أنظر: الوشلي، نشر الشاء الحسن، مرجع سابق، ج 3، ص 86 - 87 .

جبال ملحان في الشرق، ومن منطقة الضحى جنوباً إلى الخشم شمالاً، وتضم هذه القبيلة مدينة القناوص، والمنيرة، ودير المعروف، ومنطقة المغلاف⁽¹⁾.

تتفرع هذه القبيلة إلى عدة فروع: فمن فروعها، بنو سعيد، وبنو عاش، وبنو عبد، وبنو حمادة، وبنو عويدان، وبنو قطينة، وبنو خجان، وبنو العيسى، وبنو المعروف، وبنو الزين، وبنو الكلفود، وبنو الأحمر⁽²⁾. يعمل سكانها في الزراعة، واستخراج الملح، حيث منجم ملح الصليف، إلى جانب الصيد البحري⁽³⁾.

4- قبيلة بني قيس :

تقع مساكن هذه القبيلة في وادي مور الأدنى، وتعد مواطنهم من أغنى مواطن تهامة، وذلك لما تتمتع به المنطقة من الموارد المائية شبه الدائمة، والتي تقوم عليها زراعة العديد من المحاصيل الزراعية، وخاصة الذرة الرفيعة والدخن. تميزت هذه القبيلة بقوتها وشجاعتها، حيث كان لها دورها بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962، في الدفاع عن النظام الجمهوري، خلال فترة الحرب الأهلية، حيث انضمت هذه القبيلة إلى اتحاد قبائل بكيل، وكان لها وزنها النوعي أثناء هذه الحرب، وذلك لكثره عدد محاربيها، وشدة بأسهم وتسليحهم الذاتي القوي⁽⁴⁾.

5- قبيلة الوعاظات :

قبيلة الوعاظات من القبائل الكبيرة في تهامة، وهي من القبائل العكلية التي تستوطن ناحيتي الزهرة واللحية، بحيث تمتد مواطنها من جنوب اللحية، حتى وادي مور شمالاً، وتضم أراضيها دلتا وادي مور الخصيبة، حيث تقوم بعض الزراعات حول هذا الوادي. ومن أهم مناطق هذه القبيلة، الوعاظات، والزهرة، والمعرص، ومنطقة غنة، واللحية⁽⁵⁾.

6- قبيلة أسلم :

مساكن هذه القبيلة السفوح الجبلية الشرقية من قبيلة بني عبس، وأغلب سكانها يزاولون مهنة الزراعة، ومن أبرز مدنهم الرئيسية (أسلم)، التي تتبع إدارياً محافظة حجة، وتعد قبيلة أسلم، وبني

1 - جعفر، مرجع سابق، ص 64.

2 - الو شلي، مرجع سابق، ج 3، ص 88 - 92.

3 - المرجع نفسه، ص 92.

4 - جعفر، مرجع سابق، ص 64.

5 - المرجع نفسه، ص 63.

قيس القبيلتين الوحيدتين في تهامة اللتين دخلتا في حف مع قبائل بكيل أثناء الحرب الأهلية بعد ثورة سبتمبر / أيلول 1962⁽¹⁾.

7- قبيلة الزعلية :

تقع مواطن هذه القبيلة إلى الجنوب من مدينة اللحية ووادي مور، يحدها من الشمال قبيلة الوعاظات، ومن الجنوب قبيلة صليل، يحترف سكان هذه القبيلة بالإضافة إلى الزراعة العمل في ميناء اللحية، والصيد البحري⁽²⁾.

8- قبيلة بني عبس:

وهي أحد بطون قبائل مراد، ويطلق عليها في كثيراً من الأحيان قبائل مراد، تمتد مواطن هذه القبيلة فيما بين مدينة عبس جنوباً، وحتى ميدي وحرض على الحدود اليمنية السعودية شمالاً، ونظراً لقلة خصوبة أراضي هذا الجزء من تهامة، وقلة أمطاره، يلجأ سكان هذه القبيلة إلى المملكة العربية السعودية للعمل، وخلال الحرب الأهلية بعد ثورة سبتمبر / أيلول 1962، كانت أراضي هذه القبيلة مسرحاً للعمليات العسكرية بين الملكيين، والجمهوريين⁽³⁾.

9- قبيلة الجراح :

قبيلة الجراح تنتسب إلى بولان بن عبدالله بن عك، ومركزها الإداري مدينة الضحي بوادي سردد من أعمال قضاء الزيدية⁽⁴⁾. ونظراً لتوفر مياه وادي سردد أغلب فصوص السنة، ومروره بأراضي هذه القبيلة، لذا عمل سكان هذه القبيلة بالاشغال بالزراعة كمهنة رئيسية، كما كان لإنشاء طريق الحديدة صناع المار بأراضي هذه القبيلة، أثره في تطوير أسلوب زراعتهم وحياتهم، وخاصة بعد أن نفذ مشروع وادي سردد، واستصلاحت بعض أراضيه⁽⁵⁾.

10- قبيلة هشابيرة :

1 - المرجع نفسه .

2 - المرجع نفسه .

3 - جعفر، مرجع سابق، 63 .

4 - الحجري، بمجموع بلدان اليمن، مرجع سابق، ج 1، ص 182.

5 - جعفر، مرجع سابق، ص 65 .

تستوطن هذه القبيلة الشريط الساحلي مابين شبه جزيرة الصليف شمالاً، وقرية جناته عند رأس الكثيب جنوباً، وتمتد شرقاً إلى قرب قرية القناوص، ويزاول سكانها الصيد البحري، واستخراج الملح، فضلاً عن الرعي البسيط على أعشاب الكثبان الرملية القريبة من الشاطئ⁽¹⁾.

11- قبيلة العبيسي (العبيسي) :

هي مجموعة قبلية تقع إلى الجنوب من قبيلة القحري، وتمتد مواطنها فيما بين الساحل الغربي للبحر الأحمر وحتى السفوح الشرقية لجبل برع وريمه، وأهم مراكزها مدينة المنصورية، والسكنة⁽²⁾.

تنتفع هذه القبيلة إلى عدة فروع: فمن فروعها الرقاب ومساكنهم دير الهبة ودير الدوم، والريصا ومساكنهم السليمانية والزيدية والملوكية، وبنو صلاح ومساكنهم في الكدايد، ودير الناشري والفالقه ومساكنهم الساقية والمضاونة، ودير القبور، ودير داود، والكرادية ومساكنهم الكرد والعوامر والقطاملة والشراعية⁽³⁾.

رابعاً - فئة التجار :

وهي من فئات المجتمع المهمة التي قامت دوراً فاعلاً في بلورة الهيكل الاقتصادي للبلاد، وكانت تسيطر على حركة التبادل التجاري الخارجي والداخلي، وحققت من خلال ذلك أرباطاً كبيرة، رفعت مكانتها إلى مقام الفئات المهمة في البلاد⁽⁴⁾.

انسمت هذه الفئة بعدم تجانسها خلال فترة الدراسة، من خلال التباين والتمايز المادي والاقتصادي، فكبار التجار ينحدر أغلبهم من الأسر ذو المكانة الاجتماعية، أمثال السادة والقضاة والذين كانت لهم علاقات بالسلطة، بينما لم يتمتع بهذه الامتيازات الاقتصادية والسياسية العدد الكبير من صغار ومتوسطي التجار في تهامة⁽⁵⁾.

1 - الوشلي : محافظة الحديدة (دراسة جغرافية) ، مرجع سابق، ص 166 .

2 - جعفر، مرجع سابق، ص 66.

3 - الحجري، مجموع بلدان اليمن، مرجع سابق، ص 574 . ؛ الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 172 .

4 - شاهر، مرجع سابق، ص 232 .

5 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 142 .

وقد ارتبط بشرحة التجار في تهامة عدد من الأفراد الذين أدوا مهام لها صلة وثيقة بالتجارة لتسهيل عمليات البيع والشراء، وتدالو السلع بين التاجر والمستهلك ويسمون بالدلالين⁽¹⁾. هذه المهام التي كان يؤديها الدلال من حيث عرض السلع وتسييقها، هي ما تشبه في وقتنا الحالي بالإعلانات المصورة المعروضة بالفنون الفضائية والمجلات.

كانت المواد التي يُتاجر بها في تهامة هي: العطور والتوابل، والمواد الغذائية، والأقمشة، وقد عمل بها أكثر الناس في تهامة على اختلاف أحوالهم، لكثرة الطلب عليها من خاصة الناس وعامتهم⁽²⁾.

وقد ظهرت في تهامة مجموعة من التجار الكبار الذين عملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية استيراداً وتصديراً، بالتعاون مع السلطة الإمامية، ومن أبرزهم التاجر علي محمد الجبلي، وعائلة الحاج حسين غالب الوجيه، والشيخ عمر سليمان المزجاجي وابنه أحمد عمر سليمان المزجاجي، إلى جانب هؤلاء التجار، فقد ظهرت مجموعة من التجار الصغار، الذين امتلكوا رؤوس أموال متواضعة، استثمرواها في عملية البيع والشراء بالتجزئة، من خلال حوانينهم الصغيرة، وقد ميزوا عن كبار التجار ببساطة حالهم، وتواضع تجارتهم التي قام أغلبها في الأسواق الشعبية، والأحياء المتواضعة والفقيرة⁽³⁾.

ومما يلاحظ أن المجتمع اليمني (تهامة) بكل ما فيه من تميز بين الفئات التي ذكرت، إلا أنه لا يوجد فيه وضوح طبقي (كما هو حال الواقع الاجتماعي العربي عامه)، لذلك نجد أن هذه الفئة قد تميزت بانحدارها من أصول فلاحية، أو من يملكون أراضي زراعية، كما أن حوانينهم التي كانوا يملكونها كانت عائلية أكثر منها فردية⁽⁴⁾، وكانوا يتوزعون في مدن وأرياف تهامة منقسمين إلى قسمين :

1 - الدلال (السمسار): هو من يرشد المشتري إلى البضاعة، ومن يجمع بين البائع والمشتري، كما ينادي على السلعة لبيع في الأسواق.

2 - شاهر، مرجع سابق، ص 234.

3 - شاهر، مرجع سابق، ص 234.

4 - الشهاري، مرجع سابق، ص 79.

أ- تجار المدن: وهم الذين مارسوا تجارتهم في مدن تهامة، وتميّزوا عن تجار الريف بكثرتهم، وتوفّر رؤوس أموالهم، وكان أغلبهم من توارثوا مهنة التجارة عن آبائهم، وتخصصوا فيها، كتجارة الأقمشة، والعطورات، والجلود وغيرها⁽¹⁾.

ب- تجار الريف: ويقصد بهم من يزاولون التجارة في القرى والمدن الصغيرة في تهامة، عبر حواناتهم التي تحتوي على بضائع وسلع ضرورية للاستخدام اليومي، مثل السكر، والكبريت، والجازولين، والصابون، والتوايل⁽²⁾.

وعلى الرغم أن هذه الفئة كانت مفتوحة على غيرها، بحيث لا توجد محددات تقليدية للانتماء إليها، كما هو لدى فئتي السادة والقضاة إلا أنه لم يُعرف خلال فترة الدراسة في تهامة، حالات أصبح الخادم فيها تاجر، كما أن التمايز كان موجوداً بين هذه الفئة، والذي يرجع بشكل أساسي إلى الاختلاف في رؤوس الأموال، وحجم النشاط التجاري الذي يتدخل في تحديد المكانة الاجتماعية للفرد في هذه الفئة⁽³⁾.

في مجتمع المدينة مثلاً احتل التجار مكانة ثالثة السادة والقضاة، بينما في الأرياف، كانت مكانة التاجر في المرتبة الرابعة بعد مشايخ القبائل⁽⁴⁾.

أما عن علاقة الزواج بين هذه الفئة، فقد كان المجال مفتوحاً بين أفراد هذه الفئة، والفئات الأخرى، عدا الفئات المحقرة، إلا أنه في الواقع العملي، فقد انحصر الزواج بين العائلات التجارية نفسها، أو فيما بينهم وبين أغنياء الفلاحين⁽⁵⁾.

عاني تجار تهامة وخاصة صغار التجار ومتوسطيهم من مزاحمة موظفي الدولة لهم في الأعمال التجارية، ومن أعمال المصادر والابتزاز، والذين لا يستكفون عن القيام بها⁽⁶⁾. وجدت أيضاً مجموعة من العوامل التي حُفت من التجارة كنشاط اقتصادي، ووقفت عائقاً أمام فئة التجار لتنمية تجارتهم في المنطقة، ومن أبرز هذه العوامل ما يلي:

1 - الشرجي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 202-203 .

2 - المرجع نفسه، ص 204 .

3 - شاهر، مرجع سابق، ص 232-233.

4 - المرجع نفسه، ص 233 .

5 - الشرجي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 193 .

6 - الخطري، عبد القادر : الإمامة وأسلحتها الفتاكـة، مطبعة الجمهورية، تعز، (د.ط)، 1382هـ/1962م، ص 28-29 .

- 1- تخلف السلطة الحاكمة، والمتمثلة بالإمام يحيى، ومن بعده الإمام أحمد، وتمثل هذا التخلف في رفض كل ما هو جديد ونافع للبلاد، والاقتصار على كل ما هو بدائي ومتخلف، تحت مشاعر الخوف من انهيار النظام الإمامي، هذه العقلية المختلفة كان لها أثر في عدم تشطيط التجارة، وابتكار وسائل حديثة في هذا المجال، والانفتاح على العالم ^(١).
- 2- انتهاج السلطة سياسة عزل اليمن عن المحيط الخارجي في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان دافعها في ذلك الخوف من كل ما هو أجنبي، سواء كانت دولاً أو شركات أو أفراد. وهو ما عبر عنه نزيه مؤيد العظم خلال زيارته للإمام يحيى في صنعاء، على لسان الإمام يحيى بقوله: (إنَّه يخُشِّي كثِيرًا أَنْ يَعْدَ أَيْ اِتِّفَاقَةً مَعَ الْأَجَانِبِ، لَأَنَّ هَذِهِ الْإِتِّفَاقَةِ سَتَكُونُ فِي يَوْمٍ مَا مِنْ جَمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْدُو بِالْأَجَانِبِ إِلَى التَّدْخُلِ فِي شُؤُونِ الْيَمَنِ) ^(٢).
وهو ما انعكس على الحياة الاقتصادية بشكل عام ومنها التجارة.
- 3-فرض الضرائب الباهظة، والرسوم الجمركية على البضائع الصادرة والواردة، فضلاً عن انعدام شبكة موصلات حديثة داخل المنطقة، وهو ما شكل عائقاً أمام هذه الفئة من ممارسة مهامها التجارية ^(٣).
- 4- تعرض موانئ تهامة للتدمير، وذلك بفعل الأحداث السياسية التي تعرضت لها المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث خضع ميناء الحديدة لأربع حكومات متتالية، وفي فترة الحرب العالمية الأولى كان ميناء الحديدة خاضعاً لإدارة العثمانية، وعندما أعلنت الحرب تعرض الميناء للحصار والقصف البحري ثم الاحتلال البريطاني له، وأثناء الاحتلال أصدرت الإدارة البريطانية في الهند مرسوماً يقضي بتحديد نسبة الرسوم الجمركية، وذلك مما قلل من حركة الميناء، وظل الحال كذلك حتى سلمت بريطانيا الميناء للسيد محمد الإدريسي منذ عام 1921 حتى 1925 ^(٤).
وخلال هذه الفترة تعرض الميناء للفوضى، وازدياد الضرائب الجمركية، حيث أصبحت 15% بعد أن كانت 1,5% ، فضلاً عن قيام الأدارسة بفرض ضرائب على المنازل أربعة أضعاف ما كان يفرضه العثمانيون، ونتيجة لهذه الممارسات أغلقت 16 شركة أجنبية في مدينة الحديدة، وأصيبت

1 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 106-107.

2 - العظم، مصدر سابق، ج 1، ص 245.

3 - الصائدي، مرجع سابق، ص 108.

4 - المسعودي، مرجع سابق، ص 40.

الحركة التجارية بتدور كبير، ومما يدل على هذا التدور أنه في السنة الأولى لتسليم الإدرسي الحديدة وميناؤها، كانت حصيلة الضرائب من الجمارك قد بلغت 80 ألف ريال ماريا تريزا، وانخفضت هذه الحصيلة في عام 1923 إلى 20 ألف ريال، ويرجع ذلك إلى إفلاس كثير من التجار وانتقالهم إلى أماكن أخرى⁽¹⁾، وباسترجاع الإمام يحيى لتهامة عام 1925 من الأدارسة تعرض تجار المنطقة للابتزاز من قبل سلطات الإمامة، مما كان له دور في عرقلة النشاط التجاري في المنطقة كما سبقت الإشارة إليه .

5- هيئة الأسرة المالكة وكبار موظفيها على التجارة الداخلية والخارجية .

6- تخلف السياسة النقدية، حيث اعتمدت البلاد في عملية التبادل التجاري على ريال (ماريا تريزا)، أما القطع النقدية الصغيرة ، فكانت تصك محلياً، وكميات قليلة لا تتناسب مع حاجة السوق المحلية، مما دفع السكان إلى استخدام نظام المقايضة وهو ((بيع سلعة بسلعة))⁽²⁾.

7- انعدام السوق الذي يشمل البلاد بأسرها، وقد نتج عن ذلك اقتصاد قوامه الكفاف، حيث يستهلك المنتج المحلي بالدرجة الأولى لإشباع حاجات الأسرة المباشرة⁽³⁾.
فضلاً عن ذلك عدم وجود ضمانات للتجار في ممارسة تجارتهم، مما كان له دور في إعاقة نمو التجارة الداخلية .

هذه العوامل عرقلت من ازدهار الحركة التجارية، وأصبح من المستحيل حصول نمو حقيقي فيها، ولذا كانت الهجرة لكثير من التجار هي الوسيلة المناسبة للخلاص من ذلك الوضع والسلط الإمامي، فانتشر بعض التجار اليمنيون في مناطق مختلفة من العالم، وكانت مستعمرة عدن حينذاك هي أهم مراكز الهجرة، التي استقبلت المهاجرين التجار، وذلك بحكم قربها من حدود مملكة الإمام يحيى، وبما توفر فيها من مناخ تجاري ملائم⁽⁴⁾.

تعددت التفسيرات والأسباب التي دفعت السلطة للقيام باحتكار التجارة خلال فترة الدراسة، من أهم هذه التفسيرات ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : ((ولم يكن الإمام يحيى ليرغب في أن يسمح أن تبقى التجارة الخارجية بأيدي الشوافع . يقصد به أهل تهامة . ، ونتيجة لذلك فإن إجراءات

1 - بولدرى ، مرجع سابق ، ص 70 .

2 - غالب ، اليمن ، مرجع سابق ، ص 48-49 .

3 - المسعودي ، مرجع سابق ، ص 37 .

4 - الصائدي ، حركة المعارضة اليمنية ، مرجع سابق ، ص 109 - 110 .

مباشرة اتخذت في الحال للحد من تأثيرهم الاقتصادي، وبعد ذلك أصبحت معظم التجارة الخارجية يقوم بها عمالء معينون من قبل الإمام، وكان من الطبيعي أن يغتاظ التجار الشوافع من مثل تلك الإجراءات الصارمة التي قام بها)⁽¹⁾.

ويبدو أن هذا التفسير غير صحيح، فاحتكار التجارة من قبل الإمام ووكلائه لم يكن بداعي مذهبية، وإنما بداعي مادية بحتة، ومما يدل على ذلك أن نصيب التجار المنتسبين للمذهب الزيدية لم يكن أفضل مما كان عليه نصيب التجار الشوافع من سكان تهامة، كما أن عدد التجار الزيديين ضئيل بالقياس إلى أعداد التجار الشوافع، لذلك فإن تذمر التجار ومعارضتهم للنظام الإمامي، لا يستند إلى التفسير الطائفى، بل هناك أسباب عدة دفعت فئة التجار للانخراط في سلك المعارضة ضد النظام الإمامي، ومن أهم هذه الأسباب مايلي⁽²⁾:

- 1- تعارض مصالح النظام الإمامي، ومصالح فئة التجار .
- 2- المنافسة التجارية غير المتكافئة، وسياسة الاحتكار التي انتهجتها السلطة.
- 3- حاجة التجارة إلى إصلاحات تمكّناها من الحركة والنشاط ، كإصلاح نظم الإدارة، وأوضاع الجمارك، ولغاء الحواجز ، وإيجاد سياسة نقدية ، وإيجاد طرق ومواصلات داخلية، وتحسين حالة الموانئ .
- 4- أثرت هجرة التجار بما يحملونه من فكر وطني، باندفاعهم للمشاركة في إصلاح أوضاع البلاد، مقارنة بما وجدوه ولمسوه في مهاجرهم .

خامساً – الفلاحون :

يشكل الفلاحون أغلبية سكان تهامة، إذ كانوا يُقدرون خلال فترة الدراسة بحوالي 80% ، وهي الفئة المنتجة، فمن عرقها تأتي موارد المنطقة⁽³⁾.

ونتيجة لغياب الإحصائيات، والتسجيل خلال فترة الدراسة لملكية الأراضي في تهامة، فإنه يتذرع تحديد دقيق لحجم الملكيات الزراعية لهذه الفئة، إلا أن منظمة التغذية والزراعة أعطت بناء على ما قامت به من دراسات تقريراً جاء فيه: (أن 90% من صغار الفلاحين لا يملكون سوى

1 - Wenner, op.cit. P. 86.

2 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 116.

3 - العطار، مرجع سابق، ص 118.

20% من الأراضي القابلة للحرث، وهذه الأرضي هي بصفة عامة قطع صغيرة مبعثرة، تتراوح من 1- 20 هكتار⁽¹⁾.

يختلف الفلاحون في ملكية الأرضي من منطقة إلى أخرى في اليمن، ففي المناطق الشمالية الشرقية يُعد الانتساب إلى القبيلة ذا أهمية خاصة، بحيث يحرص الفلاحون على تأكيد هذا الانتساب في كل الأوقات، ويقتصر الفلاح على سبيل المثال بانتسابه إلى قبيلتي حاشد وبكيل، مظهراً تضامنه في الأفراح والأتراح، ومبدياً تعاونه في الملمات، بينما الفلاحون في تهامة والمناطق الوسطى، فهم أقل اهتماماً بأصولهم القبلية، لكنهم في نفس الوقت أكثر انتقاعاً بأراضيهم، بسبب خصوبتها، وأمكانية زراعتها في مواسم مختلفة من السنة⁽²⁾.

يندرج ضمن فئة الفلاحين في تهامة **الشقاة** (العمال الزراعيون)، وهم الذين لا أراضي زراعية لهم⁽³⁾، وكانوا يمثلون نسبة كبيرة من سكان تهامة، وكلوا يُقدرون مع عائلاتهم بـ10%， هذا التقدير موضحاً في التقرير الذي قدمه السيد محمد علي عثمان خلال ترأسه لاتحاد الدول العربية، الذي ضم المملكة المتوكلية اليمنية عام 1959⁽⁴⁾.

لكن بعض الباحثين يشككون في هذه النسبة، ويررون أنها مبنية على التخمين، وأن نسبة هؤلاء **الشقاة** مع عائلاتهم كانت أكبر من ذلك في تهامة، ويرجعون ذلك إلى أن واطبقي التقرير هم من ممثلي المملكة المتوكلية اليمنية، الذين ينتمون إلى كبار ملوك الأرض في اليمن⁽⁵⁾.

كانت أجور العمال الزراعيين منخفضة جداً، إذ أن أجورهم اليومية تتراوح مقدار قيمتها فيما بين 20 سنتيم من الدولار إلى 80 سنتيم، وذلك بحسب اختلاف المناطق، وشروط العمل والعمل، هذه الأجور المنخفضة كانت لا تفي بالحد الأدنى من احتياجات الفلاح الأساسية مما لا يعطي أي إمكانية للوفر الذي من شأنه أن يتتيح للللاح الفقير تحسين وسائله الزراعية، بل يجعل الفلاح دائمًا بحاجة إلى الاقتراض من كبار الملك وخاصة إذا قلت الأمطار ، وعم الجفاف، وهو ما يؤدي بالفلاح في النهاية إلى ترك الأرض، والهجرة خارج وطنه بحثاً عن مصدر آخر للرزق⁽⁶⁾.

1 - المرجع نفسه، ص 124.

2 - زكريا، مرجع سابق، ص 124.

3 - عمر، مرجع سابق، ص 99.

4 - الشهاري ، مرجع سابق ، 67 .

5 - عمر، مرجع سابق، ص 68.

6 - العطار، مرجع سابق، ص 131.

وبسبب تفاوت حجم ما يمتلكه الفلاح من أراضي زراعية في تهامة، ودرجة خصوبة الأرض،

ونوعية المحصول الذي يزرع، فقد انقسمت فئة الفلاحين إلى أربع فئات هي⁽¹⁾ :

1- **اللأغنياء**: وهم الفلاحون الذين يمتلكون أراضٍ تزيد عن قدرتهم على استغلالها استغلالاً مباشراً، فيسلمونها إلى فلاحين فقراء أو معذمين يقومون بزراعتها مقابل حصة معلومة من المحصول.

2- **اللأوسط**: وهم الذين يمتلكون أراضٍ تكفي حاجتهم المعيشية، ويقومون باستغلالها بأنفسهم .

3- **اللأقليات**: وهم الذين لهم أراضٍ لا تفي بحاجتهم ، فيقومون بزراعة أراضٍ أخرى يستأجرونها من كبار المالك، أو من اللأغنياء إلى جانب أراضيهم الخاصة .

4- **اللأبسط**: وهم الذين لا يمتلكون أراضٍ خاصة بهم، فيعيشون من عملهم، ومن زراعة أراضي كبار المالك واللأغنياء، ويطلق عليهم اسم الشفاعة أو العمال الزراعيين.

أوضاع الفلاحين الاقتصادية في تهامة:

عاش الفلاح في تهامة في ظروف اقتصادية زراعية شديدة التخلف، وعلاقات إنتاج مبنية على الاستغلال البشع من قبل ملاك الأرضي، فظلت أغلب هذه الفئة محرومة ليس فقط من لقمة عيشها، التي تحصل عليه بعرق جبينها، بل ومن المشاركة في تقلد المناصب السياسية ومن التعليم والثقافة⁽²⁾. وقد تعرض الفلاحون في تهامة لأنواع من الاستغلال من قبل السلطة، وذلك من خلال فرض الضرائب الباهظة عليهم⁽³⁾، واستخدام طرق عدة لجمع هذه الضرائب، منها طريقة التخمين (التقدير)، والبدل، والصبرة، وطريقة الالتزام⁽⁴⁾.

كما اتبعت السلطة لفرض سيطرتها على الفلاحين، وضمان تحصيل الضرائب، أساليب تعسفية، كالخطاط، والتتفايز، ونظام البقايا⁽⁵⁾. كما أذْهَ في الوقت الذي حظرت فيه السلطة على أغلب أبناء الفلاحين في تهامة الالتحاق في سلك الجندي، فقد فرضت عليهم فضلاً على ضريبة

1 - الشهاري، مرجع سابق، ص 66-67 . ؛ عمر، مرجع سابق، ص 99-111 . ؛ الصائد، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 17.

2 - عمر، مرجع سابق، ص 110.

3 - معرفة أنواع الضرائب الزراعية والحيوانية، التي تُؤخذ من الفلاح خلال فترة الدراسة، ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

4 - عن هذه الطرق ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة .

5 - عن هذه الأساليب، ينظر أيضاً الفصل الأول من هذه الدراسة.

المحاصيل الزراعية، ضريبة أخرى وهي ضريبة التجنيد، والى هذه الوضعية أشار الزبيري بقوله :) و كان سكان اليمن الأعلى طبقة حاكمة، تحتكر الحكم لنفسها، وتجعل من اليمن الأسفل (تهامة) مجرد مجال حيوي لها)⁽¹⁾.

كما أن نظام الإمامة لم يتورع أيضاً عن تشغيل الفلاحين للقيام بإعمال مضنية وشاقة، وبأدواتهم الخاصة، في الأشغال العامة التابعة للسلطة ومن مهامها الأساسية، كإصلاح الطرق، وبناء المؤسسات الحكومية، دون أي أجر يذكر⁽²⁾.

فضلاً عما سبق فقد تعرض الفلاحون أيضاً إلى الاستغلال من قبل كبار ملوك الأرضي في تهامة، وذلك من خلال علاقات الإنتاج غير العادلة بين الطرفين، والتي تقوم على أساس المشاركة في المحصول كما سبقت الإشارة إليه، حيث كان مالك الأرض في الأغلب يقدم من طرفه الأرض فقط، بينما يقوم الفلاح بدوره بتوفير وسائل الحرش والبذور، فضلاً عن مجده وعلمه ومجهود أسرته.

إن هذه الطريقة في استثمار الأرض، وغيرها من الطرق المشار إليها، كانت تمثل شكلاً من أشكال التبعية لمالك الأرض، كما تضمن له حقه في التملك الدائم للأرض، التي يعمل فيها الفلاح، وأن المستفيد الأول من هذا النظام هم أصحاب الأرضي من الشيوخ وكبار الملك⁽³⁾. إن هذا الشكل من المشاركة كان سائناً أساساً بين كبار ملوك الأرضي، وفقراء الفلاحين الذين يضطرون للدخول في هذه المشاركة لأسباب عدة منها : قلة إنتاج ملكياتهم الصغيرة التي لا تفي بمعيشتهم، فضلاً على عدم قدرة أو إمكانية الفلاح الفقير على أن يزرع أرضه بنفسه، لسبب أو آخر .

إن هذا الاستغلال البشع الذي عانى منه أغلب أفراد هذه الفئة في تهامة، نتج عنه آثاراً سلبية ألحقت أضراراً اقتصادية بالفلاح، وجعلته يعاني من فقر متواصل، من أبرز هذه الآثار :

أ- تدني دخل الفلاح المعيشي، نتيجة للضرائب الباهظة وطريقة تحصيلها، وذلك مما يلجم الفلاح إلى الاقتراض من كبار الملك، وبالتالي الوقوع في براثن هولاء الدائنين، مما أوصله في نهاية المطاف، إلى بيع أرضه لمقاضاة الدين الذي عليه. هذه الظروف جعلت دخل الفلاح وعائلته

1 - الزبيري، محمد محمود : الإمامة وخطتها على اليمن ، (د.ن) القاهرة ، (د.ط)، (د.ت) ، ص 14 .

2 - الشرجي، الشراح، مرجع سابق، ص 220 .

3 - المسعودي، مرجع سابق، ص 98 .

في أدنى مستوى، حيث يحصل تقريباً على 20% مما ينتجه، بينما يذهب الباقي إلى ملاك الأراضي، وكضريبة حكومية⁽¹⁾.

بـ- بيع الأرض: ويرجع ذلك إلى كثرة الديون التي يقترضها الفلاح، مما يضطره إلى رهن أرضه، أو بيعها بثمن بخس ليسددها تلك الديون .

جـ- الهجرة وترك الأرض: شكلت الهجرة خلال فترة الدراسة عامل انفراج اقتصادي لمعظم سكان تهامة، ومنهم الفلاحين الذين أخذوا يهاجرون بشكل جماعي إلى مستعمرة عدن، وما شجع السكان على الهجرة إلى جانب الظلم الذي عانوه من السلطة الإمامية، وموظفيها، هو أن مكاتب الشركات التجارية في عدن لم تكن تطلب من اليمنيين جوازات سفر، خاصة من الذين كانوا يهاجرون للعمل بشكل جماعي إلى المناجم البريطانية، أو مناجم الفحم والحديد الهولندية والفرنسية⁽²⁾ .

دـ- قلة الإنتاج في أراضي كبار الملاك: ويرجع ذلك لعدم توفر الحافز لدى الفلاح المستأجر للأرض، حيث أن الفلاح كان يرى أن أي زيادة في إنتاج الأرض، إنما هو لصالح مالك الأرض، الأمر الذي يجعله يقلل من مجده، فكل زيادة في الإنتاج تعني في نظر الفلاح الزيادة في دخل مالك الأرضي ، مع وجود عوامل متراقة تمثل بعدم وجود التقنية الحديثة في الزراعة، وانعدام السماد، مما أدى إلى نقص كمية الإنتاج الزراعي⁽³⁾ .

سادساً - الحرفيون وأرباب المهن :

هم فئة ارتبطت بحياة الناس اليومية، وهم عمال يمثلون مختلف أنواع الصناعات والحرف التقليدية التي اشتهرت بها تهامة، كالحدادة، والنجارة، وصناعة المنسوجات، والجلود، والحلبي، والصباغة، والحسير (الحصر)، وبعض الصناعات الغذائية ؛ أما المهنيون فهم الذين يؤدون خدمات اجتماعية تعتمد في الأساس على العمل اليدوي (كالحلاقة، والجزارة، والحجامة)⁽⁴⁾.

لقد ارتبط وجود هذه الفئة بعملها، وهو إنتاج الأدوات التي يحتاجها الإنتاج الزراعي، ولإنتاج السلع الاستهلاكية لمجمل الفئات الاجتماعية، وتقديم الخدمات المختلفة لها .

1 - العطار، مرجع سابق، ص 130.

2 - عمر، مرجع سابق، ص 122.

3 - العطار، مرجع سابق، ص 163.

4 - شاهر، مرجع سابق، ص 234.

تميزت هذه الفئة بتوارث المكانة الاجتماعية فيما بينها، حيث أن الفرد يرث مهنة أبيه وأجداده، وذلك مهما تغير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للابن فإنه يظل منتمياً لنفس المستوى المعين لأبناء فئته، كما يظل محتفظاً بنفس المكانة الاجتماعية التي تحدُّر منها أسرته ، وبناء عليه فإن ابن الحلاق أو الجزار مهما تغير وضعه الاقتصادي، فإنه لا يمكنه الزواج إلا من نفس الفئة التي ينتمي إليها، أو من نفس المستوى الاجتماعي لعائلته، إلا أن هذه الحاجز الاجتماعية بين هذه الفئة وبقية الفئات الأخرى لا تمثل عائقاً أمام الاتصال والتفاعل الاجتماعي بينهما، بل إنه مهما كانت المرتبة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد فإنه لا يُعد منبوداً من أفراد المرتبة التي تعلوه⁽¹⁾.

تعرَّضت هذه الفئة لنوع من عدم الاحترام الاجتماعي من بقية الفئات التي تعلوها في المرتبة الاجتماعية، وقد اختلفت درجة عدم الاحترام من منطقة لأخرى، بحسب قوة أو ضعف القيم القبلية، فهي واضحة حيث تكون العلاقات والمؤسسات القبلية قوية، وتضعف أو تكاد تتلاشى في المناطق الزراعية التي تجاوزت بعض التقاليد القبلية، وحيث تتشكل قيم جديدة مغايرة للقيم السابقة، في المناطق القبلية لا يدخل أهل الحرف والمهن في قوام القبيلة، وإنما يُعدون جواراً، لهم حق الحماية من أفراد القبيلة، مقابل التزامهم بتأدية نفس الأعمال التي ورثوها عن أسلافهم⁽²⁾. كما أن نظرة عدم الاحترام نحو هذه الفئة متباينة، بحسب نوع المهنة، فالحرفيون كانوا يلاقون احتراماً أعلى من ذوي المهن التقليدية (كالحلاقين، والجزارين، والجمامين)⁽³⁾. ويرجع ذلك إلى أن الحرفيين كانوا يقumen عملاً إنتاجياً يخدم المجتمع، ويعطيه قوة إنتاج جديدة، أما ذوي المهن لم يكونوا يشعرون غير الحاجات الذاتية للأشخاص، وأن التقدير المتفاوت إزاء كل جماعة مهنية لم يكن ينبع منوعي الأفراد، بقدر ما كان ينبع من الضرورة الاجتماعية⁽⁴⁾.

إن أسباب عدم الاحترام لهذه الفئة، وخاصة ذوي المهن لا يرجع في الأساس إلى تلك الفئات لذاتها، أو لسلالتها، وإنما يرجع إلى الوزن النوعي للحرفـة التي يزاولونها، والتي ينظر إليها المجتمع بنوع من عدم الاحترام، وما يدل على ذلك أن كثيراً من الأسر من خارج فئة ذوي المهن، لا تجرؤ

1 - أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 234.

2 - أبو غانم، مرجع سابق، ص 238 - 242.

3 - الشهاري، مرجع سابق ، ص 73 .

4 - المرجع نفسه، ص 73 - 74 .

في الغالب على القيام بمزاولة هذه المهن مهما كان مستواها الاقتصادي، أو مهما كانت حاجتها للمال، والسبب في ذلك يكمن في التألف من القيام بها، والخوف من العار، لكيلا تهبط إلى مكانة اجتماعية وضيعة .

ويشير أحد الباحثين اليمنيين إلى ذلك بقوله: () بأن الحرفين يمثلون لحظة جديدة في علاقات الإنتاج، وبداية لنشوء نظام اجتماعي جديد، نتيجة للانقسام الثاني للعمل الاجتماعي بين المزارعين والحرفيين) (١) .

ففي المجتمع القبلي ينظر إلى الشخص أو الفئة الاجتماعية التي تقوم بممارسة المهن السابق ذكرها، أنها قد تجاهلت الأصول المتوارثة والمتعارف عليها، التي تفرض على الشخص أن يمارس أعمالاً وأدواراً معينة ومحددة، وبالتالي فإن أي خروج عن النشاط الاقتصادي المرسوم له من قبل الفئة التي ينتمي إليها يفقده عضوية تلك الفئة، ومن ثم يصبح شخصاً ناقص العضوية في المجتمع، ولذا فهو يعامل كشخص مجهول الهوية والأصل، وذلك مما يفسر ويوضح الرابط الاجتماعي بين الأعمال الحرفية والمهنية، وبين المنحدرات الاجتماعية للأفراد الذين يقومون بمزاولتها) (٢) .

كما يرجع السبب في نظرة عدم الاحترام إلى هذه الفئة، إلى استمرار تأثير بعض القيم والمفاهيم البدوية، التي تزدرى ولا تحترم العمل اليدوي عموماً، بما فيها النشاط الزراعي، حيث وجدت خلال فترات التاريخ اليمني، فئة اجتماعية متخصصة بالأعمال اليدوية والخدمية يطلق عليهم (بالقرو)، وكانت هذه الفئة غير محترمة في نظر البدو، لا لشيء إلا لأنها تمارس أعمالاً بدوية، أما غالبية قبائل البدو فكانت إلى جانب الرعي، مهتمة بحمل السلاح والفروسية . وبمرور الوقت ترك غالبية البدو الترحال، وبدأوا بالاستقرار، وعرفوا قيمة الزراعة وأهميتها بالنسبة للرعي، وتحولت هذه القبائل من بدوية متقللة إلى قبائل فلاحية مستقرة، ومع هذا التحول تلاشى عند السكان احتقار حرفة الزراعة ؛ لأنها أصبحت المصدر الأول في النشاط الاقتصادي للسكان. إلا أن بقية الحرف وبخاصة المهنية كالحلقة، والجزارة ظلت غير محترمة، وذلك نتيجة استمرار تأثير بعض القيم الاجتماعية والتقاليد البدوية على حياة وثقافة اليمنيين) (٣) .

1 - المرجع نفسه، ص 72-73 .

2 - أبو غام، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 235 .

3 - الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 233 .

ومن خلال مasic، يتضح أن لدى المجتمع نظرة موجهة في الأصل إلى الأنشطة اليدوية والحرفية، وعليه فإن الذي يمارسها يتعرض لعدم� الاحترام، والسبب في ذلك يعود إلى استمرار تأثير القيم البدوية المتعلقة باحتقار هذه الأعمال، فضلاً عن الجهل الذي كان سائداً بين أبناء المجتمع . ضمت فئة الحرفيين والصناع مجموعة غير كبيرة من حيث العدد، فبحسب التقديرات كان يعمل في الإنتاج الحرفـي ما يقارب من 8 - 10 % من السكان إلى بداية الثلاثينات من القرن العشرين، ثم انخفضت هذه النسبة بعد الحرب العالمية الثانية ؛ نتيجة تدهور الصناعات الحرفـية المحلية، بسبب منافسة السلع والبضائع المستوردة والرخيصة لها، والتي تدفـقت على البلد، فأغلقت الكثير من المصانع والحرف اليدوية، وأصبح أصحابها عمالاً مأجورين⁽¹⁾ .

لقد ترك تدهور الإنتاج الحـرفـي في تهـامة في ظل غـيـاب المعـامل والمصـانـع الحديثـة، أثـرـه البـالـغـ عـلـىـ أوضـاعـ فـئـةـ الـحـرـفـيـنـ وـالـصـنـاعـ، حيث أصبحـ عـمـلـاـ مـعـظـمـ أـفـرـادـ هـذـهـ فـئـةـ يـعـمـلـونـ بـالـأـجـرـةـ وـبـرـوـاتـبـ ضـئـيلـةـ جـداـ، لا تـكـفـيـ تـغـطـيـةـ نـفـقـاتـ أـسـرـهـمـ، وـكـانـتـ أـجـورـ الـحـرـفـيـنـ الـيـوـمـيـةـ فـيـ الـحـدـيدـةـ يومـذاـكـ كالـتـالـيـ⁽²⁾ :

1- أجـرـةـ العـاـمـلـ غـيرـ المـخـصـصـ مـنـ 20ـ 25ـ بـقـشـةـ يـوـمـيـاـ.

2- أجـرـةـ العـاـمـلـ المـخـصـصـ 40ـ بـقـشـةـ .

3- أجـرـةـ الـمـرـأـةـ الـعـاـمـلـةـ فـيـ مـعـاـمـلـ تـقـشـيرـ الـبـنـ وـفـرـزـهـ 10ـ بـقـشـاتـ .

4- أجـرـةـ الصـبـيـ 8ـ بـقـشـ .

أمـاـ العـمـالـ الـذـيـنـ يـعـمـلـونـ فـيـ بـعـضـ الـمـشـارـيعـ الـتـيـ تـقـومـ بـهـاـ هـيـئـاتـ الـمـسـاعـدـاتـ الـأـجـنبـيـةـ فـكـانـواـ يـحـصـلـونـ عـلـىـ أـجـورـ مـرـتـفـعـةـ تـنـرـاوـحـ مـاـبـيـنـ 45ـ 80ـ رـيـالـ شـهـرـيـاـ.

ولـلـوقـوفـ عـلـىـ الـأـدـوارـ الـتـيـ تـمـارـسـهـاـ هـذـهـ فـئـةـ، نـوـرـدـ بـعـضـ النـماـذـجـ عـنـ هـذـهـ فـئـةـ، وـبـخـاصـةـ مـنـ ذـوـيـ الـمـهـنـ الـقـلـيـلـيـةـ فـيـ تـهـامـةـ وـمـنـهـمـ:

▪ الـحـلاقـينـ (ـالـمـزـينـونـ):

يُـعـرـفـ الـفـرـدـ مـنـ تـلـكـ فـئـةـ فـيـ تـهـامـةـ بـإـسـمـ الـمـزـينـ أوـالـرـيسـ، وـهـمـ يـمـارـسـونـ وـظـائـفـ عـدـيدـ وـمـتـنـوـعةـ لـاـ تـقـفـ عـنـ حدـودـ وـظـيـفـتـهـمـ الـأـسـاسـيـةـ الـتـيـ تـتـمـثـلـ بـتـزـينـ وـجـوهـ النـاسـ، وـحـلـقـ رـؤـوسـهـمـ، وـلـظـهـارـهـمـ بـالـمـظـهـرـ الـجـمـيلـ، بلـ كـانـ يـقـومـونـ بـأـعـمـالـ كـثـيرـةـ فـرـضـتـهـاـ ظـرـوفـ الـمـنـطـقـةـ خـلـالـ فـتـرـةـ

1 - جـولـيـوـفـسـكـيـاـ، ثـورـةـ 26ـ سـيـتمـبرـ، مـرـجـ سـابـقـ، صـ 129ـ 130ـ .

2 - العـطـارـ، مـرـجـ سـابـقـ، صـ 133ـ .

الدراسة كالحجامة، وممارسة الطب الشعبي (كخلع الأضراس، واستئصال اللوزتين، والختان⁽¹⁾ والكى)⁽²⁾.

أما في الأفراح والمناسبات فيقوم الحلاق بتوزيع الدعوات للمدعون، وخدمة الضيوف والسهر على راحتهم، كما أنه يتقدم موكب العرس في حفلات الزواج، كما تقوم المزينة (زوجة الحلاق) بقص شعور النساء وتصفيه، كما تشارك في ترتيب حفلات الزواج، فضلاً عن قيامها بخدمة مجالس النساء وقت العقيل⁽³⁾، من خلال إعداد المداعنة (الأرجيلة)، والشاي، والقهوة⁽⁴⁾. كما يظهر دور الحلاق بارزاً في تهامة من خلال قيامه بحمل صندوق الهدايا الذي يحتوي على الحلبي، والملابس المتنوعة، وكل ما تحتاجه المرأة لزيتها ليلة عرسها، ويسمى في تهامة (بالواجب). كما يقوم الحلاق بمصاحبة العريس (الزوج) إلى بيت عروسه لعقد القران، حيث يقوم بعد انتهاء العقد، بإطلاق زغاريد الفرح المعبرة عن المباركة للعريس، وتوزيع الحلويات ورش العطور على الحاضرين⁽⁵⁾.

ومقابل هذه الخدمات العديدة يتقاضى الحلاقون أجوراً نقية وخاصة في المناسبات الخاصة (كالزواج، والحج، ومواسم الأعياد)، فضلاً عن حصولهم على جزء من المحصول الزراعي، خلال مواسم الحصاد حيث يُعد هذا الجزء كحق وواجب مقرر لهم مقابل ما يقومون به من خدمات اجتماعية على مدار العام⁽⁶⁾.

وفي المناطق القبلية، يتمتع الحلاق بحق الحماية السياسية، والرعاية الاقتصادية، ويسمح له بالإقامة والسكن ضمن نطاق القبيلة، وعلى الرغم من هذه المزايا؛ إلا أنهم ظلوا على هامش الحياة الاجتماعية والسياسية القبلية، ليس فقط بالنسبة لرابطة القرابة والزواج مع أفراد القبيلة، وإنما أيضاً يظلون خارج نطاق المسؤولية، والجزاء في المجتمع القبلي، بحيث أن الجريمة أو الجناية

1 - كان الحلاق يقوم بعملية الختان (الطهارة) للذكور، بينما تقوم المزينة بختان الإناث، وتعد ظاهرة ختان الإناث في تهامة، مقتصرة على بعض أجزائها، وذلك حرارة مخاجها.

2 - جولوبوفسكايا، حول مسألة الفنادق الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني، تر / قائد محمد طربوش، مجلة دراسات يمنية، ع (17)، 1984م ، ص 191 .

3 - المقليل: يطلق في تهامة على الوقت للمتدد من بعد صلاة الظهر حتى المغرب، ويسم فيه مضجع أوراق الفنادق.

4 - الشرجي، الشرائع، مرجع سابق، ص 239 – 240 .

5 - بونفان، بول : أحبياء زيد : ملاحظات في التاريخ الاجتماعي ، مجلة حلويات يمنية، صادرة عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2002م، ص 56 .

6 - أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 239 .

التي يقوم بارتكابها أحد أفراد القبيلة التي يعيشون تحت رعايتها، تقع مسؤولية الفعل على كل أفراد القبيلة، عدا أفراد هذه الفئة، حيث لا تقع على عاتقهم أية مسؤولية، بمعنى أنهم يرتبطون بأفراد القبيلة التي يقيمون فيها، ويعيشون في حماها بروابط محددة وثابتة، يتم تدوينها في قواعد مكتوبة ومعروفة من قبل كل أفراد القبيلة، وتعرف عادة (بقواعد الضمان والحماية)، وهي تتضمن الحقوق والواجبات سواء بالنسبة للقبيلة، أو للأفراد الذين تقوم بحمايتهم، وبالتالي يتوجب على هؤلاء الأفراد بواسطة تلك القواعد أن يتزموا بنفس الأعمال والمهن الوظيفية، التي حدّتها لهم القبيلة، وفي حالة عدم الالتزام تفقد هذه الشريحة حق الحماية، وكذا تأمين المعيشة الاقتصادية، وحق الإقامة التي تمنحها القبيلة لكل فرد منهم⁽¹⁾. وكان لكل حلاق في تهامة عدد من الأسر يتولى خدمتها في الأفراح والأتراح، هذا التقسيم فرض عليهم نظاماً خاصاً بهم، وقانوناً عرفيًا ينظم حركتهم، وشأنهم حياتهم داخل كيان المجتمع، ويضمن لكل فرد فيه حقه، والذي لا يجوز الاعتداء عليه، كما كان لكل مجموعة من الحلاقين عاقل يفصل في حل مشاكلهم، وخلافاتهم بحيث لا يتعدي أي فرد منهم على عمل الآخر .

ومن الجدير ذكره إنه لم يكن للحلاقين في تهامة خلال فترة الدراسة أماكن خاصة (صالونات) يمارسون فيها مهنة الحلقة، بل كان الفرد منهم يقوم بحمل أدوات الحلقة معه في حقيقة صغيرة، ويطوف على زيائته في بيوتهم، أو يذهب إلى السوق الأسبوعي لممارسة مهنته، فإذا وجد أحد زيائته أرتكـنـ به في إحدى الأماكن العامة، وفي الهواء الطلق وقام بتزيينه وحلق رأسه⁽²⁾ .

واللـحـلـاقـينـ فيـ تـهـامـةـ عـادـاتـهـمـ وـتـقـالـيدـهـمـ فيـ أـفـراـحـهـمـ،ـ التـيـ تـخـلـفـ عـنـ بـقـيـةـ الـفـقـاتـ منـ هـذـهـ العـادـاتـ تقـليـداـ يـُـعـرـفـ باـسـمـ (ـالـرـعـسـةـ)،ـ وـهـيـ عـادـةـ يـمـارـسـونـهـاـ فيـ أـفـراـحـهـمـ،ـ فـفـيـ يـوـمـ عـرـسـ الـحـلـاقـ أوـ أـحـدـ أـبـنـائـهـ،ـ يـُـولـيـ الـحـلـاقـ ثـيـابـ عـنـيـاهـ خـاصـةـ،ـ إـذـ يـسـتـعـيرـ مـلـابـسـ مـنـ أـسـيـادـهـ الـذـيـنـ يـقـومـ بـخـدـمـتـهـ،ـ وـيـسـلـحـ بـأـسـلـحـتـهـ،ـ وـيـخـرـجـ فـيـ صـبـاحـ يـوـمـ عـرـسـ إـلـىـ أـحـدـ الـأـسـوـاقـ فـيـ مـنـطـقـتـهـ،ـ مـتـكـرـاـ فـيـ زـيـ الـوـجـهـاءـ (ـأـعـيـانـ الـبـلـدـ)،ـ وـيـمـثـلـ دـورـ الـمـهـرجـ (ـالـكـوـمـيـدـيـ)،ـ حـيـثـ يـرـافـقـهـ بـعـضـ الـأـفـرـادـ مـنـ أـبـنـاءـ الـحـلـاقـينـ،ـ يـمـثـلـونـ دـورـ الـحـرسـ،ـ وـيـقـلـدـ هوـ دـورـ الـمـسـئـولـ،ـ حـيـثـ يـقـومـ بـإـصـدـارـ أـوـامـرـهـ بـسـجـنـ أـحـدـ مـنـ الـنـاسـ،ـ وـمـعـاقـبـةـ آـخـرـ،ـ كـمـ يـسـتـطـعـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ أـنـ يـتـكـلـمـ بـكـلـ شـيـءـ حـتـىـ وـلـوـ كـانـ كـلـامـهـ فـيـ

1 - أبو غامـ، البنـةـ الـقـبـيلـةـ، مـرـجـ سـابـقـ، صـ 237 - 238 .

2 - الشرجيـ، الشـرـاجـ الـاجـتمـاعـيـ، مـرـجـ سـابـقـ، صـ 239 .

إهانةً لأعيان منطقته، فهو يومها معدور ، ون أقدم على تجريح أكبر الشخصيات في بلدته، فهم لا يستأupon منه، فاللحظات التي يعيشها الحلاق في ذلك اليوم لحظات فرح عام، كما أن المجتمع يعرف هذه العادة، فيغذرونها ويتركونه يتكلم على هواه، فضلاً عن ذلك يقومون بإعطائه بعض النقود لمساعدته في تكاليف عرسه، وهو ما يسمى في تهامة (بحق المزين)، ويستمر الحلاق في هذا الدور حتى ينتهي يوم عرسه أو عرس أحد أبنائه، فإذا انتهى ذلك اليوم عاد الحلاق إلى وضعه الاجتماعي الذي كان عليه^(١).

كما تتميز أعراس الحلاقين بمظاهر مختلفة، حيث تتعدد فيه الفنون الشعبية، ويحضر الشعراء من أبناء هذه الفئة، ويتداولون ألواناً من الشعر الشعبي الذي يعرف (بالدان العريسي)، ويحدث التناقض بين الشعراء، وخلال تلك المظاهر الاحتفالية يقوم أحد الأفراد من هذه الفئة باستلام مبالغ نقدية من المدعويين تسمى (جبر الخاطر)^(٢)، بعدها يستأنف الفرح حتى الصباح ثم يختتمون العرس بتأدبة الرقصات التي تسمى عندهم بالتصبيحة، والتي تؤدي بأسلوب مدهش، وبرشاقة عالية، وبانتهاء هذه الرقصات ينتهي مراسيم زواج الحلاق^(٣).

ويبدو مما سبق أن هذا التقليد التي تمارسه هذه الفئة في أعراسها، إنما يعبر عن انعكاس الأدوار الاجتماعية، ولقلاب تراتيبها، وهو ما يسبب نوعاً من الخلل المنظم في أمور الحياة العامة، مما يفرض جواً أشبه ما يكون بجو المهرجان الذي يحدث فيه انقلاب مؤقت للحياة الاعتيادية لهذه الفئة، كما يعبر عن الظلم الاجتماعي الذي يعنيه أفراد هذه الفئة.

سابعاً - العبيد والخدم :

أ- العبيد :

يرجع وجود العبيد في اليمن إلى فترة قديمة، حيث كان يتم استجلابهم للخدمة في البيوت والقصور، وللعمل في زراعة الأرض^(٤). وقد تزايدت أعداد العبيد في اليمن ومنها تهامة خلال حكم الدولة الزيدية التي قامت باستجلاب العدد الكبير منهم من إفريقيا، وذلك لاستخدامهم كجنود في

1 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 391.

2 - جبر الخاطر: هي عبارة عن مبالغ مالية، تُقدم للعرس، كمساعدة له للقيام بواجبات العرس، والإيفاء بمستلزماته ، كالمهر وما يتبعه .

3 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 391.

4 - العمري، حسين : الأمراء العبيد والملاليك في اليمن ، دار الفكر للعاصر ، بيروت، ط 1 ، 1409هـ/ 1989م ، ص 19 .

الجيش، وقد استطاع بعضهم أن يتولوا مناصب في الدولة كقادة للجيوش، وولاية بعض المناطق، وفي أواخر عهد الدولة الزيدية، توسع نفوذهم واستطاعوا أن يؤسسوا دولة على أنقاض دولة بنى زياد، عرفت بالدولة النجاحية في تهامة⁽¹⁾.

وخلال العهد الرسولي في اليمن ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي تميز بها اليمن خلال تلك الفترة، استكثروا من استجلاب العبيد، حيث امتلأت بيوت الأغنياء والتجار وميسوري الحال بأنواع الجواري والعبيد، الذين أخذوا يشاركون سادتهم في أعمالٍ كثيرة مثل التجارة والبيع والشراء .

لقد أدى كثرة العبيد في تهامة لأن يوجدوا لأنفسهم تجمعات، أصبحت تشكل كيانات خاصة بهم، من هذه التجمعات منطقة في تهامة تسمى بمدينة العبيد، ولازالت هذه التسمية قائمة حتى الوقت الحاضر .

لم يكن العبيد الموجودون في تهامة خلال فترة الدراسة يشكلون قاعدة للإنتاج المادي، وإنما كان يتم استخدامهم في الأعمال المنزلية، والزراعية، وكحرس لبعض المشايخ كما استُخدِمَ بعضًا منهم كحاشية لإظهار عظمة وكبراء أسيادهم، وكان أكبر عدد من العبيد بحوزة الشيخ هادي هيج شيخ قبيلة الوعظات، حيث كان يملك أكثر من مائة عبد⁽²⁾.

ومن الجدير ذكره أن العبيد كانوا يتمتعون بمكانة أعلى من الخدم، على الرغم أن الخدم كانوا أحرلاً لا ارتباط لهم بمالك أو سيد، ويرجع ذلك إلى خصوصية العلاقة بين العبد وسيده، حيث كان العبد محل ثقة سيده وشخص يعتمد عليه، ولذا كان كثيراً ما يعامل على أساس أنه ولحدّاً من أفراد العائلة، فضلاً عن أن العبد كان يرتبط ارتباطاً مباشراً بسيده، وبالتالي فإن احترام العبد، إنما هو احترام لسيده، وهذه هو السبب الذي جعل العبيد يحظون بمكانة أعلى من الخدم⁽³⁾ كما كان

1 - الدولة النجاحية : تنسب إلى مؤسسها نجاح الحبشي أحد موالي بنى زياد ، والذي استطاع أن يمؤسس دولته على أنقاض الدولة الزيدية في زبيد عام 444هـ/1052م ، وظلت الدولة النجاحية تحكم حماة حتى سقطت على يد دولة بنى مهدي 554هـ/1149م . انظر: عمارة : تاريخ اليمن للسمى المفید في أخبار صنعاء وزبيد، تع / محمد على الأکوع، المکتبة الیمنیة للنشر والتوزیع ، صنعاء ، ط 3 ، 1985 م ، ص 76 .

2 - عمر، مرجع سابق، ص 71. ؛ الشهاري، مرجع سابق، ص 77 .

3 - الشرجي، الشراح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 257-258 .

العبيد يبدون في مظاهر حسنة قياساً بالخدم، ويعاملون معاملة إنسانية، ويتمتعون بحرية أوسع، ومعيشة أوفر، عما كان يعيشه بعض الفلاحون⁽¹⁾.

طلت تجارة العبيد قائمة في تهامة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول عام 1962، على الرغم من قيام حكومة الإمامة، بالتوقيع على اتفاقية مع بريطانيا عام 1934، تنص على منع تجارة العبيد⁽²⁾. لكن السلطة الإمامية لم تقييد بهذه الاتفاقية، وطلت تجارة العبيد حتى قيام الثورة اليمنية حيث ألغيت تماماً.

ب . الخدم:

شكل الخدم فئة اجتماعية مستقلة بذاتها لها عاداتها وتقاليدها ومبادئها، وحياتها الخاصة في المجتمع التهامي، وقد اختلف المؤرخون والباحثون حول أصول هذه الفئة، من أين، ومتى وكيف تم دخولهم إلى اليمن؟ وذهب كل منهم إلى اعتقاد مختلف عن الآخر، وما زال هذا الأمر إلى وقتنا الحاضر من القضايا المبهمة وغير الواضحة. وإلإضاح تلك التساؤلات، وللوصول إلى وجهة نظر قريبة حول أصولهم، ومتى وكيف تم دخولهم إلى اليمن؟ يمكن استقراء بعض الآراء حول ذلك، ومن ثم مناقشتها، ومن أهمها:

1- يرى بعض الباحثين أن أصول الخدم ترجع إلى بقايا الأحباش الذين غزوا اليمن قبل الإسلام، ويرى هؤلاء أن اليمنيين بعد طرد هم للأحباش على يد سيف بن ذي يزن عام 573م، حكموا على بقايا الأحباش في اليمن بأن يصبحوا أخرين لهم انتقاماً منهم على تعسفهم خلال فترة استعمارهم لليمن، ومنذ ذلك الوقت مارسوا أعمالاً إنسمت بالقذارة في نظر الآخرين⁽³⁾.

وعلى الرغم من إشارة الكثير من الباحثين في مؤلفاتهم على بقاء بعض الأحباش في اليمن، إلا أن المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي يخالف هذا الرأي مستنداً إلى أدلة ونصوص تاريخية تدحض هذا الرأي، حيث يشير قائلاً : ((إن النصوص التاريخية والنقوش التي ذكرت الغزوات الحبشية على اليمن قبل الإسلام تدل على أن الأحباش طردوا إلى البحر، بل إن اليمنيين وضعوا إثر

1 - العطار، مرجع سابق، ص 119.

2 - ينظر الوثيقة ملحق رقم (17)، التي توضح التزام الإمام يحيى حميد الدين مع لغوض البريطاني في عدن على منع تجارة العبيد (الرقبي) في المملكة للتوكيلية اليمنية.

3 - عمر، مرجع سابق، ص 112؛ الشهاري، مرجع سابق، ص 75.

طردهم حاميات في الجزر اليمنية في البحر الأحمر منعاً لتسريحهم مرة أخرى، وهذا دلالة على أنه لم يبق لهم وجود)⁽¹⁾.

كما يورد الحضرمي دليلاً آخر يؤكد به أن الخدم ليسوا من بقايا الغزوات الجشبية على اليمن فيما قبل الإسلام حيث يقول: (أَنَّ الْأَجْبَاشَ مُضِيَ زَمْنٍ عَلَى خَرْوَجَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ بِنَصْفِ قَرْنٍ ثُمَّ تَلَاهَا خَمْسَةُ قَرْنَوْنَ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَلَمْ نَجِدْ نَصَارَأً تَارِيْخِيًّا ، أَوْ أَدِيبًا يَذَكُّرُ لَنَا تَقْسِيمَ الْيَمَنِ إِلَى فَئَاتٍ وَمَنْ يَبْيَنُهَا فَئَةُ الْخَدْمِ)⁽²⁾ .

2- الرأي الثاني: يذكر بأن الخدم هم من بقايا العبيد، الذين كان يتم استجلابهم من الساحل الشرقي لإفريقيا حيث كانت تهامة بموانئها وقربها من الساحل الشرقي لإفريقيا تمثل أنساب منطقة في اليمن لسوق العبيد (النخاسة) كما كانت مركزاً لاستقبال العبيد، ومنها يُعاد تصديرهم إلى العراق وببلاد الشام⁽³⁾.

إلا أن هذا الرأي تنقصه الأدلة والوقائع التاريخية، حيث لم يشر أحد من الباحثين بتحول العبيد إلى خدم، فضلاً عن أن العبيد كانوا يتمتعون بمكانه أعلى من الخدم في المجتمع اليمني، ويعاملون معاملة أرقى من الخدم كما سبق أن أشرنا وماما يُدحض هذا الرأي أيضاً بأن العبيد لم يكونوا جميعهم من ذوي البشرة السوداء بل كان بعضهم ذو بشرة بيضاء، يُجلبون من بلاد فارس والروم أثناء الحروب، ويتم تصديرهم إلى اليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية عن طريق التجارة، وكان البعض منهم على قدر من العلم والمعرفة والأدب والإلمام بشؤون التجارة، ذلك مما جعل بعضهم يحتلون مكانه خاصة لدى أصحابهم وهو على عكس ما كان عليه الخدم من قلة العلم، وسود البشرة الفاحمة.

إضافة إلى ما سبق فإن هؤلاء العبيد، قد تم تحريرهم من رق العبودية في اليمن، وذلك بعد القضاء على النظام الملكي الإمامي عام 1962، حيث كان من أوائل القرارات التي أصدرتها حكومة الثورة اليمنية تحرير العبيد⁽⁴⁾. وقد انخرط هؤلاء العبيد بعد تحريرهم في المجتمع اليمني، وأصبحوا بما يمتلكون من مقدرات ومهارات من أكثر الناس يُسراً في معيشتهم، كما أنه ليس مستبعداً أن يكون

1 - الحضرمي: تجامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 397.

2 - الحضرمي، تجامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 399.

3 - الشرجي، مرجع سابق، ص 256 – 257.

4 - المرجع نفسه، ص 257.

البعض منهم قد تحول في أماكن أخرى إلى أسياد وأعيان، وذلك بحكم معارفهم وخبراتهم، وهو ما يقودنا إلى استبعاد أن يكون هؤلاء العبيد هم أسلاف الخدم.

3- الرأي الثالث: يرى أن أصل الخدم يرجع إلى بقايا الموالي الأحباش الذين استقدمهم نجاح أحد موالي الدولة الزيادية في تهامة في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك لدعيم دولته التي أقامها على أنقاض الدولة الزيادية، والتي سميت بالدولة النجاحية، ويقول بهذا الرأي المؤرخ / عبد الرحمن الحضرمي، ويستند إلى عدة أحداث لتعزيز رأيه أهمها: أن النجاحيون بعد انهيار الدولة الزيادية عام 1052م ، استجلبوا عدداً كبيراً من الأحباش لإدارة شؤون الدولة وللعمل في الجيش والتجارة، وهو ما جعلها تتحول تدريجياً إلى دولة قومية عرقية، تعتمد كلياً على أبناء قومها في إدارة شؤون الدولة والجيش والتجارة، كما عدوا إلى اضطهاد السكان الأصليين من أبناء تهامة، وذلك بنهب ومصادرة ممتلكاتهم، واقتطاع أراضيهم وتحويلهم إلى عبيد لهم، مما ولد الكراهية والحد ضد النجاحيين الأحباش، وهو ما دفع بالسكان من أبناء تهامة إلى الالتفاف حول على بن مهدي الرعيني مؤسس دولة المهديين التي استمرت 15 عاماً ، واتخذت من زيد عاصمة لها، حيث خاض علي بن مهدي حرباً مع النجاحيين استمرت أربع سنوات تم فيها إسقاط الدولة النجاحية عام 149م، حينها قام ابن مهدي بتحويل بقايا النجاحيين إلى خدم محكوم عليهم بالعيش في عزله اجتماعية⁽¹⁾.

وبعد مناقشة هذه الآراء حول أصول الخدم يبدو أن الرأي الأخير الذي أورده الحضرمي من أقوى الآراء والتفسيرات لأصل الخدم، والقائل بأنهم من بقايا الأحباش الذين دخلوا اليمن واستوطنوا في تهامة، في عصر الدولة النجاحية، وما يؤكد ذلك صفاتهم البيولوجية، وسود بشرتهم، والتجدد الملحوظ في شعرهم الفاحم، وغيرها من الأدلة التي أوردها الحضرمي .

أوضاعهم الاقتصادية:

يُعد الخدم من الشرائح الاجتماعية المهمشة، والأشد فقراً في اليمن ومنها تهامة، إذ أنهم يعيشون حياة الكفاف، فهم من الناحية المادية لا يعرفون . أولاً يؤمنون بالآخار، (فيومهم عيدهم) كما يقول المثل الشعبي، حيث أن مستوى تفكيرهم لا يتعدى اليوم الواحد، فإذا زاد عن يومهم مبلغ

1- الحضرمي، مرجع سابق، ص 397 - 412

من المال، فإن الخادم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقوم بأي عمل إلا بعد صرف هذا المبلغ،
بعدها يقوم بالبحث عن فرصة جديدة للحصول على المال⁽¹⁾.

مارس الخدم في تهامة أطلاً يُنظر إليها من قبل المجتمع بالازدراء وعدم الاحترام، وكانت
معظم هذه الأعمال التي يقوم بها الخدم حتى وقتنا الحالي في تهامة تتسم بالقذارة في نظر
المجتمع، وبالصعوبة في ممارستها من ناحية أخرى، وكانت تختلف بحسب المكان، حيث تختلف
الأعمال التي يؤديها الخادم في المدينة، عن الأعمال التي يؤديها في الريف، وذلك على النحو
التالي :

1- في المدينة : زاول الخدم في المدينة أعمالاً تتعلق بنظافة المدن، التي تتمثل بنظافة الشوارع،
وإزالة وحمل المخلفات، وتقطيف المجاري العامة، كما عمل بعضاً منهم كحملين للسلع من وإلى
البواخر في موانئ تهامة، وحملين في الأسواق، وذلك مقابل أجور زهيدة⁽²⁾.

كما عمل الخدم في مهنة الحياكة، والحجامة، ودباغة الجلود، وصباغة المنسوجات،
وماسحي للأحذية⁽³⁾. وإلى جانب ذلك عمل بعض الخدم في مزاولة مهنة الرقص، والضرب على
بعض الآلات الموسيقية (كالطبل والمزمار والربابة)، وذلك خلال المناسبات والأعراس، وكان
يشاركهم في هذا العمل أحياناً نساءهم، حيث يقوم الرجل بنفخ المزمار، والمرأة تصرّب على الطبل
أو الدف، بينما يقوم آخرين بالرقص والغناء على هذه الأنغام⁽⁴⁾.

ويرجع السبب في مزاولتهم لهذه المهنة لأجل إطراب الناس في الأسواق، والترفيه عنهم
ولسعادهم خلال المناسبات والأعراس.

وفي بداية الخمسينيات من القرن العشرين، ومع بداية نمو النشاط العمراني في تهامة
وبخاصة في مدينة الحديدة، زاول الخدم بعض المهن الحرافية التي اكتسبوها من خلال مشاركتهم
في إنشاء ميناء الحديدة، الذي تم إنشاؤه بالتعاون والدعم من الإتحاد السوفيتي، ومن أهم هذه
المهن التي زاولوها النجارة والحدادة، والتلحيم والبناء، وبالتالي فإن مزاولة الخدم لهذه المهن سوف
تغير من وضعهم الاقتصادي في المجتمع، وبالذات عندما تبدأ عملية التصنيع في اليمن، ويشترك

1- الشرجي، مرجع سابق، ص 274 .

2- الشرجي، الشراح، مرجع سابق، ص 274 .

3- جوليو فسكيايا، حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 179 .

4- الشرجي، الشراح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 274 .

فيها الخدم كإحدى قوى الإنتاج، وأن ذلك يبشر بإمكانية تغيير وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي يغير من نظرة الناس تجاههم، ويرفعهم إلى مستوى أن يكونوا إحدى القوى الاجتماعية المساهمة في بناء مجتمع يمني جديد، يتمتع بجميع الحقوق المدنية والوطنية، إلا أن ذلك لم يحدث بعد قيام الجمهورية العربية اليمنية عام 1962 إلا بشكل طفيف⁽¹⁾.

فضلاً عن الأعمال السابقة، فقد عمل بعضهم بمزاولة مهنة التسول، لدرجة أن هذه الظاهرة كانت تقتصر على الخدم دون غيرهم، كذلك مارس بعض الخدم أعمال الشعوذة، وعمل التعاوذ، وقراءة الكف، وفتح الفجان، وكان هذا النشاط يمارس في تهامة بشكل واسع في كل من المدينة والريف على حد سواء، ويرجع ذلك إلى الجهل والتخلف الذي كان مسيطرًا على المجتمع في تهامة

(2).

2- في الريف :

أما في الريف فقد مارس الخدم أعمالاً كان يغلب عليها طابع الخدمات في المناسبات المختلفة (كالاعياد، الزواج، الولادة، الوفاة). وكانت هذه الأعمال لا يختص بها الخدم فقط بل تشتري فيها فئة الحلاقين، وتظهر هذه الخدمات التي يؤديها الخادم في الأعراس خصوصاً طوال الأيام التي تدوم فيها مراسيم الزواج، حيث يقوم الخادم بإعداد المخدرة (المكان المعد لإقامة العرس)، وذلك بتنظيفها، ومن ثم رشها بالماء، واحضار المقاعد (سرر الجلوس) وترتيبها⁽³⁾.

كما يقوم بالضرب على الطبول، وخدمة صاحب المناسبة في عملية الذبح، وتوزيع اللحوم، وحمل المياه من الآبار إلى منزل صاحب المناسبة، كما يسهر الخدم على راحة الضيوف، وتقديم الخدمات لهم أثناء المقيق، كما عمل بعض الخدم في الأرياف كمرافقين وحرس لبعض الشيوخ، حيث يسمح لهم في هذه الحالة بحمل السلاح ، إلا أن هذا العمل كان محدوداً للغاية، كما عمل بعض الخدم كعمال بريد لنقل الرسائل والسلع على الحمير والجمال بين القرى مقابل أجر نقدي أو عيني⁽⁴⁾. ومارس بعض الخدم في أرياف تهامة بعض الأعمال الزراعية الموسمية، كالبيتلة

1- الشهاري، مرجع سابق، ص 76 .

2- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 275 .

3- بونفان، أحياء زيد، مرجع سابق ، ص 57 .

4- الشرجي، مرجع سابق ، ص 276 .

5- الببتلة : هي حراثة الأرض وشقها خدمة لها، وقلباً لترتها إعداداً ليذرها . انظر: الإرياني، مطهر علي : الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صناعة، ط1، 1412هـ/1992م، ج1، ص 148 .

وتحصد الثمار، وعملية الخبيط، كما استخدم الخدم إلى جانب الفلاحين في زراعة بعض المحاصيل، كالثوم، والبصل، والجزر التي كانت تُعد في نظر بعض شرائح المجتمع عملاً مهيناً للأشخاص الذين يزاولونها⁽¹⁾.

ويبدو من خلال ما سبق، أن الوضع الاقتصادي للخدم في أرياف تهامة كان أفضل عما كان عليه في المدينة؛ لأن الخادم في القرية هو خادم وتابع لقرية، وبال مقابل فإن أهل القرى ملزمين بتأمين معيشته، فهو إذن غير مهدد بفقدان لقمة العيش، كما أنه غير مضطر للتقلل والترحال لتأمين معيشته، فسكان القرى يقدمون للخدم بعضاً من محاصيلهم عند الحصاد، ويكون مجموع ما يحصل عليه الخادم في القرى كافياً إلى حد كبير لمعيشته طوال العام وفي بعض القرى يُسمح للخادم أن يمر عبر الحقول الزراعية، ويأخذ لنفسه شيئاً من المحصول دون أي خوف أو استئذان، وبعض الفلاحين يخصصون أجزاء من أراضيهم الزراعية أثناء الموسم للخدم⁽²⁾. إلا أنه وعلى الرغم مما سبق، أن الخادم إذا خالف قواعد الخدمة، وخرج عن تقاليد وعادات القرية من حيث الأخلاق، فإنه يُعاقب بعقوبات مختلفة أشدّها طرده من الأرض المقيم عليها سكناً، أو طرده من القرية بأكملها، غير أن هذا الأمر يقتضي موافقة شيخ أو عاقد القرية.

أوضاعهم الاجتماعية:

عاش الخدم في تهامة حياة اجتماعية مغلقة، ضمن حالات شديدة القسوة، خاصة وأنهم كانوا في المرتبة الأخيرة من السلم الاجتماعي، ويتبين أن هذا الوضع الاجتماعي الهامشي وصل لدرجة أن العلاقة بين الخادم وأي مواطن آخر لا تخرج عن كونها علاقة وظيفية ولا تتعداها إلى أبعد من ذلك، كما يتجلّى من خلال الزواج الداخلي فيما بينهم، إذ يستحيل أن يقبل أي مواطن من أي فئة كانت أن يزوج ابنته لأحد الخدم، فالخادم لا يتزوج إلا بخادمة، كما أنه لا يقبل أي مواطن أن يتزوج بخادمة؛ إلا في حالات نادرة جداً، ولذا حدثت مثل هذه الحالة فإن الشخص يواجه من قبل المجتمع بالتحقير والازدراء والردع .

ونتيجة لما سبق فقد عانت هذه الفئة الكثير من مظاهر عدم الاحترام من قبل المجتمع، التي تعكس بوضوح التفرقة العنصرية التي كانت تلاحقهم طوال حياتهم ومن أبرز هذه المظاهر مايلي :

1- جوليو فوسكايا، حول مسألة الفئات الدنيا، مرجع سابق، ص 187 .

2- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 275 .

1- لا يحق للخادم الجلوس أمام سيده على مقعد (سرير)، بل يجلس على الأرض، وإذا ما تجرأ وجلس على المقعد أمام سيده فإنه يُهان ويضرب، وهذا يدل على التمييز العنصري الذي كان يلاقيه الخدم في المجتمع التهامي، وتظهر هذه التفرقة والتمييز خلال المناسبات، وخاصة الأعراس التي يحضرها الخدم وغيرهم من فئات المجتمع، فقد ذكر الحضرمي ما نصه : () () عندما يحضر المدعون من الخدم، يكون قد أعد لكل واحد فراشاً في الأرض من قصب الجلجان . بقايا السمسم اليابس . وإذا رغب العرب . بقية شرائح المجتمع . في السمر يحضرون من منازلهم المنابر . المقاعد . والمداعع . النargile . وذلك للمشاركة والترفية) (¹) . أي أنهم يشاركون الخدم أفرادهم وهم مرفهون وجالسون على مقاعد لها فرش ووسائل محسنة بالقطن، بينما الخدم يجلسون على الأرض على وسائل من بقايا السمسم .

وعلى الرغم من أن الاختلاط بالخدم بقي أمراً غير مرغوب فيه خلال الفترة الزمنية التي تضمنها البحث، إلا أن الحياة أحدثت تغيراتها في هذا التقليد، فعلى سبيل المثال : أنه إذا دخل الخادم ديوان مقيل . مكان يجتمع فيه الناس لمضع أوراق القات بعد الظهر . فالموجودون لا يطردونه، بل أنه وفقاً للعادات المستجدة يسمحون له بالبقاء بينهم، لكن في أسفل الديوان أو مؤخرته، حيث يضع الناس أحذتهم، وليس للخادم الحق في تعاطي المداعة معهم . الأرجيلة . التي عادة ما تنتقل من شخص إلى آخر .

2- طريقة التحية : إن التحية المتعارف عليها بين شرائح المجتمع اليمني ومنها التهامي، هي مصافحة الأيدي ثم تقبيلها من الطرفين المتصافحين، عدا الخدم فإن على الفرد منهم أن يقبل يد المواطن الآخر، دون أن ينتظر الخادم من الطرف الآخر أن يقبل يده بالمثل، بل إن الكثير من المواطنين لكيلا يقبلوا أيدي الخدم، سرعان ما يبادرون بسحب أيديهم بعد تقبيل الخدم لها، فضلاً على ذلك أن على الخادم عند مخاطبته لأحد المواطنين من الشرائح الأخرى أن يستخدم كلمة ياسدي⁽²⁾.

1- الحضرمي، مرجع سابق، ص 392-393.

2- الشرجي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 269 .

3- لا يحق للخادم ارتداء الملابس نفسها التي يرتديها سيده، إلا في حالة أن تكون هذه الملابس ذو لون أسود، أو مستخدمةً أعطاها له سيده⁽¹⁾. ويرجع ذلك إلى أن الملبس كان مقياساً للدلاله على انتماء الناس الاجتماعي، والتمييز بين الفئات الاجتماعية المختلفة في تهمة.

4- لا يحق للخادم أن يلوك أرضاً أو مكاناً أو مسكنأً يبني عليه كوخاً يوويه، إلا بموافقة سيده، وللسيد حق طرد الخادم من منزله إذا ما وجد ذلك مفيداً له، وموافقاً لمصالحه الشخصية، كما أنه لا يحق للخادم أن يمتلك إلا زوجته وبقرة وبضعة رؤوس من الغنم، فإذا ما زادت ملكيته عن هذا القدر لم يعد ملكاً له بل لسيده، ومن هذا الإجراء يتضح أن الملكية التي يتمتع بها الخادم هي ملكية محدودة ومقيدة، عرضةً للزوال، مما يمنعه من تحصيل الثروة واستثمارها، ويحرمه بالتالي من تغيير مكانته الاجتماعية.

5- إذا أراد الخادم أن يعمل لدى أسياد آخرين في المنطقة التي يعيش فيها، وجب عليه أولاً طلب الإذن من سيده الذي يعمل عنده، وفي حالة حصوله على موافقة سيده يستطيع الخادم مباشرة العمل الجديد، أما في حالة عدم الموافقة وقيام الخادم بمباسرة العمل، فإن سيده الأول يحق له معاقبته .

6- إذا سافر الخادم إلى بلد ما، وجمع بعض الأموال وعاد لزيارة أسرته، يحتم عليه أولاً زيارة إلى بيت عاقل المنطقة للسلام عليه، وتقديم هدية له، وطلب الإذن منه لزيارة أسرته، وإذا لم يفعل ذلك باشر عاقل القرية بمعاقبته وسجنه⁽²⁾. مما يدل على أن الخادم مجردأ من كامل حرية، ويُخضع خصوصاً تماماً للسلطة القبلية في المنطقة التي يعيش فيها.

7- أما في المأكل والمشرب ، فكان يُنذر أن يشارك أي فرد من أفراد المجتمع الخادم في الأكل من طبق واحد، فقد جرت العادة أن يأكل الخادم بمفرده أو مع بنى أقرانه فقط، وفي حالة ما إذا قدم أحد المواطنين شيئاً من المأكل والمشرب لأحد الخدم في إثناء، فان المواطن يقوم بغسل هذا الإناء غسلاً جيداً ، بل والبعض منهم قد لا يستخدم هذا الإناء في مأكله أو مشربه مرة أخرى⁽³⁾.

1- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 393.

2- المرجع نفسه، ص 393-394.

3- الشرجي، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 270 .

8- لا يُسمح للخادم حمل السلاح بما في ذلك الجنبية التي يرتديها أغلب السكان في تهامة، إلا في حالات نادرة، وذلك عندما يعمل الخدم كمرافقين وحرس لبعض الشيوخ في أرياف تهامة⁽¹⁾.

ومن خلال مasic عرضه عن مظاهر عدم الاحترام التي عانى منها الخدم، وما زالوا يعانونها في المجتمع اليمني ومنها تهامة، يمكن توضيح الأسباب والعوامل التي دفعت المجتمع لعزل هؤلاء وعدم احترامهم بهذه الصورة، من خلال آراء بعض الباحثين والمفكرين، حيث يعزي بعضهم أن هذا الواقع ناتج عن وضعهم الاقتصادي، وسوء حالتهم الاجتماعية، وغيرهم يعزّيزها لموقف عنصري فمثلاً: يرى البعض أن السبب في عدم الاحترام يرجع إلى عامل أساسي، هو فكرة النجاسة التي التصقت بالخدم نتيجة ممارساتهم لأعمال التنظيف في مجالات كثيرة، وعدم اهتمامهم بالنظافة⁽²⁾.

كما يرى آخرون أن السبب لا يرجع إلى لون بشرتهم السوداء، ويستدل على ذلك بأن العبيد في اليمن كان لهم نفس اللون، بل كان بعضهم أشد سوداً من لون الخدم، ومع ذلك كانوا يحظون بمعاملة أرقى في المجتمع مما يعامل به الخدم، ولنما يرجع السبب إلى الإساءة والمعاملة القاسية التي لاقاها اليمنيون على أيدي أجداد الخدم من الأحباش، الذين جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام وأثناء حكم النجاشيين على تهامة، وهو ما نتج عنه الكراهية الشديدة لبقايا هؤلاء الأحباش والذين أطلق عليهم فيما بعد بالخدم، وأوكلت إليهم مزاولة الأعمال الممتهنة، وذلك مما عمق من عزلتهم واحتقارهم⁽³⁾.

ومما سبق يمكن القول: أن هذا التمييز وعدم الاحترام لهذه الفئة يعود إلى الواقع الفئوي المتعدد، وطريقة الفرز التي اعتمدت الحالة المادية ومدى ما عكسته من فكر وثقافة سائدة بين أبناء المجتمع اليمني عامة، وتهامة خاصة، والتي لم تتغير، أو لم يتم تجاوزها بحكم استمرار التركيبة السياسية بكل امتيازاتها الاقتصادية . الاجتماعية .

1- الشرجي، الشرائح، مرجع سابق، ص 271.

2- المرجع نفسه، ص 268.

3- الشهاري، مرجع سابق، ص 75 - 76.

الفصل الثاني

مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن

أولاً: العادات والتقاليد في تهامة .

ثانياً: التعليم وأنواعه في تهامة .

ثالثاً: الأوضاع الصحية في تهامة .

بعد دراسة التركيبة الاجتماعية في تهامة التي شكلت المجتمع التهامي خلال الفترة المعنية (1918 - 1962)، يتضح أنه من المفيد جداً الوقوف عند عاداتهم وتقاليدهم لرسم صورة حقيقة

قدر المستطاع للحياة الاجتماعية التي كان يحياها أبناء المجتمع. فدراسة العادات والتقاليد يُعد اقتراب من قلب المجتمع، ومحاولة لسماع نبضاته.

و قبل الشروع في هذا الموضوع، سنحاول أولاً توضيح الاتجاهات التي أثرت على عادات وتقاليد السكان في تهامة، ويتمثل ذلك بالاعتقاد الديني الذي كان له تأثير كبير على عادات وتقاليد السكان، ويتمثل ذلك بأن كل الأعياد والاحتفالات العامة كانت ذات صبغة دينية، فهناك عادات استقبال شهر رمضان، وعادات عيد الفطر والأضحى، وتوديع واستقبال الحجاج، والمولد النبوى، وبعض الليالي الدينية كليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب وغيرها، وقد انعكست هذه المعتقدات والعادات بشكل قوى مع النزعة الدينية، وذلك نظراً للجهل والأمية التي سيطرت على عقول أغلب فئات المجتمع خلال فترة الدراسة، حيث انتشرت الاعتقادات الباطلة، والشعوذة والسحر والخرافات والتجميم.

كما أن طبيعة المنطقة ومناخها الحار أثر على عادات الناس وتقاليدهم، من حيث طريقة صنع الملابس الواسعة، و اختيار ألوانها الفاتحة، كما أدى ذلك إلى اتباع أساليب معينة في بناء المساكن التي تتناسب مع طبيعة المنطقة، وهو ما سوف نوضحه في حينه .

أولاً- العادات والتقاليد في تهامة ⁽¹⁾ :

لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده وأعرافه الخاصة، التي يقوم عليها نظام حياته، وعندما يتغير نمط حياة المجتمع، تتغير معه هذه العادات في شكلها وأساليبها، لتأخذ شكلاً جديداً. هذه العادات والتقاليد قد تكون عامة في بعضها تشتراك فيها أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، كونها تنبثق من منبع واحد وثقافة واحدة، وهو الأصل العربي الذي يشترك فيه كل أبناء الوطن العربي، بكل ما فيه من سمات العروبة المشتركة، وعوامل القومية العربية

1 - العادة : هي عبارة عن نمط من السلوك يكتسبه الفرد من مجتمعه الذي يعيش فيه، وتميل إلى الثبات بموروث الوقت، حيث تصبح هذه العادة جزء من حياة الفرد، لازم بتطبيقاتها ومراعاتها، وهي ذات قوة معيارية تتبع بتوع ظروف المجتمع، والعمر والنوع والمهنة . أما التقاليد: فتعرف بأنها الأشياء المتراثة التي يقلد فيها الخلف السلف. أنظر: العودي، حمود : التراث الشعبي وعلاقته بالتسمية في البلاد النامية (دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني) عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1980م/1400هـ، ص 130 . ; الجوهري، محمد: التراث الشعبي، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة، مطبعة الجامعة، القاهرة، (د.ط)، 1973م، ص 51-52 .

(من لغة وتاريخ واقتصاد وغيرها) ، وكذلك عامل الدين الذي احتوى العروبة وحافظ عليها بين أبناء الوطن العربي . وقد تكون خاصة تتميز بها بعض المجتمعات عن غيرها .

والمجتمع التهامي كغيره من المجتمعات له عاداته وتقاليده وأعرافه المتوارثة جيلاً بعد جيل ، سواء في الزواج ومراسيمه ، والأعياد والمناسبات الدينية وغيرها من المظاهر الأخرى ، التي تولدت بفعل عوامل دينية وسياسية واجتماعية ، وإن كان بعضها يشكل عيناً كبيراً على بعض أفراد المجتمع خصوصاً ذوي الدخل المحدود ، حيث كانت هذه العادات ملزمة لرب الأسرة لا يستطيع الخروج عليها أو تغييرها ، لأن الخروج عليها أو تغييرها يُعد في نظر المجتمع خروجاً عن طبيعته ، وعنخصوصية التاريخية التي تميزه ، هذه العادات والتقاليد تختلف فيما بينها ، وتباين من منطقة إلى أخرى حسب العوامل الجغرافية ، والظروف المناخية . وفي هذا الفصل سنتناول أبرز هذه المظاهر في تهامة اليمن ، لتقديم صورة واضحة عنها خلال فترة الدراسة ، وفيما يلي أبرز هذه المظاهر الاجتماعية :

1 - عادات الزواج ومراسيمه :

أ- اختيار العروس :

بعد الزواج الأساس الأول في بناء الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات العالم ، ولذا فإن هذا الأساس يمر بمراحل يبدأ باختيار الشاب لعروسه التي يريد الارتباط بها ، ويقع اختيار العروس في أغلبه في مناطق تهامة على عاتق الأم التي تتولى القيام بهذا الدور ، وتختر الفتاة المناسبة لإبنها ، مراعية في ذلك الوضع الاجتماعي ، وظروف الحياة المعيشية لكلا الأسرتين ، وصغر سن الفتاة وذلك لكي تستطيع كما تعتقد تهيئها وفقاً لمحيط الأسرة ، وقد يقوم الأب بهذا الدور فيختار الفتاة المناسبة لإبنه ، حيث يفضل بعض الآباء تزويج أبناءه من بنات إخوته ، وأبناء عمومته ، بحجة صلة الرحم ، والاقتصاد في النفقات ، وسواء كان الاختيار عن طريق الأم أو الأب ، إلا أن الأم هي التي تتولى إتمام الخطوات المتبعة في الخطوبة ، والاتفاق مع أسرة الفتاة على تحديد موعد الخطوبة⁽¹⁾ .

وخلال هذه المرحلة وبعد اختيار العروس ، يقوم الأب باستشارة إخوته وأقاربه في هذا الأمر ، وذلك إذا كانت الفتاة من غير العائلة ، حيث يدللي كل شخص برأيه ، وتنحصر هذه الآراء حول

1 - الحضرمي ، ثانية في التاريخ ، مرجع سابق ، ص 384 . ؛ بازي ، داود : مظاهر الحياة الاجتماعية في زبيد ، بحث غير منشور ، ص 14 - 16 .

أصول عائلة العروس، ومكانتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي، فإذا بدا لهم إمكانية التوافق مع أهل العروس وأقاربها، فإنهم يوافقون على إتمام هذا الزواج، ومن ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الخطبة .

بـ- الخطبة:

من الجدير ذكره أن مراسم ونفقات الخطوبة في المجتمع التهامي لا تختلف كثيراً عما هي عليه في أغلب المجتمعات العربية، حيث أنه بعد إجماع الأسرة على اختيار الفتاة المناسبة، تقوم أم العريس بالذهاب مع بعض أقاربها من النساء بزيارة إلى أسرة العروس، حيث يجري في هذه الزيارة التمهيد للغرض من الزيارة، وذلك من خلال إبداء الإعجاب بالفتاة ووصف أخلاقها وجمالها، حيث تلمح الأم عن رغبتها في خطبتها لابنها، ويكون الرد من أم الفتاة بعرض الأمر على والدها⁽¹⁾. وقبل الرد بالموافقة تقوم أسرة الفتاة بالسؤال عن أخلاق الخاطب وسلوكه، ومستواه الاجتماعي والاقتصادي، وبعد تمام المعرفة عن الشاب وعدم موافقته لأسرة الفتاة يأتي الرد سريعاً بالرفض متضمناً عبارة (الفتاة لازالت صغيرة) متبوعة بعبارة أخرى (لا يوجد نصيب)، وعلى الأغلب يأتي الرفض لأسباب تتعلق بوجود فوارق اجتماعية واقتصادية بين الأسرتين⁽²⁾.

أما في حالة الموافقة من قبل أسرة الفتاة تقوم أسرة الشاب بزيارة أخرى إلى أسرة الفتاة لاتفاق حول المهر والكسوة وتحديد موعد لتأكيد الخطوبة، حيث يقوم والد الشاب بدعوة مجموعة من الجيران والأقارب للذهاب معه إلى بيت أسرة العروس، وفي هذا اللقاء تتم الخطبة الرسمية للفتاة من أبيها أو ولد أمها ، وذلك بناءً على ما اتفق عليه النساء من المهر والكسوة، ويكون الرد من ولد أم الفتاة بالموافقة، ويختتم الاجتماع بقراءة الفاتحة، ويطلق على هذا الاجتماع بالتضييط أو تأكيد الخطوبة⁽³⁾.

أما إذا كانت العروس من أقارب العريس فقد يذهب الأب والأم وبعض الأقارب سوية لخطبتها دون الحاجة إلى مقدمات تمهيدية كما هو الحال عندما تكون الفتاة من عائلة أخرى، فيفتح والد الشاب والد الفتاة بالموضوع، فيطلب والد الفتاة مهلة لمدة أسبوع للرد، وذلك حتى لا

1 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 384-385.

2 - لطف، الجهات الحيسية، مرجع سابق، ص 249 .؛ بازي، مرجع سابق، ص 16.

3 - المرجع نفسه، ص 16 .

يُقال بأنه يريد التخلص من ابنته⁽¹⁾. بعد تأكيد الخطوبة تُقام للعروس حفلة صغيرة في بيت أبيها تسمى في تهامة بالحالي أو حالي الحديث، تقصر على نساء أسرة العريس والعروس، يتم فيها إهداء العروس مجموعة من الحلويات، وقطعة من القماش.

والجدير ذكره أن هذه الهدايا يُعاد جزء منها إلى أهل العريس، بينما يتم توزيع جزء منها للجيران والأقارب، ويأتي هذا التقليد كدلالة على قبول الهدية، والتوافق بين الأسرتين، أما في وقتنا الحالي فتقصر الهدية على عدد من منتجات البلد، والتي تتمثل بالعصائر، وخاتم من الذهب، وساعة يد .

ج - المهر:

يُعد المهر شرطاً أساسياً من شروط الزواج، يتم الاتفاق عليه بين أسرتي العروسين، ويلعب الوضع المادي للعريس دوراً كبيراً في تحديد ما يفرض عليه من مهر قد يرتفع وقد ينخفض، وذلك بما يتناسب مع مكانة الأسرتين ومستواهما الاجتماعي. وكانت ظاهرة المغالاة في المهر منتشرة في تهامة وخاصة بين الفئات العليا وشيخ القبائل، حيث يدفعون مبالغ كبيرة صداقاً لزواجهم لا يقدر عليه الآخرون، تعبيراً عن إظهار الأبهة والمقدرة والتفاخر بين الناس، أما في نطاق الفئات الفقيرة فكان المهر أقل مما هو عليه بين الأغنياء وشيخ القبائل⁽²⁾ .

وتشير بعض المصادر أن عادة أخذ المهر في تهامة كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي منطقة زبيد عرفت النساء بعدم أخذهن للمهر من العريس مقدماً، بل كانوا يحبذون تأجيل بعضه حيث يُعد أخذ المهر بأكمله مقدماً من العريس عيب كبير، على اعتقاد أن المرأة التي تأخذ مهراً مقدماً كاملاً تزيد الطلاق من زوجها، ويوضح ذلك ابن المجاور بقوله : ((ونساء أهل هذه البلاد (يقصد بها زبيد) لا يأخذن من أزواجهن المهر كاملاً، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة، أي أن زوجها أعطاها مهراً وفركها أي طلقها))⁽³⁾.

ويرتبط المهر والزواج في أغلب أرياف تهامة بالقيمة الاقتصادية للمرأة، فكلما زادت مهارة الفتاة في الريف زاد مهراً حيث تُخطب المرأة في المناطق الريفية لنشاطها ومهاراتها في العمل،

1 - شاكر، محمود: شبه جزيرة العرب، للكتب الإسلامية، دمشق، (د.ط) ، 1396هـ/1976م ، ص 246 .

2 - السروري، مرجع سابق، ص 676 .

3 - ابن المجاور، تاريخ المستبصر، مرجع سابق، ج 1، ص 85-86 .

أي أن الدافع الأساسي لدى بعض الآباء في تزويج أبنائهم الحصول على أيد عاملة، فالأسرة تريد الفتاة تقاسم مع ربة البيت الأعباء الشاقة التي تضطلع بها، حيث أن كثيراً من الشباب كانوا يتزوجون ثم يسافرون للعمل في المدينة، تاركين زوجاتهم لخدمة أسرهم^(١).

أما في عصرنا الحالي فقد أصبح اقران الشاب بالفتاة يرتبط بمسائل عدة كالجمال والحسب والنسب، وقد تم التعبير عن أهمية وضرورة توافر تلك الصفات في أسرة العروسة بالمثل الشعبي المشهور في تهامة: ((ورث لابنك خال، ولا تورث له مال)) ويقصد به أن على الشاب قبل أن يتزوج ويصبح أباً عليه أن يبحث لولده القادم عن خال ينتمي إلى أسرة معروفة بحسبها ونسبها، وذات مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع^(٢).

أما عن قيمة المهر خلال فترة الدراسة فكانت تتراوح نقدياً ما بين 50 ريال ماريا تريزا كحد أدنى و 500 ريال كحد أعلى، إلى جانب ما يقدمه العريس لعروسه من مهر عيني كالأقمشة والحلبي التي تفاوت حسب حالة العريس المادية، ومكانته الاجتماعية^(٣).

ومن العادات التي كانت متّعة في تهامة ولازالت، أن المهر العيني الذي يدفعه العريس لعروسته من حلبي وأقمشة والذي يسمى في تهامة بالواجب أو الجهافي عرض على أقارب العروسة وجيرانها للتفاخر به، ويتم تسليم المهر قبل عقد الزواج^(٤).

كان الزواج المبكر خلال فترة الدراسة هو الشائع في كافة مناطق تهامة، وذلك للاعتقاد السائد أن الزواج المبكر يصرف الشاب عن الانحراف والانزلاق، وزواج الفتاة ستراً لها، وكانت معظم حالات زواج الفتيات خلال فترة الدراسة تتم بين سن الثالثة عشر والرابعة عشر^(٥).

1 - الشعيفي ، محمد مصطفى : اليمن الدولة والمجتمع ، دار النهضة ، (د.م)،(د.ط) ، 1975م، ص 81 .

2 - المعمرى، سلطان عبد العزيز : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والخروب القبلية في مجتمعات قبائل المنطقة الجنوبية الغربية من لواء تعز، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بعنوان: ((تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)) للفترة 25- 27 مايو/أيار 2009م ، النيل للطباعة الحديثة، تعز ج 3، 2010م ، ص 955-956 .

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 107 ؛ فخرى، مرجع سابق، ص 89-90.

4 - شاكر، مرجع سابق، ص 248.

5 - العظم، مصدر سابق، ج 1، ص 46-47.

ويُهدف من الزواج المبكر عند القبائل في تهامة زيادة عدد أفرادها، وامداد القبيلة بدماء جديدة تسهم في إبراز دورها، وفرض هيمنتها خاصة أن الغلبة في المجتمع القبلي للأكثر والأقوى⁽¹⁾.

وكان الزواج الأفقي هو السائد في تهامة، وقد ساعد هذا النوع من الزواج على بقاء وترسيخ التفاوت الفئوي بين المجتمع كما سبق أن أشرنا، وقد وجد ذلك بوضوح عند فئة السادة الذين كانوا يتمسكون بموضوع الكفاءة في الزواج، بمعنى أنهم لا يزوجون بناتهم إلا من فئتهم، وقد نتج عن ذلك بروز ظاهرة العوانس بين نساء هذه الفئة⁽²⁾.

وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: ((إن هذه الشريحة لا تسمح لفتياتها بالزواج من غير قبيلي) (ويقصد به السيد) ... ودون ذلك فلا يمكن أن تتزوج الفتاة من أبناء الأسر التي يمارس أفرادها بعض الأعمال الحرفية، كمن يكون الفرد حلاقاً، أو صاحب مقهى، أو صانع أحذية، أو بائع جلود - أما الخدم فهم طائفة محتقرة لا يمكن أن يتزوج أي فرد منهم من الفئات الأخرى)⁽³⁾.

د - عقد القرآن (المملكة) :

يُعرف عقد القرآن في تهامة باسم (المملكة) أو كتب الكتاب، ويتم عقد القرآن في أغلب مناطق تهامة في منزل العريس⁽⁴⁾، ويتولى مهمة العقد مأمون القرية أو المنطقة، وتتفاوت المدة التي تفصل بين العقد وليلة الزفاف (الدخلة) حسب الظروف والاتفاق بين الأسرتين، فأحياناً يتم العقد قبل فترة من الزفاف تصل إلى عدة أشهر، ويتم أحياناً في ليلة الزفاف بساعات، ويرجع ذلك إلى إمكانية أسرة العريس المادية واستعداداتها⁽⁵⁾.

1 - الجعدي، مرجع سابق، ص 50.

2 - ناجي، سلطان: الحقوق الاجتماعية للمرأة في المجتمع اليمني، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ع(1)، السنة(3) ابريل/نيسان، 1980م، ص 52.

3 - الشعبي، مرجع سابق ، ص 81 .

4 - عدا مدينة الحديدة والمناطق المجاورة لها، فيتم العقد في منزل والد العروس، كاعتبار لأسرتها .

5 - شاكر، مرجع سابق، ص 248 - 249 .

فمن العادات المتبعة في تهامة أنه إذا تأخر الزفاف بعد العقد لفترة طويلة سنه أو أكثر، فإنه يتوجب على العريس في كل مناسبة تقديم هدية لعروسه بهذه المناسبة، وتستمر تلك العادة مدة بقاء العروسة عند أهلها حتى يتم زفافها⁽¹⁾.

ويبدو أن هذا التقليد يؤكد على رغبة العريس في عروسه، وشعار العروسة بمكانتها لدى العريس وأنه أصبح مسؤولاً عن نفقتها، وذلك مما يؤدي إلى زيادة الألفة بينهما . ومما تجدر ملاحظته أن الهدايا العينية التي يقدمها العريس لعروسه قبل فترة الزفاف، لا يتم التصرف بها عند كثير من الأسر، أو التفريط فيها خوفاً من حدوث ما يؤدي إلى عدم إتمام الزواج، والذي يترتب عليه إعادة كل الهدايا العينية أو بعضاً منها إلى أسرة العريس، ولازالت هذه العادة معمول بها حتى وقتنا الحالي .

تخل هذه المناسبة مجموعة من المراسيم، حيث أنه بعد تحديد موعد عقد القران تقوم أسرة العريس بدعوة الجيران والأصدقاء لحضور عقد القران، ويتولى مهمة الدعوة حلاق الحي أو المنطقة، وبحضور المدعىون والأصدقاء يتم عقد القران⁽²⁾.

بعد الانتهاء من العقد توزع الحلوى وكاسات القهوة والشاي على الحاضرين، وترش العطور، بعدها يقوم الحاضرون بتهيئة العريس ويعبرون عن فرحتهم له بمعانقتهم له⁽³⁾.

بعد عقد القران وتحديد موعد الزفاف تبدأ عملية التجهيز لمراسيم الزواج تهيئة ل يوم الزفاف، إذ يقوم العريس بتأثيث بيت الزوجية بما يحتاج إليه من أثاث وفرش ولوازمه من ملايات ومطاح، بينما تبدأ العروس بتجهيز نفسها وأدواتها الضرورية التي ستأخذها معها إلى بيت الزوجية، حيث أنه في بعض مناطق تهامة تحمل العروسة معها من بيت أهلها بعض ما تحتاجه من أدوات استعمال منزلها وغرفة نومها، ويبدو أن ما يحدد من مهر هو الذي يساعد العروس على شراء

1 - بازي، مرجع سابق، ص 18.

2 - أما عن كيفية العقد وصيغته فيتم بأن يجلس العريس أمام وكيل العروس متصافحي الأيدي، ويوضع فوق أيديهما منديلان من القماش، ويجلس أمامهما المأذون الشرعي وسط دائرة من الأصدقاء ، ويدأ المأذون الشرعي بتأولة آيات من القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث النبوية التي تحدث على الزواج وترغب فيه ، بعدها يقوم العريس ووكيل العروس بتردد كلام للمؤمن لإتمام عقد الزواج حيث يتجه العريس إلى وكيل العروس مخاطباً إياه قائلاً : ((زوجي موكليك البكر الراشدة البالغة فلانة على المهر المتراضي عليه)) فيرد عليه وكيل العروس قائلاً : ((زوجتك و أنكحتك ابنتي أو موكلي فلانة على ما أمر الله به من إمساك معروف أو تسريح بإحسان وعلى المهر المتراضي عليه)) فيرد العريس قائلاً : ((قبلت نكاحها لنفسي بما ذكر وعلى ما ذكر)) وختم ذلك بقراءة الفاتحة .

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 107. ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، 385.

لوازم ليلة زفافها، فإذا كان المهر كبيراً خرجت العروس مع أمها أو أحد جيرانها إلى السوق لشراء لوازمهما من ملابس وفرش ومباحر ومشاجب⁽¹⁾. أما المستلزمات الأخرى من المهر والشبكة، وإعداد المنزل وتأثيثه فهي من مسؤولية الزوج .

هـ - حفلات الزواج (الزفاف):

تقام الحفلات بمناسبة الزواج لإضفاء الصبغة الاجتماعية القانونية لذلك الزواج، وتختلف مراسيم الزواج وحفلاته باختلاف الفئة الاجتماعية، حيث يلعب الوضع المادي للعرис في تهامة دور في تحديد مستوى إطار مساحة الفرح الذي يقيمها، فكلما كانت الحالة المادية جيدة للعرис، كلما وسع من إطار الفرح والمدعويين للوليمة .

أما عن طريقة إعداد المكان المعد للفرح (المخدرة)⁽²⁾، وخدمة الضيوف فيلعب عاقل القرية في تهامة دوراً بارزاً في عملية الإعداد، حيث يتولى العاقل تببير ما يلزم لتأثيث المخدرة، وتزويدها بالمقاعد والفرش والوسائل الالزمة وأواني المياه، وذلك من خلال دعوة سكان القرية أو الحي بالتعاون لمساعدة العريس بإحضار هذه الأدوات، ويتم نقلها إلى المخدرة عبر أصدقاء العريس والذين يسمون بالمغرم⁽³⁾ . كما يتم تكليف بعضهم باستقبال الضيوف والترحيب بهم، ويتولى البعض ترتيب موائد طعام الغداء⁽⁴⁾ .

إن هذا العمل الذي يقوم به المغرم لمساعدة العريس يُعد واجباً عليهم، ويعتبرون أن هذا العرس مهرجاناً احتفالياً عاماً لكل أهل المنطقة، لا يخص أسرة العريس أو العروس. أما في عصرنا الحالي فقد بدأت مظاهر المشاركة الجماعية تختفي في بعض المناطق، وتنحصر بعض الأسر في أعراسها على الأقارب والأصدقاء، وذلك نظراً لصعوبة الحياة الاقتصادية، وتکاليف الأعراس الباهضة.

1 - لازالت المشاجب تستخدم حتى وقتنا الحالي في بعض مناطق تهامة، وتصنع من سعف النخيل، وتصنع على شكل مخروطي حيث تستخدمها المرأة في تهامة لوضع الملابس عليها لتبخيرها.

2 - المخدرة : تطلق على المكان الذي يتم فيه إقامة حفل الزواج ، واستقبال الضيوف في تهامة، وتقام هذه المخدرة من الأخشاب، ويعطى سقفها وجوانبها بقطع طويلة من القماش والذي يسمى (بالطاقة)، وتحتفظ المخدرة من حيث اتساعها ومساحتها من عوس لآخر حسب المكانة الاجتماعية للعرис وحالته المادية، وتحتفظ تسميتها من منطقة لأخرى ففي زبيد وبيت الفقيه تسمى بالمخدرة، أما في الجديدة ولمناطق الشمالية من تهامة فتسمى بالسقيفة . أنظر: بازي، مرجع سابق، ص

.17

3 - بونفان، أحيا زبيد، مرجع سابق، ص 53 .

4 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 385 – 386 .

تُخلل أُفراح الزواج في تهامة عادات اجتماعية تتجلى فيها فكرة التعاون والتضامن الاجتماعي بصورة واضحة من هذه المظاهر مايلي :

1- ظاهرة الوصل:

تُعد ظاهرة الوصل من العادات الاجتماعية التي مارسها المجتمع التهامي في أفراده خلال فترة الدراسة، وهي عادة تتجلى فيها فكرة التعاون والتكافل الاجتماعي، حيث تقوم هذه العادة على قيام المدعوين (الضيوف) بإعطاء العريس وصل عيني يتمثل بأعداد من الماشية (غنم أو ماعز أو بقر)، أو من المواد الغذائية (كالأرز أو الطحين ، أو السمن أو العسل)⁽¹⁾.

يختلف مقدار الوصل بحسب المكانة الاجتماعية للعرис وعائلته، فكلما كانت مكانة العريس في مجتمعه عالية، وعلاقته متينة بضيوفه، كلما كان مقدار الوصل ثميناً ومعبراً قدر الإمكان عن قوة تلك العلاقة، وعن المكانة التي يحتلها العريس في قلب الضيف، بعكس العريس الذي ينتمي إلى أسرة أقل مكانة اجتماعية حيث يُقال في المثل: () الهدية على قدر مهديها ()⁽²⁾.

ويُعد الوصل من العادات الاجتماعية التي تشكل مصدر مساعدة للعرис وأسرته في التخفيف من تكاليف الزواج كما يُعد من الأمور الملزمة التي يجب على العريس ردتها على أصحابها، لذا فهي بمثابة دين على العريس يقضيها لصاحبها في مناسبة مماثلة لها، ولذا تقوم أسرة العريس بتسجيل هذه الإيصالات في سجل خاص⁽³⁾ .

ومن العادات في تهامة أن هذه المساعدات تقدم ضمن مراسم شعبية ملفتة للنظر ، حيث يتم استقبالها بمجموعة من الخدم الذين يجيدون ضرب الطبول والمزامير ، ويكون الاستقبال على مسافة تبعد قليلاً عن منزل العريس، حيث تستمر هذه الفرقة مصاحبة للضيوف القادمين وبصحبتهم المساعدات، حتى يتم توصيلهم إلى بيت العريس، حيث تطلق الأغيرة النارية، والزغاريد ابتهاجاً وترحيباً بهم، حتى يسلم الوصل لأسرة العريس⁽⁴⁾.

2- الطرح(النقوط):

1 - الحضرمي، تحفة في التاريخ، مرجع سابق، ص 386.

2 - العودي، مرجع سابق، ص 134 - 135.

3 - المرجع نفسه .

4 - العودي، مرجع سابق، ص 135 .

تقوم هذه الظاهرة على مساهمة المدعين من الأهل والأصدقاء بمبالغ مالية للعرس في يوم عرسه، كل حسب مقدراته وحالته المادية، يتم دفع هذا المبلغ إلى العريس إما عن طريق حلاق القرية، الذي يقوم بالإعلان أمام الحاضرين في الوليمة عن مقدار المبلغ الذي قدمه الضيف، ويعلن اسمه أمام الحاضرين⁽¹⁾ ، وأما عن طريق وضع هذه النقود في ظرف مغلق ويكتب عليه اسم الضيف، ومقدار المبلغ الذي قدمه، ثم يعطى للعرس مباشرة، ويختلف مقدار المبلغ المالي من ضيف إلى آخر وفقاً لقرابة الضيف من العريس، ومكانته الاجتماعية، ويُعد هذا المبلغ ديناً على العريس يُرد في ظرف مماثل⁽²⁾ . ولا يقتصر هذا الطرح على العريس فقط، بل تساهم النساء أيضاً بدفع مبالغ مالية للعروسة .

أما بالنسبة للعروسة فيُقام لها في بيت أبيها مظاهر احتفالية تتمثل بما يلي :

1- حفلة الوسى :

وهي عبارة عن حفلة تتم في بيت العروسة قبل زفافها، وتكون بمثابة توديع لها، تأتي هذه الحفلة قبل يومين من ليلة الزفاف، وتقتصر على نساء العائلتين والأقارب والجيران، وفي هذه الحفلة ترف العروسة داخل بيت أبيها من حجرة إلى حجرة، بصحبة مجموعة من المنشدات⁽³⁾.

2- الغسل والقمعة :

وهي حفلة صباحية، تتم في بيت العروسة في اليوم الثاني من حفلة الوسى، أما في الوقت الحالي فتدمج حفلة الوسى والغسل والقمعة في يوم واحد، حيث تبدأ الحفلة الصباحية بالغسل والقمعة، وتنتهي مساء بحفلة الوسى، وفي هذه الحفلة تقوم إمراة تسمى بالمخضبة بوضع معجون الحناء على أطراف أصابع العروس، وتسمى هذه العملية بالقمعة⁽⁴⁾، كما يتم غسل رأس العروس بواسطة إمراة تسمى بالمكية⁽⁵⁾ وتسمى هذه العملية بالغسل، بعدها تؤخذ العروس إلى غرفة خاصة في بيت أبيها حيث يُعد لها مجلساً في وسط الغرفة للجلوس عليه، ويوضع أمامها إناء من

1 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 386.

2 - السروري، مرجع سابق، ص 681 .؛ لطف، الجهات الحيسية، مرجع سابق، ص 251 .

3 - بازي، مرجع سابق، ص 24-25.

4 - التعميم: يقصد به تخطيب أطراف أصابع العروس بمادة الحناء، والتي تعطي لوناً أحمر، وكانت هذه المادة تُعد من أساسيات زينة العروس في تحامة خلال فترة الدراسة.

5ـ- **ككدية (الماشطة)** : يطلق على المرأة التي تتولى غسل شعر المرأة وتصفيتها وتحميلاً، ويتم استدعاؤها من قبل أسرة العروس قبل يوم من الزفاف، مقابل مبلغ معين من المال وهي ما يطلق عليها حالياً في عصرنا (بالكوا فيه) .

المعدن أو النحاس، حيث تقوم كل إمرأة من الحاضرات والمدعوات لهذه الحفلة بوضع مبلغ من النقود في هذا الوعاء، وتسمى هذه العملية بالنقوط أو النجد، ويستمر الاحتفال حتى وقت الظهيرة، ثم تجمع هذه النقود من قبل أسرة العروسة ويستعان بها على تكاليف العرس، وتكون هذه النقوط بمثابة دين على العروسة وأسرتها تُعاد في مناسبة مماثلة لها^(١).

3- السابع:

وهي عبارة عن حفلة تقام للعروسة بعد زفافها بسبعة أيام في بيت أبيها، حيث يقوم والد العروسة بدعوة العريس وأقاربه لتناول طعام الغذاء في اليوم السابع من الزفاف، وتستمر هذه الحفلة حتى منتصف الليل، بعدها ترجع العروسة مع عريسها إلى بيت الزوجية، لتبدأ حياة جديدة مع زوجها، وبهذه الحفلة تنتهي مراسيم الزواج في تهامة^(٢).

2- الأزياء في تهامة (الملابس) :

لتتواء المناخ بين مناطق اليمن المختلفة دور في تحديد نوعية الملابس التي يرتديها السكان، كما أن للحالة المادية أثراً في اختلاف ملابسهم وتنوع جوانتها.

ففي تهامة ونظراً لحرارتها الشديدة في فصل الصيف، واعتدالها في الشتاء، يرتدي السكان الثياب المناسبة مع بيئتهم الحارة، وهي ملابس خفيفة بسيطة في تكويناتها، تتميز بالرقابة والنعومة، لها العديد من المميزات الفنية والمهارة العالية في التطريز وأغلب ألوانها الفاتح وبالذات اللون الأبيض.

ويشير أحد الباحثين إلى بساطة ملابس السكان في تهامة، والذين زاروا المنطقة خلال فترة الدراسة قائلاً: ((وهؤلاء هم أخف لباساً، خاصة في القرى المنتشرة والبعيدة عن المدن التهامية، فقد يكتفي أحدهم بما يستر عورته فقط، وما يستر رأسه من أشعة الشمس المحرقة ... وليس غريباً في هؤلاء الناس أن يخافوا على رؤوسهم، ولا يخافون على أقدامهم ... وذلك لأن أقدامهم نفسها قد تحولت إلى نعال... وأقسى من النعال))^(٣).

كما يضيف حسن محمد جوهر، ومحمد أيوب عن ملابس تهامة بقولهما: ((ففي تهامة نظراً لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طوال العام، وفقر الغالبية العظمى من السكان، ترى الأطفال

1 - باري، مرجع سابق، ص 25-26.

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 388.

3 - أَلْ بَحِي، مرجع سابق، ص 73.

عراة حفاة يضعون في رقبتهم حلقات من الحديد، بها أحجية وتمائم وتعاويذ، تعتقد أنها أمها لهم وأباهم أنها تقيم شر العين والمرض والحسد ومن الجن، وتجلب لهم الحظ وتبعد عنهم الهموم، ويترك الرجل النصف الأعلى من الجسم عارياً أثناء العمل وأبان اشتداد الحر، ويغطي النصف الأسفل بمئزر مخيط اسطواني الشكل ملون ذي خطوط يشد على الأرداف، ... فإذا انتهى من عمله أو تلطف الجو يلبس قميصاً (صدره) قصير الأكمام بينه وبين الفوطة (المئزر) زنار من القطن أو الجلد يعلق فيه الخنجر أو الخرطوش أو كلابهما معاً، كما يضع على رأسه طربوشًا من الخيزران للوقاية من الشمس وتسمى (الكوفية) وهو قُمعية الشكل بنية اللون .. وتعتبر غطاء الرأس في الحديدة، كما تستعمل الشبقة (القبعة) وهي غطاء للرأس، ... يلبسها الرجال والنساء، وتصنع محلياً من الخوص (سعف النخيل)، وهي رخوة متهدلة واسعة النسيج، يخللها الهواء، متسعة الأطراف، تظل كل الرأس والعنق، عالية لكي تحفظ الرأس من أشعة الشمس)⁽¹⁾.

وتتقسم الأزياء في تهامة إلى قسمين، القسم الأول يتمثل في الزي الرجالـي، وهو وإن كان البارز منه نوعاً معيناً ألفه الناس لظهور الشخص به في المناسبات العامة إلا أن هناك إلى جانب الزي الرسمي المأثور أزياء إضافية وهيئات يظهر بها الرجل في حياته العامة، هذه الهيئات تختلف باختلاف المناسبة التي تتحمـم ارتداء هذا الزي بالهيئـة التي تتوافق معها .
أما القسم الثاني فهي الأزياء النسائية، وتتميز باختلافها وتنوعها.

الزي الرجالـي:

كان الزي الذي يرتديه أغلب سكان تهامة، وخاصة الفلاحـون عبارة عن: إزار أسود أو أبيض يسمى بالطاقة، يلفه الرجل حول خصره لتصل أطرافه في الجزء السفلي إلى ما فوق الركبة، وذلك لسهولة الحركة أثناء العمل والصعود إلى الجبال أثناء الرعي خصوصاً سكان المناطق القريبة من الجبال⁽²⁾، أما الجزء الأعلى من الجسم فيغطيه بقميص قصير الأكمام يسمى بالصدرـة أو الشـالية، وعند اشتداد الحر وأثنـاء العمل يقوم الرجل بخلع هذا القميـص ويبقـى عارياً في

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 86-88.

2 - السروري، مرجع سابق، ص 694 .

جزءه العلوي، أما الرأس فيغطي بقبعة مصنوعة من الحصير أو سعف النخيل للحماية من الشمس القوية وخاصة في فصل الصيف⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك عدة أزياء يلبسها السكان في تهامة، في المناسبات العامة، وخاصة في المدن من أبرز هذه الأزياء⁽²⁾:

1- المعجر: (جمعه معاجر) وهو ثوب يلتحف به، قال ابن منظور: ((وهو ضرب من الثياب تكون باليمين))⁽³⁾، ويسمى بالمصنف في تهامة (الشال) وهو عبارة عن حزام من القماش الملون بعدة ألوان بشكل طولي، يبلغ طوله 5أمتار وعرضه 38 سم، يلفه الرجل حول خصره، لشد الوسط، ولوضع الخنجر فيه، وهو نوعان المعجر العادي وهو أقل جودة، والمعجر الوردي الذي يتميز بجودة قماشه، ووجود زواائد مهنية له في لطرفه مما يعطي له شكلاً جميلاً.

2- القميص: ثوب أبيض، طويل الأكمام، واسع يلبسه عليه القوم من السادة والفقهاء، كتمييز لهم عن بقية الفئات، ويسمى في بعض مناطق تهامة كبيت الفقيه بالمدرعة.

3- الكوفية الخيزران:

تصنع من خيوط الخيزران، تلبس فوق الرأس على شكل دائري تتسع من أسفل وتتضيق من أعلى قليلاً تنتهي بقاعدة مدورة لها ثقب في الوسط لدخول الهواء إلى الرأس، كما يتم وضع قطعة من الفضة على شكل قلم للزينة، وكان يلبسها عامة الناس ومنهم مشايخ القبائل.

4- الشملة : مفرد شمال: وهي منسوجات صوفية تصنع من صوف الأغنام والماعز، وتنسج بمنسج خاص يُمد موازياً للأرض، وكانت تستخدم كفراش يمد على الأرض للجلوس عليه، كما استخدمت كلحاف للوقاية من البرد في فصل الشتاء، وخلال فترة الدراسة استخرج السكان من هذه المنسوجات خيوط رقيقة ورفيعة يتم ربطها ببعضها البعض، استخدمت كشال يوضع على الكتف⁽⁴⁾.

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 86-88؛ الشرجي ، الشرائع الاجتماعية، مرجع سابق، ص 226-227

2 - الأهدل، علي مغربي : الملابس والأزياء في تهامة، صحيفة الجمهورية، ع(14488)، يوليو / تموز 2009م، ص 11 .

[Http:// www. Algommoriah.net](http://www.Algomhoriah.net)

3 - ابن منظور، مرجع سابق، ج 4، ص 542

4 - مقشر، مرجع سابق، ص 86.

5- العمامة (المشدة) : وهي ما يلْفُهُ الرجل على رأسه لاتقاء حرارة الشمس من ناحية، وإلظهار نوع من الوقار والهيبة اللذين ينْمَان عن علو المكانة والنضج العمر والعقل، وكان هذا الزي يستورد من الهند .

6- اليلق :

هو قطعة من القماش، ذولون أزرق يصنع من القطن بدون أكمام، يلبسه الرجل في تهامة فوق القميص .

7- العكاوة : هي قطعة فضية اسطوانية الشكل، يلبسها رجال قبيلة الزرانيق في تهامة على رؤوسهم .

ومن الجدير ذكره أنَّ أغلب الرجال في مناطق تهامة يشترين في زى لا يتخلى عنه أي يمني، وهو وضعهم حزام في الخصر يثبت فيه خنجر معقوف يسمى (بالجنبية)، له مقبض مصنوع من الخشب الجيد أو من العظم، قد يضاف إليه قطعة ذهبية لتجميله، ويختلف سعر هذا الخنجر من بضعة ريالات إلى بضع مئات من الريالات خلال فترة الدراسة، ويختلف وضع هذه الجنبيَّة من فئة إلى أخرى، فالسادة والقضاة يضعونها على الجانب الأيمن من الخصر كتمييز لهم عن بقية الفئات، أما عامة الناس فيضعونها في الوسط⁽¹⁾ .

الزي النسائي :

خضع لباس المرأة في تهامة لما خضع له المجتمع من تقسيم فئوي، فكان لنساء الأغنياء لباسهن الذي يختلف عن لباس نساء العامة من الناس، من حيث جودة القماش وفخامته تفصيله وتشكيله وقيمة، كما كان لموقع سكن المرأة في تهامة دور في تحديد نوعية الملابس التي ترتديها، فنساء المدن يختلفن في نوعية ملابسهن عن نساء الريف، غير أنَّ ما يجمع بين هذه الملابس ملائمتها لطبيعة المناخ الحار، واتساعها لسهولة الحركة أثناء العمل، ومن أهم هذه الملابس التي ترتديها المرأة في تهامة المقشط والمقلمة⁽²⁾، التي تغطي رأس المرأة، وبخاصة عند خروجها من المنزل، كما تغطي الجزء العلوي من جسمها بشمиз قصير الأكمام يتم صناعته بطريقة يدوية عن

1 - جواهر، مرجع سابق، 93-94.؛ الشرجي، الشراح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 147-148.

2 - المقط : يُعرف في تهامة (بللصر) وهو عبارة عن قطعة من القماش تغطي به المرأة رأسها، أما المقلمة وتسمى بالقرمة، وهي أيضاً قطعة من القماش طويلة تتشكل من اللونين الأسود والأحمر، توضع فوق المقشط للزيادة في تغطية الرأس من جميع الجوانب، ومن فوائدها الوقاية من أشعة الشمس وخاصة في القرى. أنظر: الأهدل، للملابس والأزياء، مرجع سابق، ص 11.

طريق الإبرة والخيط يسمى (بالصديرية)⁽¹⁾، أما الجزء السفلي من الجسم فتغطيه المرأة بقطعة من القماش تسمى بالوزرة⁽²⁾ بدلاً عن الفساتين الطويلة التي ترتديها نساء المناطق الجبلية⁽³⁾، كما استخدمت المرأة إلى جانب الوزرة لتغطية الجزء السفلي من جسمها قطعة أخرى من القماش تسمى بالطورية، وهي أشبه باللحف الحوكي المعروفة في تهامة من حيث خطوط الألوان الحمراء والصفراء والسوداء الكبيرة والصغيرة غير أن هذه الطورية مصممة بشكل جميل، وتمتاز بمتانة خيوطها التي تقاوم تقادم الزمن، وهذه القطعة كانت في تهامة تعطى للمرأة ليلة زفافها وتظل المرأة محفظة بها إلى يوم وفاتها لتوضع فوق النعش⁽⁴⁾.

كما تلبس المرأة وخاصة في أرياف وقرى تهامة القميص والذي يسمى (بالكورته) ويُعد من أقدم الأزياء المستخدمة في تهامة، ويتميز بخافة زخارفه الجميلة على واجهته الأمامية، وهو عبارة عن ثوب يغطي كافة أجزاء جسم المرأة . وتصفه الباحثة أمّة الرزاق جحاف بأنه: () عبارة عن زي مادته النسيجية من القطن المخلوط بالكتان، ينسدل على الجسد بحرية كاملة، يتميز بأكمامه العريضة غير المنفصلة في تركيبها، ولما هي جزء من الثوب، يكون اتساعها بعرض القميص نفسه، يتم تطريزه بخيوط القطن المنسوجة بطريقة تسمى خدوجة، يصل طول القميص إلى منتصف الساق)⁽⁵⁾ .

1 - الصديرية : عبارة عن قطعة من القماش، تزخرف بالوان زاهية في مقدمتها ، تضعها المرأة في تهامة على النصف العلوي من الجسم، وهي نوعان : الأولى وتسمي السمححة وتصف بخطيتها لكافة الجزء العلوي بما فيه اليدان حتى المرفقين وتلبسه المرأة غالباً أثناء خروجها من المنزل، أما الثانية وتسمي المؤند وتعطي أيضاً الجزء العلوي من الجسم إلى منتصف الدراعين ، مع وجود فتحة لها في وسط الصدر، وغالباً ما تستخدمها المرأة داخل المنزل ، ويشبه هذا النوع من الملابس في شكله الزي الذي تلبسه المرأة في الهند، والذي يترك فيه جزء من أسفل البطن مكشوفاً ، وهو ما يدل على تأثير المجرات الهندية في تهامة .

2 - الوزرة : هي لباس قصير أشبه بالفوطة مفتوحة من الأسفل وضيقة محكمة عند الخصر وتنتهي بحزام له عروتين تربط مع بعضهما بإحكام من الجانب الأمامي لحصر المرأة .

3 - آل يحيى ، مرجع سابق ، ص 88.

4 - الأهدل ، مرجع سابق ، ص 11 .

5 - جحاف، أمّة الرزاق : البعد الاجتماعي في الأزياء الشعبية اليمنية، مجلة حوليات العفيف، صناعة، ع (3) 2003م، ص 81 .

أما النقاب فتعد نساء المدينة أكثر استخداماً له للستر من الناس عند خروجهن من المنزل، أما في القرى والأرياف فتخرج المرأة مكشوفة الوجه، وذلك لصغر مجتمع الريف، وتعارف أهله، وقوة صلاتهم الأسرية⁽¹⁾.

أما عن زينة المرأة في تهامة : فقد استخدمت أنواعاً من الطي والمجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة لتزيين أجزاء من جسمها، فمن أدوات الزينة التي استخدمتها المرأة الأحزمة الفضية على خصرها (وسطها)، والسلوس، والملاقف، والخلاليل، والخواتم، والقرط، والقلائد⁽²⁾. كما اهتمت النساء في تهامة بزينة جوههن بمادة الشاب⁽³⁾، كما يقمن بتخصيب جوههن وأيديهن وأرجلهن بنقوشات الحنا، وخاصة في المناسبات، كما استعملن الكحل والعطر لتطيب أجسادهن⁽⁴⁾.

أما أهم العطور التي كانت تستخدمها المرأة في تهامة الزباد⁽⁵⁾ وذلك لتعطير النحر والرقبة، كما يوضع وراء الأذن ويدهن به الشعر لإكسابه اللمعان والرائحة الطيبة، وكانت أكثر ما تستعمله المرأة في ليلة زفافها كما استخدمت المرأة في تهامة الكحل لتزيين العينين⁽⁶⁾.

-3 عادات الولادة والختان :

يمثل قدوم المولود فرحة كبرى في حياة الناس، لاسيما إذا كان ذكراً، وذلك أن الذكر يعني بدأً عاملة قوية تساند الأسرة، وتساعد في إعالتها، وتمدها بالإنجاب الضروري لبقائها، كما أن ولادة الذكر عندقبيلة يُعد مصدراً للجاه، وقوة يواجهون بها الآخرين. ولذا فقد كان السكان في تهامة يهتمون بإقامة الاحتفالات بقدوم الولد، ويعلنون الفرحة بذلك، وكانت عادة النساء في مثل

1 - هديل، مرجع سابق، ص 352.

2 - الأهدل، مرجع سابق، ص 4.

3 - الشاب: هو عبارة عن خليط من الأصبغة ، تضعها المرأة على وجهها ويديها لترطيبهما، كما تعتقد فيه المرأة الوقاية من حرارة الشمس .

4 - جوهر، مرجع سابق، ص 91-92.

5 - الزباد : هو عبارة عن سائل دهني عطري ، كان يدخل في صناعة العطور العربية التقليدية القديمة ، حيث يعمل على تثبيت وتركيز رواج العطور الأخرى، وكانت تستعمله المرأة التهامية بمرجعه مع عطور أخرى .

6 - pocok, Richard – Description of the East and some other countries- volum the first observation on Egypt – missing editor, p. 191.

هذه المناسبات تبادل الزيارات للمباركة بالمولود الجديد، وتقديم الهدايا العينية والنقدية للمولود وأمه، وعلى الأم الالتزام بإعادة هذه الهدايا في مناسبة مماثلة .

ففي تهامة يبدأ الاهتمام بالمولود منذ ظهور أعراض الحمل الأولى على المرأة حتى نهاية الأربعين بعد الوضع، ففي هذه المرحلة لا تغير المرأة كثيراً من نمط عملها في المنزل أو الحقل بسبب الحمل، عدا بعض المراعاة في الأسابيع الأولى من بداية الحمل، وذلك خوفاً على الجنين من السقوط، وذلك عن طريق تجنب حمل الأشياء الثقيلة، بعدها تمارس المرأة عملها بصورة طبيعية حتى تضع ولیدها، وأنشاء الأشهر الأخيرة من الحمل تحت نفسها ويحثها الآخرون على العمل والحركة المستمرة، وذلك على اعتبار أن ذلك يسهل عملية وضعها، ويحافظ على صحة الجنين، ويُضرب المثل بالمرأة التي يأتيها المخاض وهي في أثناء العمل، أو خارج المنزل وخاصة في الحقل، فتشبه باللبوة، ويُلقب طفلها بابن اللبواة، كرمز للقوة والشجاعة لكل من الأم ووليدتها ^(١) .

وفي لحظة الوضع ونزول الجنين تحرص الجنين، ويحرص من حولها على ضرورة استتهاضها من مكانها فوراً حتى تكون منتصبة القامة على الأقل، إذا لم تستطع أن تسير بضع خطوات في الغرفة، اعتقداً بأن ذلك يجعلها تتمثل للصحة بسرعة، ويجعل ولیدها ينهض هو الآخر بسرعة، وينمو في صحة جيدة، ولذا يُقال في المثل الشعبي المعبر عن هذا الموقف بالنسبة للشخص الناجح في حياته (ذرته وقامت) ، أي أنه عند وضعها له لم تتم بل قامت مباشرة، والعكس بالنسبة للشخص الفاشل في قال عنه (ذرته ونامت) ^(٢) .

وخلال الفترة الزمنية لدراستنا، ونظراً لعدم وجود مراكز صحية، كانت تتم الولادة بواسطة امرأة تسمى بالقابلة تستخدم علاجات طبيعية لتسهيل عملية الولادة مثل: السليط العربي (زيت السمسم)، وحبة البركة، والقرفة، وبعدها يحنك المولود بقليل من العسل أو التمر، ويوضع في إناء خاص لغسله، ثم يؤذن في أننيه ^(٣) .

1 - العودي، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية، مرجع سابق، ص 132 - 133 .

2 - المرجع نفسه، ص 133 .

3 - الجعدي، مرجع سابق، ص 53 .

ولتسمية المولود لابد من استشارة فقيه القرية، الذي يفتح كتاب التجيم لتحديد برج المولود قبل اختيار الاسم المناسب، وبعد اختيار الاسم يعمل له تميمة تربط على ساعد الطفل، وذلك للاعتقاد بأنها نقية من الشياطين⁽¹⁾.

وكان من عادات النساء في مناسبة الولادة، تبادل الزيارات للمباركة بالمولود الجديد والتي تستمر لمدة أربعين يوماً، وتقديم بعض الهدايا والنقود لأم الطفل كمساعدة لها لتوفير مستلزمات الولادة، ويطلق على هذه الهدايا باسم (رجاية)⁽²⁾، وهي إما أن تكون من الملابس أو الحلويات أو من النقود، أو من الفراخ الصغيرة، وكذلك مع كميات من الدقيق والسمن وتُعد هذه الرجاية من الهدايا الملزمة التي يجب على المرأة إرجاعها في ظرف مماثل، وهي أشبه ما تكون بالقاعدةعرفية الواجبة الاحترام والمراعاة⁽³⁾.

وكانت عادات ومراسيم الولادة ولازالت تنقل كاهل الكثيرون الأسر، وذلك لما يُنفق فيها من أموال، حيث تستمر الاحتفالات بالمولود من قبل النساء في كل ليلة لمدة أربعين يوماً، ويحضر النساء كل يوم من بعد العصر حتى منتصف الليل، ويتكلف الزوج نفقات ذلك الاجتماع يومياً من شاي وقهوة وحلويات ولذا يُقال في المثل الشعبي التهامي ((عُرسين ولاولاد))⁽⁴⁾، أي أن نفقات عرسين في الزواج أقل من نفقات الاحفال بولادة المولود في تهامة. وباكتمال الأربعين يوماً للمرأة بعد الولادة، يقوم الزوج بشراء قطعة قماش لها ثم تَرِين بمادة الحناء ويُقام لها حفلة يحضرها أغلب نساء الحي والأهل، يوزع فيها الشاي والقهوة والمكسرات، ويطلق على المرأة الولادة في تلك الليلة بعروسة الأربعين، حيث تعد نفسها لزوجها في ليلة عرسها الثاني⁽⁵⁾.

أما عملية الختان للمولود (الطهارة) فكان يتم في أغلب مناطق تهامة في اليوم السابع لولادته، ويقوم بعملية الختان حلاق القرية أو المنطقة، مستخدماً في ذلك آلة حادة تسمى بالموس

1 - طاهر، علوى عبد الله : الفولكلور اليمني، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ / 1992م ، ج2، ص 728 .

2 - الرجاية : كلمة تطلق على المدية التي تعطى للمرأة الوالد في تهامة ، ويبدوا أنها مشتقة من الكلمة رجاء ، وهو ما يرجوه الإنسان من مساعدة الآخرين وقت الحاجة ، أما في صنعاء فيطلق عليها باسم البنان . أنظر: العودي، مرجع سابق، ص 133 .

3 - المرجع نفسه .

4 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 390 .

5 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 390 - 391 .

أو الشفرة لقص اللحمة الزائدة التي تغطي ذكر المولود، وإيقاف نزيف الدم والألم يقوم الحلاق باستخدام بعض المواد الطبيعية، حيث يقوم بكسر بيضة، ويطلق بها موضع الجرح، مع إضافة مسحوق القرنفل أو السكر لإيقاف الدم، ومقابل هذا العمل يحصل الحلاق من أسرة المولود أجراً نقدياً، أو عيناً وغالباً ما يكون من محصول الذرة⁽¹⁾.

واحتفاء بهذه المناسبة يقوم الأب بذبح الذبائح، ليوزع بعضاً منها على الجيران والقراء، ويدعى الأقارب لتناول طعام الغداء، ويكون على رأس المدعويين حال المولود، وبعد تناول الغداء يُقام احتفال يطلق عليه بالمولود يتم فيه مضغ أوراق القات، وذكر اسم الله ابتهاجاً بهذه المناسبة⁽²⁾.

أما عندما يكون المولود أنثى فإن الذي يقوم بعملية الختان هي زوجة الحلاق، إلا أن ظاهرة ختان الإناث لم تكن منتشرة في كل مناطق تهامة، وقد بدأت هذه الظاهرة تتلاشى وتختفي نتيجة للوعي الاجتماعي، وذلك لما لهذه الظاهرة من أضرار على المرأة اجتماعياً وصحياً، وتختلف فرحة ختان الولد عن ختان البنت، حيث تختفي المظاهر الاحتفالية عند ختان الإناث.

أما في عصرنا الحالي فقد اختفت هذه العادات، واحتفت معها الاحتفالات بهذه المناسبة وأصبحت المراكز الصحية هي التي تجري هذه العملية وخاصة في المدن.

4- عادات الوفاة (المأتم).

إن من الطبيعي بعد أن تحدثنا عن عادات وتقالييد الزواج في تهامة، وما يرتبط بهما من عادات الولادة والختان، أن نتحدث عن عادات وتقالييد الوفاة. ففي اليمن ومنها تهامة يحترم السكان موتاهم ويعظمون سيرتهم، ولهذا كانت الجنائز عندهم من أهم المظاهر الدينية التي يسودها الشعور الحقيقي بالحزن والأسى. فمن العادات المتتبعة في تهامة عند وفاة أحد الأفراد أن يُنعي بموته في أحد مساجد المنطقة، ثم يغسل الميت وينقله المشيعون إلى مسجد آخر للصلوة عليه⁽³⁾.

أما عن طريقة غسل الميت ودفنه فقد كانت تتم بموجب خطوات تبدأ بوضع الميت على المغسل، قد يكون ذلك المغسل عبارة عن مكان مرتفع (دكة) أو سرير ليرتفع جسم الميت عن الأرض عند غسله، وتبدأ عملية الغسل بصب الماء على الميت لتنظيفه مع استعمال بعض المواد

1 - العمري، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 956.

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 390.

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 420.

المنظفة للجسم، وبعد تطهيره واتكمال غسله يمشط شعره ويرتب، ثم يوضع في كفأبيض، ويُرِّزَنْ جسمه بالطيب والمسك، وعند وضع الميت في قبره يوجه باتجاه القبلة، ويفك عن وجهه الكفن، ويوضع خده على التراب ثم يغطى لحده بالحجارة والطين، وخلال الدفن تتلى عليه آيات من القرآن الكريم والأدعية⁽¹⁾.

بعد الانتهاء من الدفن يُعلن حلاق المنطقة أو أحد الحاضرين من أقارب الميت الدعوة إلى قراءة القرآن وت تقديم العزاء في أحد المساجد بعد صلاة العشاء، حيث يتواجد الأقارب والجيران وسكان المنطقة إلى المسجد بعد صلاة العشاء لقراءة القرآن والدعاء للميت ومن ثم تقديم العزاء لأهل الميت، وتستمر هذه العادة لمدة ثلاثة أيام، كما يذهب البعض لتقديم العزاء في بيت الميت أو أحد أقاربه بعد صلاة العصر⁽²⁾.

وخلال فترة العزاء وخاصة في اليوم الثالث من الوفاة تقوم بعض الأسر ميسوري الحال بإقامة مأدبة غداء تذبح فيها الذبائح، ويدعى إليها سكان المنطقة لتناول الغداء والدعاء للميت، وبعد أربعين يوماً من الوفاة تقام ذكرى الأربعين للميت حيث يذكر فيه مآثر الميت وأعماله الخواه⁽³⁾.

أما عند النساء فتستمر فترة العزاء شهراً كاملاً، تلبس فيه النساء اللباس الأبيض، وليس الأسود كما هو شائع في بعض البلدان، حيث يتواجد نساء الحي من بعد صلاة العصر كل يوم إلى بيت الميت لقراءة القرآن، وفي اليوم الثالث من الوفاة يتجه أهل الميت من النساء عدا زوجته إلى المقبرة لزيارة الميت، أو كما يطلق عليه اصطلاحاً (فك الوحده)، ويحملن معهن بعض المواد الغذائية كالتمور ونوع من الخبز الهش يسمى (اللحوح) لتوزيعه على القراء، كما يضعن على قبر الميت نوع من الأشجار ذو الرائحة الجميلة والذي يسمى في تهامة (بالحباق)، ومن العادات المتبعه أن زوجة الميت لا تخرج من بيتها، ولا تمارس زيتها أثناء فترة الحداد التي تستمر لمدة أربعة أشهر وعشرون يوماً، بعدها تقوم المرأة بغسل رأسها ثم تلبس نوعاً من القماش الأبيض يسمى بالفتولي، للدلالة على انتهاء فترة الحداد، ومن ثم تمارس حياتها الاعتيادية بشكل طبيعي⁽⁴⁾.

1 - هديل، مرجع سابق، ص 262 - 263.

2 - فخرى، مرجع سابق، ص 93. ؛ الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 420.

3 - العودي، مرجع سابق، ص 139.

4 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 421.

أما إذا كان المتوفى شيخاً لأحد القبائل، فتختلف مراسم وعادات الوفاة عما ذكرناه قليلاً، حيث أنه بوفاة شيخ القبيلة تُقام له التعزيز ابتداءً بقراءة القرآن عليه ثلاثة أيام في المسجد، وبعد صلاة العشاء تجتمع أسرة المتوفى ببعض أفراد كبار القبيلة للتشاور في اختيار من يخلف الشيخ من الأسرة في مشيخة القبيلة، وعندما يتفق على الشخصية القادرة على إدارة أمور القبيلة، تبدأ الأسرة بمبادرته، ثم أعيان القبيلة، وبعد مرور ثلاثة أيام على الوفاة تقيم أسرة المتوفى وليمة تسمى بالثالث، حيث يحضره كل أبناء القبيلة مصطحبين معهم ما يسمى بالوصل الذي سبق أن أشرنا إليه، وهو عبارة عن رأس من الغنم أو الماعز أو البقر، أو مواد غذائية وذلك لمساعدة الشيخ الجديد في إقامة هذه الوليمة للحاضرين، حيث أنه أثناء هذه الوليمة تعلن البيعة من جميع الحاضرين للشيخ الجديد، ويتم التوقيع عليها، ثم تقرأ الفاتحة على روح المتوفى، يأتي هذا التقليد لحفظ وحدة القبيلة، وعدم تفرق كلمتها، وأبرز مثال على ذلك ما قامت به قبيلة الزرانيق في تهامة عند موت شيخها محمد يحيى منصر، حيث انتخبوا القبيلة ابنه يحيى بن محمد يحيى منصر في اليوم الثالث من الوفاة^(١).

5- عادات الأعياد والاحتفالات الدينية :

شكلت الأعياد والمواسم الدينية أحد أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة التي اعتاد السكان على إحياؤها والاحتفال بها، شأنهم في ذلك شأن بقية المسلمين في الأقطار الإسلامية الأخرى. ولعل من أبرز هذه الاحتفالات التي كان يحتفي بها سكان تهامة: الاحتفال بقدوم شهر رمضان، وعيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، والاحتفال بعودة الحاج، كما انفردت تهامة باحتفالات موسمية تمثلت بالاحتفال بنضوج التمر، وفيما يلي أبرز هذه الاحتفالات :

عادات استقبال شهر رمضان:

تختلف مظاهر استقبال شهر رمضان من بلد إلى آخر ، فكلّ له عاداته وتقاليده، ففي تهامة يتهيأ الناس لاستقبال شهر رمضان مادياً ومعنوياً من النصف الثاني من شعبان، وذلك لإعطائه حقه من صيام وفعل الخير والتصدق . فقبل دخول الشهر تقوم أغلب الأسر التهامية، بتتنيف

1 - المرجع نفسه، ص 421 - 422.

البيوت وتنظيمها، وتبييضها بماء الوره الحجري والجص، كي تكون ملائمة للجو الروحاني لشهر رمضان ولازالت هذه العادة تمارس حتى عصرنا الحالي⁽¹⁾.

وما إن يدخل رمضان حتى ترتسم البسمة على شفاه الأطفال والآباء فرحاً بقدوم الشهر، حيث يقوم السكان بالتهليل والتکبير وأداء بعض الأناشيد الدينية احتفاءً بهذه المناسبة، كما يهني بعضهم بعضاً بهذه المناسبة الدينية . وفي أثناء نهار رمضان يخلد معظم السكان إلى الراحة، بحيث يتغير نظام الحركة اليومية، ويتوقف الناس عن العمل، وتغلق المحلات والدكاكين أثناء النهار، حيث تبدأ الحركة التجارية من بعد صلاة العصر حتى وقت الفجر ، وبعد غروب الشمس يتناول المسلمون إفطارهم بقليل من الطعام والشراب، ثم يؤدون صلاة المغرب، ويتناولون الوجبة الأساسية العشاء، ثم يتوجهون إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح⁽²⁾ .

أما ليالي رمضان فتتقلب إلى حركة مستمرة حتى وقت السحور، بحيث يمارس فيها السكان أعمالهم، وفتح محلاتهم التجارية، ويقضيها البعض في قراءة القرآن وأداء صلاة التراويح في المساجد، واقامة حلقات الذكر، وقراءة الأحاديث النبوية، ك صحيح البخاري ومسلم، ورياض الصالحين، ويدخلون العشر الاواخر من رمضان يزداد الناس تعجاً وعكوفاً في المساجد والجوامع، ومن أعظم ليالي العشر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان إذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم لليالي السابقة، إذ يختتم فيها القرآن الكريم في أغلب مساجد وبيوت تهامة، وتوزع الحلويات، وترش العطور بهذه المناسبة، ولازالت هذه العادات تمارس حتى عصرنا الحالي⁽³⁾ .

عادات عيد الفطر والأضحى :

يحتفل المسلمون في تهامة في الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال بعيد الفطر، والذي يسمى بالعيد الصغير، حيث يتهيأ السكان لقادمه بشراء الملابس الجديدة، ومستلزمات العيد الغذائية، وفي يوم العيد يخرج الناس للصلاة إلى مصلى العيد والذي يكون عادة في مكان واسع بعيداً عن المساكن، وبعد الانتهاء من صلاة العيد يزور الناس بعضهم بعضاً ، ويتبادلون التهاني والتبريكات فيما بينهم، حيث تبدأ الزيارات للمعايدة والتي تستمر لمدة أيام العيد، بزيارة الأهل والأقارب، ثم

1 - هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 299.

2 - العيبكان، طرفة عبد العزيز، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، (د.ن)، الرياض، (د.ط)، 1406هـ / 1996م، ص 282.

3 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 416-417.

الجيران، ثم الأصدقاء، وتقدم في هذه الزيارات العطور والحلوى للمعайдين، أما ألفاظ التهاني التي كانت تتبادل بين السكان بهذه المناسبة عبارة: ((كل عام وانت بخير)) ولذا كانت المناسبة لعيد الأضحى فيقول الزائر بالإضافة إلى العبارة السابقة عبارة: ((كل عام وأنت حاج إشاء الله))^(١).

ومن العادات التي يمارسها السكان في تهامة خلال مناسبات الأعياد هي تقديم هدايا للأقارب من النساء والتي تسمى في تهامة (بالعودية)، وتسمى في صنعاء بـ(العسب)، وكانت هذه الهدايا تقدم على شكل مواد غذائية من حبوب الذرة أو السمون أو من اللحم، أما في عصرنا الحالي فقد صار النقد هو الغالب في الريف والمدينة^(٢). وكان الاهتمام الأكثر للمرأة بعيدة عن الأسرة أي التي تتنقل بعد زواجها إلى منطقة أخرى، حيث يعطي لها كمية أوفر من العودة، كما يحصل الأطفال بمناسبة الأعياد على مبالغ نقدية بسيطة تسمى بالعيدية^(٣).

أما عيد الأضحى فيعد أكثر أهمية واحتفاء به من الناحية الشعبية والاجتماعية، وتتبع فيه أغلب التقاليد التي يمارسها السكان في عيد الفطر، مع مباشرة ذبح الأضحية بعد العودة من صلاة عيد الأضحى.

ولم يقتصر سكان تهامة على الاحتفالات بالعيدين فقط، فقد كان هناك مناسبات دينية حرصوا على الاحتفال بها، كالاحتفال بالمولود النبوى الشريف الذى يعده بعض المتسكين بالعادات الإسلامية من البدع المستحدثة في الدين، لكن بعض المسلمين رغبة منهم في تكريم نبيهم يحتفلون بموالده في كل عام يوم 12 ربيع الأول . حيث يقوم الناس في هذا اليوم بزيارة مقابر موتاهم، ويدعون لهم بالمغفرة، كما يقوم بعض الأغنياء بالتصدق على الفقراء، كما يوسعون على أولادهم، وذلك بشراء الملابس الجديدة. كما يقوم أغلب السكان وخاصة في مدينة زبيد والمناطق المجاورة لها بتأخير وجبة الغداء إلى وجبة عشاء، وبعد صلاة العشاء يتم الاحتفال بالمولود النبوى

1 - هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 300 .؛ الحضرمي، ثامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 417.

2 - إن ظاهرة استبدال الناس لتلك الهدايا العينية بمدحيا نقدية في وقتنا الحالي، إنما يدل على متغيرات العصر الاقتصادية والتجارية، وانخiar البناء الاقتصادي التقليدي، والذي كان يعتمد بدرجة أساسية على الزراعة، والذي تحول إلى بناء سوقي دولي.

3 - العودي، مرجع سابق، ص 149 - 150 .

في البيوت والمساجد من خلال تدرس سيرة الرسول وحياته الدعوية، ويستمر ذلك حتى وقت الفجر⁽¹⁾.

كما كان يحتفل بليلة الإسراء والمعراج، في السابع والعشرين من رجب من كل عام، وتمارس فيها من المظاهر ما يمارس في ليلة المولد النبوى. وكانت أكثر المناطق التهامية احتفاء بهذه الليلة هي منطقة حيس، حيث كان يفد إليها في هذه الليلة عدد كبير من السكان من المناطق الأخرى لإحياء هذه الليلة حتى طلوع الفجر، وبعد الفجر يقوم مجموعة من الشباب بالسباق على الخيول أمام الحاضرين، منهين بذلك فرحتهم، وتسمى هذه العملية بالتصبيحة، ولازالت هذه العادة تمارس حتى عصرنا الحالي⁽²⁾.

أما لليلة النصف من شعبان، فكان يحتفل بها السكان اعتقاداً من بعضهم باعتبارها وقت تثبيت مصير الإنسان في العام التالي، حيث كان يعتقد أن هناك شجرة في الجنة تسمى شجرة المنتهي تحمل أوراقاً بعدد البشر الأحياء، وكل ورقة تحمل اسم شخص واحد، وتهز الشجرة في ليلة النصف من شعبان بعد الغروب، ومن كان مقدراً له الموت خلال العام القادم تسقط ورقته، ولذا فإن الناس يجتمعون في تلك الليلة بالمساجد لتأدية الصلاة، وترديد بعض الأدعية الخاصة بتلك المناسبة⁽³⁾. ويبتهر الناس في هذه الليلة، وتوزع الحلويات على الأيتام والقراء، وكان أكثر اهتماماً بها هم العلماء، وتسمى في تهامة بليلة البهجة ، وكانت أكثر المناطق التهامية احتفاء بهذه الليلة هي منطقة الجراحى، حيث تتم السهرة فيها حتى الصباح، وبعد طلوع الفجر يقام مهرجان تنافسي يتم فيه السباق على الخيول⁽⁴⁾ . ومن العادات المتبعة في ليلة النصف من شعبان وخاصة في مدينة زبيد، أنه يتوجه أغلب سكان المدينة بعد صلاة العشاء إلى مسجد في المدينة يعرف بمسجد البرم يجلسون فيه على شكل حلقات يسبحون الله ويدركونه، وبعد الانتهاء من ذلك يقوم أحد السادة من بنى الأنباري والذي يُعتقد فيه بأنه يمتلك شعرة من شعرات الرسول محفوظة لديه

1 - هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 300 – 301.

2 - المرجع نفسه، ص 301.

3 - عمر، إبراهيم سمير: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1992، ص 205.

4 - لطف، الجهات الحسينية، مرجع سابق، ص 252.

في وعاء زجاجي محكم، توارثتها الأسرة عبر الأجداد، حيث يقوم بإخراجها للناس لرؤيتها، وتقبيلها كل على حده وذلك تبركاً بها ولازالت هذه العادة تمارس حتى وقتنا الحالي⁽¹⁾.

ومن الاحفالات التي كانت تمارس في تهامة خلال فترة الدراسة، الاحتفال بعودة الحاج من الأماكن المقدسة، وكان حجم الاحفال يتحدد بمكانة الحاج في المجتمع، وحالته المادية، فمن العادات المتبعة في هذه المناسبة إنه بعد إكمال الحاج مناسك الحج ورجوعه إلى أهله يستقبل استقبالاً حاراً من قبل سكان بلدته ويُعد له المدراهة (المرجوحة) للتاريخ بها، وما إن يصل منزله يحضر سكان القرية لتهنئته والسلام عليه، ثم يقوم حلاق القرية بغسل قدمي الحاج وازالة غبار السفر، كما يقوم بعض الحاج وخاصه المؤسرين منهم بإعداد وليمة يدعى فيها الجiran والأصدقاء، وبعد صلاة العشاء يزف الحاج في موكب من سكان منطقته من المسجد إلى منزله، تردد فيه الأناشيد الدينية المعبرة عن هذه المناسبة ، وبهذه الزفة تنتهي مراسيم الاحفال بعود الحاج⁽²⁾.

ومن الاحفالات التي اعتاد الناس على إقامتها هي الاحفال بتخرج الصبي من المعلمة(لُكَّاب)، وكماله لحفظ القرآن الكريم، وكانت تقام بهذه المناسبة مراسيم احتفائية، تمثل بإقامة حفلة للطالب الذي أكمل حفظ القرآن يدعى إليها الجiran والأصدقاء من الرجال والنساء، وفي مقدمة الجميع فقيه القرية وزملاء الطالب، حيث تردد في هذه الحفلة الأناشيد الدينية المعبرة عن هذه المناسبة، التي تتناول في مضمونها أهمية حفظ كتاب الله والاهتمام به، والإشادة بأسرة الطالب وبالفقير الذي تولى تعليمه وتهذيبه⁽³⁾ . وفي أثناء الاحفال يلقى الفقيه (المعلم) قصيدة ملحنة تسمى (بالزملة) تلقى عادة في أغلب الاحفالات التي تقام بهذه المناسبة، ومن أبرز هذه القصائد المشهورة⁽⁴⁾:

لصلة الإسلام واجتبانا	الحمد لله الذي هدانا
من بعد ماكنا من العُميانا	علمنا من فضله القرآن
حتى جلسنا مجلس الفتىانا	لا نعرف الخط ولا البيانا

1 - الحضرمي، قحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 415 - 416.

2 - المرجع نفسه، ص 423 - 432.

3 - بازي، داود : مراسيم الاحفال بتخرج الصبي من المعلمة، مجلة الغراء، زيد، ع (7,8) يناير، يونيو / كانون الثاني . حزيران 2007م ، ص 67 .

4 - المرجع نفسه، ص 68 .

ثم يختتم الفقيه هذه القصيدة بالإشادة بالطالب واجتهاده، ويمسك بيده قائلاً أمام الحاضرين:

تعلم القرآن واجتاز الأدب	هذا ولدكم قد فرقي وقد كتب
وليس مثل العلم شيء مستحب	فأ والله يعطي ويجازي ويهب
فاطرح على اللوح دنانير ذهب	العلم مصباح ونماوج وأدب

وما إن ينتهي الفقيه من قصيّته حتى يبادر الحضور وأسرة الطالب بوضع إname من المعدن، يضعون فيه نقوداً معدنية، كلّ حسب حالته المادية، حيث تجمع هذه النقود وتعطى للفقيه تكريماً له.

كما تقوم بعض الأسر الميسورة بإعداد وليمة غداء للمدعّوين بهذه المناسبة، وبعد صلاة العشاء يتواجد المدعّوين والأقارب والجيران إلى أقرب مسجد لبيت الطالب لزفافه على نغمات الأناشيد الدينية، وسط فرحة الجميع، حيث يستمر موكب الزفاف حتى باب منزل الطالب، حيث يُختتم هذا الحفل بالدعاء والاستغفار، ثم قراءة الفاتحة^(١).

يتضح مما سبق، أن هذه المراسيم الاحتفالية، إنما تؤكد على مكانة كتاب الله لدى المجتمع خلال فترة الدراسة، وعاداته وتقاليده النابعة من إيمانه بأهمية العلم والدور الكبير الذي يلعبه العلماء في الحياة العامة، كما تبين مدى التشجيع والتحفيز الذي كان يوليه الآباء للاهتمام بحفظ القرآن الكريم.

فضلاً عن ذلك فقد شهدت تهامة خلال فترة الدراسة عدداً من الاحتفالات الموسمية التي اعتاد السكان على إقامتها سنويًا من هذه الاحتفالات: الاحتفال بنضوج التمور وهو احتفال اعتاد سكان تهامة على إحيائه موسمياً، إذ كان الناس يتواجدون من مختلف القرى والمدن التهامية إلى مناطق النخيل للمشاركة فيه، وتستمر تلك الاحتفالات حتى نهاية جني التمور، والتي تستمر غالباً لمدة ثلاثة أشهر^(٢). كانت هذه الاحتفالات تعبر عن مدى الاحتفاء بهذه المناسبة، والتي تتخللها استعراضات من الرقصات التهامية، وسباق الخيول والهجن (الجمال)، وب مجرد الانتهاء من جني ثمار النخيل يرجع الناس إلى قراهم ومساكنهم .

كما تفرد سكان مدينة زبيد بمناسبة أخرى لنضوج التمور، وهي المعروفة بسبوت النخل، إذ يخرجون في أيام البسر والرطب من كل يوم سبت إلى بساتين النخيل برجالهم ونسائهم، ويخرجون

1 - المرجع نفسه، ص 68 - 70 .

2 - تبدأ عادة من شهر مايو / أيار وحتى نهاية أغسطس / آب .

معهم بعض آلات الطرب، كما يخرج الباعة لبيع الفواكه والمواد الغذائية، وتقام الاحتفالات وينعش البيع والشراء وسط فرحة الجميع وبهجتهم⁽¹⁾.

6- البيوت في تهامة :

يُعد البيت التهامي في مدن وأرياف تهامة دليلاً حسياً على وضع صاحبه الاجتماعي من حيث الغنى والفقير، فبيوت الفقراء كانت أغلبها يتتألف من غرفة واحدة، أو كوخ (عش) وحولها حظيرة للحيوانات، مع تخصيص مكان بجانب الكوخ للطبخ . أما بيوت الوجهاء من السادة والقضاة وشيوخ القبائل، فكانت تتميز إلى حد كبير بسعتها، وموقعها المتميز، لأن تكون على ربوة عالية، أو بعيدة إلى حد ما عن بيوت الفلاحين للتميز الأكثر لها .

ويختلف بناء وشكل هذه البيوت في تهامة من منطقة إلى أخرى في المدن⁽²⁾ كانت البيوت تبني بالطين المحروق، والذي يعرف في تهامة بالأجر أو القولب، والذي تتم صناعته بمزج التراب النقي والناعم مع مخلفات زراعية، وخاصة مخلفات محصول الدخن والذي يسمى بالحماط وبعضاً من مخلفات الماشية (الذبل)، حيث تخلط مع بعضها بالماء ويختمر لفترة معينة، بعدها يوضع في أواني على شكل مربيعات ومستويات، وبعد تعرضه للشمس يحرق بالنار في أفران خاصة، وبعد خروجه من الأفران يصبح جاهزاً للاستخدام⁽³⁾.

كما استخدم الطين النيري، والنوره، والجص، والخشب كمواد مكملة لبناء البيوت في مدن تهامة، حيث كان يستخدم الطين والنوره للربط بين أعمال البناء، وتكسية وطلاء الجدران، وتشكيل وزخرفة المباني وعمل النقوش وتعود النوره البيضاء ولازالت تمثل العنصر الأهم في بناء البيوت في تهامة، وذلك لما لها من أهمية في إضفاء الجوانب الجمالية على البيت التهامي وخاصة في المدن⁽⁴⁾.

1 - السروري، مرجع سابق، ص 686.

2 - تعد مدینيتي الجديدة وزبيد من أبرز المدن في خامسة خلال فترة الدراسة ، والتي كانت أغلب بيوعها يبني بالأجر (الطوب الأحمر) .

3 - الشلالي، صلاح حمود : تراث الفن المعماري والفضاء الداخلي لمدينة وريف زيد ، مجلة خامسة، جامعة الجديدة، ع (8)، يوليو/ تموز 2007م، ص 13 – 14.

4 - لطف، مرجع سابق، ص 144.

أما الجص والأخشاب فقد استخدمت لتغطية الأسقف والقباب، كما استخدم الجص لتغطية الواجهات الأمامية للمنازل⁽¹⁾. وكان لهذه المواد السابقة دور في التقليل من درجة حرارة المساكن في تهامة خلال فصل الصيف، حيث تساعده على عكس الإشعاع الشمسي، ومنع دخول الحرارة إلى الداخل، وذلك بامتصاص وحزن الفائض منها أثناء النهار، ثم التخلص منه أثناء الليل⁽²⁾. وتحاط البيوت في مدن تهامة، بجدران سميكة من الأجر (القولب)، والذي يتميز بجمال واجهاته الخارجية، أما واجهاته الداخلية فتطلّى بمادة الجص، وذلك مما يساعد على التقليل من درجة الحرارة⁽³⁾.

أما عن مكونات البيت التهامي في المدن في تكون بصفة عامة مما يلي⁽⁴⁾ :

1- **الباب الخارجي**: وهو المدخل الرئيسي للمنزل، ويكون هذا الباب غالباً من فردين (مصراعين) من الخشب، يختلف هذا الباب من منزل إلى آخر من حيث الكبر والصغر، حيث أن كبر مساحة هذا الباب تدلّ على مكانة صاحب المنزل الاجتماعية، وحالته المادية، ويعرف هذا الباب في تهامة بالباب البراني (أي الخارجي)، وذلك لأن معظم بيوت تهامة لها بابان، هذا الباب وباب داخلي ينفذ إلى ساحة البيت.

2- **الليوان**: وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل، تخصص لاستقبال الضيوف، وتسمى بالمبرز أو الديوان، ويوجد الليوان غالباً في بيوت ميسوري الحال، والعلماء ذو الواجهة في المنطقة، ويتميز بزخرفة واجهته الأمامية، كون موقعه مواجهاً للباب الخارجي، حيث أنه أول ما يواجه الضيوف عند دخول البيت .

3- **المريعة** : وهي عبارة عن غرفة واحدة يتسع صدرها لأربعة أو خمسة أسرة خشبية، وتعد المقر الرئيسي للأسرة التهامية، حيث يتم فيها ممارسة الأعمال المنزلية، كما يتم فيها النوم خلال فصل الشتاء، وهي أقل مساحة من الليوان، وتتميز المريعة باحتواها على مساحة واسعة أمامها تسمى بالقبل أو الفناء يستخدم لنوم الأسرة في فصل الصيف، وتُزين المريعة بزخارف جميلة من الداخل

1 - بونفان ، العمارة في زيد ، مرجع سابق ، ص 2155 .

2 - الشلالي ، مرجع سابق ، ص 14 .

3 - المرجع نفسه ، ص 19 – 20 .

4 - بازي ، داود : فنون العمارة التقليدية في مدينة زيد ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب – جامعة الحديدية بعنوان ((زيد وصلاحها العلمية بالعالم العربي والإسلامي)) للفترة من 14-17 ديسمبر / كانون أول ، 2002م ، ص 53-72 . ٤ الشلالي ، مرجع سابق ، ص 25-35 .

ت تكون من عقود وثريات، كما يعنى بزخرفة أبوابها على نحو يعطيها تميزها المستقل، وطابعها التهامي، أما أرضيتها فكانت تبلط بطبقة مرصوفة من الطين، أو بالأسمنت في وقتنا الحالى .

4- **الخلوة:** وهي عبارة عن غرفة صغيرة، يتم بناؤها في أعلى المربعة، تستخدم كاستراحة لرب الأسرة، وتتميز باحتوائها على باب مستقل، يتم الصعود إليها بواسطة درج حجري .

5- **الصفة:** هي عبارة عن غرفة صغيرة، أشبه بالسقية مفتوحة من الجانبين، يتم بناؤها أمام المربعة، تفصل بينهما ساحة القبل، تستخدم لاستراحة الأسرة وقت الظهيرة، كما يوجد فيها الأغراض المنزلية كالفرش والوسائل .

أما في القرى والأرياف فكانت المساكن عبارة عن أكواخ دائمة ، تبنى من أعشاب وغضون الأشجار، تسمى هذه الأكواخ في تهامة بالعشة أو الديمة⁽¹⁾ .

وفي وصف هذه المساكن البسيطة يقول الرحالة نبيور : () أما في تهامة فمعظم بيوتها عبارة عن أكواخ، وبناؤها لا يكلف كثيراً، فهي تبنى من أغصان الشجر والأعشاب، وتكتسى جدرانها بالطين المخلوط بمخلفات الحيوانات، وتدهن من الداخل بالكلس، وسقوفها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في تهامة، ونادراً ما تكون لها نوافذ، أما الأبواب فهي مجرد قطعة من الحصير، وفي هذه البيوت وحولها توضع سرر (مقاعد) أشبه بكراسي طويلة منسوج سطحها بخيوط من القش، ويجلس عليها المرء وينام بارتياح، ونادراً ما تكون الأكواخ مقسمة من الداخل إلى أجنحة أو حجرات، فإذا كان حجم الأسرة كبيراً، ... فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة، ثم تحاط جميعها بسياج واحد يبنى من أغصان الشجر)⁽²⁾ .

ويرجع السبب في اتخاذ هذا النمط السكنى في قرى وأرياف تهامة إلى حرارة المنطقة، الذي يفرض اتخاذ هذا النمط مما يساعد بدوره على التخفيف من درجة الحرارة وبخاصة في فصل الصيف، ومرور الهواء إلى داخل الكوخ⁽³⁾. كما يضيف الباحث бритانى إدجار أوبالانس سيباً آخر حيث يقول: () أما في تهامة فيستخدم السكان الأكواخ المصنوعة من القش وأعواد البوص، حيث لا توجد عندهم فكرة دفاعية طالما أنهم لا يملكون إلا القليل أولاً يملكون أشياء ذات بال، وعندما تلوح المتابع في الأفق سرعان ما يولون الأدبار أكثر من بقائهم ودفعهم، حيث

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 77 - 78.

2 - الصائدي، للادة التاريخية في كتابات نبيور عن اليمن، مرجع سابق، ص 199 .

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 77 - 78.

يستطيعون بسرعة تشييد العديد من الأكواخ المصنوعة من القش، حيثما ينتهي بهم المطاف
(١) .

أما عن طريقة بناء الكوخ فكان يتم بطريقة تقليدية، حيث تبدأ الخطوة الأولى في بنائه بإقامة أساس الكوخ، والذي يبنى من الطين والحجارة على هيئة جدار دائري أو مربع، يتم ارتفاعه عن الأرض بنحو مترين^(٢) . بعد إقامة الأساس يأتي دور بناء رأس الكوخ (العشة)، والذي يقام على شكل هرمي، حيث توضع مجموعة من الأخشاب تسمى الضلوع على الجدار المقام بشكل مائل على هيئة هرم أو مخروط من جميع الجهات، حيث تلاقى رؤوس الأخشاب من أعلى، ثم يشد بعضها إلى بعض وتغطى بفروع الأشجار اليابسة، ثم تشد بالحبال شدًا محكمًا ابتداءً من الأسفل إلى الأعلى، ثم يغطى رأس العشة بالقش ويشد بالحبال، وبعد إكمال بناء العشة، تظل وجهتها الداخلية بالطين المخلوط بمخلفات الحيوانات، ثم تبيض بمادة التوره (الكلس) أو الجص^(٣) .

ومن خلال ما سبق يتضح أن بناء البيوت في مدن وقرى تهامة، وتتنوع أدوات ومواد البناء المتمثل بالطين والأجر والثورة والأخشاب، يتناسب مع طبيعة المنطقة ذو المناخ الحار في فصل الصيف، كما كان يشكل نمطاً معمرياً له القدرة على التأثير الحراري، من خلال توجيه المبني والوظائف، واختيار المواد المناسبة العازلة للحرارة، كما كان لارتفاع الأسفاق في بيوت المدن، وجود الفتحات المتعددة للمنزل التهامي دور في تشطيط حركة الهواء، والتحكم الحجمي بالحرارة المكتسبة من خلال طرد الهواء الحار عبر هذه الفتحات .

7- الأكلات الشعبية في تهامة :

لكل مجتمع مأكولاته الخاصة، وطريقته في إعدادها التي يعتاد عليها ويألفها، وإن فرضته عليه بيئته، إلا أنه يجد فيه ما يكفيه، ويسد به رمقه ويشبعه. وقد اختلفت صناعة المأكولات في اليمن من منطقة إلى أخرى، كما اشتهرت كل منطقة عن غيرها بـمأكولات تميزت بها وأصبحت تُعرف بها.

ففي تهامة اعتمد السكان في طعامهم على ما تنتجه المنطقة من ثروات زراعية وحيوانية. وكانت من أهم محاصيلهم الذرة بأنواعها الأصفر والأحمر والأبيض والدخن، لهذا كان خبزهم

1- أوبالا نس، إدخار : اليمن الثورة وال الحرب، تر/ عبد الخالق محمد لاشين، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط2، 1990م، ص 51

2- جوهر، مرجع سابق، ص 77 - 78

3- شحاب، قبيلة الزرانيق، مرجع سابق ، ص 42 - 43 .؛ مقتضى، مرجع سابق، ص 90 - 91 .

يُصنَع من هذه المحاصيل⁽¹⁾. كما عُرف عن أغلب السكان بأكلهم للملوخية والباميا، وطباخة الخفوش (الكبان)، واللحوح، والفتير، وكانت هذه الأكلات من الوجبات الأساسية للسكان، وبخاصة الفقراء⁽²⁾.

ومن مأكولات السكان في تهامة وخاصة في المدن الساحلية السمك، الذي كان يُحفظ بطريقة بدائية عن طريق الملح، وكان يطبخ مع التمر الهندي الذي يسمى بالحمر، كما تستعمل الشطة (الفلفل الحار) في طبخه، وتعد هذه الأكلة بالإضافة إلى الفتة التي هي عبارة عن خبز مخلوط بالموز والعسل من أحب أنواع المأكولات الشعبية لدى السكان حتى وقتنا الحالي⁽³⁾.

وكان من مأكولاتهم اللحوم، وذلك لتوفر الثروة الحيوانية في تهامة من أغنام ومامعز وأبقار وجمال، كما استفادوا من مشتقاتها في صناعة الأجبان، واستخراج اللبن والسمن.

وقد اختلف استخدام تناول المأكولات بين فئات المجتمع التهامي، وذلك بحسب مراكزهم الاجتماعية، فكان للفئات الغنية ومن في مستواهم طعام منوع وفاخر يحتوي على العسل واللحm والسمن البلدي، وخبز القمح المستورد والذي لا يستطيع شراءه، (خلال فترة الدراسة)، إلا فئة الأغنياء والتجار، وغيرها من الفواكه، بينما كانت الفئات الفقيرة من عامة الناس لا يأكلون إلا ما تيسر لهم من الطعام ، فكان أهل الحرف من الصيادين وال فلاحين ومن في مستواهم يتناولون طعاماً بسيطاً ، يحتوي على فطيرة وخبز ذرة ولبن، أو رغيف دخن وكبان وقليل من زيت السمسم⁽⁴⁾.

أما حالياً فقد أصبح الأرز هو الطعام الرئيسي لأغلب سكان تهامة مضافاً إليه اللحم، وتُعد وجبة الفطور والغداء من الوجبات الأساسية، أما وجبة العشاء فيأتي وقتها عند أغلب السكان أثاء مضغ أوراق القات الذي يعطي شعوراً كاذباً بالشبع، حيث يكتفي الفرد بشرب كأس من الطيب بدلاً من وجبة العشاء، أما عن فواكههم فهي البطيخ الذي يسمى (بالححب)، والموز الذي يزرع بكثرة على أودية تهامة، والأناناس الذي يعرف بالشمام، والمانجو والبلح .

8- الرقصات والأغاني الشعبية في تهامة:

أ- الرقصات الشعبية:

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 96.

2 - السروري، مرجع سابق، ص 691.

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 99 - 102.

4 - جوهر، مرجع سابق، ص 102.

يُعد الرقص من الموروثات الشعبية لأيمجتمع، يستطيع الفرد من خلاله أن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الحياة. ويرى بعض الباحثين أن الإنسان منذ القدم حاول أن يحاكي ما في الطبيعة من كائنات، فذهب يقلدتها ويتعلم منها، ولم يلبث أن تحول هذا التقليد إلى رقصات وألعاب شعبية، أصبحت تمارس كطقوس يؤديها الإنسان في أفراده^(١).

وقد اشتهرت تهامة بالعديد من الرقصات الشعبية والتي تزيد عن 18 نوعاً، تختلف من منطقة إلى أخرى، تعتمد في أدائها على إيقاع الطبل والمزمار بشكل خاص، وتتميز بإيقاعاتها التعبيرية، وتؤدي جماعياً في كثير من ضروبها أو على إنفراد.

ومن أبرز الرقصات والألعاب الشعبية في تهامة ماليلا :

1- الحقة: وهي رقصة تؤدي بحركة خففة، ويشكل جماعي على صوت الطبل والمزمار (القصبة)، لها إيقاع هادئ، وحركات خاصة منتظمة تسمى هذه الرقصة في مدينة حيس بالليماني^(٢). تؤدي هذه الرقصة بأن يقف الراقصون صفاً واحداً وبنظام متوجهين بوجوههم إلى الأمام، ثم يبدأون بالتحرك صعوداً وهبوطاً دون الوصول إلى الأرض، وتتكرر هذه الحركات عدة مرات دون الرجوع إلى وضع الاعتدال، وأنباء تأدية هذه الحركات الراقصة على صوت المزمار، يتم الدوران بحركة خففة والعودة إلى الوضع الطبيعي في الهبوط والصعود، مستمرين في ذلك حتى نهاية الرقصة^(٣).

2- رقصة الجل: وهي رقصة تؤدي من قبل راقص واحد، يستخدم في أدائها سيفين أو خنجرين يطلق عليهما في تهامة بالجنبية، حيث يقوم الراقص بإمرار الخنجرين بحركات سريعة من تحت إبطيه، وتقليلهما في يديه مع الدوران، وهي رقصة تتطلب مهارة وخبرة من الراقص وذلك لتجنب أي خطر أثناء نقليه للخنجرين^(٤).

3- رقصة الشَّنْبُ: تؤدي هذه الرقصة على صوت الطبل والمزمار، وتؤدي بشكل فردي، وغالباً ما تؤدي بشكل جماعي، وتمثل بأن يقوم الراقص بحمل خنجر في يديه، ويحركهما بين فخذيه مؤدياً

1 - بازي، داود : الرقص الشعبي في مدينة زيد، صحيفة الثقافية، ع (11)، سبتمبر / أيلول ، 1999م، ص 5 .

2 - مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب / عبد الجبار باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 7/6/2009م .

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 445 .

4 - العُمري، عبدالله خادم : الرقص الشعبي في تهامة (ضمن مسرحية فلكلور تهامي) (د.ن)، (د.م)، ط 2 ، 1997م، ص 107 – 109 .

قفزات إلى أعلى، حيث يقوم برفع رجليه الواحدة تلو الأخرى مع تمريض الخنجرين بينهما أثناء القفز ، وذلك في حركة سريعة⁽¹⁾ .

4- رقصة الحَجْة (المُحْجَل) : تؤدي هذه الرقصة بين راقصين، وقد يقوم بها راقص واحد على إيقاع الطبول، وكيفيتها هو أن يقوم الراقص بالوقوف على إحدى قدميه، بينما يرفع الأخرى عن الأرض، ثم يبدأ الرقص بالهبوط إلى أسفل ببطء شديد، دون أن تسقط قدمه المرفوعة، ثم يصعد إلى أعلى في كل مرة، وتتكرر هذه العملية حتى يشعر الراقص بالتعب فتنتهي الرقصة⁽²⁾ .

5- رقصة الشامِيَّة : ترجع أصل هذه الرقصة إلى بلاد الشام، وهي مأخوذة من رقصة الدبكة التي تشتهر بها بلاد الشام، وتؤدي بشكل فردي من خلال قيام الراقص باستخدام عصى طويلة أو سيف للعب بهما في الهواء، مؤدياً بذلك حركات سريعة يستخدم فيها القدم للركل، ثم القفز إلى أعلى . فضلاً عن ذلك فقد انفردت بعض الفئات في تهامة بممارسة رقصات معينة، ومن أهم هذه الرقصات:

6- رقصة الْكُدُّي: وتسمى برقصة العُرِيسِي، نسبة إلى فئة الريسا (الحلاقين) التي تفردت بهذه الرقصة، حيث يؤدونها في أعراسهم بشكل جماعي ذكوراً وإناثاً، وتمثل بأن يقوم الراقصون بهز الكفين يميناً وشمالاً بحركة سريعة، وتحريك اليدين إلى الأمام مع الدوران، ثم الهبوط إلى أسفل والصعود إلى أعلى وذلك على صوت الطبل والمزمار .

7- رقصة الطَّبْعَة: وهي رقصة انفردت بها فئة الأخدام في أعراسهم، ولذا يسميها البعض برقصة (الْخُدُمي)، تؤدي بشكل جماعي، تبدأ برافقين يقان في مواجهة بعضهما وجهاً لوجه في مساحة ضيقة، يحيط بهما مجموعة من الناس، حيث يقوم كل راقص بمد ذراعيه يميناً وشمالاً على كتفي من بجواره، بينما أطراف قدمي كل منها ملتصقة ببعضها، وعلى إيقاع الطبل والمزمار يحرك كل راقص قدميه إلى الأعلى الواحدة تلو الأخرى بشكل منتظم وموزون ، ونزلالها بقوة إلى الأرض في وقت واحد (أي أنهما يضربان الأرض بقدميهما بضربات متسرعة)، ولذا سميت بالطبعية، وأكثر ما تؤدي هذه الرقصة في أعراس الأخدام، حيث يشترك العريس والعروس في هذه الرقصة . فقد ذكر المؤرخ الحضرمي في كتابه، أن العروسة عندما تزف إلى بيت عريسها، ترفض الدخول إلى بيت عريسها، إلاَّ بعد أن يحضر والد العريس وأهله لاستقبالها، ثم ينزل العريس

1 - المرجع نفسه، ص 109 .

2 - المرجع نفسه .

يرقص معها رقصة الطبعة أمام الحاضرين : (رجلاً برجل، وكتفاً بكتف ، بالتصاق وانفراد قدر ساعة، حتى تعرف قوته من خلال استمرار الرقص من عدمه)⁽¹⁾.

بـ- الأغاني الشعبية والأهازيج :

تُعد الأغنية الشعبية نوع من أنواع الأدب الشعبي، يتغنى بها الناس تحت تأثير انطباعاتهم وانفعالاتهم، فهي تعكس حال المجتمع، وتلخص حياته في أقوال وكلمات ولها مذاقات مختلفة، تناسب الموقف وتصبّعه بنكهة خاصة مفعمة بالمشاعر الجيّشة⁽²⁾. لقد بدأت الأغنية الشعبية مرتجلة تحركها روح الدعاية واللِّفَحة، ثم أفرغ فيها المجتمع معتقداته وطورها باستمرار نحو الأفضل متأثرة بالتطور التاريخي للمجتمع، مما أدى إلى استبدال اللحن تجاوباً مع ظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. وقد شكلت الأغنية الشعبية جزءاً مهماً من التراث الشعبي اليمني بشكل عام، وفي تهامة بشكل خاص، حيث أنها تعكس عادات المجتمع وتقاليده، من خلال تقديم صورة عن هذه العادات والتقاليد، والقواعد السلوكية، والقيم الأخلاقية، والمعتقدات التي تو kab حياة المجتمع في جميع مناحيه⁽³⁾.

وبطبيعة الحال يمكن تقسيم هذه الأغاني إلى أنواع منها :

1- أغاني المرأة : وهي أغاني كانت تغينها المرأة في تهامة عند قيامها بالأعمال المنزلية لخفيف وطأة العمل عليها، وقد تتوعّت وتعددت أساليب الإلقاء والأداء لهذه الأغاني، فمنها ما كان يتم بطريقة فردية، ومنها ما يتم بطريقة جماعية، وتختلف أنغامها باختلاف أداة العمل المستعملة⁽⁴⁾.

ومن هذه الأغاني التي كانت تغينها المرأة في تهامة :

أ- أغاني المهد: ويقصد بها الألفاظ الدالة على الحركات التي كانت تقوم بها المرأة أثناء تنويم طفليها، وملاءعته ومضاحكته، وهي ترانيم موزونة تصحب عادة مداعبة الطفل، وتحريك سريره لي้นام، أو لحمله ليكف عن البكاء، أو لتدعيله أثناء تدليك جسمه، وهي أغاني تصدر عن الأم

1 - الحضرمي، قحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 392.

2 - بازي : الأغنية الشعبية (أغاني المهد)، مجلة الغراء، زيد، ع(5-6) ، يوليوا - ديسمبر / تموز - كانون الأول 2006، ص 66 - 68 .

3 - بازي، الأغنية الشعبية، مرجع سابق، ص 68.

4 - الجعدي، مرجع سابق، ص 48 .

لتعبر بها عن واقع حالها في لحظة عابرة ، تؤثر فيها وفي مشاعرها ، فتندفع إلى الترنيم والغناء لتعبر عن تلك المشاعر ، سواءً كانت مشاعر نحو طفلاها ، أو زوجها أو نحو المجتمع ⁽¹⁾.

ُعرفت هذه الأغاني في الأدب العربي بأسماء متعددة منها أغاني الترقيس ، والزفرقة ، والهددة ، وكلها مسميات تدل على هذا النوع من الغناء الشعبي ⁽²⁾.

تنقسم أغاني المهد في تهامة إلى أغاني صباحية ، تؤدي أثناء النهار ، وتأتي هذه الأغاني مقتصرة على مقطعين أو ثلاثة ، لتعبر عن حالة الأم أثناء النهار ، حيث تنتظرها أعمالها المنزلية من إعداد طعام الغداء ، وغسل الملابس ، وذلك قبل عودة زوجها من العمل ، وفي نفس الوقت تريد تنويم طفلاها كي تقوم بهذه الأعمال ، وللتعبير عن هذه الحالة تستخدم أبيات شعرية تعبر عن مدى ازعاجها من طفلاها ، حتى أنه تمنى له الموت ، وهي في حقيقة الأمر لا تزيد له إلا السعادة ، ومن أبرز هذه الأغاني التي كانت تُقال في ذلك :

أرجد على الله	أرجد ابني أرجد ⁽³⁾
جايح فحش ⁽⁵⁾	شالك وحش ⁽⁴⁾
شاهب لطلحة كبش ⁽⁷⁾	ولذا أتاك بعليل ⁽⁶⁾

ومن خلال هذه الأغنية نجد أنه يغلب عليها طابع اللهجة التهامية البسيطة ، وإنها تعبر عن مدى ما كانت تقوم به المرأة من أعمال في منزلها ، حيث كانت تتحمل قدر كبير من الأعمال سواءً في المنزل أو خارجه في الحقل .

1 - طاهر ، القولكلور اليمني ، مرجع سابق ، ص 729 .

2 - بازي ، الأغنية الشعبية ، مرجع سابق ، ص 68 .

3 - أرجد : تعني في اللهجة التهامية أرقد بمعنى نام ، ففي تمامة يستبدل الناس حرف القاف إلى جيم ، أثناء النطق ، وخاصة في مدينة زبيد .

4 - أي أتفى لك بحيوان مفترس كالأسد ، والذي يطلق عليه عند عامة الناس في تمامة بالوحش .

5 - جايح فحش : أي شديد الجوع .

6 - بعليل : أي وقت المساء .

7 - شاهب لطلحة كبش : يقصد بما أنها ستعطي لطلحة وهو ولد من الأولياء في تمامة يتبرك به ، ويزار قبره من بعض عامة الناس ، ويسمى بطلحة المختار ، كبش : أي رأس من الغنم . و تستعملها المرأة لتخويف طفلها حتى ينام .

أما الأغاني المسائية، فتغنىها المرأة في المساء لطفلها، وتتميز هذه الأغاني بعمق النفس، أي أنها تأخذ مساحة أكبر من وقت المرأة، كما تتميز بالإسهاب وتعدد الصور الخيالية، والتي تحمل في طياتها الكثير من الأبعاد والدلائل، ويرجع ذلك أن المرأة في المساء تكون قد أنهت أعمالها المنزلية، ولم يعد أمامها سوى طفلها، ولذا فهي تلاعبه وتضاحكه، وتقضى وقتاً في ذلك، ومن أبرز هذه الأغاني التي كانت تغنىها المرأة في المساء لتتويم طفلها⁽¹⁾:

أبني سرى الليلة على مجرى الجويد ⁽³⁾	ساريو ⁽²⁾ الليلة ويا ساري زيد
ساريو الليلة على مجرى أمحسن	ساريو الليلة ويا ساري عن
لا عيشتك ذوقه ولا صوتك حسن ⁽⁶⁾	قل لمحارش ⁽⁴⁾ ما شتحصل بالمنفتن ⁽⁵⁾

كما غنت المرأة في تهامة لطفلها أثناء تغسيله، وتطيبه بمادة الحناء، ومن هذه الأغاني التي كانت تقال⁽⁷⁾.

وايَا سعد من تحني به	يا حنا ويا حاني ⁽⁸⁾
والباقي سفيننا به ⁽¹⁰⁾	تحني به صفي الدين ⁽⁹⁾
بشرنا بما فيها	ألا يا داخل الجنة
محمد ساكن فيها	فيها القبة الخضراء

1 - بحر، نجاة حسن عبدة : أغاني المرأة اليمنية في تهامة ، مجلة زيد ، الجمهورية اليمنية ، ع(1) ، مايو / أيار 2009م ، ص 23- 24.

2 - الساري: يقصد به الخارج في الليل، وهي مأخوذة من الكلمة سري.

3 - الجويد: يقصد به السفينة أو المركب في البحر .

4 - المحارش : يقصد به الذي ينقل الكلام بين الناس لايقاع فيما بينهم ، أي الفنان .

5 - ما شتحصل بالمنفتن : أي ماذا تجني منها النمام من وراء زرع الفتن بين الناس .

6 - أي أن عملك هذا لا تجني من وراءه إلا العيش التكدر والسمعة غير الطيبة بين الناس.

7 - باري ، مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة زيد ، مرجع سابق ، ص 76 .

8 - الحناء هي مادة تستعمل في تهامة للتطيب، وأكثر ما تستخدمه المرأة في الزينة ليلة زفافها، والحانى صفة للحناء، وهو شدة الحمرة.

9 - صفي الدين : لقب لولي من الأولياء في تهامة .

10 - سفيننا به : يقصد به في اللهجة التهامية الرمي ، سفي بالشيء أي رمى به .

ففي هذه الأغنية الشعبية، وغيرها من أغاني المرأة في تهامة رغم بساطتها – إلا أنها تحمل الكثير من الدلالات ، فهي وإن كانت تُخزل في بيت شعري أو أكثر ، إلا أن الهدف منها هو تشجيع الطفل على استعمال الحناء ، وتحبيبه إليه.

ب- أغاني الطحين : كان للمرأة في تهامة أغانيها الشعبية وقت طحن الحبوب على الرحي الحجرية، ومن هذه الأغاني التي قيلت في هذه المناسبة مايلي⁽¹⁾ :

لا كان يقع لي ⁽²⁾ لأن شرعي بماء	عني رأت وسط البحور غزال
وأطلعه صناعه يكون إمام	واكسه حرير واهب له زمام ⁽³⁾
وأطلعه للحاسدين هوأن ⁽⁴⁾	ولترك الوالي يكون غلام

كما تغنت المرأة في تهامة بالأرض والزراعة، ووقت الذري وال收获، وهو ما نلمسه في كثير من الأغاني والأشعار النسائية في تهامة.

2- أغاني الأعراس والمناسبات الدينية :

يتميز الأدب الشعبي التهامي بتنوع أغانيه المختلفة التي تتناول أغلب مجالات الحياة، ومنها أغاني الأعراس والمناسبات الدينية، والتي تتمثل بالتواشيح الدينية التي تؤدي بمناسبة استقبال شهر رمضان، ومناسبة المولد النبوى، من هذه الأغاني: أغاني الموال الشعبي، الذي يؤدى في مناسبات الأعراس، والأسمار الليلية، كما يردد المسافرون في رحلاتهم وأسفارهم⁽⁵⁾.

1 - مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب / عبد الجبار باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 7/6/2009م .

2 - يقع لي : أي لي مقدرة على ذلك .

3 - الزمام هي حلقة صغيرة من الذهب أو الفضة، تضعها المرأة في مقدمة الأنف للزينة.

4 - هوأن: هي كلمة يقصد بها التحدى.

5 - ورو، هشام عبد الله: من فنون الشعر الشعبي في تهامة، وزارة الثقافة والسياحة، صناعة، 1425 (د.ط)، 2004، ص 57-58 .

وأغاني الشلة التي تؤدي بشكل فردي أو جماعي، وبدون أي آلة موسيقية، ويسمى من يؤدي هذه الأغاني بالشلال، فضلاً عن أغاني الوربة، التي تؤدي بأنغام موسيقية شعبية، وعلى دقات الطبول وصوت المزمار (القصبة)، وعادة ما يصاحب هذه الأغاني رقصات شعبية^(١). ومن خلال ماسبق يتضح بأن مناسبات الأعياد والأفراح والاحزان، وكثير من العادات والتقاليد التي سبقت الإشارة إليها هي في أغلبها مشتركة مابين منطقة تهامة، وكثير من مناطق اليمن، كما تشارك مع الكثير من مناطق الوطن العربي بشكل عام، مع اختلافات بسيطة تعود لخصوصية المنطقة العربية، مما يدل على العوامل المشتركة التي تجمع أبناء العروبة في اللغة والتاريخ والاقتصاد والثقافة .

ثانياً - التعليم وأنواعه في تهامة 1918 – 1962 .

للتعليم دور أساسي وفعال في بناء الأوطان، وتنقيف الناس، ومكافحة الأمراض البيئية والاجتماعية، فهو الأداة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في كل المجتمعات، كما أنه وسيلة يستطيع الإنسان بواسطتها أن يصل إلى مهاراته وخبراته وفقاً لما تقتضيه المعرفة العصرية المعتمدة على التقنية الحديثة، ووفقاً لذلك أصبح تطوير التعليم محور اهتمام أغلب دول العالم باعتباره من الركائز الأساسية لتحقيق التنمية بأبعادها المختلفة، وفي مقدمتها تطوير قدرات

1 العُمري، عبدالله: الشعر الشعبي لللغوي في تهامة، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط١، 2004، ص 371-372 .

الإنسان ولداعاته حيث يُعد الحصول على قدر مناسب من التعليم شرطاً أساسياً لمشاركة الفرد في بناء المجتمع في مجالاته المختلفة، والإسهام في تطويره .

ويقاس تقدم المجتمع بتقدم التعليم فيه، فكلما كان التعليم متقدماً وبأساليب حديثة ومتطرفة ومعتمداً على كفاءات مؤهلة تربوياً وتكنولوجياً، كلما كان حال ذلك المجتمع متزناً ومنتفعاً ومؤهلاً للنمو بشكل طبيعي وبأفضل الصور العلمية والثقافية.

وبالنظر إلى وضع التعليم في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، نجد أن مستوى التعليم بشكل عام كان متدنياً إلى حد كبير ، حيث بلغت نسبة الأمية بين السكان ما يقارب 85%، وتزداد هذه النسبة عند الإناث، ولم يصل التعليم إلا إلى قطاع ضئيل جداً من السكان^(١) .

ومن اللافت أن التعليم كان يخدم فكرة واحدة هي فكرة الإمامة وتبنيتها، وتعزيز جذورها في أذهان الناس، واعتبارها أصلاً مكيناً من أصول الدين الإسلامي، ودعامة من دعائمه، بحيث يصبح الإمام هو الدولة، والدولة هي الإمام^(٢).

ونتيجة لذلك ظل التعليم متخلفاً يقتصر على التعليم الديني واللغوي في المساجد والمدارس الصغيرة الملحقة بالمساجد، للرِّبُط والمعلمات (الكتاتيب)، ولعل أصدق تعبير عن حالة التعليم خلال فترة الدراسة ما جاء على لسان أحد المؤرخين اليمنيين في كتابه حيث قال ما نصه :) (وبعد رحيل الأتراك عن اليمن عام 1918 ظل الوضع التعليمي كما تركه الأتراك، ولم يحدث أي تغيير أو تنظيم، أو تطوير للأوضاع التعليمية، وذلك نتيجة للحروب الأهلية التي دخل فيها الإمام يحيى من جهة، ولتخوفه الشديد من الانفتاح على العالم من جهة أخرى))^(٣). أما الرحالة السوري نزيه العظم، فقد أوضح حالة التعليم حينذاك بقوله :) (ولا توجد مدارس بالمعنى المفهوم إلا في صنعاء والحديدة وبعض المدن الكبيرة . لكن المساجد تقوم مقام المدارس في أغلب القرى والنواحي الصغيرة، ولذا كانت نسبة الأميين إلى المتعلمين كبيرة جداً))^(٤).

١- العوامل التي ساهمت في غياب التعليم النظامي الحديث، وانتشار التعليم الديني:

1 - العطار، مرجع سابق، ص 159.؛ الشرجي، الشراح، مرجع سابق، ص 67-68.

2 - طاهر، علوى عبد الله: واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م، مجلة الإكليل، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ع (١)، السنة الخامسة، 1987، ص 6.

3 - الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرحة المهموم، مرجع سابق، ص 75.

4 - العظم، مصدر سابق، ج ١، ص 258.

مما سبق يتضح أن التعليم في اليمن ومنها منطقة تهامة كان متخلقاً يقتصر أغلبه على العلوم الدينية واللغوية، أما التعليم الحديث فقد كان شبه غائب ولاسيما في الفترة الأولى من حكم الإمام يحيى حميد الدين، ويرجع ذلك إلى عوامل عدة أبرزها مايلي:

1- الاضطرابات السياسية والحروب القبلية التي خاضتها الإمامة مع بعض القبائل، وذلك بعد خروج العثمانيين من اليمن عام 1918 . حيث أدى خروج العثمانيين من اليمن إلى حالة من الفوضى الإدارية والإرباك والفراغ السياسي ، الأمر الذي أدى إلى قيام بعض القبائل بحركات معارضة للنظام الإمامي المتمثل بالإمام يحيى حميد الدين، وخروج بعض العلماء على النظام الجديد، وكانت أهم هذه الحركات المعارضة، انتفاضة قبيلة حاشد عام 1919 – 1920، وحركة الزرانيق في تهامة عام 1928 – 1929، وتمرد قبيلة القُحرى في تهامة عام 1919 ، وحركة المقاطرة في تعز 1919-1920 ، وتمرد قبليتي عبيدة ومراد في مأرب والجوف عام 1931- 1933⁽¹⁾ . وقد اشغال الإمام يحيى بقمع هذه الحركات القبلية، وتجهيز الجيوش لإخضاعها بدلاً من الاهتمام ببناء الدولة الجديدة، وإقامة المشاريع الخدمية ومنها التعليم، فضلاً عن ذلك لم تكن انتفاضات القبائل هي الخطر الوحيد الذي واجه الإمام يحيى في بداية حكمه، بل كانت هناك قوى خارجية، استغلت وضع اليمن حينذاك محاولة السيطرة على أجزاء من أراضيه، وأحداث الاضطرابات، وتمثلت هذه الأخطار فيما يلي :

أ- خطر الأدارسة وسيطرتهم على الجزء الشمالي من تهامة، بما فيه ميناء اليمن الرئيسي الحديدة، وذلك بمساندة ودعم الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن حينذاك، ولم يستطع الإمام يحيى استرداد هذه المناطق إلاً بعد وفاة محمد الإدريسي عام 1925⁽²⁾ .

ب- الخطر البريطاني: الذي كان يحتل الجزء الجنوبي من اليمن، وتمثل ذلك الخطر في إثارة الاضطرابات داخل السلطة الإمامية، لمحاولة السيطرة وضم أراضٍ يمنية أخرى، وقد استعملت بريطانيا الطائرات عام 1928 ، لضرب مناطق يمنية في الشمال، ولم تنته تلك المناوشات بين الجانبين إلاً في عام 1934، وذلك بتوقيع المعاهدة اليمنية البريطانية⁽³⁾ .

1 - لمعرفة التفاصيل عرهذه الحركات والانتفاضات القبلية، يُنظر للسعودي، مرجع سابق، ص 126- 177 .

2 - فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص 214 .

3 - مجموعة من المؤلفين السوفيت، مرجع سابق، ص 34- 35 وللرجوع إلى نص المعاهدة، يُنظر سالم ، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 519 – 522 .

ج - الصراع اليمني السعودي: والذي استمر على شكل مناورات على الحدود، وانتهى باتفاقية الطائف عام 1934، التي وضعت حدأً للصراع بين الطرفين، وأدت إلى ضم نجران وعسير اليمنيتان إلى أراضي المملكة العربية السعودية⁽¹⁾.

لقد انعكس هذا الوضع السياسي على الوضع الاقتصادي للبلاد، حيث تضررت الزراعة التي كانت تعد المورد الرئيسي للاقتصاد في تلك الفترة، وأهمل الكثير من الأراضي الزراعية، وتحول معظمها إلى أراضي بور، وذلك بسبب هجرة كثير من الفلاحين إلى خارج البلاد، وانشغال بعضهم بالحروب، وهو ما انعكس على غياب التعليم الحديث وانتشار التعليم الديني.

2- رغبة الإمامة في توطيد واستقرار حكمها، وذلك من خلال نشر التعليم الديني، والذي أدى بدوره إلى تحقيق أهداف الإمامة المتمثلة بنشر الفكر الزيدية من خلال المناهج المعتمدة في المدارس الدينية، سواء كانت زيدية أم شافعية، حيث أنه كلما تعمق الفكر الزيدية في نفوس الناس ، كلما زاد ذلك في ولائهم وحبهم لسلطة الأئمة الزيديين، ومنهم الإمام يحيى⁽²⁾، ورفد الدولة بموظفين ودارسين، وقضاء، ومدراء نواحي متبعون بالفكر الزيدية، يدينون بالطاعة والولاء للإمام، يتم توزيعهم على جميع أنحاء اليمن، الأمر الذي يضمن للإمامنة استقرار الوضع في البلاد⁽³⁾.

3- سياسة السلطة الإمامية في حكم البلاد، التي لعبت دوراً مؤثراً وسلبياً في التطور الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي على وجه الخصوص، هذه السياسة تمثلت في عزل البلاد داخلياً وخارجياً، حيث كان للعزلة الداخلية انعكاسات سلبية، ليس على المستوى الاقتصادي فحسب، بل والاجتماعي والثقافي، وهو ما انعكس على وعي المجتمع، الذي ظل محدوداً للغاية، وغلب عليه التقليد الديني. وكان من أسباب هذه العزلة، انعدام وسائل النقل الحديثة، وانعدام الطرقات المعددة، واقتصر التنقل على الجمال والحمير والبغال كما أشرنا فيما سبق، كما كان لتكوين الطبيعى لليمن دور كبير في العزلة الداخلية، واعاقة التواصل بين السكان⁽⁴⁾.

أما العزلة الخارجية، التي اتخذها الإمام يحيى حميد الدين نهجاً في حكمه لليمن وعدم السماح بفتح منافذ على العالم الخارجي تسهيلاً في تحقيق تطور الأوضاع في جميع المجالات،

1 - المرجع نفسه، ص 382 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 6.

3 - البكري، عبد الحميد : التعليم في اليمن (1918 - 1962)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية. ابن رشد. جامعة بغداد ، 1421 / 2000 ، ص 57 .

4 - غالب، نظام الحكم والتخلص الاقتصادي في اليمن، مرجع سابق، ص 62 .

ومنها المجال التعليمي، (إلاً فيما ندر) وفق الاتفاقيات التجارية التي عقدها الإمام يحيى مع بعض الدول، وكانت أغلب هذه الاتفاقيات تلغى أو تُجَهَّد، وكانت حجة الإمامة في فرض هذه العزلة على اليمن عدة مبررات منها ماورد على لسان الإمام يحيى حميد الدين بقوله :

() إننا نفضل أن نعيش في ظل الفقر مكتفين بأكل العُشب، على أن نرى ثروة بلادنا تحت أقدام أجنبي (١). أي أن الدافع لفرض العزلة هو الخوف من الأجانب، وما يتوقع حدوثه إذا سمح للأجانب بالإقامة الدائمة في اليمن. أما الإمام أحمد فقد بَرَرَ ذلك بقوله: (يجب على المرء أن يختار بين الحرية في الفقر، والتبعة في الغنى، وأنا اخترت الاستقلال) (٢).

وكان المبرر الثاني للعزلة الدافع عن الشعب ضد الإلحاد والعلوم الوثنية (٣).

كان لهذه العزلة الخارجية دوراً في بقاء الجمود التقاوبي والتمسك بالقيم والعادات، والتقاليد الاجتماعية البالية وعدم تطويرها، فضلاً عن عدم إحداث أي احتكاك مع الثقافة العالمية، ومتابعة التطورات الثقافية والعلمية في مجالات مختلفة، على المستوى الفردي والجماعي، كما كان لعدم وجود وسائل الاتصال الجماهيري كالإذاعة والتلفزيون والصحافة دور في تكريس التعليم الديني، وغياب التعليم الحديث .

إلاً أن هذا الوضع لم يبق على ما هو عليه بعد قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962، إذ بدأ الاتصال بالعالم الخارجي ، وُبُعِّدت الطرق مما جعل الاتصال الداخلي بين القرى والمدن سهلاً وممكناً ، كما تطورت وسائل الاتصال الجماهيري، وانتشرت المدارس في المدن والقرى، وذلك مما أدى إلى انخفاض نسبة الأمية بين المجتمع.

فضلاً عما سبق، فقد كان للوضع المعيشي للسكان، والذي اتسم بالانخفاض في مستوى دخل الفرد مما أثر على معيشته، وبالتالي أدى إلى تعرضه للكثير من الأمراض والأوبئة، كل ذلك وما سبق كان له أثر كبير في طريقة تفكير الإنسان اليمني، مما جعله يعيش مقتغاً وراضياً بالحياة التي يعيشها، لا يطالب بأكثر من ذلك، هذه القناعة انعكست على نظرته للتعليم، فأصبحت قاصرة على تعليم أبنائه القراءة والكتابة فقط، وهو ما وجد في مؤسسات التعليم الديني.

2- أنواع التعليم في تهامة :

1 - العطر، مرجع سابق، ص 36.

2 - المرجع نفسه، ص 81.

3 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 22 .

أ- التعليم الديني وتمثل في المؤسسات التالية :

1- الكتاتيب (المعلمات) :

ضبط ابن منظور في لسان العرب كلمة **مَكْتَب** بفتح الميم وسكون الكاف، وفتح التاء، بأنه موضع للتعليم، وجمعه كتاتيب ومكاتب، فال**مَكْتَب** هو موضع التعليم، وال**مَكْتَب** هو المعلم الذي يعلم الكتابة، وال**مَكْتَب** هم الصبيان الذي يتعلمون⁽¹⁾.

وقد تحدّد مفهوم **الكتاب**، إذ أصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، ويرى بعض الباحثين أن الكتاتيب ارتبطت تأسيسها بنشوء المساجد⁽²⁾.

وتُعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، حيث كانت تقوم بدور تعليمي مهم يقوم على أساس تعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، وتعلم القراءة والكتابة، وبظهور المدارس ظلت الكتاتيب تؤدي دورها التعليمي جنباً إلى جنب مع المدارس في القرى والأرياف، وحتى في عواصم المدن ولذا تُعد مرحلة أولى يتم فيها تأهيل الصبيان إلى مرحلة الالتحاق بحلقات المساجد، والانتظام في المدارس⁽³⁾.

وقد وجدت هذه المؤسسة التعليمية في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، وكانت تسمى بالمعلمات⁽⁴⁾ وتُقام إما مندمجة ضمن المسجد أو المدرسة، أو منفصلة عنهما، وكانت منتشرة في أغلب مدن وقرى تهامة، ويرجع ذلك إلى سهولة إنشائها، وحرص المجتمع آنذاك على تعليم أبنائه القرآن الكريم، والقراءة والكتابة وتسهيلها إلى دورهم⁽⁵⁾.

يطلق على طلاب المعلمة لفظ **(الصبيان)**، ولم تقتصر المعلمة على الذكور من الأطفال، وإنما كان هناك من الآباء من يقوم بتعليم بناته في هذه المعلمات مع الأولاد نظراً

1 - ابن منظور، مصدر سابق، ج 1، ص 698.

2 - الحسيني، عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الرسولية، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط) ، 1973م، ص 22 - 23 .

3 - الهبيتي، شاكر محمود عبد المنعم : مؤسسات زيد الثقافية في عهد الملك الأشرف الغساني (787 - 803 هـ) ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب - جامعة الخديدة بعنوان (زيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي) للفترة من 14 - 17 ديسمبر/كانون الأول، 2002 ، ص 8 .

4 - المعلمة : هي عبارة عن غرفة ملحقة بأحد المساجد، أو بهواره ، يتحقق بها الأطفال بعد سن الخامسة من العمر ، لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم .

5 - السروري، مرجع سابق ، ص 545 ; حماد، مظاهر الحضارة في اليمن ، مرجع سابق، ص 618 .

لصغر سنهن، وقد يحدد المعلم مكاناً خاصاً للبنات داخل المعلمة، وكان من عادات المجتمع التهامي أنه عندما يصل عمر البنت إلى عشر سنوات لا يسمح لها بمواصلة تعليمها⁽¹⁾.

أما مدرس المعلمة فكان يطلق عليه في تهامة والمناطق الجنوبية من اليمن بالفقير، أما في صنعاء فيسمى بسيدنا، وكان أغلب هؤلاء المعلمين لا يتقاضون أجوراً رسمية من الدولة، ولئما يتقاضون أجورهم من أهالي الطلاب، حيث يدفع كل طالب آخر الأسبوع مبلغ من المال يتفاوت حسب حالة أسرة الطالب المادية، وتسمى هذه النقود بحق الخميس⁽²⁾.

فضلاً عن ذلك فقد كان يحصل معلم المعلمة إلى جانب النقود الأسبوعية، هدايا وبعض المأكولات في مناسبات الأعياد، وإذا كان المعلم من خارج القرية يكون أكله كل يوم في بيت طالب من طلابه⁽³⁾.

أما عن المنهج الدراسي لهذه المؤسسة التعليمية، فلم يكن هناك منهج محدد للتعليم، ولا سنوات محددة للدراسة، بل يخضع برامجها الدراسي لاجتهادات المعلم إلا أن أغلب ما يُركز عليه للطالب في هذه المرحلة هو تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وذلك لأهميتها في إقامة الصلوات⁽⁴⁾.

حيث يبدأ المعلم بتعليم الصبية حروف الهجاء، ومبادئ القراءة والكتابة على الألواح الخشبية، وحفظ السور القصار من القرآن، ثم يبدأ المعلم بالتدريج، حتى يتم الطالب الانتهاء من حفظ القرآن ، فإذا ما أتم الصبي حفظ القرآن في المعلمة، يُقام له بهذه المناسبة احتفال يتفاوت مظهره وفقاً للحالة المادية لأسرته⁽⁵⁾. ولدى هذا المنهج وطريقة حفظ القرآن في المعلمة يشير أحد مناضلي الثورة اليمنية، والذين درسوا في هذه المؤسسة التعليمية⁽⁶⁾ في مذكراته بقوله :

1 - البكري، مرجع سابق ، ص 35 .

2 - طاهر، المعلمة، مرجع سابق ، ص 887 .

3 - البكري، مرجع سابق، ص 35 .

4 - الديفاني ،عبدالله : التعليم في اليمن، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ط 1، 1996م، ص 79 .

5 - حماد، مرجع سابق، ص 618 .

6 - هؤامد محمد نعمان : الذي ^{يُعد} أحد مناضلي الحركة الوطنية اليمنية ضد النظام الإمامي خلال فترة الدراسة ، ولد في منطقة ذيحان بمحافظة تعز عام 1909م، درس في معلمات قريته، بعدها انتقل إلى زبيد للدراسة على علمائها في الرُّطْلَ له إسهامات واضحة في تطور الحركة التعليمية في اليمن، حيث قام بتأسيس مدرسة ونادي ذيحان الأدبي الثقافي، وعندما تم إغفال المدرسة من قبل السلطات الإمامية، سافر إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف ، وقد افترن اسمه باسم محمد محمود الزبيري في تأسيس حزب الأحرار في عدن عام 1944م، شارك في حركة 1948 الدستورية ضد النظام الإمامي ، وبعد فشل الحركة

() كنا نتعلم القراءة عند الفقيه، ونقرأ القرآن ونحفظه غيّباً وليس فهماً، وربما كان الفقيه نفسه لا يعرف المعاني، بل يكتفي بالألفاظ، وربما حفظاً مغلوطاً لأننا لا نفهم المعنى، ولسنا مطالبين بفهم المعاني، كنا نبدأ بالآلف باء، ثم نقرأ بعدها جزء عم، ونواصل قراءة السور سورة فسورة، حتى نصل إلى سورة البقرة ، كنا نختم القرآن جزءاً بعد جزء، وكلما حفظ الطالب جزءاً من القرآن يقيمهون له حفلة يشترك فيها الفقيه والزملاء في المعلامة) (١).

وَهُدُّ طریق التلقین هی الطریقة الرئیسیة للتعلیم فی مرحلة المعلامة، ولعلها الطریقة المناسبة، لأن الطفـل فـی هذه المـرحلة لـیس لـه من القدرة عـلـى الفـهم بشـکـل كـبـيرـ، بـحـیـث يـسـتـوـعـبـ كل ما يـأـخـذـهـ فـیـ المـعـلـامـةـ .

وـنظـراًـ لـاخـتـلـافـ الفـروـقـ الفـرـبـیـةـ بـینـ الطـلـابـ، فـکـانـ التـعـلـیـمـ فـیـ المـعـلـامـةـ يـتـخـذـ أـسـلـوبـ التـعـلـیـمـ الفـرـديـ، وـھـوـ ماـ يـشـکـلـ عـبـئـاـ عـلـىـ المـعـلـمـ، وـلـتـخـیـفـ هـذـاـ عـبـءـ کـانـ المـعـلـمـ يـقـومـ بـتـکـلـیـفـ کـبـارـ الطـلـابـ وـالـمـتـقـدـمـیـنـ عـلـىـ زـمـلـائـهـمـ فـیـ حـفـظـ الـقـرـآنـ، بـتـحـفـیـظـ وـتـلقـینـ مـنـ هـمـ أـنـیـ مـسـتـوـیـ مـنـھـمـ (٢)ـ.ـ وـبـھـذـهـ الطـرـیـقـ کـانـ المـعـلـمـ يـخـفـ عـنـ نـفـسـهـ مـشـقـةـ تـلقـینـ کـلـ طـالـبـ عـلـىـ إـنـفـرـادـ .ـ

وـیـلـتـحـقـ الطـالـبـ بـالـمـعـلـامـةـ فـورـ بـلوـغـهـ سنـ التـمـيـزـ، وـعـادـةـ ماـ تـكـونـ فـیـ السـنـةـ الـخـامـسـةـ أـوـ السـادـسـةـ منـ العـمـرـ، لـیـکـونـ أـوـلـ تـلـقـیـهـ الـقـرـآنـ الـکـرـیـمـ، أـمـاـ عـنـ مـدـةـ بـقـائـهـ فـیـ المـعـلـامـةـ فـیـتـوـقـفـ فـیـ المـقـامـ الـأـوـلـ عـلـىـ قـدـرـ الصـبـيـ وـمـهـارـتـهـ فـیـ حـفـظـ وـالـإـنـتـهـاءـ مـنـ خـتـمـ الـقـرـآنـ، وـھـيـ فـتـرـةـ يـسـطـعـ بـعـضـ الصـبـیـانـ إـنـهـاءـهـاـ فـیـ سـنـتـیـنـ، وـقـدـ تـمـدـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ (٣)ـ.

وـکـانـ بـعـضـ الـأـطـفـالـ يـنـقـطـعـونـ عـنـ التـعـلـیـمـ فـیـ هـذـهـ المـرـحـلـةـ، وـذـلـکـ نـظـرـاًـ لـظـرـوفـ الـمـعـیـشـةـ وـاحـتـیـاجـ الـآـبـاءـ لـمـسـاعـدـةـ أـبـنـائـهـمـ فـیـ زـرـاعـةـ الـأـرـضـ، وـکـذـلـکـ لـعـدـمـ وـجـودـ الـوـعـيـ لـدـیـ بـعـضـ الـآـبـاءـ بـأـہـمـیـةـ الـتـعـلـیـمـ، إـذـ يـکـتـفـونـ بـتـعـلـیـمـ أـبـنـائـهـمـ الـقـرـاءـةـ وـالـکـاتـبـةـ، وـحـفـظـ بـعـضـ سـوـرـ الـقـرـآنـ.

اعتقل وسجن في أحد سجون حجة، بعد خروجه من السجن عمل على تأسيس كلية بلقيس في عدن عام 1956م، تقلد عدة مناصب بعد قيام الثورة اليمنية 1962م، توفي عام 1996م . انظر: بعکر، عبد الرحمن طيب : ثمانون عاماً من حياة النعمان، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1990م، ص 33 - 47 .

1 - مذكرات أحمد محمد نعمان، سيرة حياته الثقافية والسياسية، مراجعة وتحرير / علي محمد زيد ، للمعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط 2 ، 2004م ، ص 15 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 12 .

3 - حماد، مرجع سابق، ص 618 .

أما عن مواعيد الدراسة والغطس الرسمية في المعلمة، فتبدأ الدراسة كل يوم بعد طلوع الشمس حتى وقت صلاة الظهر، ثم يسمح للصبية بفترة استراحة يرجعون فيه إلى أسرهم لتناول طعام الغداء، ثم يعودون إلى المعلمة مرة أخرى، ويستمرون فيها إلى قبيل غروب الشمس، عدا يوم الخميس فإنهم لا يعودون بعد الغداء، وتعد هذه الفترة المسائية بمثابة مراجعة لما أخذ في الفترة الصباحية، ويستمرون على هذا المنوال طوال السنة، حيث لم يكن هناك إجازات فصلية أو سنوية عدا يوم الجمعة من كل أسبوع، وأيام الأعياد الدينية كعیدي الفطر والأضحى^(١).

أما عن أدوات ووسائل التعليم في المعلمة فقد كانت بسيطة جداً، وحالية من التعقيد بحيث تستخدم الألواح الخشبية لكتابه الدروس سواء حروف الهجاء، أو كتابة سور القرآن، أو الحساب، وكان اللوح طلى بمادة النورة الحجري البيضاء، كما استخدم القلم الذي كان يصنع من قصب الحال (اليراع) أو الخشب بشكل مدبب، أما الحبر فكان يتم صنعه من مزج ما يتراكم من دخان سراج (الجاز)، حيث يخلطونها بسائل الصبر بعد غليه على النار، ثم يضيفون عليه قليلاً من مسحوق الفحم النباتي، وبعد الخلط والمزج يصبح ذو لون أسود، يتم فيه غمس القلم ثم الكتابة على اللوح الخشبي^(٢).

وللمعلمة آداب يجب الالتزام بها من قبل طلاب المعلمة، ومن خالفها يعرض نفسه للعقاب من قبل المعلم، ومن هذه الآداب ما يلي^(٣) :

- 1- تقدير المعلم، والسلام عليه، وتقبيل يده كل يوم عند دخول المعلمة .
- 2- عند نهاية اليوم الدراسي، وقبل الخروج من المعلمة، يقوم أحد الطلاب بتأدبة التغفيرة، حيث يصبح بأعلى صوته أمام زملائه قائلاً : ((غفر الله لسيينا ولوالديه، ولوالدينا مع والديه، ولمن فرأ لديه، وتعلم بين يديه)) ، ويردد الطلاب ما يقوله زميلهم بصوت عالي، وتسمى هذه باللغيرة .
- 3- إذا أراد أحد الطلاب الخروج وقت الدراسة لقضاء حاجة، عليه أن يقف ويستأذن المعلم بالسماح له لقضاء حاجته.

1 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 12. ؛ الأكوع، صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي ، مرجع سابق، ص 44 - 38

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، ص 12.

3 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 31 - 32 .

4- عند غياب أي طالب بدون إذن المعلم، يرسل المعلم في طلبه مجموعة من الطلاب ليأتوا به، فإذا رفض يقوم الطالب بسحبه بالقوة، ثم يعاقبه المعلم على غيابه، أما إذا زادت أيام الغياب وأهمل الطالب دروسه، فإن المعلم يتدرج معه في العقوبة، مبتدأً بحبسه في إحدى زوايا المعلمة، مع منع زملائه بالتحدث معه، فإذا لم يف ذلك يحبس داخل المعلمة عند ذهاب زملائه لتناول الغداء، فإذا زاد غيابه واهماله لدروسه، فيطبق المعلم عليه أقصى العقوبات وهي الضرب بالفلكة⁽¹⁾

وعلى الرغم من بساطة هذه المؤسسة التعليمية، وتختلف أساليب وطرق التدريس فيها، والوسائل المستخدمة للقراءة والكتابة، إلا أنها لعبت دوراً لا يستهان به في التخفيف من الأمية، والتقليل من انتشارها في المجتمع، الأمر الذي جعل بعض من زاروا اليمن خلال تلك الفترة أن يقول بأنه لم يكن هناك للأمية من نصيب يذكر، إذا تبلغ نسبة الأمية 5%⁽²⁾.

وعلى الرغم مما في هذا القول من مبالغة، إلا أنه يدل على أهمية هذه المؤسسة، لقد كان لهذه المعلمات الفضل في تأهيل الطلاب للالتحاق بحلقات العلم في المسجد، وعندما تم افتتاح المدارس الابتدائية والمتوسطة كان طلابها من خريجي هذه المعلمات، حيث أنه لم ينته دور هذه المؤسسات بظهور المدارس الحكومية، بل استمرت تعمل جنباً إلى جنب حتى ما بعد قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962.

2- المساجد (الجوابع):

ارتبط التعليم بالمسجد ارتباطاً وثيقاً، فمنذ فجر الإسلام كان المسجد النبوي في المدينة المنورة منبراً ورمزاً للدين الإسلامي، ولدولة الإسلام، وفيه تقام شعر الدين، وفيه كان يُعلن الجهاد، وتجهز السرايا والغزوات، وتُعقد فيه مجالس الدولة والقضاء، وبين جنباته عُقدت حلقات العلم الأولى⁽³⁾.

1 - الفلكة : هي عبارة عن عصى من الخشب مقوسة ، ينقب طفيها ويدخل فيه حبل حيث تدخل قدمي الطالب في الحبل، وتلف العصى عدة لفات، حتى يضيق الحبل ويضغط على ساقى الطالب، ثم يقوم طالبين برفع قدمي الطالب إلى أعلى بواسطة طرق العود، ويقوم المعلم بضرره على قدميه عدة مرات، وبعد هذا العقاب من أقصى العقوبات في المعلمة، ولا يلحاً للمعلم إليه إلا للطالب المهمل . انظر: الأكوع، صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي، ج 1، مرجع سابق، ص 47 - 48 .
2 - زكريا ، مرجع سابق، ص 155 .

3 - الوشلي، عبدالله قاسم : المسجد ودوره التعليمي عبر العصور خلال الحلق العلمية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م ، ص 22 - 23 .

ومع انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة ازدادت أهمية المسجد، إذ كان النواة والمركز لخطيط المدن في الإسلام، كما كان مركزاً تعليمياً اتخذه صاحبة رسول الله لتعليم وتفقيه الناس بأمور دينهم في شتى الأمصار الإسلامية⁽¹⁾.

لقد شكلت المساجد الأساس القوي للبناء التعليمي والحضاري في اليمن، فأهتم السلاطين والأمراء والأعيان والأغنياء والعلماء وغيرهم من فئات المجتمع ببنائها، رغبة منهم في نيل الأجر والثواب من الله تعالى، ولما لها من دور تعليمي وديني في نفس الوقت، ولم تكن تهامة بمنأى عن ذلك، حيث أدت المساجد دوراً تعليمياً مهماً، إلى جلب أهميتها بوصفها دوراً للعبادة، وكان المسجد (الجامع) يمثل المدرسة والجامعة التي تخرج منها الكثير من العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً، حيث لم يخلو مسجد أو جامع من وجود عالم أو أكثر يقوم بالتدريس في شتى العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية والتاريخية⁽²⁾.

لقد حظيت تهامة وخاصة مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ/1454-1228م) بإنشاء العديد من المساجد التي ساهم في إنشائها ملوك بني رسول ونسائهم، وغيرهم من الأمراء والأعيان والعلماء، ولم يقتصر جهود الدولة عند هذا الحد، بل قاموا بالإتفاق عليها من ممتلكاتهم الخاصة، وأوقفوا لها الأراضي والعقارات لكي يضمنوا استمرارية دورها التعليمي⁽³⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظهور المدارس الحكومية في تهامة خلال فترة الدراسة لم يلغ دور التعليمي للمساجد، فقد ظلت المساجد تؤدي وظيفتها العلمية على أكمل وجه، وسارت جنباً إلى جنب مع المدارس وغيرها من المرافق التعليمية، فعقدت فيها الحلقات العلمية، وقصدها الطلبة من شتى أنحاء اليمن لتلقي العلم على العلماء البارزين في عصرهم⁽⁴⁾. ولا يبالغ القول إذا قلنا أن الحلقات العلمية في المساجد وجدت قبولاً وتفضيلاً عند الكثير من شيوخ العلم وطلابه على

1 - العبادي، عبدالله قائد حسن : الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى ، 1416هـ / 1995م ، ص 146 .

2 - الأكوع، محمد علي : حياة عالم وأمير وصفحة مجهلة من تاريخ اليمن المعاصر، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ط 1، 1987م، ص 146 .

3 - العبادي، مرجع سابق، ص 147 .

4 - الأكوع، إسماعيل : المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 2، 1995م، ص 305-306 ؛ الأهجري، عبد الغني : الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة المنصورة ، 1429هـ / 2008م ، ص 183 .

المدارس الحكومية ؛ ويرجع ذلك إلى أن التعليم في المساجد تميز بتكافؤ الفرص التعليمية للجميع، وعدم وجود قيود على أعداد الطلاب، وحرية نشر العلم فيه، إذ يستطيع أي فرد أن ينضم إلى حلقة المسجد التي يريدها دون قيد أو شرط، فالطالب يختار الشيخ والموضوع الذي يرغب في تعلمه، وباستطاعته كذلك أن يتنقل من حلقة إلى أخرى، كما تتوفر في المساجد مراحل التعليم المختلفة، حيث لم يشترط سنًا معينة لالتحاق بها، أو مدة محددة للبقاء فيها، وهو ما لم يتحقق في المدارس الحكومية^(١).

أما عن طبيعة التعليم في المساجد فكانت تميز بالتنظيم الملائم والحرية والمرونة، يتقدم الطالب في تعلمه على ما أحرز من إجازات^(٢) في الكتب التي درسها على مشايخه، سواء كانت دينية أم لغوية، أم تاريخية^(٣).

وقد شكلت الإجازات العلمية مظهراً من مظاهر الحياة العلمية في تهامة، إذ حرص طلبة العلم على نيل إجازة شيوخهم، وقد تعددت نوعيات تلك الإجازات العلمية، فبعضها كان يمنح شفرياً، حيث يجتمع عدد من العلماء لمناظرة شخص ما والتعرف من خلال هذه المناظرة على علمه، ومدى إجادته فيه، فإذا وجدوه ملماً بالعلوم التي درسها أجاوزه فيها، وكانت هذه الإجازة تؤهله للعمل في التدريس، والفتوى، والارتفاع لمنصب القضاء، فضلاً عن ذلك فقد كانت هناك إجازات وشهادات مكتوبة يحصل عليها الطلاب الدارسين في هذه المساجد تشهد بدراساتهم على أحد العلماء المبرزين، وبنوعية الكتب والمصنفات التي أجازوا فيها، كما تشهد بنوعية الدراسة التي يتخصص فيها الطالب^(٤).

فقد يُجاز الطالب في كتاب واحد قرأه على أحد مشايخه فيجيئه فيه، وتسمى هذه إجازة خاصة، أو يجيئه في كل ما أخذه عليه، أو على عدة مشايخ وتسمى هذه الإجازة إجازة عامة

1 - البكري ، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 50 .

2 - الإجازات : مفردها إجازة، وهي مشتقة من التجوز، وهو التعدي، فكانه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه، وتكون عند علماء الحديث أن يأذن الشيخ للراوي شفاهًا، أو كتابة، أو رسالة أن يروي عنه حدثاً أو كتاباً، أو ما صرح عنده من مسموعات، كما يقصد بما إجازة المقوءات التي ينالها الطالب من مشايخه، الذين درس عليهم في الفنون العلمية المختلفة .

أنظر: العبادي، مرجع سابق، ص 228 .

3 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 50 .

4 - حاد، مرجع سابق، ص 634 - 635 .

وتكون صفتها كالتالي: () أجزتك في المنقول والمعقول، وما تصح روایته ودرایته)⁽¹⁾ بعد أن يعدد مشايخه الذين أخذ عليهم وسمع منهم، وهي بمثابة الشهادة العلمية في عصرنا الحالي . أما ما يخص العلوم التي كانت تدرس في مساجد تهامة ومدارسها الدينية ، فتمثل بالعلوم الدينية، واللغوية، حيث احتلت هذه العلوم موضع الصدارة، نظراً لارتباطها بالدين من ناحية، وبحياة الناس من ناحية أخرى، ثم يليها في الأهمية علوم الطبيعة كالمنطق والفلسفة، وعلم الكلام، والجبر والحساب والهندسة والفالك .

وفيما يلي ذكر لأهم العلوم التي كانت تدرس في كل علم.

1. العلوم الدينية: وتشمل القرآن وعلومه، علم الحديث، السيرة، الفقه، علم الفرائض.

أ- القرآن وعلومه: كان للقرآن الكريم وعلومه أهمية كبيرة في مساجد ومدارس تهامة الدينية، حيث كان القرآن أول علم يدرس باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي ولذلك اهتم بحفظه وترتيله وتفسيره، وتخصصت بعض المدارس في الاقتصار على تدریسه وتوفیر المدرسین الحافظین له، ويرتبط بحفظ القرآن تفسيره وشرح أحكامه ولذا جلت لهذا الغرض أغلب كتب التفاسير المشهورة آنذاك من مختلف بلدان العالم الإسلامي ومنها: () تفسير القرآن) للإمام الواحدی، و () تفسير البغوي) ، و () تفسير البيان في أحكام القرآن) للموزعی، و () النفاش في التفسیر) ، و () الشاطبية في علم القراءات) ، و () القراءات السبع)⁽²⁾.

ب- السيرة : () سیرة ابن هشام) ، و () الشفا بتعريف حقوق المصطفی) للقاضی عیاض،

و () المستصفی في سنن المصطفی) للقروی، و () شمائل الرسول ﷺ) للترمذی⁽³⁾.

ج- علم الحديث: من أهم الكتب التي كانت تدرس فيه: كتب الصحاح الستة⁽⁴⁾، وكانت من أهم الكتب التي أعتمد عليها في مدارس تهامة ومساجدها كتاب () صحيح البخاری) ،

1 - الحضرمي، تکامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 465.

2 - حیدر، فاروق أحمـد : التعليم في اليمن في عهد دولة بنی رسول، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية . جامعة عین شمس، (د.ت)، ص 73 ؛ الأهمـري، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق، ص 303 – 304 .

3 - السنـدـيـ، عبد العـزـيزـ: المدارـسـ الـيـمـنـيـةـ، مـطـبـعـةـ السـفـيرـ، الـرـيـاضـ، طـ1ـ، 1424ـ/ـ2003ـ، صـ230ـ.

4 - كتب الصحاح هي : صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذی، سنن ابن ماجه، وسنن النسائي .

و (صحيح مسلم) ، إلى جانب كتاب (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لابن حجر، و (الأربعين النووية) ⁽¹⁾.

د- علم الفقه: يختلف مقرر علم الفقه في اليمن من منطقة إلى أخرى تبعاً لاختلاف المذاهب وظهور مؤلفات جديدة مع مرور الزمن، فقد كانت المناطق الجنوبية والغربية من اليمن ومنها تهامة تدرس فقه الإمام الشافعي وقليل من فقه الإمام أبو حنيفة، أما المناطق الشمالية فكانت تدرس الفقه على المذهب الزيدية، ومن أهم الكتب التي كانت تدرس في مدارس تهامة في علم الفقه وأصوله: كتاب (التبيه والمذهب) على مذهب الإمام الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي، و (الرسالة في أصول الفقه) للإمام الشافعي، و (مصنفات القاضي أبي الطيب) وأهمها: شرح المولدات، و (العدة للفقيه حسين الطبرى) ، و (الإفصاح لأبي علي الطبرى) ، و (التبصرة في أصول الفقه) ، و (النكت في المسائل المختلف عليها بين الإمامين الشافعى والحنفى للإمام الشيرازي) ، وكذلك شروح هذه الكتب ومنها: شرح اللمع لموسى بن أحمد التباعي، وشرح التبيه المسمى هداية المبتدى وتنكرة المنتهى للعامرى، ومذكرة التبيه في المسائل المشكلة من التبيه، والإشراف في تصحيح الخلاف، والفتوح في غرائب الشرح، لمنصور الأصبهى ⁽²⁾. ومن الكتب التي كانت تدرس أيضاً: (البيان) ، و (الزوائد) للعامري، و (معونة الطلاب) بفقه معانى كلام الشهاب لابن أبي الخير، و (الشامل) للصباغ، و (الإبانة، ولحیاء علوم الدين) للإمام الغزالى، وشرحه هذه الكتب ومنها: شرح الوسيط للعامري، والعزيز شرح الوجيز، والحاوى وشرحه للفزويى، والمنهج للنووى، و (معین أهل التقوی على التدریس والفتوى) للأصبهى، و (الوسيط) للإمام الواحدى، والحاوى الصغير وتفسیره، وكان المعتمد في تدريس الفقه الحنفي: (كتاب القاضي) لابن عوف، و (الجوهرة المنيرة) لأبي بكر الحداد،

و (مختصر القدوري) ، وشرحه (السراج الوهاج) لأبي بكر الحداد، و (درر المهتدى وذخر المقتنى) للهاملى، وشرحه (سراج الظلام) لأبي بكر الحداد، و (المنظومة في

1 - حماد، مرجع سابق، ص 625 .

2 - الأكوع، للدراس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 68 .

مذهب أبي حنيفة) ، أما الطرق الصوفية فكانوا يعتمدون على كتب الفقه السابقة الذكر إلى جانب الكتب الخاصة بهم ومن أهمها كتاب ((الفصوص)) لابن عربي⁽¹⁾.

هـ - علم الفرائض: يُعد من العلوم التي كانت تدرس في مدارس تهامة، ومن أهم المؤلفات التي كانت تدرس في هذا العلم: ((كفاية المبتدئ)) للعامري، و ((الفرائض)) لأبي بقية الفرضي، و ((الكافي في الفرائض)) للصردفي وشرحه للبربهري، و ((المختصر في الفرائض)) لابن زهير، و ((مختصر الفرائض)) للملكي⁽²⁾.

2 - علوم اللغة والأدب: تُعد الحياة الأدبية الداعمة الثانية التي أمدت الحركة العلمية في اليمن ومنها تهامة بالعديد من المؤلفات وساهمت في نشر المعارف المتعددة، وكان للعلماء الوافدين إلى اليمن دوراً كبيراً في إثراء الحياة الفكرية والتعليمية ومن أشهر هؤلاء العلامة الفيروز أبادي الذي استقر في زبيد ودرس في مدارسها وتوفي بها عام 1414م⁽³⁾ ومن أهم العلوم التي كانت تدرس في مساجد ومدارس تهامة في هذا المجال:

أـ - علم النحو: حظي علم النحو بعناية خاصة باعتباره أداة تقويم اللسان والوسيلة المثلث لقراءة القرآن قراءة صحيحة سليمة، ومن أهم كتب النحو التي كانت تُدرس: ((الكافي)) في النحو، و ((مختصر ابن عباد)) في النحو، و ((كشف المشكّل في النحو)) لابن حيدره، و ((المفصل في علم النحو)) لجار الله الزمخشري، و ((ملحة الإعراب)) للحريري،

و ((مغامن المعاني في حروف المعاني)) في النحو للموزعى، و ((الكافية في النحو)) لابن الحاجب، بالإضافة إلى منظومة ابن دريد، وكتاب ((الجل)) للزجاجي، و ((مختصر الإبراهيمي)) في النحو، و ((المستذبح في شرح ألفاظ المهدب)) لابن بطّال الركبي، و ((ألفية بن مالك))⁽⁴⁾.

بـ - علم اللغة: من أهم الكتب التي كانت تدرس في هذا العلم: ((مختصر العين)) للخوافي، و ((نظام الغريب)) لعيسي الريعي، و ((قيد الأولد)) لإسماعيل الريعي،

1 - السندي، مرجع سابق، ص 226-228.

2 - حداد، مرجع سابق ، ص 625 . ٤- الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن ، مرجع سابق ، ص 10 .

3 - حيدر، مرجع سابق ، ص 77 .

4 - السندي ، مرجع سابق ، ص 6 .

و () القاموس المحيط) للفيروز أبادي، و () شمس العلوم) لنشوان الحميري، و () كفاية المتحفظ) لابن الأجدابي⁽¹⁾.

3 . العلوم الأخرى: وتشتمل هذه العلوم على:

أ- علم التاريخ والأنساب: كان هذا العلم يدرس في تهامة، وخاصة في مدارس زبيد رغم أن وثائق وقف المدارس لم تنص على ضرورة وجود مدرس لعلم التاريخ، ولكن المصادر التاريخية أوردت العديد من الإشارات الدالة على أن هذا العلم كان يُدرس كمادة مستقلة، فقد ذكر الجندي في كتابه السلوك أن كتاب ((طبقات فقهاء اليمن)) كان من الكتب التي تدرس آنذاك، كما ذكر بعض الباحثين اليمنيين أن علم التاريخ كان من العلوم التي درست في اليمن سواء أكانت كتب السير أو التراجم لطبقات العلماء المختلفة، أو تاريخ الدول أو المدن أو الطوائف. ومن العلماء الذين ألفوا كتاباً في التاريخ والأنساب ودرسوا في مدارس اليمن: المقري، والعامری، والشرجی، وابن الدبیع، والثلاثة الآخرين كانوا مدرسین للحدیث، وهذا يدل على ارتباط علم التاريخ وطرق تدريسہ بعلم الحدیث، نظراً لتشابه العلمن في طریقة الكتابة التي تعتمد على نقد الحدیث أو الروایة التاریخیة جرحأً وتعديلأً⁽²⁾.

ب- علوم الكلام والمنطق والفلسفة: لاقت هذه العلوم معارضة شديدة من أتباع المذهب الشافعی ذوى المعتقد الحنبلي، ولذلك كان الفقهاء الشافعیة الأشعریة يقومون بتدریسها في المنازل تجنبأً لمعارضة فقهاء الشافعیة الحنابلة، ولذلك لم تذكر هذه العلوم ضمن منهج الدراسة الذي يحدده المنشئ أو الواقف، ومن أهم الكتب التي كانت تدرس في هذه العلوم: () الأنصار في الرد على القدرية الأشرار) للعمرانی، و () جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر) ، و () التبصرة في علم الكلام) لمحمد العمرانی، و () الجواب الشافی في الرد على المبتدع الجافی) للشرجی، و () الحجة القوية في الرد على القدرية) للفعیطی⁽³⁾.

1 - الأکوع، للدارس الإسلامیة، مرجع سابق ، ص 12 .

2 - ابن الدبیع، بغية للمستفید، مرجع سابق، ص 11 .

3 - حیدر، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 78-83 .

ج- علم الفلك: لم يكن علم الفلك يدرس ضمن المنهج الدراسي في المدارس اليمنية، وإنما كان يدرس لمن يرغب فيه ومن أبرز الكتب التي كانت تدرس في هذا العلم: ((الزوج) للهمداني، و ((اليواقيت في علم المواقف)) لابن المبرد ^(١).

د- علوم الحساب والجبر والمقابلة: كان علم الحساب من العلوم التي تدرس للأطفال في سن مبكرة في الكتاب، أما علم الجبر والمقابلة فكان يدرس في المرحلة الثانية من مراحل التعليم (المساجد)، ومن أهم المؤلفات التي كانت تدرس كتاب: ((شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة)) للمزيجفي، وكتاب ((مفيد الطالب في معرفة الحساب)) للهা�ملي ^(٢).

أما عن طرق التدريس التي كانت متّبعة في مساجد ومدارس تهامة، والتي أتبعها مشايخ العلم لتوسيل معارفهم وعلومهم إلى طلابهم، فقد كانت تختلف من شيخ إلى آخر، حيث كان لكل شيخ طريقة التي يراها مناسبة لإيصال المعلومات إلى طلابه، إلا أن نزعة التقليد إلى ما هو قديم جعل من طريقة الحفظ أكثر شيوعاً خلال فترة الدراسة، ومن أبرز هذه الطرق التي كانت تستخدم في مساجد ومدارس تهامة ما يلي:

1- طريقة الحفظ : وتعد هذه الطريقة من أهم الطرق المتّبعة وأشهرها، سواء في مرحلة المعلمة، أو مرحلة الدراسة بالمسجد والمدرسة، وتستخدم خاصة في حفظ القرآن الكريم، والأحاديث، والأشعار، وبعض كتب النحو والصرف، والفقه وأصوله ^(٣) وتُعد طريقة الحفظ لاسِيما في القرآن الكريم، والأحاديث من أهم العمليات الدالة على نبوغ الطالب آنذاك في التحصيل العلمي، وتمتد عملية الحفظ إلى العديد من أمهات كتب الفقه واللغة ^(٤).

2- طريقة الكتابة والإملاء : تعد هذه الطريقة من أقدم طرق التعليم استخداماً وبخاصة في حلقات المساجد والمدارس وال المجالس العلمية، وتعتمد على قيام المدرس بإملاء محاضراته ودروسه على طلابه، الذين يكتبون خلفه ما ي مليء عليهم ^(٥)، وقد يقوم بعض الطلاب بنقل الكتب التي يدرسونها

1 - حيدر، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 81 .

2 - المرجع نفسه .

3 - السروري، مرجع سابق، ص 554 – 555 .

4 - حماد، مرجع سابق، ص 640 .

5 - حيدر، مرجع سابق ، ص 91 . ؛ الحداد ، مدينة حيس اليمنية، مرجع سابق ، ص 87 .

مع أساتذتهم، ويقوم كل أستاذ بمطابقة ما نقله كل طالب عن النسخة التي معه، بعد ذلك تبدأ مرحلة وضع الشروح والتعليقات والأجوبة على ما يتضمنه الكتاب من مسائل⁽¹⁾.

3- طريقة القراءة : وتقوم هذه الطريقة بأن يقرأ الطالب الدرس والشيخ يستمع، وبعد انتهاء الطالب من قراءة الدرس يقوم شيخ بشرح الدرس وتوضيح ما لم يُفهم، والغرض من هذه الطريقة تعويد الطالب على كيفية النطق اللغوي الصحيح للكلمات، وهي طريقة أكثر نفعاً للطلاب لكونها تساعدهم على تقويم ألسنتهم، فلا يلحنون في كلامهم عند القراءة، إذ يتبينه الشيخ لمن يقرأ من الطلاب إذا لحن، ويبين له الصواب، ويشرح له ما يتعلق بموضوع الدرس⁽²⁾.

4- طريقة السؤال والجواب: وهي طريقة استخدمها مشايخ العلم لاكتشاف المتميزين من طلابهم، وقد ألف عدد من العلماء كتابهم على منوال هذه الطريقة، وذلك لسهولة فهمها، واستيعابها من قبل الطلاب.

5- طريقة الشعر التعليمي: وتتلخص بأن يقوم الشيخ بنظم المادة التعليمية على شكل أبيات شعرية بسيطة، ليسهل على الطالب حفظها، ومن ثم استيعابها⁽³⁾.

أما عن أوقات التدريس في المساجد والإجازات، فكان لكل مدرس مواعيد معينة يختارها للتدرис، مراعياً في ذلك ظروف طلابه، حيث كان بعض المشايخ يبدأون دروسهم من بعد صلاة الفجر، حيث يلقى على طلابه درسين أو ثلاثة في موضوع واحد، أو في عدة موضوعات، وبعضهم كان يأتي وقت الضحى ويستمر في التدريس حتى وقت صلاة الظهر، وكان بعضهم يختار لدرسه مابين صلاة العصر إلى المغرب، وأخرون كانوا يدرسون بين المغرب والعشاء⁽⁴⁾. هذا في حالة عدم تحديد الواقف للمسجد وقت الدراسة، أما إذا حدّ الواقف على المسجد، وقت معين للتدريس، فكان وقت التدريس يبدأ على الأغلب من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر⁽⁵⁾. وكانت الدراسة في المساجد تأخذ شكل الحلقات المتخصصة، بحيث يأخذ كل شيخ مكاناً في المسجد مستنداً على أحد الأعمدة، ويجتمع حوله الطلبة للاستماع إليه والأخذ منه، فإذا انتهى من

1 - حمَّاد، مرجع سابق ، ص 641 . السوري ، مرجع سابق ، ص 556 .

2 - الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن ، مرجع سابق ، ص 190 .

3 - المرجع نفسه ، ص 308 .

4 - المرجع نفسه ، ص 18 .

5 - لطف ، الجهات الحيسية ، مرجع سابق ، ص 309 .

مادة درسه، انتقل الطلاب الذين كانوا معه إلى حلقة شيخ آخر وفي فن آخر⁽¹⁾. ويرى بعض الباحثين أن هذه الطريقة في التعليم لم تتفرق بها مساجد ومدارس اليمن، بل كان يؤخذ بها في مدارس إسلامية مشهورة، مثل المدرسة المستنصرية في بغداد، والأزهر في القاهرة، وجامع الزيتونة في تونس، وأماكن أخرى من بلدان الوطن العربي⁽²⁾.

كانت مدة الدراسة في المساجد تستمر تسعة أشهر، تبدأ من أول شهر محرم، وتنتهي في نهاية ذي القعدة، ويعطى الطالب إجازة سنوية ثلاثة أشهر وهي شعبان ورمضان، وذى الحجة، فضلاً عن أيام الجمع والأعياد الدينية⁽³⁾.

وفيما يلي أبرز الجوامع التي كان لها دوراً علمياً وتعليمياً في تهامة خلال فترة الدراسة.

1- جامع الأشاعر في زبيد :

يُعد جامع الأشاعر في زبيد من أقدم الجوامع في اليمن بعد جامعي صنعاء والجند، حيث يرجع بناءه كما تروي بعض المصادر إلى العام الثامن للهجرة على يد جماعة من قبيلة الأشاعر على رأسهم أبي موسى الأشعري⁽⁴⁾.

وقد احتل جامع الأشاعر مكانة روحية عالية عند أهل اليمن، وأهالي زبيد خاصة، وذلك مما حذا ببعض العلماء لتصنيف المؤلفات التي تبرز مقامه وفضله، وأخباره وأخبار من قام بالتدريس فيه⁽⁵⁾. يُعد جامع الأشاعر من أبرز مراكز التعليم بمدينة زبيد، إذ امتدت أهمية حلقاته العلمية حتى عصرنا الحاضر، كما لقي من سلطتين الدولة الرسولية في اليمن عنابة تلقي بمكانته من حيث ترتيب العلماء والمربزين للتدريس فيه، كما أوقفوا عليه كثيراً من الأراضي والعقارات⁽⁶⁾. كما

1 - هائل، علي مصلح: الأثر النقافي في حركة المعارضة الوطنية اليمنية (1934- 1962م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 1428 / 2007، ص 74.

2 - الخلو، صادق ياسين : المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث، مجلة كلية الآداب والآلسن، جامعة ذمار، العدد (8)، ص 25.

3 - الأكوع، للدراس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 17 .؛ الحداد، مدينة حيس اليمنية، مرجع سابق، ص 89.

4 - للقداد ، محمد بن عبد الوهاب : قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاها الصالحون في فضل مسجد الأشاعر، تح/ عبد الرحمن الحضرمي، مجلة الإكيليل، ع (3-4)، السنة الأولى، ص 108 .

5 - من هذه للمؤلفات كتاب (قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاها الصالحون في فضل مسجد الأشاعر)، مؤلفه محمد عبد الوهاب المقداد، وكتاب تحفة الناظر في أخبار مسجد الأشاعر مؤلفه محمد بن دبا، وكتاب جامعة الأشاعر مؤلفه عبد الرحمن الحضرمي .

6 - الحضرمي، عبد الرحمن: جامعة الأشاعر في زبيد، الشركة اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، 1974م، ص 53.

نال عامة أهل المدينة والطلاب نصيباً من العناية التعليمية، من خلال ما تميز به المسجد عن غيره من مساجد تهامة باستحداث منبر خاص لقراءة الحديث والوعظ، بعد صلاته الفجر والعصر من كل يوم^(١). نال جامع الأشاعر كغيره من الجوامع عبر الفترات الإسلامية الكثير من الإضافات من حيث التجديد والتعمير في مراحل تاريخية عدّة^(٢). أضطلع بمهمة التدريس في جامع الأشاعر منذ تأسيسه عدد من المشايخ والعلماء الكبار، أبرزهم إمام الشافعية في عصره الفقيه محمد بن أبي بكر الزوقي المشهور بابن الحطاب (ت 266هـ)، والشيخ الحنفي أبو بكر بن يوسف المكي (ت 1297هـ)^(٣).

أما في فترة البحث فقد بُرِزَ عدد من العلماء والمشايخ تولوا مهمة التدريس فيه، من أبرزهم الفقيه إبراهيم بن عبد الله بن أحمد المزجاجي، والعلامة محمد أحمد ناصر، والعلامة عبده أحمد الحزامي، والعلامة عبد الرحمن بن عبد القادر الأنباري، والفقیہ محمد بن محمد المقبولی^(٤).

2- الجامع الكبير في زبيد^(٥) :

1 - المقصود بالمنبر هنا هو: منبر خصص جلوس قارئ الحديث الشريف، ليتجه من خالله إلى الحاضرين، وهو غير منبر الخطابة . أنظر: العبادي، الحياة العلمية في زبيد، مرجع سابق، ص 148 .

2 - على مدى تعاقب الأجيال والحقب التاريخية استمر بناء الجامع بفضل الترميم والتجديد الذي شمله في مراحل تاريخية متعددة، منها عناية ملوك ووزراء الدولة الزيادية خاصة القائد "الحسين بن سلامة" مولى ووزير الزياديين الذي جدد عماراته في أواخر عهد الدولة الزيادية عام 1016هـ/403م ، وفي عام 1428هـ/832م أنشأ الأمير شهاب الدين منبر الحديث والوعظ ، وفي عام 1486هـ/891م جدد عمارته حازنadar زيد الأمير سيف الدين برقوق الطاهري ، حيث عمره عمارة متقدمة وزاد فيه زيادات مستحسنة منها أحجنته الشرقية والغربية ومقصورة النساء وجعل للجامع خزانة جيدة لحفظ أمتعته وكفاءه بالثورة وزخرف جداره القبلي بأنواع النقوشات ونصب في المسجد منبراً مزین بالأيات القرآنية، وفي عام 1542هـ/1486م قام بجمده وإعادة عمارته الملك المنصور تاج الدين "عبد الوهاب بن داود بن طاهر" فيبلغاء^{حسناً} ورفعه عن الأرض نحو سبعة أذرع وزيدت فيه زيادات من جانبه الأيمن وجعل في جداره القبلي نافذتان من الحديد أضاءات منها جوانب المسجد وأبدل ما تلف وجعل للبركة رواق يماني زيادة على الرواق الأول الشرقي، كما جعل لها باب خارج عن المسجد يدخل منه الناس أيام المطر صيانة للمسجد من النحاسات، وفي عام 1542هـ/949م تم إصلاح وترميم منبر الخطابة على يد الوالي العثماني "مصطفى باشا النشار" كما تم تجديد وإصلاح بعض سقوف الجامع في عام 1859هـ/1276م خلال العهود الأخيرة للعثمانيين في اليمن. أنظر: حماد : مظاهر الحضارة في اليمن، مرجع سابق، ص 826-852 .

3 - العبادي ، الحياة العلمية في زبيد، مرجع سابق، ص 149-150 .

4 - الحضرمي، زيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، مرجع سابق، ص 64 .

5 - يرجع تاريخ بناء الجامع إلى القرن الثالث الهجري / التاسع لليلادي، وقد دخل على الجامع العديد من الإضافات والتجديديات عبر حقب التاريخ الإسلامي، حيث أهتم به بنو زيد وقاموا بتجديده عام 1000م ، ثم تعرض للهدم على يد

يُعد الجامع الكبير من أكبر مساجد زبيد مساحة، وأكثرها اتساعاً، وثانيها في المنزلة الروحية لدى السكان، وقد حظي بالرعاية والعناية من قبل سلاطين بنى رسول، حيث رتبوا فيه الخطباء والمدرسين، وكان يوم حلقاته العلمية عدد كبير من الطلاب، إذ تشير بعض المصادر أن بعض حلقاته كانت تزيد عن مائتي طالب⁽¹⁾.

كان يمثل الجامع الكبير في زبيد أهم المدارس العلمية، حيث كانت تدرس فيه مختلف العلوم الدينية واللغوية، من القرآن وعلومه، والحديث الشريف وأسانيده ومصطلحه، والفقه وأصوله، واللغة العربية، ومن أبرز من اضطلع بمهمة التدريس فيه العلامة كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي حيث كان يدرس فيه الفقه طيلة العام، عدا شهر رجب وشعبان ورمضان فيقوم بتدريس الحديث الشريف⁽²⁾، والعلامة جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري، والذي اشتهر بحسن التدريس والصواب في الفتوى، كما برع عدد من العلماء الكبار الذين وفدوا إلى زبيد للتدريس بالجامع الكبير من أبرزهم الفقيه محمد بن خضر الكايلي والذي كان يجلس للدرس من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر⁽³⁾.

أما أبرز الذين مارسوا التدريس فيه خلال فترة البحث فهم: العلامة أبو بكر بن علي البطاح، والعلامة يوسف بن محمد البطاح، والعلامة السيد يحيى بن عمر الأهل، والعلامة عبد الله محمد البطاح، والعلامة عباس محمد السالمي، والعلامة داود السالمي، والحافظ محمد سعيد

علي بن مهدي الرعيبي فأعاد المبارك بن منقذ والي زبيد تجديده بتوجيه من توران شاه الأيوبي، وقد بدأ بناء المقدمة من الجامع في عام 1177م ، وتفيد المصادر أنه أعاد الخطبة إليه بعدما توافت، ثم أمر الأمير سيف الإسلام طغتكين الأيوبي ببناء محباته الجنوبيه والشرقية والغربية مع المئارة عام 1186م، وفي عهد الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى عام 1441م بنيت للجامع بركة كبيرة من الناحية الشرقية، حيث انتفع الناس بها كثيراً، كما عمّ جزء من أسقفه، وأقام فيه قراء يقرأون القرآن عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم ، وفي عام 1718 قامت هيئة الأوقاف في زبيد ببناء المقاصير لللحقة به، وبناء جدار مساند للجدار الغربي للجامع لمنعه من السقوط . أنظر: ابن الدبيع، الفضل المزید على بغية المستفيد، مرجع سابق، ص70 – 80؛ حماد ، مظاهر الحضارة في اليمن، مرجع سابق، ص824.

1 - العبادي ، الحياة العلمية، مرجع سابق ، ص 151 .

2 - المرجع نفسه، ص 154 .

3 - الأهجري، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق ، ص 188 .

جُمع، والحافظ عبّيد علي الزبيدي، والعلامة محمد عمر راجح، والفقيه حسن علي قروش، والعلامة أحمد محمد عبد الباقي خليل، والعلامة أسد حمزة عبد القادر⁽¹⁾.

3- الجامع الكبير في مدينة الحديدة⁽²⁾:

يُعد الجامع الكبير في الحديدة من الجوامع الشهيرة، والذي كان له دوراً علمياً خلال فترة الدراسة، ساهم الجامع بدور علمي من خلال احتواه على حلقات علمية، تبناها عدد من علماء المدينة، كان أبرز من تولى مهمة التدريس فيه العلامة أحمد بن عبد الله بن طاهر بن حسين القديمي، والعلامة عبد الله محمد مكرم وابنه عبد الرحمن عبد الله محمد مكرم، كما كان يُقام في الجامع قراءة صحيح البخاري في شهر رجب من كل عام، ولازالت هذه العادة تمارس حتى وقتنا الحالي⁽³⁾.

4- جامع الزيلعي في مدينة اللحية :

يُعد جامع الزيلعي أقدم الجوامع في مدينة اللحية، حيث تذكر بعض المصادر أن تاريخ بناءه يرجع إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي⁽⁴⁾.

يقع الجامع على مكان مرتفع في الجنوب الشرقي من مدينة اللحية، ويكون من جزئين أمامي وخلفي، ويوجد بداخل الجامع حجرة واسعة كانت تخصص لإقامة الالروس، وظل الجامع يؤدي دوره التعليمي حتى فترة الدراسة، ويلحق بالجامع منارة عالية نسبياً تقع في زاويته الشمالية

1 - الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها، مرجع سابق، ص 52-54.

2 - يعود تاريخ بناء الجامع إلى مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر للميلادي، وذلك على نفقة السيدة فاطمة بنت أحمد الزراق، تعرض الجامع كغيره من الجوامع للتتوسيع والإضافات من قبل بعض تجار الحديدة، كان على رأسهم التاجر محمد دحمان بادويلان الذي قام في عام 1255هـ بإضافة خمسة صفوف في مؤخرته مرتفعة أسففها عن الصفوف الأمامية للجامع، كما قام بعمارة منارته ، وفي عام 1951 قام ولی العهد محمد البدر بن الإمام أحمد حميد الدين بإصلاح أسفف صفوفه الأمامية ورفعها عن مستوىها الحابت ومساواتها بالصفوف الأخيرة، وفي عام 1974 تم هدم الجامع، وإعادة بنائه بشكل حديث على نفقة التاجران علي محمد الجبلي، وعبد الله عقيل باعبيد . أنظر: الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 142 - 143 ؛ صحيفة 26 سبتمبر، الجمهورية اليمنية، ع(1265)، يونيو/ حزيران 2006، ص 22.

3 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 142 - 143.

4 - قام بتحديثه الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي، حينما قدم إلى المحجنة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلادي، وسي الجامع باسمه . أنظر: الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 217 .

الغربية، والجامع بجميع أقسامه ملبس بالنورة البيضاء (الكلس)، وتنخلله من الداخل زخارف معمارية، وأشرطة كتابية تتضمن بعض الأدعية والآيات القرانية⁽¹⁾.

5- الجامع الكبير في المراوعة :

يرجع بناء الجامع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على يد الشيخ علي بن عمر الأهل، وقد تم بناءه في بداية تأسيسه من القش، وقد أعيد بناءه بالطوب الأحمر (الأجر) على يد الشيخ أحمد بن علي بن عمر، تعرض الجامع في مطلع القرن العشرين وخلال الحرب العالمية الأولى لأضرار ألحقت بجزء كبير منه، نتيجة سقوط قذيفة عليه من قبل القوات البريطانية، وقد تم إصلاح هذه الأضرار عام 1916، وأضيفت له ثلاثة قباب، وباب من الناحية الغربية كانت تقام فيه الحلقات العلمية المنتظمة، كما كان يلحق به في الجزء الجنوبي منه حجرة خصصت لتعليم القرآن الكريم، ولا يزال الجامع قائماً حتى وقتنا الحالي⁽²⁾.

6- الجامع الكبير في بيت الفقيه⁽³⁾:

يقع الجامع الكبير في حارة الصاليفين إحدى حارات مدينة بيت الفقيه، ويرجع تأسيسه إلى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على يد الشيخ أحمد موسى بن عجيل، ويحيوي الجامع على فناء واسع وبه ثلاثة محاريب، وله أربعة وعشرون عموداً⁽⁴⁾.

7- الجامع الكبير في الزيدية :

يقع الجامع في الحارة الغربية من مدينة الزيدية⁽⁵⁾، حيث قام بتأسيسه الفقيه علي بن محمد، ثم تعرض الجامع للتجديد على يد يحيى بن أحمد الكبسي، عندما كان عملاً على مدينة الزيدية

1 - الزيلعي، أحمد عمر: بنو الزيلعي العقiliون وانتشارهم في تحامة، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع (12)، مارس 2004م، ص 57.

2 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 159.

3 - تعرض الجامع كغيره من جوامع تحامة للتجديد والتوسعة، حيث أعيد بناءه وتوسيعه عام 1318، وجدد للمرة الثانية في عهد الدولة الطاهرية في اليمن بأمر السلطان عامر بن عبد الوهاب، كما تم توسيعه في جهته الشرقية عام 1703، وخالل الحكم العثماني على اليمن قام الوالي العثماني محمود باشا ببناء منارة العالية، والذي يبلغ طولها حوالي 30 متراً، أنظر: الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 239.

4 - المرجع نفسه، ص 239.

5 - تقسم مدينة الزيدية إلى حاراتين : الحارة الشرقية وتسكنها عدة أسر أبرزها بنو الملاح، وبنو صائم الدهر، وبنو حسين وبنو نص، وبنو الشحاري وبنو عامر، والحارة الغربية والتي تضم بنو خجان، وبنو السادة، وحي الجامع الكبير .

عام 1938، وذلك بأمر ولی العهد أحمد يحيى حميد الدين، يحوي الجامع في هیئتھ الحالیة على خمسة عشر قبة، وثلاثة عشر عموداً، ولا يزال الجامع قائماً حتى عصرنا الحالی^(۱).

3- الرُّبُط:

الرُّبُط: مفرد ریاط، وهو اسم مشتق من المرابطة، وملازمة ثغر العدو^(۲)، ويقصد به التوجه والإقامة للقيام بعمل جليل وعظيم، يتطلب الصبر والجهد ورباطة الجأش^(۳)، ويطلق هذا اللفظ على البناء المحقق الذي يُقام بقرب الحدود، ويربط به جماعة من المجاهدين لمحاجمة الأعداء ودفع خطرهم^(۴).

ولم يلبث أن أصبح الرباط مصطلحاً يطلق على المرابطين في موقع التعليم، ولذا أطلق الرباط على المؤسسة التعليمية التي تحوي بين جنباتها مشايخ العلم، وطلبه المرابطين فيه، والملازمين لحلقاته^(۵). ويرجع بعض المؤرخين السبب وراء إطلاق مسمى الرباط على هذه المؤسسة لتشابه الغرض والوظيفة، فالرابط على الثغر يجاهد العدو، والمرابط في المؤسسة التعليمية يجاهد النفس على طاعة الله، وهجر الدنيا والانقطاع للعبادة، ولهذا الهدف أست

الرُّبُط^(۶). انتشرت هذه المؤسسة التعليمية في المناطق التي يقطن غالبيتها أتباع المذهب الشافعی والحنفی، وكان انتشارها في منطقة تهامة أكثر من غيرها، وذلك لتزامن إنشائها مع انتشار التصوف على نطاق واسع بين فقهاء المنطقة، وطلاب العلم، إذ قام عدد من رجالات الصوفية بإنشاء بعض الرُّبُط، وذلك أن التصوف في مراحله الأولى ارتبط بمجاهدة النفس، وتربيتها على العبادة، والاشتغال بالأوراد والأذكار التي يتلقاها المريد عن شیخه، وقد تطلب هذا الأخذ والتلقي إلى تهيئة أماكن؛ لذا كانت الرُّبُط المكان المناسب لهذا الغرض^(۷).

1 - الحضرمي، تکامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 219.

2 - ابن منظور، مرجع سابق، ج 7، ص 302، مادة (ربط).

3 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق ، ص 44 .

4 - العبادي، مرجع سابق، ص 211 .

5 - سليمان، کرامۃ مبارک: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 1، 1994م، ص 52.

6 - الخطيب، محمد : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1411 / 1991، ص 74 - 75 .

7 - العبادي، مرجع سابق، ص 212 .

شكلت الرُّبُط خلال فترة البحث في تهامة معاقل علمية مهمة قامت بأدوار بارزة في ازدهار الحياة الفكرية، وذلك من خلال نشر العلوم الشرعية واللغوية، وتخريج عدد من العلماء والمبرزين، الذين شاركوا في مسيرة الحياة العلمية بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962.

لم تكن هذه الرُّبُط تلتزم بمنهج موحد، وذلك لعدم خصوصيتها لجهة واحدة تشرف عليها، بل كان لكل رباط شيخ يتولى تحديد الكتب التي تُدرس، وتحديد المعلمين لكل كتاب حسب التخصص، وتوزيع أوقات الدروس وتنظيمها⁽¹⁾.

وكان أغلب ما يُدرس في هذه الرُّبُط، العلوم الإسلامية والعربية، كالتفسير، والفقه وأصوله، والحديث، والنحو، والصرف، والمواريث، وبعضها كان يدرس الفلك، والحساب، والجبر، والتاريخ، والأنساب⁽²⁾.

كان التعليم في الرُّبُط قسم إلى مراحل متدرجة يبدأ من الأسهل إلى الأصعب، حيث يبدأ الطالب أول ما يلتحق بالرباط بحفظ المتن المبسطة مثل متن ملحة الإعراب، أو متن الأجرمية في النحو، بعدها ينتقل الطالب في المرحلة الثانية بشرح هذه المتن وبصورة مبسطة دراستها، وبالدرج يصبح الطالب ملماً بالعلوم الشرعية واللغوية، حيث يصبح مؤهلاً لأخذ الإجازة من قبل العلماء الذين درس على أيديهم⁽³⁾.

أما عن أوقات الدراسة في الرُّبُط ومدتها والإجازات السنوية والأسبوعية فهي نفس التي كانت تتبع في المساجد والمدارس الدينية، وكانت الدراسة فيها مقتصرة على الذكور دون الإناث. ومن أبرز الرُّبُط في تهامة التي لعبت دوراً علمياً خالد فترة البحث رباط يحيى بن عمر الأهدل⁽⁴⁾، ورباط البطاح في زبيد⁽⁵⁾، ورباط علي يوسف بهايا⁽⁶⁾،

1 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 46 .

2 - الحضرمي، تجاهة في التاريخ، مرجع سابق، ص 462-465 .

3 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 46-47 .

4 - ينسب هذا الرباط إلى مؤسسه السيد العلامة يحيى بن عمر مقبول الأهدل (ت 1734م)، ويعرف برباط الإدرسي، ويقع هذا الرباط في ربع العلي من الجزء الشرقي من زبيد .

5 - ينسب إلى الشیخ العلامة يوسف بن محمد بن يحيى بن أبي بكر علي البطاح (ت 1830م)، ولا يزال هذا الرباط تقام فيه الحلقات العلمية حتى عصرنا الحالي، ويدرس فيه في الوقت الحالي العلامة أحمد بن داود البطاح، الذي يقع بيته بجوار الرباط .

6 - يعد رباط علي يوسف بليبا من الرُّبُط العلمية في مدينة زبيد، وموقعه في ربع العلي، ومن دروس فيه العلامة محمد سيف الشرعي، والعلامة خالد محسن حسن الشرعي .

ورباط المهاولة⁽¹⁾، ورباط الجامع الكبير⁽²⁾، ورباط جامع الأشاعر⁽³⁾، ورباط الفرحانية، ورباط الغصينية، ورباط الدارة، ورباط حرض⁽⁴⁾، ورباط الأهلل في مدينة المراوعة، وغيرها من الربط التي لا تكاد تخلو منها مدينة علمية في تهامة⁽⁵⁾.

ولم يقتصر دور هذه الربط على الدور التعليمي فقط، بل تعداه إلى الدور الاجتماعي، وذلك من خلال قيام بعض مشايخ هذه الربط بالتوجيه والإرشاد في أوساط المجتمع، وقيامهم بحل المشاكل والخلافات بين الناس، وذلك لقبول كلمتهم، وهو ما جعل لهذه الربط والقائمين عليها مكانة اجتماعية في نفوس الناس، ولذا أنفقوا عليها بسخاء، وأوقفوا عليها الأموال لكي تستمر.

- 4- المدارس العلمية:

اقتصر التعليم في أغلبه خلال فترة الدراسة في اليمن ومنها تهامة على التعليم الديني، وذلك للأسباب المشار إليها سابقاً. لتحقيق أهداف الإمامة المتمثلة بنشر الفكر الزيدية، واستقرار المملكة قامت الإمامة بتأسيس بعض المدارس في أغلب مدن اليمن ومنها تهامة، وأطلق على هذه المدارس بالمدارس العلمية⁽⁶⁾.

كان الهدف الأساسي من تأسيس هذه المدارس، هو الحاجة لتأهيل واعداد موظفين، وخاصة بعد أن وسع الإمام سيطرته على معظم المناطق اليمنية، ولذا كان بحاجة إلى قضاة ومدراء نواحي واداريين وكتبة يذيرون هذه المناطق تحت سيطرته، كما هدف إلى نشر الفكر الزيدية بعد أن بدأ ينحسو أمم المذهب السنوي، الذي كان للعثمانيين دوراً كبيراً في تشجيعه ونشره⁽⁷⁾.

1 - رباط المهاولة يقع بالقرب من بيت المهاولة في ربع الحزه في زبيد، وُوسِّعَ فيه عدد من العلماء أبرزهم العالمة أبكر عبد الرحمن الأهلل .

2 - بعد رباط الجامع الكبير في زبيد من أكبر الربط في تهامة خلال فترة الدراسة، وهو يتكون من أربعة عشر حجرة (مقصورة)، وتم تأسيس رباط الجامع في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

3 - وهو عبارة عن حجرة واحدة، وموقعها بجوار جامع الأشاعر من الناحية الغربية .

4 - مؤسس هذا الرباط هو منصور بن جعدان، ويقع هذا الرباط في مدينة حرض، وهي من مدن تهامة الشمالية ، وكانت من مراكز العلم التي يقصدها الطلاب خلال فترة الدراسة .

5 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 461.

6 - يقصد بالعلمية هنا العلم الشرعي المقصور على معرفة الفقه وأصوله، لا التعليم الحديث القائم على التجارب العملية، أو التعليم للهني. أنظر: البردوني، عبدالله : الثقافة والثورة في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1992م، ص 423.

7 - البكري، مرجع سابق، ص 63 .

كانت هذه المدارس العلمية بمثابة معاهد عليا متخصصة في تدريس العلوم الشرعية، وهي بذلك تشبه الأزهر الشريف بالقاهرة، ويدرك البردوني بأن هذه المدارس العلمية الدينية كانت نقطة وسط بين الجامع والجامعات الحالية مع اختلاف بسيط في نوعية التطور الاجتماعي والثقافي⁽¹⁾، وكانت مناهج هذه المدارس مقصورة على العلوم الدينية المتعددة، كالتفصير والحديث والسيرة والفقه، والعلوم اللغوية والأدبية، حيث كانت تقرب في بعض مقرراتها من مثيلاتها من المدارس في القاهرة وتونس وسوريا⁽²⁾.

أما بالنسبة لطرق التدريس في هذه المدارس، فتُعد امتداداً لأساليب وطرائق التدريس التي كانت تتبع في حلقات الجامع، إذ يقوم الشيخ بإلقاء الدرس وطلابه حوله مستمعين لما يلقى عليهم، ثم يقوم بشرح النقاط غير الواضحة⁽³⁾. وكان عدد سنوات الدراسة في هذه المدارس ما بين 6-7 سنوات، عدا المدرسة العلمية في صنعاء التي كانت مدة الدراسة فيها 12 سنة، إضافة إلى سنة تحضيرية، موزعة على ثلاثة فصول، كل فصل يحتوي على أربع شعب، يقضي الطالب في كل فصل أربع سنوات ، يُطلق على الشعبة الثالثة في الفصل الأخير شعبة المنهاج ، أما الشعبة الرابعة والأخيرة كانت تسمى شعبة الغاية أو الاجتهداد⁽⁴⁾ .

أما بالنسبة لأوقات الدراسة في هذه المدارس، فكانت تبدأ من شروق الشمس إلى أذان الظهر ويُعد يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع إجازة رسمية، ويبدا العام الدراسي ببداية شهر شوال وينتهي في شهر رجب، حيث تبدأ اختبارات الطلاب في هذا الشهر ، وذلك عبر لجان مكلفة من وزير المعارف، تتوزع على جميع المدارس العلمية في عموم اليمن، وتستمر الاختبارات إلى منتصف شهر شعبان⁽⁵⁾ .

يتم امتحان الطلاب شفويًا ، وذلك من خلال وقوف الطالب أمام لجنة الامتحان المكونة من عدة مشايخ، ويجب الطالب على كل الأسئلة التي تلقى عليه من قبل أعضاء اللجنة في جميع المواد التي درسها، وبعد إكمال مقابلة الطالب شفويًا كان غالباً ما يعطى له امتحاناً تحريرياً ، بعدها

1 - البردوني، الثقافة والثورة في اليمن، مرجع سابق، ص 417.

2 - باعبيد، علي هود : التعليم في الجمهورية العربية اليمنية (ماضيه . حاضره . مستقبله)، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط 3، 1988م، ص 26.

3 - البكري، مرجع سابق، ص 66.

4 - الأكوع، للمدارس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 403 – 406.

5 - البكري، مرجع سابق، ص 67.

تجمع اللجنة وتقرر درجة كل طالب في كل مادة على حدة⁽¹⁾، وكانت المدارس العلمية تؤمن للطالب المسكن والغذاء ومتلهاً من المال شهرياً، ولذا كان الإقبال عليها شديداً، وهو ما جعل الالتحاق فيها يخضع لشروط معينة منها⁽²⁾ :

- 1- أن يكون مستوى الطالب المتقدم إلى هذه المدارس معدلاً للابتدائية .
- 2- خضوع الطالب لاختبارات مكثفة تمكنه من الالتحاق بالمدرسة .
- 3- إذا كان مستوى الطالب المتقدم عالياً، كأن يكون من خريجي الجامع وقطع شوطاً فيها فإنه يلتحق بالشعبة التي تتناسب مع مستوى بعد إجراء اختبار له لتحديد مستوى.
- 4- أن يأتي الطالب بكفيل (ضامن) يكفله بعد خروجه من المدرسة إلا بأمر شريف، وفي حالة المخالففة فإن الضامن ملزم بدفع كل ما أخذه الطالب من المدرسة .

وتميزت هذه المدارس بأن خريجها يجدون فرص العمل مباشرة في مجال القضاء أو التدريس، أو كمحاسبين في الألوية والأقضية، وذلك لتنفيذ سياسة الدولة التي أنفقت عليهم طوال فترة دراستهم⁽³⁾ .

أما بالنسبة لمدرسي هذه المدارس العلمية فكان يطلق عليهم لقب شيخ، وكانوا من خريجي حلقات الجامع، وهجر العلم، ومن خريجي المدارس العلمية نفسها، حيث أن الطالب المتخرج بتتفوق من هذه المدارس يُعين في مدرسته، ويطلق عليه في هذه الحالة بالمعيد، وكان هؤلاء المدرسوون يتتقاضون مرتبات مقابل تدريسهم، تتفاوت حسب مرتبة الشيخ، كانت هذه المرتبات عبارة عن مبالغ نقدية من الريالات، وعینية من حبوب الذرة⁽⁴⁾ .

وكان لهذه المدارس إلى جانب هيئة التدريس هيئة إدارية تعمل على ترتيب سير العملية التعليمية⁽⁵⁾.

وقد انتشرت المدارس العلمية في أغلب مناطق اليمن ومنها تهامة، وكانت أكثر انتشاراً في المناطق الشمالية من اليمن، وذلك لوجود المذهب الزيدية، حيث بلغ عددها في عهد الإمام يحيى

1 - البكري، مرجع سابق، ص 67 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 9 - 10 .

3 - المرجع نفسه، ص 10 .

4 - البكري، مرجع سابق، ص 71 .

5 - العز عزي، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق، ص 95 .

حميد الدين ستة عشر مدرسة تضم 1761 طالباً⁽¹⁾، وزاد عددها في عهد نجله الإمام أحمد يحيى حميد الدين حيث وصل عددها في عام 1956 إلى أربعة وخمسون مدرسة موزعة على مناطق اليمن⁽²⁾. كان نصيب تهامة من هذه المدارس ثلاث مدارس علمية، وهما المدرسة العلمية في زبيد، والمدرسة العلمية في بيت الفقيه، والمدرسة العلمية في منطقة الزيدية.

أ- المدرسة العلمية في زبيد :

تأسست هذه المدرسة عام 1938، وذلك عندما قدم ولی العهد أحمد بن يحيى حميد الدين لزيارة مدينة زبيد حيث التقى خلال الزيارة بعلماء زبيد، وطلب منهم إعطائه الإجازة فيما تعلمه فوافق علماء زبيد بشرط أن يخضع للمناقشة في جلسة علنية في جامع الأشاعر، فوافق على ذلك، وعقدت الجلسة العلمية، وتم مناقشة ولی العهد في علوم الحديث والفقه والفرائض واللغة العربية، وأثبتت جدارته بالحصول على إجازة علماء زبيد له⁽³⁾، وبعد حصول ولی العهد على الإجازة اعتمد المدرسة العلمية بالأشاعر كمدرسة رسمية، واعتمد لها مبالغ مالية وعينية من عائدات أوقاف زبيد، تصرف على مشايخها والذين بلغ عددهم 12 شيخاً، فضلاً عن صرف مخصصات شهرية لطلابها والذين بلغ عددهم مائة طالب، والذي كان مقتصرًا على الذكور فقط دون الإناث⁽⁴⁾.

والجدول التالي يوضح المخصصات الشهرية لمشايخ المدرسة العلمية في زبيد لعام 1938.

1 - العطار، مرجع سابق، ص 108.

2 - وذلك حسب تقرير منظمة اليونسكو (1955- 1956)، الإحصاء التربوي العالمي، نقلًا عن الذياني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 195.

3 - الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 461.

4 - حيث اعتمد لكل طالب في بداية تأسيسها ست كيلات من حبوب الذرة ، وبالونصف ماريا تريزا شهرياً.

أنظر: الحضرمي، تحامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 461-462.

جدول يوضح المخصصات الشهرية لمشيخ المدرسة العلمية في زيد⁽¹⁾

الاسم الشيفي	المخصص له عينياً من محصول الذرة .	المخصص له نقدياً بالريال الفضي ⁽²⁾ .
أحمد محمد الأهل	25 كيله	10 ريال
حسين محمد الوصابي	25 كيله	10 ريال
محمد أحمد السالمي	25 كيله	10 ريال
محمد صديق البطاح	20 كيله	10 ريال
يعي محمد يوسف جدي	20 كيله	10 ريال
محمد بن محمد البحر	15 كيله	3 ريال
عبد الله بن زيد المغربي	15 كيله	3 ريال
محمد عباس إلياس	15 كيله	3 ريال
محمد يوسف قثير	15 كيله	3 ريال
إبراهيم عبدالله المزجاجي	15 كيله	3 ريال
عبد الله فتاح السالمي	15 كيله	3 ريال
محمد أحمد يحيى قناعه	15 كيله	3 ريال

طلت المدرسة العلمية تؤدي دورها العلمي حتى عام 1953، حيث أغلقت لمدة عام⁽³⁾، وبعدها أعيدت الدراسة فيها حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962، حيث تم تأسيس مبني جديد لها سمي بمدرسة الفوز وطلت الدراسة فيها حتى عام 1982 تحولت بعدها إلى معهد علمي سمي بمعهد المرتضى، وهو لا يزال قائماً حتى عصرنا الحالي⁽⁴⁾.

1 - الحضرمي، تجامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 462.

2 - الريال الفضي: كانت قيمته خلال فترة الدراسة تساوي 0,76 إلى 0,80 ستة من الدولار الأمريكي.

أنظر: العطار، مرجع سابق، ص 236.

3 - يرجع السبب في إغلاقها إلى قيام الإمام أحمد بجعل كتاب الأزهار في الفقه الزيدى، من الكتب الملزمة للتتدريس في المدرسة العلمية، وهو ما رفضه علماء زيد، الذين كان أحليهم من أتباع المذهبين الشافعى والحنفى، وذلل مما حدا بالإمام الأمر بإغلاق المدرسة لمدة عام، وبعد مناقشة الإمام من قبل مديرها حسين عبدالله الحدایا، بأن يكون تدريس كتاب الأزهار اختيارياً وليس ملزماً، إلى جانب فقه المذهبين الشافعى والحنفى، فوافق الإمام أحمد على ذلك، وأعيد فتح المدرسة. أنظر: الحضرمي، جامعة الأشعار بزيد، مرجع سابق، ص 454.

4 - هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 469.

ولم تكن المدرسة العلمية في زبيد هي الوحيدة في تهامة، بل قامت الإمامة بتأسيس مدرستين آخريتين في منطقتي بيت الفقيه والزيدية، ولكن لم تسعفنا المصادر بأي تفصيل عن هاتين المدرستين، سوى أنهما تم تأسيسهما عام 1938⁽¹⁾.

فضلاً عن هذه المدارس فقد كانت هناك مدارس دينية في تهامة وبخاصة في مدينة زبيد عملت جنباً إلى جنب على نشر التعليم الديني، حيث تخصصت بعضها بتدريس الفقه الشافعى كمادة أساسية⁽²⁾، وأخرى لتدريس الفقه الحنفي إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى، وعلوم اللغة العربية⁽³⁾. كما وجدت مدارس لتدريس المذهبين الشافعى والحنفى معاً⁽⁴⁾، وتفردت بعض المدارس بتدريس علوم بمفردتها مثل الحديث وعلم القراءات⁽⁵⁾.

ب- التعليم النظامي الحديث ومرافقه:

فضلاً عن هذه المؤسسات التعليمية ذات الصبغة الدينية، شهدت اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة تأسيس بعض المدارس النظامية التي أدخلت في منهاجها بعض العلوم الحديثة، وقد جاء هذا التغيير في نوع التعليم عندما قبل الإمام يحيى في نهاية الثلاثينيات، وتحت ضغط المعارضة الوطنية بفكرة إرسال بعض البعثات التعليمية للدراسة خارج اليمن، واستقدام بعض الخبراء في مجال التعليم، حيث كان لهذه البعثات التعليمية بعد عودتها دور في تغيير أوضاع اليمن، وتوسيع عقول أبنائه، وجعلهم يتطلعون نحو التجديد والتحديث، وذلك لاحتقارهم بثقافات وأفكار جديدة، وتعريفهم على التطورات التكنولوجية، والخدمات العامة التي توفرها الحكومات لمواطنيها، ومن خلال المقارنة بين أوضاع اليمن وما كانت تعشه من تأخر وتخلف، وبين البلدان

1 - البكري، مرجع سابق، ص 64 - 65 .

2 - من أهم هذه المدارس التي اختصت بتدريس الفقه الشافعى في تحامة المدرسة المعزية (المليين)، والمدرسة العاصمية، والمدرسة المنصورية العليا، والمدرسة السيفية الكبرى، والمدرسة الشمسية، والمدرسة العفيفية . أنظر: العبادى، مرجع سابق، ص 170 - 177 .

3 - من أبرز هذه المدارس التي اختصت بتدريس الفقه الحنفى، للمدرسة الدحانية، والمدرسة المنصورية الحنفية ، ومدرسة علي بن عمر العلوى . أنظر: العبادى، مرجع سابق، ص 189 - 194 .

4 - من المدارس التي اختصت بتدريس فقه المذهبين الشافعى والحنفى، مدرسة وجيه الدين العلوى، والمدرسة الخالية . أنظر العبادى، مرجع سابق، ص 195 - 196 .

5 - من هذه المدارس: مدرسة المنصورية للحديث، والمدرسة الناجية للقراءات والحديث. أنظر: العبادى، مرجع سابق، ص 197 - 198 .

التي درسوا فيها، وما تعيشه من تطور في جميع المجالات، كل ذلك جعل هؤلاء الطلاب يسعون إلى إصلاح أوضاع البلاد ونشر التعليم الحديث في بلادهم .

كما كان لاستقدام المدرسين والخبراء العرب في المجال التعليمي دور في تنظيم وتحسين العملية التعليمية، ومن هذه البعثات التي استقدمت إلى اليمن عام 1946 البعثة اللبنانية المكونة من أحد عشر عضواً برئاسة الدكتور عدنان ترسיסي⁽¹⁾ وكان لهذه البعثة دور في تنظيم التعليم في اليمن وتقسيمه إلى ثلاثة أنواع وهي : تعليم عام، وشرعي، وفني⁽²⁾ .

كما كان لهذه البعثات التعليمية الأثر الكبير في نشر التعليم الحديث، والوعي الوطني بين التلاميذ، كما كان لها أكبر الأثر في إقناع السلطة الإمامية بإرسال مزيد من الطلاب للدراسة في الخارج، حيث كان لعودة هؤلاء كما أشرنا دور في فتح المدارس الحديثة النظامية، كما شكلوا النواة الأولى لقيام الثورة اليمنية عام 1962 .

ومن خلال الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع المعنية بموضوع التعليم خلال فترة الدراسة⁽³⁾، والتي تم الإطلاع عليها، نجد أن التعليم النظامي في اليمن ومنها تهامة كان يقسم إلى أربع مراحل وهي كالتالي:

1- مرحلة التعليم الأولى ((التحضيري)) :

تُعد هذه المرحلة حالة منتظمة من التعليم الأهلي في المعلمات (الكتاتيب)، التي كانت منتشرة في أغلب مناطق اليمن ومنها تهامة، وقد أدخل على هذه المرحلة شيء من التنظيم، فحددت سنوات الدراسة فيها بثلاث سنوات، ونظمت فصولها إلى ثلاثة فصول⁽⁴⁾ . يطلق على مدارس هذه المرحلة بالمكاتب التحضيرية، وهي تشبه إلى حد ما في عصرنا الحالي بمرحلة

1 - فمن أبرز أعضاء البعثة، الأستاذ/محمد دوغان، والأستاذ/رشيد سنو، والأستاذ/أحمد فؤاد، والدكتور / أحمد رمضان، والدكتور / حسن شهاب، والدكتور رضا رضوان . أنظر: البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 188 .

2 - قسم الدكتور عدنان ترسسي وأعضاء بعثته التعليم في اليمن إلى ثلاثة أنواع : وهو التعليم العام والذي يضم ثلاثة مراحل، وهو المرحلة الابتدائية، والمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، والمرحلة الثانوية . أما التعليم الفني فقسم إلى ثلاثة أنواع: دار الصناعة، ومعهد الزراعة العملية، ودار لتأهيل المعلمين. أما التعليم الشرعي، فكان ينحصر في المدارس العلمية السابقة الذكر .
أنظر: صحيفة الإيمان، صنعاء، ع (175)، ص 1366هـ، ص 2.

3 - طاهر، واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 6-7؛ العطار، مرجع سابق، ص 102-106 . ؛ ناشر ، عدنان عيد : التعليم في العهد العثماني والإمامي لللuki والبريطاني في اليمن إلى الثورة اليمنية 1962، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية، 1994 ، ص 28-29 .

4 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 114 .

الحضانة، إلا أن أوجه الاختلاف بينهما أن المكاتب التحضيرية لا اعتبار فيها لعمر الطالب الملتحق بها، فقد يحوي المكتب الواحد طلاب في عمر خمس سنوات، إلى جانب طلاب أعمارهم في الثانية عشرة⁽¹⁾.

بُعد الهدف الأساسي من تأسيس هذه المكاتب ونشرها في أنحاء اليمن، تعليم الطلاب القرآن الكريم وتجويده، وتعليم الطهارة وشروط الوضوء والصلاحة ، فضلاً عن ذلك تعليمهم الخط والحساب، وكانت أغلب المكاتب تحتوي على معلم واحد يدير شؤون المكتب، ويقوم بمهمة التدريس فيه⁽²⁾.

تطورت هذه المكاتب خلال حكم الإمام أحمد يحيى حميد الدين، إذ وجدت مكاتب ذات أربعة فصول، وأخرى ذات خمسة فصول، وازداد فيها المعلمون من أشين إلى أربعة، وخاصة مكاتب المدن والقرى الكبيرة، وأصبح يطلق عليها بالمكاتب الأحمدية نسبة إلى الإمام أحمد⁽³⁾.

ففي إحدى الوثائق التي هي عبارة عن جدول للحصص الأسبوعي، يتضح أن مدينة زيد إحدى مدن تهامة، كان يوجد بها مكتب من هذا النوع يحوي على أربعة فصول، وأربعة مدرسين، وكانت تمارس فيه بعض الأنشطة الرياضية، ويدرس فيه مادة الدين والفقه الشافعي⁽⁴⁾.

ومما تجدر ملاحظته أن التعليم الأولى التحضيري كان إجبارياً، ويتبين ذلك من خلال وثيقة تبين فيها أمر الإمام يحيى بجعل التعليم ملزماً في المدارس الأولية، حيث جاء في الوثيقة ما نصه : () ولتعلم أولياء الأطفال أنا نأمرهم بإرسال أولادهم إلى مدرسة التعليم، ولا نقبل لأحد منهم عذراً في التأخير والتراخي في هذا الأمر الواجب، ومن تأخر عن ذلك كان على المعلم الرفع به إلى عامل الجهة، وعلى عامل الجهة ضبطه الضبط المحقق، ولا نظن أحداً من المحبين يتراخي عن تعليم ولده ما هو نافع له في الحياة الدنيا وبعد الممات ... مما أمرنا به لازم محتم، وواجب على كل مسلم، ومن أخل بالواجب من معلم أوولي استحق العقوبة، وأحرم نفسه جزيل المثلوبة)⁽⁵⁾.

1 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 6-7.

2 - البكري، مرجع سابق، ص 114 .

3 - الذيفاني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 79 .

4 - المركز الوطني للوثائق، صناعة، وثيقة توضح جدول دروس الحصص الأسبوعي في مكتب زيد الأولى للكون من أربعة فصول . ينظر ملحق رقم (18).

5 - المركز الوطني للوثائق، صناعة، وثيقة تبين أمر الإمام يحيى بجعل التعليم إجبارياً في المدارس الأولية، ملحق رقم (19).

ومن خلال ماسبق يتضح أن الإمام كان مشدداً على هذا النوع من التعليم، وقد استخدم عدة طرق لإلزام الآباء بدفع أبنائهم إلى هذه المكاتب، منها إرسال المفتشين في بداية كل عام إلى القرى والمدن لتدوين أسماء الأطفال الذين بلغوا سن الخامسة، ويلزم الآباء بإرسالهم إلى المكاتب الحكومية الأولية في القرى والمدن، لكن بعض الأهالي كانوا يتحفظون على تسجيل أبنائهم في هذه المكاتب الحكومية، ولعل ذلك يرجع إلى الإشاعة التي ترافق تسجيل الأطفال، وهي أن الأبناء الذين ياتحون بهذه المكاتب لا يعودون بعد تخرجهم إلى أسرهم، إذ يحتفظ بهم الإمام عنده كموظفين وجند تابعين له، وقد أثرت هذه الإشاعة لدى أغلب الآباء في تهامة، نتيجة للجهل الذي كان يطبع فيه الكثير منهم لدرجة أنهم كانوا يدفعون رشاوى للمفتش لإسقاط أسماء أبنائهم من السجل، ويفضلون تعلم أبنائهم في المعلمات الأهلية، التي كانت تعمل جنباً إلى جنب مع هذه المكاتب النظامية⁽¹⁾.

كانت هذه المدارس ناقصة إلى التجهيزات الضرورية للتعليم، كالمباني، والكتب، والكراريس، وكان التعليم يلقن شفوياً، ويعتمد في الأساس على ذاكرة التلميذ، كما أنه لم يكن يوجد منهاج دراسي موحد لهذه المرحلة، فكل مكتب ينظم نفسه بحسب إمكانياته⁽²⁾.

أما بالنسبة لكيفية الاختبارات في هذه المكاتب التحضيرية، فيتم عبر لجنة مكونة من طلاب المدارس العلمية، وخاصة من المدرسة العلمية بصنعاء، حيث تشكل هذه اللجان من قبل وزارة المعارف للنزول لاختبارات الطلاب، وبعد الفحص يتم اختيار الطلاب الناجحين، والحاقدتهم بالمرحلة الثانية من التعليم وهو التعليم الابتدائي⁽³⁾.

بلغ عدد المدارس التحضيرية (المكاتب) في اليمن 686 مكتب تحضيري حتى عام 1958، موزعة على جميع ألوية اليمن، وكان نصيب تهامة (الحديدة) 105 مكتباً، والجدول التالي يوضح نصيب كل لواء من هذه المكاتب وأعداد المعلمين والطلاب.

جدول يوضح عدد المدارس الأولية (المكاتب)، وعدد المعلمين والطلاب لكل لواء لعام 1958⁽⁴⁾.

اللواء (المحافظة)	عدد المدارس التحضيرية	عدد المعلمين (ذكور)	عدد الطالب (ذكور)	عدد المفتشين (ذكور)

1 - الذهيفاني، مرجع سابق ، ص 75- 77 .

2 - العطار، مرجع سابق، ص 104.

3 - البكري، مرجع سابق، ص 118 .

4 - العطار، مرجع سابق، ص 103.

			(المكاتب)	
23	15386	389	270	صنعاء
4	4242	215	125	حجـة
1	1129	26	24	صـعدـة
3	3444	81	52	إـبـ
4	6226	164	105	الـحـدـيـدـةـ (ـتـهـامـةـ)
--	8226	143	110	تعـزـ
35 مفتـشاً	38653 طـالـبـاً	1018 مـعـلـمـاً	686 مـدـرـسـةـ	المـجـمـوـعـ

من خلال الجدول السابق يتضح أن التعليم في هذه المدارس كل مقتضياً على الذكور دون الإناث، حيث بلغ عدد هذه المدارس في تهامة 105 مدرسة موزعة على مناطقها وقرابها، كما بلغ عدد المعلمين 64 معلماً، وهو ما يؤكد أن كثيراً من المدارس كان يوجد بها أكثر من معلم، وهو ما اتضح في مدرسة زيد الأولية السابقة الذكر، التي كانت تحتوي على أربعة مدرسين وأربعة فصول، وبلغ عدد طلاب هذه المدارس في تهامة 6226 طالباً، أما عدد المفتشين فهم أربعة فقط، وهو عدد قليل جداً بالنسبة إلى عدد المدارس والمعلمين .

فضلاً عن هذه المدارس الأولية، فقد وجدت مدرسة حكومية للحضانة، ومدرستين لمحو الأمية في مدينة الحديدة، خصصت لمن لم يستطيع الالتحاق بالمدارس الصباحية، نظراً لأنشغالهم بأعمالهم⁽¹⁾ .

2 - مرحلة التعليم الابتدائي:

كانت المدارس في هذه المرحلة من التعليم قليلة جداً إذا ما قورنت بالمدارس الأولية خلال فترة الدراسة، ولذا اقتصر انتشارها على المدن، وبعض مراكز الأولية، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، وتحتوي على ستة فصول، ولا اعتبار أيضاً للسن في قبول الطلاب في هذه المرحلة، كما في التعليم الأولى⁽²⁾ .

بلغ عددها في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين ثمان مدارس، وزادت في عهد الإمام أحمد، حيث وصل عددها حتى عام 1949 إلى ثلاثة وعشرون مدرسة ابتدائية، توزعت على

1 - البكري، مرجع سابق، ص 120 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 7 .

مراكز المدن في الألوية، وكانت حصة تهامة من هذه المدارس ثلاثة مدارس، توزعت على المدن التالية : الحديدة، وزبيد، وحيس ، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول يوضح عدد المدارس الابتدائية، وتوزيعها على مدن اليمن لعام 1949⁽¹⁾ .

اسم المدينة	عدد المدارس الابتدائية	اسم المدينة	عدد المدارس الابتدائية	عدد المدارس الابتدائية
مدينة صنعاء	2	مدينة معبر	1	1
مدينة تعز	1	مدينة حجة	2	
مدينة الحديدة	1	مدينة قعطلة	1	1
مدينة حيس	1	مدينة يريم	1	1
مدينة زبيد	1	مدينة رداع	1	1
مدينة مناخة	1	مدينة النادرة	2	2
مدينة ذمار	2	مدينة إب	1	1
مدينة جبلة	1	مدينة الحجرية	1	1
مدينة مذخرة	1	مدينة ذي السفال	1	1

كما أن هذه المدارس كانت تفتقر إلى التنظيم، حيث لا توجد برامج معينة لتنظيمها، غالباً ما كان التعليم فيها وخاصة في الصفوف الأولى تكراراً للتعليم الأولى⁽²⁾. ويُعد القرآن الكريم، والتجويد والنحو ، والعربي ، والتاريخ، والحساب من أهم المواد التي تدرس في هذه المرحلة، أما المواد الحديثة كالجغرافيا ، والهندسة ، والصحة العامة، فإنها تدرس من الصف الرابع بصورة مبسطة، ويتسع فيها من الصف الخامس والسادس الابتدائي⁽³⁾. يقوم بالتدريس في هذه المرحلة معلمون يمنيون ، وهم من خريجي المدارس العلمية الدينية، وخريجي دار المعلمين ، ومعلمون عرب من سوريا ومصر وفلسطين⁽⁴⁾.

3 - مرحلة التعليم المتوسط (الإعدادي) :

اقتصر بناء مدارس هذا النوع من التعليم على المدن الرئيسية، كصنعاء، وتعز ، والحديدة، وحجة، وقد اختلفت وتعددت سنوات الدراسة فيها، فلم تكن ثابتة طوال فترة الحكم الإمامي ، فعند

1 - من تقرير وفد المملكة المتوكلية اليمنية برئاسة يحيى المضواحي، للقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي الثاني، لل相遇 بالقاهرة عام 1950.؛ نقلأً عن محمد الشعبي، وثائق ودراسات، مطابع دار الكتاب، دمشق، ط1، 1983، ج2، ص 94 - 95.

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 7.

3 - البكري ، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 122.

4 - سلطان، جليل : كيف يجري التعليم في اليمن، صحيفة الجمهور السورية، عدد خاص، 3 أغسطس / آب، 1957، ص 13.

بداية تأسيسها عام 1938 كانت مدة الدراسة فيها سنتين، ثم ثلات سنوات في الأربعينات، ثم أربع سنوات، واستمر كذلك حتى عام 1956، حيث أعيد نظام الثلاث سنوات⁽¹⁾.

يلتحق بهذه المرحلة كل من أنهى المرحلة الابتدائية، ويسمح في حالات معينة لبعض طلبة التعليم الأولى بالالتحاق بالتعليم المتوسط، وذلك إذا أثبتو جدارتهم من خلال امتحان يخضع له الطالب، كما يسمح لبعض الطلبة من التعليم الديني (الأهلي) بالانضمام إلى هذه المرحلة، وكان هذا الأمر مقيداً بأمر شريف من الإمام أو ولی عهده⁽²⁾.

أما عن المنهج الدراسي فكان غير محدد، حيث كان خاضعاً للتعليمات الإمامية التي تصدر بين آونة وأخرى، باعتماد هذه المادة أو تلك، وفي الغالب كان للمدرسين حق الخيار في البرامج الدراسية، وانتقاء الكتب المناسبة، فمن المناهج التي كانت تدرس في هذه المرحلة الابتدائية التي تحتوي على القرآن الكريم، والتجويد، والتفسير، والأحاديث، واللغة العربية، والرياضيات، والاجتماعيات، والعلوم العامة، أما مادة اللغة الإنجليزية فتدرس في الصفين الأخيرين من هذه المرحلة وبصورة مبسطة⁽³⁾.

بلغ عدد مدارس هذا النوع من التعليم خلال فترة الدراسة خمس مدارس فقط، موزعة على المدن الرئيسية، وكان نصيب تهامة من هذه المدارس مدرسة واحدة فقط، وهي المدرسة السيفية في مدينة الحديدة التي تأسست عام 1947، على أثر مجيء البعثة المصرية حيث عمل البعض من أعضاء البعثة للتدريس فيها⁽⁴⁾.

أما أبرز من درس فيها من اليمنيين: الأستاذ أحمد جابر عفيف، وعلي عبد العزيز نصر، والعزي سعيد عبد الله المصوعي، ومحمود أحمد الكوري⁽⁵⁾.

4 - مرحلة التعليم الثانوي:

1 - البكري، مرجع سابق، ص 128.

2 - سلطان، مرجع سابق، ص 14. ؛ طاهر، واقع التعليم، مرجع سابق، ص 7.

3 - الذيفاني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 87.

4 - كان أبرز من درس في هذه المدرسة من المدرسين المصريين الأستاذ عبد الغفار الشريف مدرس للمواد الاجتماعية واللغة الانجليزية، وعبد الله علي علام مدرسًا للغة العربية، وحامد حميد أبو العمام مدرسًا للرياضيات والعلوم.

أنظر: صحيفة الإيمان، ع (198)، ربى الأول 1367 / يناير / كانون الثاني 1948 ، ص 2.

5 - عفيف، أحمد جابر: شاهد على اليمن، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط 1، 2000، ص 55.

أقتصر هذا النوع من التعليم أيضاً على المدن الرئيسية فقط، كان عدد مدارس هذه النوع أربع مدارس فقط، موزعة مابين صنعاء وتعز والحديدة وحجة بالتساوي . مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وهي على مرحلتين: المرحلة الأولى سنة واحدة تحضيرية، يدخلها من يجتاز التعليم المتوسط ليتهيأ من خلالها الالتحاق بالتعليم الثانوي ^(١) . أما المرحلة الثانية فتستمر ثلاث سنوات، والقليل من الطلاب هم الذين يكملون هذه المرحلة، حيث كان أغلبهم يقطعون دراستهم، إما للانضمام إلى صفوف العمل لمساعدة أسرهم، أو للالتحاق بالمدارس العلمية الدينية في الألوية^(٢) . أما عن المواد التي كانت تدرس في هذه المرحلة، فكلن أغلبها دينية ولغوية، فضلاً إلى المواد الحديثة، كالرياضيات، واللغة الإنجليزية، والكميات والجغرافيا، والتاريخ، وكان للمدرسين العرب الفضل في إدخال هذه المواد إلى منهج هذه المرحلة، والذين قاموا بالتدريس فيها ^(٣) .

ومما تجدر ملاحظته أن هذا النوع من التعليم الثانوي قد عرفته تهامة قبل غيرها من مناطق اليمن، منذ فترة مبكرة من حكم الإمام يحيى، وذلك عندما قام محمد البدر ابن الإمام يحيى عندما كان والياً على لواء تهامة بتأسيس المدرسة الرشدية الثانوية عام 1928، وذلك بعد عودته من زيارة إيطاليا، ويبدوا أن سبب إنشائها يرجع إلى تأثر محمد البدر بما رأه في إيطاليا من تقدم وتطور حضاري، ولذا عمل بعد عودته على تأسيس هذه المدرسة لتكون نواة للتعليم الثانوي الحديث ^(٤) .

كان أغلب طلاب هذه المدرسة من خريجي مدرسة الأيتام، والذين استقدموا من صنعاء إلى الحديدة للدراسة، كان على رأسهم عبد الله السلال^(٥) ، وأحمد البراق، ومحمد مصلح الريدي، وأحمد

1 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 7.

2 - سلطان، كيف يجري التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 14.

3 - سالم، سيد مصطفى: مجلة الحكم وحركة الإصلاح في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط2، 1988، ص 176-177.

4 - سالم، مجلة الحكم، مرجع سابق، ص 177.

5 - عبد الله السلال : ولد عام 1917 في مدينة صنعاء من أسرة فقيرة الحال، تعلم في الكتاب القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة الأيتام، وعندما افتتحت المدرسة الثانوية بالحديدة عام 1928م انتقل فيها للدراسة وبعد إغلاق المدرسة أثناء الحرب اليمنية السعودية عاد السلال إلى صنعاء ، اختير ضمن البعثة الأولى التي ذهبت للدراسة إلى العراق عام 1936م ، وكان لدراسته في العراق تأثير كبير على شخصيته وتكوينه الفكري ، حيث عمل بعد عودته إلى اليمن على نشر الثقافة الوطنية ، شارك الأحرار في حركة 1948م ، سجن أكثر من مرة ، وكان من أبرز رجال الحركة الوطنية، قاد ثورة 1962، وبعد قيام الثورة أصبح السلال أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية، ونتيجة لظروف اليمن غادر السلال اليمن عام 1967م متوجهًا إلى بغداد ثم إلى مصر، وفي الشهرين التاليين عاد إلى اليمن يمارس دوره الوظيفي،

حسن الحورش، ظلت هذه المدرسة حتى عام 1934 حيث أغلقت بسبب الحرب اليمنية .
ال سعودية، ودخول القوات السعودية إلى مدينة الحديدة ⁽¹⁾ .

كما أُسست مدرسة ثانوية أخرى في الحديدة عام 1949، وذلك في الدور الثاني لمبني المدرسة السيفية المتوسطة، وكان أبرز من تولى مهمة التدريس فيها، الأستاذ أحمد جابر عفيف، والعزي مصوعي، ومحمد الكوري، وأحمد محمد هاجي، وظلت هذه المدرسة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962⁽²⁾ .

ومما تجدر ملاحظته أنه كان من الصعوبة الحصول على إحصائيات دقيقة بعدد الطلاب المسجلين في هذه المدارس، وأعداد المتخريجين، ويرجع ذلك لعدم وجود تسجيل كافي لهذه المعلومات، مما يدلل على أن السياسة التعليمية كانت غير قائمة على التخطيط ، بل كانت تقوم على العشوائية والتخطيط .

أما ما يتعلق بالتعليم الفني والمهني فتعود بدايته إلى فترة الحكم العثماني في اليمن، حيث قام الوالي العثماني حسين حمي بتأسيس مدرستين صناعيتين الأولى في صنعاء وسميت بمدرسة الصنائع، وجُبِّل لها الخبراء والمدرسين من اسطنبول، واشتملت على عدد من التخصصات (كالزخرفة، والتجارة، والخراطة) وكان مقرها مبني المتحف الحربي الحالي في صنعاء، والثانية في الحديدة، لكن هاتين المدرستين لم تستمرا، حيث أنه بتسلم الإمام يحيى مقاليد الحكم في اليمن بعد خروج العثمانيين عام 1918، أهملت هاتين المدرستين وقام الإمام يحيى بتحويل المدرسة الصناعية في صنعاء إلى سجن سمي بسجن الصنائع، أما المدرسة الصناعية في الحديدة فقد أهملت وحُرب مبناؤها على أثر الحرب بين الإمام يحيى والأدارسة في تهامة، بعدها لم تؤسس أي مدرسة فنية أو مهنية في تهامة خلال فترة الدراسة ⁽³⁾ .

ونظراً لحاجة السلطة الإمامية لعمال فنيين يصلحون لها أجهزة البرق والهاتف وغيرها من الأجهزة التي ورثتها عن العثمانيين، فقد أنشأ الإمام يحيى مدرسة داخلية اسمها مدرسة الأيتام عام 1925 في صنعاء، وافتتح بها فرع لتعليم الصناعة عام 1927، وكان طلاب هذا الفرع من طلاب

توفي في مارس 1994، النظاري، جمال حرام : عبد الله السلال ودوره السياسي في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية . ابن رشد، جامعة بغداد ، 1996 م ، ص 7 - 281

1 - البكري، مرجع سابق، ص 131 - 132 .

2 - عفيف، مرجع سابق، ص 55 - 56 .

3 - الزبيري، محمد محمود : للنطقيات النظرية في فكر الثورة اليمنية ، دار العودة، بيروت، ط 1 ، 1983، ص 13 .

مدرسة الأيتام المتفوقين، وأختير للتدريس فيه مدرسون من خريجي المدرسة الصناعية التي أسسها العثمانيون⁽¹⁾.

وفي عام 1936 أُسست أول مدرسة زراعية في صنعاء من قبل المهندس الزراعي السوري أحمد وصفي زكريا، وذلك بموجب تعاقد الإمام يحيى معه لمدة ستة أشهر فقط؛ وذلك لتعليم ونشر الأساليب الزراعية الحديثة، وطرق العناية بالأشجار والزرع النافعة⁽²⁾. وقد أفاد الطلاب من الدروس العملية والنظرية في كيفية زراعة بعض المحاصيل والخضروات، والتعرف على الأسمدة وأنواعها، وفوائدها وكيفية استخدامها، وقد أغلقت المدرسة بعد ستة أشهر من افتتاحها، على أثر عودة أحمد وصفي زكريا إلى سوريا⁽³⁾.

إن هذا الواقع التعليمي الذي كل سائداً في اليمن بشكل عام ومنطقة تهامة تحديداً، إنما يعبر عن الواقع التعليمي والظروف الصعبة التي كان يعييها الوطن العربي بشكل عام، واليمن بشكل خاص خلال تلك الفترة بالرغم من أهمية موقع اليمن، ودوره الحضاري التاريخي الذي يفترض أن يحقق له تقدماً كبيراً، إلا أنه كان للاستعمار البريطاني، والحكومات المتولدة المتمثلة بالأئمة الزيديين، دور أساسي في تأخر اليمن، والمحافظة على هذا الواقع، إلى جانب الحفاظ على المجتمع القبلي، وذلك خدمة لمصالحها، وبعده عن التقدم الذي تحقق في بعض مناطق الوطن العربي نسبياً.

ويمكن القول: أنه على الرغم من قلة هذه المدارس النظامية، وقلة طلابها، إلا أنها تركت أثراً كبيراً في تنویر المجتمع، حيث لم تقتصر هذه المدارس على المناهج المقررة، بل كان لمدرسيها اليمنيين والعرب دور فعال في تغذية الطلبة بالأفكار المستبررة، حيث كانت تمارس في هذه المدارس عدد من الأنشطة المختلفة من الندوات والأمسيات، وإقامة المسريحات، وعمل الصحف واللوحات الحائطية المعبرة، وإقامة الأنشطة الرياضية والكتسفية، وكان لخريجي هذه المدارس دور كبير في الإعداد والتهيئة لقيام ثورة سبتمبر 1962، كما شغل بعض منهم مهام وزارة بعد نجاح الثورة، ومن أبرزهم العزي مصوعي الذي شغل مديرًا للتربية والتعليم في مدينة الحديدة، ثم مديرًا

1 - البكري، مرجع سابق، ص 140.

2 - زكريا، رحلتي إلى اليمن، مرجع سابق، ص 73.

3 - البكري، مرجع سابق، ص 146.

للإعلام، والأستاذ أحمد جابر عفيف الذي تقلد عدة مناصب أبرزها وزيرًا للتربية والتعليم في الجمهورية العربية اليمنية .

ثالثاً - الأوضاع الصحية في تهامة:

تحتل الخدمات الصحية في أي بلد أهمية قصوى تتصدر أولويات الخطط والبرامج التي تُعدّها الحكومات سواء في البلدان الغنية أو الفقيرة، لما في ذلك من أهمية في توفير الرعاية الصحية للمواطنين في مختلف المراحل العمرية .

إلا أنَّ واقع الأوضاع قبل ثورة سبتمبر/أيلول 1962 في اليمن ومنها تهامة، يختلف تماماً حيث ظل المجتمع اليمني عقوداً من الزمن تحت حكم إمامي متطرف لا يعنيه من وضع مواطنيه صحياً ولا معيشياً شيئاً ، مما جعل من الأمراض المعدية أكثر فتكاً بحياة المواطنين في مختلف المراحل العمرية، وفي مقدمة ذلك الأطفال والنساء .

إنَّ الوضع الصحي الذي كانت تعشه منطقة تهامة، ما هو إلا انعكاس للوضع الاقتصادي . الاجتماعي العام في اليمن، الذي تميز بعدم وجود فائض نفدي يمكن الأفراد والسلطة من إقامة هيكل اقتصادي حديثة، تتعكس على جميع القطاعات الخدمية، ومنها قطاع الشؤون الصحية،

فضلاً عن تدني دخل الفرد وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية للمجتمع، وظروف العزلة الداخلية والخارجية التي فرضت على اليمن، دوراً في تردي الحالة الصحية . هذه العزلة جاءت نتيجة لعوامل التجزئة والاستعمار والتخلف الذي خيم سنتين طويلة على أغلب بلدان الوطن العربي ومنها اليمن، ودعمها الحكام التابعون للاستعمار ، مما أبقى شعب اليمن، وغيره من أبناء الوطن العربي يعانون من التخلف عن ركب الحضارة العالمية في جميع المجالات . ويبدو أنه لو كان هناك حكومات عربية نفذت التوجّه في التعامل الاقتصادي العربي، وفتحت الأبواب أمام الأيدي العاملة العربية، لكان من الطبيعي تغيير هذا الواقع، والقضاء على العزلة والتخلف التي عاشها اليمن خلال فترة الدراسة.

1- أسباب تدهور الوضع الصحي في تهامة :

لقد عانى اليمن ومنها تهامة في ظل النظم الإمامي تدهوراً في الخدمات الصحية، ويرجع ذلك لأسباب عدة منها :

أ- انعدام الرعاية والاهتمام بالمجال الصحي من قبل السلطة، وذلك من خلال عدم توفر الأدوية لكل المرضى، واحتياط هذه الأدوية من قبل فئة معينة للمتاجرة بها.

ب- انعدام وسائل الوقاية من الأمراض المعدية، وعدم مكافحة كل ما يؤدي إلى انتشار الأمراض من بعوض وغيره، فضلاً عن تلوث المياه⁽¹⁾.

ج- التخلف وضعف الوعي الصحي، والإيمان بالمعالجات المعتمدة على آليات فكرية مختلفة كالسحر، والشعوذة.

2- المشافي والمعاهد الصحية:

أما عن عدد المشافي في عهد الإمام يحيى، فقد بلغت ثلاثة مستشفيات في طول البلاد وعرضها، موزعة على ثلاث مدن رئيسية، وهي صنعاء وتعز والحديدة، بحيث أن هذه المستشفيات كانت تفتقر لأبسط مقومات الحياة الصحية، وكان عدد الأطباء فيها ضئيل جداً بالنسبة لعدد السكان، حيث تشير بعض المصادر، بأن عددهم وصل إلى خمسة عشر طبيباً حتى عام 1949، ولا يوجد من بينهم طبيب يمني واحد⁽²⁾.

1 - العز عزي، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق، ص 91.

2 - العطار، مرجع سابق، ص 145-148.

وبتسلم الإمام أحمد الحكم بعد أبيه ، تم تأسيس بعض المراكز الصحية في كل من لواء حجة وذمار فضلاً عن مركزين في تعز ، كما قام باستقدام عدد من الأطباء العرب والأجانب ، وفيما يلي توضيح بعده هذه المستشفيات والأطباء في اليمن ومنها تهامة حتى قيام ثورة سبتمبر /أيلول 1962 .

جدول يوضح عدد المستشفيات والأطباء لكل ألوية اليمن لعام 1962⁽¹⁾

اسم المدينة	عدد المستشفيات	عدد الأسرة	عدد الأطباء
صنعاء	1	700 سريراً	9
تعز	3	885	21
الحديدة (تهامة)	1	450	10
حجـة	1	50	1
إب	1	50	1
ذمار	1	150	1
الإجمالي	8	2285	43

ومن خلال الجدول يتضح المستوى المتدني للأوضاع الصحية في اليمن خلال فترة الدراسة ، حيث أن عدد المستشفيات قليل جداً بالموازنة بينها وبين عدد السكان ، والذين كانوا يقدرون بنحو خمسة ملايين نسمة ، حيث أنه ووفقاً لهذه الأرقام فإن لكل 116,279 نسمة من السكان طبيباً واحداً ، وكل 188 مواطن سريراً واحداً ، كما أن هذه المستشفيات والمراكز الصحية كانت مقتصرة على مراكز الألوية فقط ، أما القرى والمراكز الثانوية فكانت تتعدم فيها الخدمات الصحية .

لقد كانت هذه المشافي تعيش في حالة من الازدراط والوضع المتردي ، فالأدوية لم تكن متوفرة في صيدليات المشافي ، باستثناء التزر اليسيير ، وكانت الأدوية وبعض الأجهزة الطبية لدى الإمام في مخازنه ، ولا تصرف من المخازن إلا بموافقته ، ومما يذكر أن مرض الجدري انتشر في إحدى السنوات بين السكان ، وكان العلاج الخاص به في مخازن الإمام ولم ي عمل على إخراجه⁽²⁾ .

1 - العززي، مرجع سابق ، ص 92 . ؛ العطار، مرجع سابق، ص 146 - 149.

2 - معمر، عبدالله : الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن ((دراسة لعلاقة البناء الاجتماعي بطرق العلاج)) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1999 ، ص 124 .

فضلاً عن ذلك لم تكن الأدوية متوافرة بشكل كبير في الأسواق، وإذا وجدت فإن الفقر لا يُمْكِن جميع المرضى من شرائها : (فلا يكاد يقدر على شراء العلاج إلا خمسة من كل عشرين مريضاً، وهؤلاء الخمسة لن يستطيعوا شراء العلاج مرة ثانية، ولم يجدوا من يشرف عليهم)⁽¹⁾. ولبيان الحالة الصحية داخل هذه المشافي خلال فترة الدراسة، وبالتحديد في أوائل الخمسينات، تذكر الطبيبة الروسية كلودي فايان عند زيارتها لمشفى تعز عام 1950 - 1951 هذه الحالة ما نصه : (فوجدت منظراً مذهلاً ومفزعاً، رائحة كريهة، الأسرة عبارة عن قوائم شَتَّى عليها الحال، وليس عليها أغطية، ... أجسام هزلة شبه عارية، ... كثيرون منهم مشرفون على الموت، ... لقد رأيت عشر حجرات للرجال على هذا المنوال، لقد كنت أشعر أنني تحت كابوس لعين، ... ولم يدلني أحد على الجناح المخصص للنساء، حتى عثرت عليه، حجرات منخفضة لا نوافذ لها، زرائب بكل معنى الكلمة، تمام فيها النساء الواحدة بجوار الأخرى على أرض قذرة، ومع الكثير منهن طفالهن؛ وقد يُخَيل للإنسان أنه يستطيع أن يتصور فظاعة وشناعة كهذه، ولكن مشاهدة هؤلاء النساء في هذه الزرائب أكثر سوءاً من كل ما قد يخطر على البال، ... ورأيت بأم عيني امرأة تحتضر (أي على وشك الموت)، وهي راقدة فوق برازها، رأيتها تنهمض وتستند على كوعها وتتناولني طفلها المبلل والمغبر اللون، وهي في النفس الأخير تتضرع وتتوسل)⁽²⁾. كما تصف مشفى صنعاء بقولها بأن: ((المرضى ينتظرون إجراء العمليات الجراحية لكن دون جدوى)⁽³⁾ .

ويُعد مشفى الحديدة الذي كان يسمى بالمشفى الأحمدى هو الوحيد في تهامة خلال فترة الدراسة، وكان في وضع أسوأ مما كان عليه مشفى تعز وصنعاء من حيث تجهيزاته السيئة، وقلة إمكانياته، وكان به خمسه أطباء ثلاثة روس، واحد من إيطاليا، وأخر من سوريا⁽⁴⁾.

وفي نهاية الخمسينات وصل عدد الأطباء فيه إلى عشرة أطباء، لا يوجد من بينهم طبيب يمني واحد⁽⁵⁾. كانت خدمات هذا المشفى قاصرةً على سكان مدينة الحديدة، وبعض الفلاحين القاطنين بضواحي المدينة، أما في القرى والمناطق الأخرى فكان لا يوجد بها مراكز صحية، وهو ما جعل

1 - فايان، كانت طبيبة في اليمن، مرجع سابق، ص 156 .

2 - فايان، كانت طبيبة في اليمن، مرجع سابق، ص 49 - 50 .

3 - المرجع نفسه، ص 97 .

4 - مقابلة شخصية مع الطبيب / محمد عثمان حشايره في مشفى العلفي بالحديدة، بتاريخ 20/5/2009م .

5 - العطار، مرجع سابق، ص 146 .

الكثير من السكان يعتمدون في علاجهم على الطب الشعبي التقليدي، مثل الكي بالنار، والحجامة، والتداوي بالأعشاب، والذي كان منتشرًا بكثرة، وبخاصة في أوساط الفئات غير القادرة على الوصول إلى مشفى الحديدة، إما لصعوبة المواصلات، أو لعدم قدرتها المالية، وكذا التطبيب بالشعودة⁽¹⁾.

وبسبب موقع تهامة الساحلي، ونمط الحياة التي كان يعيشها المجتمع التهامي، من حيث سوء المسكن، وضيق مساحته، والذي كان عبارة عن كوخ دائري (عشة)، أو حجرة واحدة في المدينة، فضلاً عن مياه الشرب الملوثة وغير النقية، والتي كان مصدرها الآبار أو السيول، والينابيع، كل ذلك أدى إلى تردي الوضع الصحي في المنطقة، وانتشار الأمراض والأوبئة الاستوائية، كحمى المستنقعات، والزحار الأمبوي، وتصف الطبيبة الروسية فايان هذه الحالة أشاء مرورها بإحدى قرى تهامة حيث تقول ما نصه :

(وجدت نساءً وأطفالاً، ذوقات قصيرة، متخففة بطونهم، وأعضاؤهم ليست إلا هيكلًا عظيمًا ، وحمى الملاريا بادية على وجوههم)⁽²⁾.

ونتيجة لذلك الوضع الصحي المتardi، وعدم توفر الرعاية الصحية من قبل السلطة، نقشت الأمراض، وانتشرت بين الناس بسرعة فائقة، وفتك بالكثير منهم، وكانت النساء أكثر معاناة من هذه الأمراض، وخاصة في قرى وأرياف تهامة، وذلك لما كانت تقوم به المرأة في الريف من أعمال شاقة، تعرضها للكثير من الأمراض والاعاهات، نتيجة لسوء التغذية وتدني مستوى المعيشة، وغياب الوعي الثقافي والصحي لديهم⁽³⁾.

فمن أهم الأمراض التي كانت منتشرة بين سكان تهامة، وخاصة في الأوساط الفقيرة، السل الرئوي الذي كان يتخذ شكل الوباء، حيث قدرت الإصابة به نحو 50% في عموم اليمن ومنها تهامة⁽⁴⁾، والأمراض التناسلية حيث وصل المصابون بها من 50 - 80%⁽⁵⁾.

كما انتشرت الأمراض الجلدية وكان أخطرها مرض الجدري والجدام، الذي انتشر بنسبة 2-3% بين السكان⁽¹⁾، ومرض داء الفيل والبرص والجرب⁽²⁾. كما انتشرت أمراض الكلى والكساح، وأمراض العيون (الرمد)، والذي عانى من الإصابة منه ما يقارب من 80-90% من السكان⁽³⁾.

1 - المرجع نفسه، ص 146 - 147.

2 - فايان ، كتب طبية في اليمن، مرجع سابق، ص 66.

3 - الصياد ، أحمد : المرأة اليمنية وتحديات العصر، دار للدی للثقافة والنشر، دمشق، ط 1، 1995، ص 36.

4 - جوهر ، اليمن، مرجع سابق، ص 103.

5 - العطار، مرجع سابق، ص 149.

كما انتشرت في تهامة بعض الأمراض التي تتخذ شكل الوباء، كحمى المستنقعات، والزحارالأميبي، والتيفوئيد، والملاريا، والبلهارسيا، والكوليرا⁽⁴⁾.

وعانت المرأة التهامية فضلاً عن هذه الأمراض، من مرض النزيف وخاصة عند الولادة، مما كان يؤدي بالكثير منهم إلى الوفاة ، كما تُعد أمراض سوء التغذية من أهم المشاكل الأساسية التي عانى منها سكان تهامة، وخاصة النساء الحوامل والأطفال، وذلك نتيجة لحالة الفقر السائدة عند أغلبية السكان، حيث يؤدي سوء التغذية إلى فقر الدم (الأنيميا)، والذي كان يشكل خطورة كبيرة على صحة الأطفال والنساء، ويعرضهما للإصابة بالكثير من الأمراض، أهمها أمراض لين العظام عند الأطفال، ونخر الأسنان، والكساح، والقرحة الاستوائية، واحتلال جهاز الهضم. فضلاً أن سوء التغذية من العوامل الرئيسية في انتشار أمراض السل، وبعض الأمراض العدبية، كما كان يُعد من الأسباب الرئيسية في ارتفاع نسبة الوفيات، وخاصة عند الأطفال دون سن الخامسة من العمر⁽⁵⁾.

حيث تشير الطبيبة الروسية فايان أن نسبة الوفيات بين الأطفال خلال فترة الدراسة في سنthem الأولى كان يصل ما بين 40-50%⁽⁶⁾.

وبناءً على تقرير منظمة اليونيسيف، يورد أحد الباحثين جدول بيانات تبين نسبة الوفيات من الأطفال دون السنة، خلال الخمسينات من القرن العشرين في اليمن ومنها تهامة .

جدول يوضح نسبة الوفيات العام، ووفيات الأطفال دون السنة خلال الخمسينات⁽⁷⁾.

السنة	نسبة الوفيات العام لكل ألف	نسبة وفيات الأطفال الأقل من سنة لكل ألف
1950	16,4	158,2
1951	15,1	157
1952	10,9	139,8
1955	12,7	159,1

1 - العزري، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق ، ص 91 .

2 - داء الفيل: هو عبارة عن انتفاخ وتقرحات تصيب القدمين بصورة غير طبيعية، أما البرص فهو مرض جلدي عبارة عن بقع بيضاء تصيب الجسد لعلة في صاحبه.

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 103 .؛ العزري، مرجع سابق، ص 91 .

4 - العطار، مرجع سابق، ص 149 .

5 - العطار، مرجع سابق، ص 138-139 .

6 - فايان، مرجع سابق، ص 227 .

7 - العطار، مرجع سابق، ص 68 .

151	13,4	1956
140,3	14	1957
137,7	12,4	1958

ف عند النظر إلى الجدول السابق، نجد أن نسبة الوفيات تنخفض من سنة إلى أخرى، حيث انخفضت نسبة الوفيات العامة من 16,4 لكل ألف عام 1950 إلى 12,4 عام 1958، كما انخفضت نسبة وفيات الأطفال من 158,2 لكل ألف في عام 1950 إلى 137,7 عام 1958. ولعل ذلك راجع كما يبدو إلى تحسن في وسائل مكافحة الأوبئة، والأمراض المعدية، وحدوث نوع من الاهتمام في المجال الصحي كما سبق أن أشرنا.

3- أساليب وطرق العلاج التقليدي في تهامة:

وازاء هذه الأمراض التي كانت تصيب أغلب السكان في تهامة، والبلاد تعاني من قلة المشافي والأدوية الحديثة، ووسائل التسخين، وخاصة في القرى والمراكز الريفية ، فضلاً عن الجهل الذي كان يخيم على عقول أغلب الناس، هذه الأغليبية لجأت لمداواة مرضها بالعلاج التقليدي الشعبي، والذي كان على نوعين هما :

أ- العلاج بالأعشاب والكبي والحجامة:

يُعد هذا الأسلوب من العلاج مقبول نوعاً ما لدى أغلب الأفراد، ويعتمد على استخدام النباتات الطبيعية الطبية، لعلاج بعض الأمراض، فمن النباتات الطيبة التي كانت توصف لعلاج بعض الأمراض، أوراق شجرة السنى، التي كانت توصف لمرضى الإمساك، وذلك بعد تجفيفها وغليتها بالماء، وشرب ماءها بعد تبريدها، كما توصف أوراق شجرة المريميرة للتخلص من الصداع ووجع الرأس، كما استخدمت نباتات الشمار ، والسدر ، والأراك ، والبكى ، والقُطْبى ، للعديد من الأمراض مثل أمراض الكلى ، والمثانة ، وألام المعدة ، والجروح كما استخدمت الحجامة كعلاج تقليدي للمصابين بالآم الظهر ، والآم الرأس الدائم ⁽¹⁾.

وفي حالة كسور ورضوض العظام، كان الطبيب الشعبي يستخدم التجبير لعلاج هذه الكسور وتقويمها ، كما يستخدم أوراق شجر العُلَى ، أو قصب الخيزران لربط الكسر ، ويأمر المريض بشرب مادة الحلف بعد مزجها بالماء وشرب صفار البيض ⁽²⁾ .

1 - شوين، أمن: الطب التقليدي في الجمهورية العربية اليمنية، تر/ أحمد الصائدي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول 1983، ص 218-220؛ طاهر، علوى: الطب الشعبي في اليمن، مرجع سابق، ص 593-594.

2 - معمر، الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن، مرجع سابق، ص 144.

أما العلاج بالكي والذي يسمى (بالميسام)، فكُن يُمارس بشكل واسع للتخلص من أمراض عدّة : كالخلص من مس الجن والشياطين، كما كان يستخدم عند الخوف المفاجئ للشخص (الفجعة)، والتي تؤدي إلى حالة خلل عام في الجسم، ينبغي تصحيحها بصدمة مضادة للتخلص من المرض، ويتم الكي لها وسط الرأس، أو نهايته أعلى الرقبة، كما كان يتم الكي في البطن لحالات الإسهال، وفي الكتفين من الخلف لل بواسير، ولتورم الخصيتين يتم الكي لها في أصبع القدم الصغيرة⁽¹⁾ .

ب- الأسلوب التقليدي الغبي:

وهو أسلوب يعتمد أغلبه في تفسير المرض وعلاجه على الخرافية والأسطورة، المتمثلة بالقوى الغبية كالجن والشياطين، ومما ساعد على انتشار هذا الأسلوب التقليدي بين الناس خلال فترة الدراسة، هو انتشار الجهل بين أفراد المجتمع، والعزلة الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها البلاد، مما أدى إلى عدم وجودوعي اجتماعي، فضلاً عن انتشار الأمراض، وعدم وجود أسلوب علاج حديث متوفّر بشكل كبير، مما جعل أغلب الأفراد يبحثون في الطبيعة عن وسائل شفاء لأي مرض يصيبهم، كما كان للسلطة الحاكمة وأتباعها دور في نشر هذه الأفكار بين الناس، وذلك خدمة لمصالحها، حيث ساهمت الإمامية في ذلك من خلال إطلاق الإمام يحيى ومن بعده الإمام أحمد بعض الإشاعات التي توهّم الناس بأنهم يسيطرون على الجن، وإن الإمام يحكم من الجن كما يحكم من الإنس، حتى أصبح المواطن اليمني خلال فترة الدراسة مطارداً بشبح الإمام⁽²⁾ .

وفيما يلي أبرز الأساليب العلاجية التقليدية لهذا النوع التي كانت تمارس في تهامة:

1- العلاج بالزار⁽³⁾ :

يُعدّ الزار إحدى الوسائل الشعبية التقليدية لعلاج نوع من الأمراض ولاسيما النفسي والعصبي منها، ويصرف النظر عن النتائج التي يأتي بها الزار، وأساسها الخرافي، فهناك أمر لا شك فيه،

1 - المرجع نفسه، ص 146 .

2 - قاسم، غالب وآخرون : ابن الأمير وعصره، صورة من كفاح الشعب اليمني، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، ط 2، 1983، ص 49 .

3 - الزار هو : أسلوب يستخدمه السحرة والمشعوذون، لمعالجة المرضى المصابون بمس شيطاني، حيث يستخدم للشعوذة لعلاج للريض الطويل والمزاجي، وعند سماع المريض دقات الطبلول ينهض مع للشعوذ لأداء رقصات سريعة، حتى يسقط على الأرض مغشياً عليه، عندها يقوم للشعوذ بالتحكيم واسترضاء الزار(الشيطان) الساكن في جسد المريض بطلبات يطلق عليها بالفدية، مقابل خروجه من جسد للريض .

هو أن هذا التقليد مرتبط بطريقة خاصة، حيث تستخدم فيه دقات طبول سريعة، وذلك في جلسة تسمى بجلسة الزار، وما إن يسمع المريض دقات الطبول حتى ينهض للرقص، حيث يستمر في الرقص إلى درجة الإغماء عليه والسقوط على الأرض، وبوقوعه على الأرض يقوم شيخ الزار بعلاج المريض، بالتحكيم واسترضاء الزار عن طريق التحاور معه وتلبية طلباته⁽¹⁾، وبعد الاتفاق على المطلوب يخرج الزار من المريض متعمداً للشيخ بعدم عودته ثانية إلى جسد المريض⁽²⁾.

2- العلاج بالسحر :

يعد العلاج بالسحر من الأساليب التقليدية التي كانت تستخدم لعلاج الأمراض الناجمة عن عمل سحري من قبل شخص آخر، قصد به إحداث مكره للمريض، غالباً ما تكون هذه الحالات التي يتعامل معها الساحر، حالات تتعلق بقضايا الزواج، والحب بين الجنسين، أو حالة الضعف الجنسي لدى بعض الأفراد، من الذين يعتقدون بأنها نتيجة عمل سحري، حيث يقوم المصاب بهذه الحالات بالذهاب إلى أحد السحرة، لفك السحر وإبطال مفعوله، ويقوم المعلج بهذه الوسيلة بإعطاء المصاب تلميحة يكتب فيها طلاسم غير مفهومة، وأشكال خاصةٌ ربط على ساعده الأيمن، أو بالقراءة عليه لفك سحره .

3- العلاج بالمحو:

أسلوب تقليدي يقوم فيه المعالج بإعطاء المريض من مس شيطاني ورقة يكتب فيها كلام غير مفهوم، وأشكال خاصة حيث يأمر المريض بمحو هذه الكتابة في قليل من الماء، ثم شربها. وهذا الأسلوب كان منتشرًا بشكل كبير في تهامة ، ولازال يمارس حتى وقتنا الحالي.

ومن خلال ما نقدم يتضح أن الوضع الصحي في اليمن ومنها تهامة، كان يعاني من تدني في الخدمات الصحية، وقلة الإمكانيات وعدم وجود قادر يمني مؤهل في هذا المجال، فضلاً عن قلة المشافي، وكان نتائج ذلك انتشار الأمراض، وارتفاع معدل الوفيات، وبخاصة عند الأطفال الرضع، وهو ما دفع أغلب السكان بالاتجاه نحو الأساليب العلاجية التقليدية المشار إليها فيما سبق .

1 - من أهم طلبات الزار الغدية التي يطلبها من المريض، وهي عبارة عن رأس من الغنم، يحدد الشيخ لونها، وكيفية ذبحها، كما يطلب بعض مشايخ الزار من المريض خاتماً من الفضة، أو مبلغ من المال، كما يطلب من المريض الاحترام (أي الحمية عن بعض للأكلات، وعدم الظهور على الناس لمدة معينة، غالباً ما تكون أربعين يوماً). انظر: عمر: الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن، مرجع سابق، ص 142 - 143.

2 - المرجع نفسه، ص 143.

الخاتمة :

من خلال دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة ما بين 1918 - 1962، ومن خلال تتبع دقائق هذا الموضوع الذي مازلنا نعيشها، فقد توصلنا إلى عدد من النتائج التي يمكن إبرازها في الآتي:

- 1- أن موقع تهامة الجغرافي على الشريط الساحلي للبحر الأحمر، وقربها من الساحل الشرقي الإفريقي، جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتنوعة، مما أثر على تركيبة بنيتها الاقتصادية والاجتماعية، وعادات وتقاليد سكانها الأصلياء وقد لعب هذا العامل دوراً إيجابياً ومهماً في التاريخ الحضاري، حيث شهد اليمن ومنها تهامة أهم حضارات العالم، واستطاع أن يتواصل مع مشرق بلدان الوطن العربي ومغاربه، إلى جانب افتتاحه على العالم الخارجي الآسيوي والإفريقي من جهة البحر الأحمر، إذ أن باب المندب بوابة بحرية لوصل قارات العالم، ولو قُضي لليمن ظروف سياسية واقتصادية ملائمة لأعاد أمجاد حضارته العربية السمات .
- 2- أهمية منطقة تهامة زراعياً، نظراً لخصوبتها تربتها، ومساحة أراضيها الواسعة، وكثرة أوديتها التي شكلت عامل جذب للاستقرار السكاني، الأمر الذي ساعد على وفرة إنتاجها الزراعي والحيواني، وتتنوع محاصيلها الزراعية المتمثلة بالقطن، والذرة بأنواعها والسمسم والبطيخ والمانجو والموز والعديد من الخضروات .
- 3- ساد الواقع الاقتصادي في تهامة خلال فترة الدراسة النظام الإقطاعي (وإن تخلله بعض الاستثمارات الرأسمالية، من خلال الدور الأجنبي في البلاد ومصالحه). لكن اللافت أن الفلاحين لم يكونوا عبيداً للأرض و أصحابها، بحكم نظام القبيلة، وعلاقات القرى التي تحكمها، بل اعتمدت مبدأ المشاركة في المحصول أو الإجراء. إلى جانب تأثير الأعراف والتقاليد التي مازالوا يحافظون عليها إلى اليوم.
- 4- وجود ثلاثة أشكال للملكية الزراعية في تهامة، وهي الملكية الخاصة، وملكية الأوقاف، وأملاك الدولة، وشكلت الملكية الخاصة القسم الأكبر بين الملكيات الأخرى، حيث تراوحت مساحتها ما بين 50 - 54 % من أجمالي الأراضي الزراعية في تهامة.

- 5- إن الملكية في تهامة بأشكالها كافة ساهمت في تحديد مكانة الأفراد في المجتمع، مما ساهم في بروز الترتيب الفئوي بين المجتمع، وذلك أن مكانة الفرد في المجتمع كانت تتحدد بما يملكه من أراضي زراعية.
- 6- ظلت وسائل وأدوات الإنتاج في تهامة خلال فترة الدراسة تقليدية ومتخلفة، قياساً ببقية بلدان الوطن العربي حينذاك، وتمثل ذلك في الجمود شبه التام للقوى المنتجة، التي لم تكن تعرف سوى بعض الأدوات الإنتاجية التقليدية، كالمحراث، والمنجل، والعمل اليدوي، وغيرها من وسائل الإنتاج، مما نتج عنه قلة الإنتاج الزراعي، الذي كان يستهلك محلياً، حيث لم يحدث أي فائض اقتصادي يؤدي بدوره إلى حراك في التركيب الاجتماعي، حيث ظل المجتمع بتركيبة التقليدية حتى قيام ثورة سبتمبر / أيلول 1962 .
- 7- كانت الضرائب سواء الزراعية أو الحيوانية، أو ضرائب السلع التجارية، المصدر الرئيس الذي يرفد خزينة الدولة بالأموال النقدية والعينية، ولذا شنت السلطة في تحصيلها من المزارعين، مستخدمة في ذلك طرقاً عدّة لتقديرها وجباتها، مما أحق أضراراً قاسية بالفلاحين في تهامة، وقد أجبر بعضهم نتيجة هذه السياسة الضريبية إلى الهجرة تاركين أراضيهم، مما نتج عنه تقلص الأرضي الزراعية، وقلة الإنتاج الزراعي .
- 8- سادت الصناعات التقليدية (الحرفية) في تهامة، القائمة على تلبية الحاجات المحلية، والمعتمدة على الموارد المحلية أيضاً، وتمثلت بصناعة المنسوجات، والصباغة، والصناعات الفخارية، والصناعات الجلدية، والخشبية، وصناعة استخراج زيت السمسم، وصناعة الحصير ، وصناعة مواد وأدوات البناء. أما الصناعات الحديثة فكانت نادرة عدا معملان صغيران للحج القطن في مدينة الحديدة، التي نتجت من استثمارات رؤوس أموال أجنبية.
- 9- تميزت التجارة في تهامة خلال فترة الدراسة بضيق أفقها، نتيجة عوامل وأسباب عدّة منها : انعدام وسائل المواصلات الحديثة، وقلة الطرق المعبدة، وانعدام المؤسسات المالية والمصرفية، وهيمنة الأسرة الحاكمة وكبار التجار على التجارة الداخلية والخارجية، فضلاً عن العوامل الاجتماعية المتمثلة بالنظام القبلي، والاكتفاء الذاتي للمناطق، وقوانين الضرائب الباهظة.
- 10- أبرزت الدراسة أنواع السلع التجارية الصادرة من تهامة، والتي كانت عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية، مما يعكس الاقتصاد البدائي المتداول بالمبادلة السلعية، وعدم وجود نقد خاص بالبلاد للتداول .

11- تميز إقليم تهامة بطول شريطه الساحلي على البحر الأحمر، مما جعله يشرف على عدد من موانئ اليمن الرئيسية، التي أعطت للمنطقة أهمية كبيرة، وأثرت على النشاط التجاري، من حيث التبادل التجاري مع البلدان المجاورة، أو من خلال التجارة الداخلية عبر الأسواق الأسبوعية الدائمة، التي انتشرت في أغلب مناطق تهامة، ومثلت مراكز تجارية أسهمت في عملية التبادل التجاري لبعض المنتجات المحلية، والبضائع المستوردة وهو ما جعل لسكان هذا الإقليم نصيباً في التجارة منذ فترة مبكرة، حيث راجت تجارة البن منذ أواخر القرن السادس عشر، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذي كان يزرع في الهضبة الوسطى والمنحدرات المطلة على تهامة، وكانت تهامة ممراً لنقل هذه السلعة إلى موانئ اليمن لتصديرها، فازدهر لذلك ميناء المخا، الذي كان يُعد الميناء الرئيسي لتصدير البن آنذاك، كما انتعشت بفضل تجارة البن بعض المدن التهامية، كبيت الفقيه، واللحية والحديدة، وزبيد .

12- اتسم المجتمع اليمني ومنه المجتمع التهامي بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة الاقتصادية والسياسية، حيث مثلت القبيلة إلى حد كبير ثقافة وهوية وأسلوب الحياة عبر التاريخ اليمني.

13- كان للعامل الاقتصادي والسلالي دوره في تحديد التركيبة الاجتماعية للمجتمع في تهامة، التي تكونت من فئة السادة، والقضاة، والملوك والشيوخ، والتجار والحرفيون وأرباب المهن، والعبيد والخدم .

14- إن صبغة المجتمع التقليدية أبقت فئة الخدم من أفراد الفئات في المجتمع التهامي، حيث أنهم ظلوا يعيشون على هامش المجتمع، ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسبة البطالة بينهم، وارتفاع معدل الإعاقة في أوساطهم، لدرجة لجوئهم إلى مزاولة مهنة التسول .

15- تميز المجتمع التهامي بعادات وتقاليد متنوعة في الزواج ومراسيمه، والولادة والختان وحفلاتها، والمأتم وعاداتها، والأعياد والمناسبات الدينية، والأطعمة والأشربة، والأزياء، وهي في أغلبها متأثرة بما تركه الحكم العثماني في المنطقة الذي ظل ما يقارب من أربعة قرون، مما أوجد تشابهاً في هذه العادات بين مناطق الوطن العربي، فضلاً عن تأثير الهجرات الإفريقية إلى تهامة عبر البحر الأحمر .

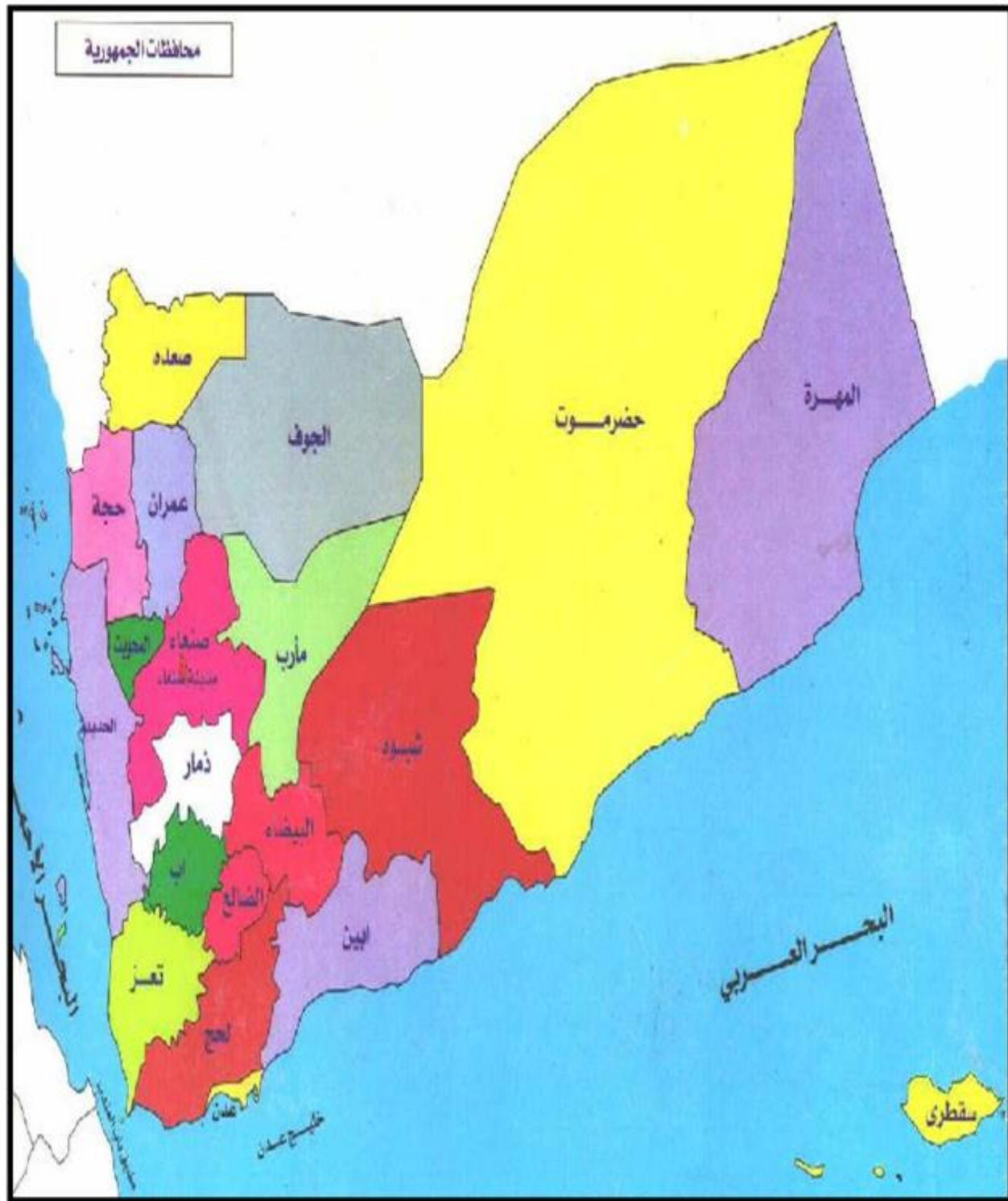
16- إن مستوى التعليم في تهامة خلال فترة الدراسة كان متدنياً إلى حد كبير، واقتصر في أغلبه على التعليم الديني المرتبط بالمساجد والمدارس الملحقة بالمساجد، للرُّؤساء والكتاتيب الذي كان في

أغلبه شبيهاً بموضوع التعليم في أغلب أقطار الوطن العربي، مع اختلاف بسيط يرجع إلى خصوصية المجتمع اليمني الذي يغلب عليه الطابع القبلي .

- 17- أدت العوامل السياسية، والاضطرابات التي مرت بها اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، فضلاً عن سياسة السلطة التعليمية القائمة على مبدأ نشر الفكر الزيدية في أوساط الناس، دوراً مهماً في تكريس التعليم الديني، وغياب التعليم الحديث .
- 18- إن الوضع الصحي الذي كانت تعشه منطقة تهامة خلال فترة الدراسة، والذي اتسم بالتخلف، ما هو إلا انعكاس للوضع الاقتصادي العام في اليمن، الذي تميز بعدم وجود فائض نفدي يمكن الأفراد والسلطة من إقامة هيكل اقتصادي حديثة، تتعكس على جميع القطاعات الخدمية، ومنها الخدمات الصحية، فضلاً عن تنامي مستوى دخل الفرد، وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية، وظروف العزلة الداخلية والخارجية دوراً في تردي الحالة الصحية .
- 19- أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي خلال الفترة الزمنية للدراسة لم يكن قاصراً على منطقة تهامة، بل كان سمة للمجتمع اليمني حينذاك.

قائمة الملاحم :

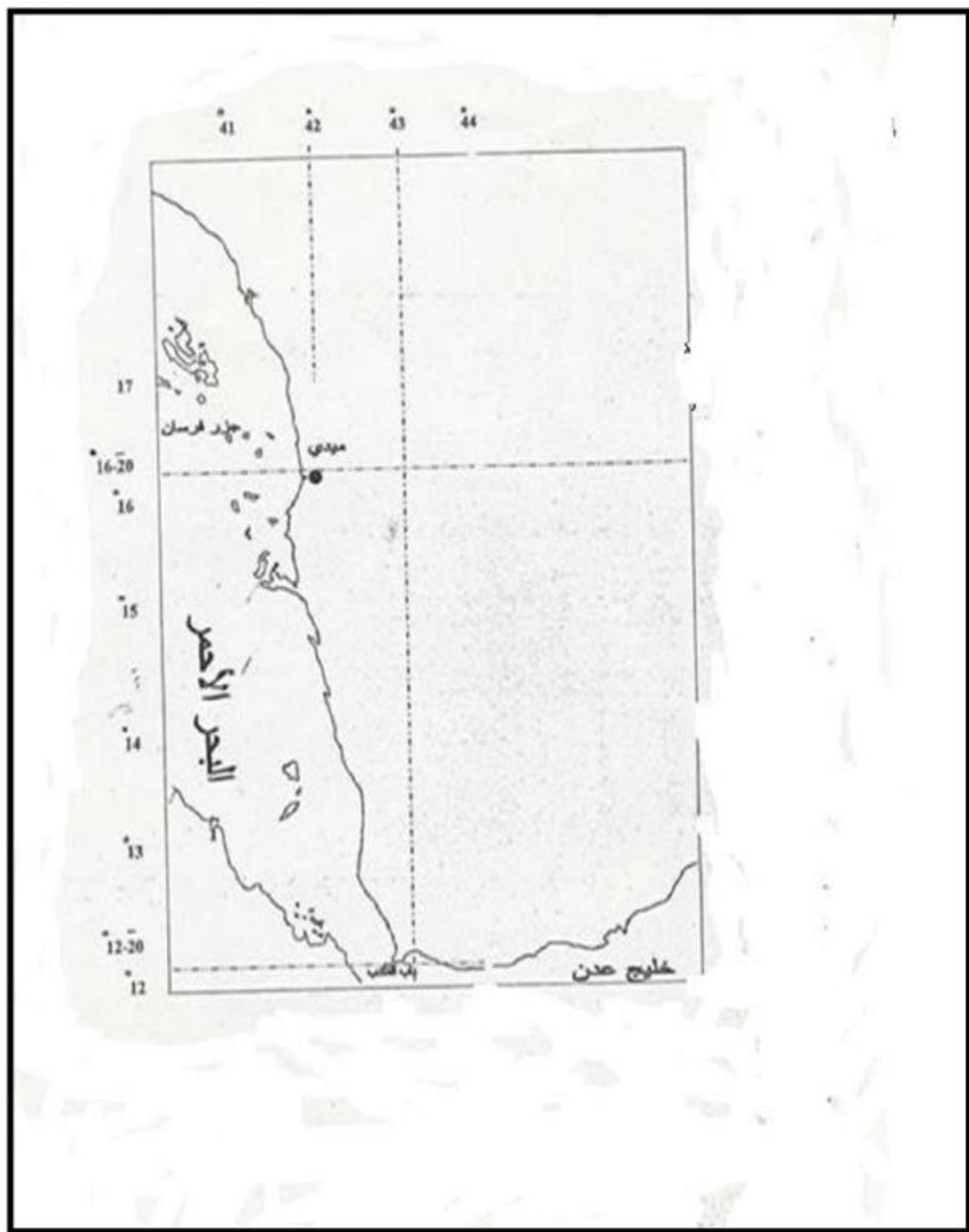
ملحق(1) خارطة توضح موقع اليمن وموقع تهامة منه .



المصدر : موقع الترويج السياحي اليمني.

[Http:// www.Yementourism.com](http://www.Yementourism.com).

ملحق (2) خارطة توضح موقع تهامة فلكياً .



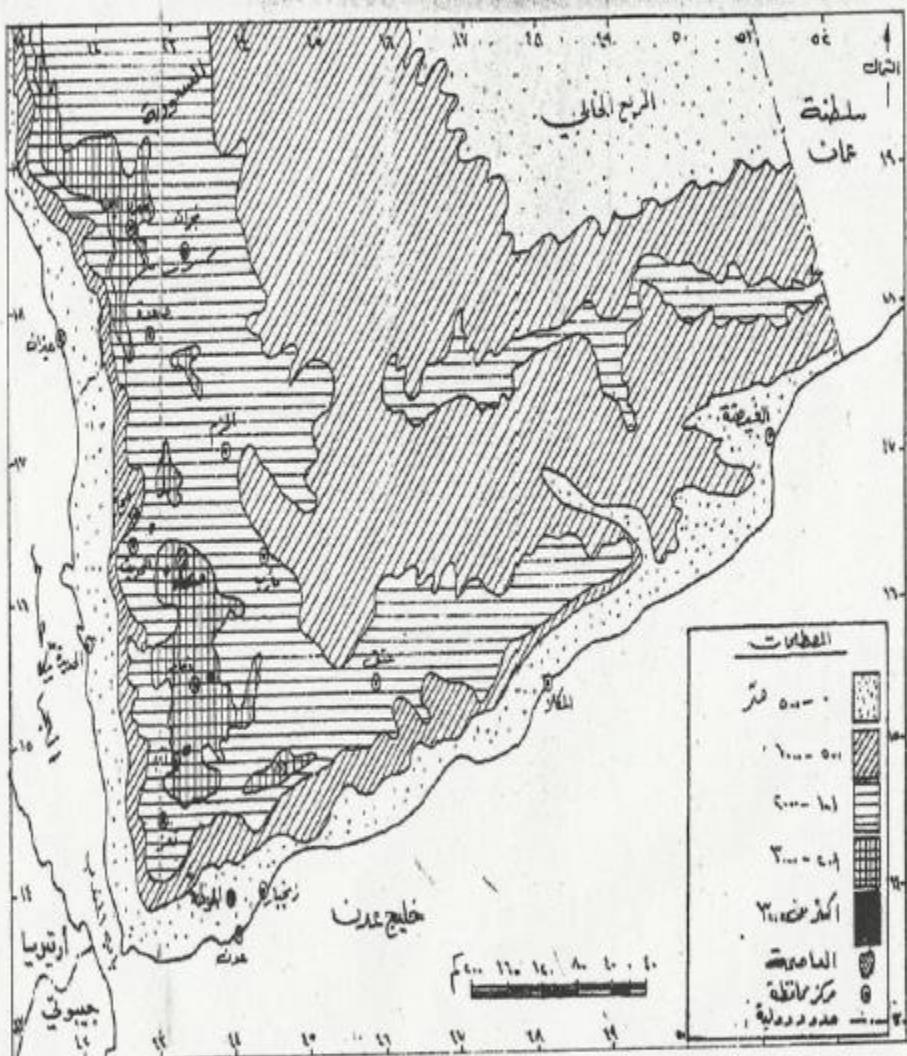
(عن : ونس ، أحمد عمر : 2008م ، شكل رقم (1) ، ص 119).

ملحق (3) خارطة توضح موقع تهامة الجغرافي وحدودها الإدارية بالنسبة لليمن .



المصدر ، موقع الترويج السياحي اليمني .
[Http:// www. Yementourism.com](http://www.Yementourism.com).

ملحق (4) خارطة توضح تضاريس تهامة بالنسبة لتضاريس اليمن .



(عن العد يني ، مارش أحمد ، 2004م ، شكل (3))

ملحق (5) صورة توضح كيفية صناعة الأواني الفخارية في تهامة.



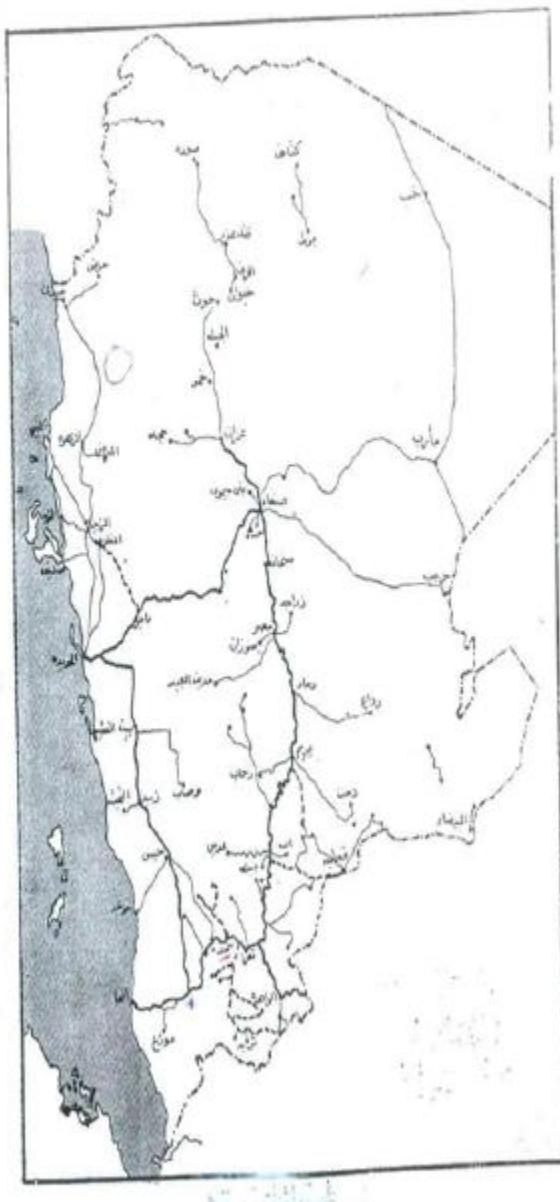
ملحق (6) صورة توضح شكل المحرق وتكونياته .



ملحق (7) صورة توضح كيفية صناعة الطوب الطيني (الأجر) الذي يستخدم في بناء البيوت في تهامة.



ملحق(8) خارطة توضح أهم الطرق البرية في تهامة .



(عن جعفر ، الدراسات الخاصة ، شكل رقم (9)، ص 78)

ملحق(9) خارطة توضح مناطق توزيع القبائل في تهامة اليمن .



(عن جعفر ، الدراسات الخاصة ، شكل رقم (7) ، ص 64.)

ملحق (10) وثيقة توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زيد.

(مكتبة الأشاعر ، زيد ، محافظة الحديدة) .

ملحق (11) وثيقة توضح مقدار ضرائب منطقة المخلاف في تهامة من المحاصيل الزراعية ، لعام 1357/1938.

تابع ملحق (11) لعام 1357/1938 .

الوقت العادي - الاصناف والدواء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (8).

ملحق (12) تقرير يوضح السلع الواردة إلى موانئ تهامة لعام 1359/1940.

نقطة الصانع الارمني - صناعة رغبة في تحف دكتور الدهم

الكتابي الوارد من سلطنة عمان في عام ١٤٣٢ م مع مقدمة ونقد لكتور الحسين بن عبد الله
تفصي هذا الكتاب كرواية في الأدب وأحوال المذاهب أيام ابن رشد بتاريخ
أعماله في
كتاب
كتاب

ملحق (13) وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الحديد واللحية بتهمة

الإسماء وفترة سرقة ممتلكات الحديقة	
الرطاف اسيا اكرطين	ملا حطة
15. صاحب اخراج ميل حطة	
٥. مدير اجهزة عائشة اندونيس	
٤. ممثل موسى عباس	
١٠. وكلمة سمعة شمس	
٢٥. ابرهيم سعيد حافظ جودت	
٤٤. سامي زابار السلامي الحلاق	
٤٧. خاصب شمس الدين	
٤٩. كاتب برسه عفن راك	
٥٠. سورينا شمس	
٥٣. صادر لقمان السادس بن شهور	
٥٧. صادر لقمان السادس بن شهور	
٥٨. سورينا السادس عبد العزبيول	
٦١. صادر ابا حامد	
٦٢. صادر بلاله علاء الدين	
٦٣. صادر بوزير بطاطلين دراجي	
٦٤. صادر تلخا شوكات	
٦٥. المؤذن الحاس ابراهيم	
٦٦. باش زعفران محمد بن عاصم	
٦٧. " سعيد ابو ابراهيم	
٦٨. " سعيد حزقيا	
٦٩. " ابراهيم بن عاصم	
٧٠. " احمد عباس	
٧١. " ابراهيم سليمان	

تابع ملحق (13) .

٢٠٣

تابع جزء ک اخیر	
صهیون	الوطاٹ اسما الموطنان
٩	بائیش ترکی تاسم حسن
٩	ـ ـ ـ ظاهر صدر
١	اربیل و سیمان
<u>١٥</u>	<u>بائیش ترکیه الایماع لیستنلار</u>

جزء ک اخیر	
صهیون	سدر عمر صدر
٥٥	حاکمیت اخیره گرچه ادرس
<u>١٥</u>	<u>ارسیمه توپیه مکل و احمد قاتنه را لست</u>
<u>٢٢</u>	

جزء ک اخیر	
صهیون	سادوس فخری سید حسین

المركز الوطني للوثائق، صناعة، محفوظة (8).

ملحق (14) وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الخوخة في تهامة لعام
1930/1349



بيان وثائق موظفين جمرك الخوخة
نوار المعاشرة الوطان أسماء الموظفين

ياحيى إبراهيم دايم لفڙل يحيى موسى	٤٥	ملاقي ابراهيم زكي
سليمان بن راغب عبد الرحمن علي بن عبد الرحمن	٤٠	عابد الله عاصي
محاسب ابراهيم ابراهيم	٣٥	محاسب ابراهيم ابراهيم
اسن صندوقى العزير نغازى	٣٠	مدقة ابراهيم
ليان بدر الدين العزيز عيسى	٢٥	كتاب سوسه الدسوقي
ليان بدر الدين طاح حسن	٢٠	سالم رسلان علوي
محمد ابراهيم حسنه	١٥	محمد ابراهيم حسنه
حسان حبيب	١٥	حسان حبيب
ورزان احمد احمد	١٠	ورزان احمد احمد
كتاب بار احمد بار ابراهيم	٨	كتاب بار احمد بار ابراهيم
ادله جهاد عصمت	٧	ادله جهاد عصمت
اشتوكه احمد	٧	اشتوكه احمد
غوجي اعنة	٦	غوجي اعنة
فرحان الجده	٦	فرحان الجده
كجراد	٦	كجراد
صالح زكي	٦	صالح زكي
صالحي	٦	صالحي
عبد الله احمد	٦	عبد الله احمد
فتح سعد	٦	فتح سعد
حبيبة	٦	حبيبة
خالد عوضي	٦	خالد عوضي
صلحة الحسين	٦	صلحة الحسين
عبد الرحمن	٦	عبد الرحمن

المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة(8).

ملحق (15) وثيقة توضح إعفاء أسرة آل الأنبا رى في زبيد من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في عهد العثمانيين .

43

• 100 •

38

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله الرحمن الرحيم
المسنون والروايات الـ ٤٢٠٠ من معاشرة وأسلافنا في ذلك العصر
من الأمثال النضارة المهمة التي تعيش في كل الأجيال وتغدو على الأجيال
هي روايات الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها ملخص أسلوبه وآدابه
الآن نريد أن نقدم لكم ملخصاً مختصاً بالعادات والتقاليد التي يحيى بها
ناس سلاسل الأجيال في كل مكان في العالم ومن ثقافة وتراثنا العربي
مما يحيى في الأديان والقيم والعادات والتقاليد التي يحيى بها ملوكنا وأئمتنا
ووجهاتنا في كل مكان في العالم حيثما كان ذلك في كل مكان في العالم
عندنا في سلاسل الأجيال التي يحيى بها ملوكنا وأئمتنا في كل مكان في العالم
وتقودكم إلى عالم ملوكنا وأئمتنا في كل مكان في العالم حيثما كان ذلك في كل مكان

اسناد رسمی
لائچه رئیس

ملحق (١٦) وثيقة توضح بعض الامتيازات التي نالتها أسرة آل الأنباري في زبيد

(٩٣)

آل الأنباري في زبيد

ذكر ملتو

افتى

برسم الرقة سا على الارض الماء بناء من
البلد الساع من الولاه للبلد يشان المتصور العاد المك صار سنه لع رجل عص ونكر
وقد اعطكم اباه به بيد ضيقه بعد ازان فصاعد الماء وهم لو حضركم الغزو ومحس اسرة
التفا كا لهم اهل ختن الداره منهم جبه دينكم وصادفه جانب ارزق العيه ادره بسبزه

واسعد

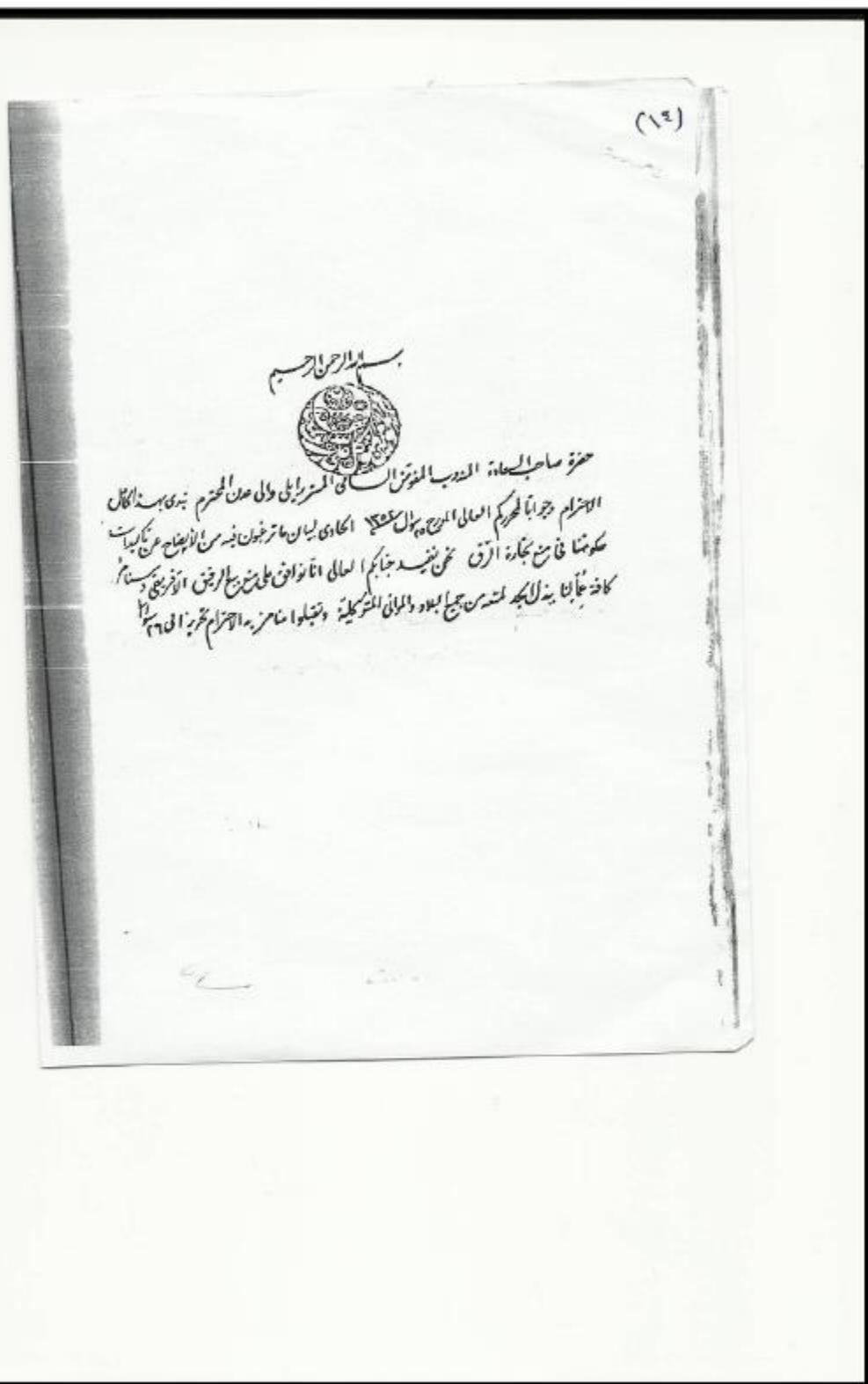
١٨ | ابراهيم



كتاب الأسرار في تاريخ الحسين

(مكتبة الأشاعر، زبيد، محافظة الحديدة)

ملحق (17) وثيقة توضح التزام الإمام يحيى مع المفوض البريطاني في عدن بمنع تجارة العبيد في المملكة المتوكلية اليمنية لعام 1934/1353 .



ملحق (18) وثيقة توضح جدول الحصص الأسبوعي في مكتب زيد الأولى المكون من أربعة فصول لعام 1347/1928.

المواعظ

الفصل	المواعظ	المواعظ	المواعظ	المواعظ
الفصل الأول	المواعظ	المواعظ	المواعظ	المواعظ
الفصل الثاني	المواعظ	المواعظ	المواعظ	المواعظ
الفصل الثالث	المواعظ	المواعظ	المواعظ	المواعظ
الفصل الرابع	المواعظ	المواعظ	المواعظ	المواعظ

الصلوة

الفصل	الصلوة	الصلوة	الصلوة	الصلوة
الفصل الأول	الصلوة	الصلوة	الصلوة	الصلوة
الفصل الثاني	الصلوة	الصلوة	الصلوة	الصلوة
الفصل الثالث	الصلوة	الصلوة	الصلوة	الصلوة
الفصل الرابع	الصلوة	الصلوة	الصلوة	الصلوة

المركز الوطني للوثائق، صناعة، محفوظة (8).

ملحق (19) وثيقة توضح أمر الإمام يحيى بجعل التعليم إجبارياً في المدارس الأولية.

المركز الوطني للوثائق، صناعة، محفظة(3)

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً - الوثائق:

1- الوثائق غير المنشورة:

أ- الوثائق المحفوظة في المركز الوطني للوثائق في صنعاء :

1- أمر الإمام يحيى حميد الدين بجعل التعليم إجباري في مدارس التعليم الأولى (التحضيري).

2- تقرير يوضح السلع الواردة إلى مواني تهامة لعام 1359هـ / 1940م.

3- تقرير يوضح ضرائب منطقة المخلاف في تهامة للمحاصيل الزراعية لعام 1357هـ / 1938م

.

4- وثيقة توضح أسماء وأجور موظفي جمرك الحديدة واللحية .

5- وثيقة توضح أسماء وأجور موظفي جمرك الخوخة .

6- وثيقة توضح التزام الإمام يحيى مع المفوض البريطاني في عدن بمنع تجارة العبيد في المملكة المتوكلية اليمنية .

7- وثيقة توضح جدول دروس الحصص الأسبوعي في مكتب زبيد الأولى المكون من أربعة فصول .

ب- وثائق حصل عليها الطالب من بعض الشخصيات المهمة بالمنطقة:

8- وثيقة إعفاء أسرة آل الأنبا ري في زبيد من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في تهامة .

9- وثيقة تعيين حكام زبيد من أسرة آل الأنبا ري .

10- وثيقة توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زبيد .

11- الأهدل، أبكر عبد الرحمن: جواهر التيجان في أنساب قحطان وعدن، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة الأشاعر بزبيد، ولدى الباحث نسخة مصورة منه .

12- الوصabi، حسين بن محمد: الرحلة الحسينية في الديار اليمنية، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة المؤلف بزبيد .

2- الوثائق المنشورة:

- 1- تقرير وفد المملكة المتوكيلة اليمنية حول الوضع التعليمي في اليمن، برئاسة يحيى المضواхи المقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي الثاني المنعقد بالقاهرة عام 1950، نقلًا عن محمد الشعبي، وثائق ودراسات، مطبع دار الكتاب، دمشق، ط1، 1983، ج 2.
- 2- تقرير منظمة اليونسكو 1956-1955، الإحصاء التربوي العالمي، نقلًا عن عبدالله الذيفاني، التعليم في اليمن، مركز عبادي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1996.
- 3- تقرير الفريق اليمني المشارك للبعثة الأثرية الكندية في تهامة لعام 1996.
- 4- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، المسافات بين مركز المحافظة والمديريات، محافظة الحديدة .
- 5- الجهاز المركزي للتخطيط (نظم الحياة والعلاقات الزراعية في اليمن)، نشرة رقم 55 صنعاء، ينابير / كانون الثاني 1973 .
- 6- الجهاز المركزي للتخطيط، دراسات اقتصادية وتخطيطية واجتماعية، أغسطس/آب ، 1975.
- 7- رئاسة الجمهورية: قانون بشأن الوقف، صنعاء، 25 رمضان 1421هـ/ 1992م، مادة(4).
ثانياً - منشورات ذات صبغة وثائقية :
 - 1- البحر، محمد بن الطاهر: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، ونسب من حق نسبه وسيرته من أهل العصر، تج/ عبد الله محمد الحبشي، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1425 / 2004 .
 - 2- الوشلي، إسماعيل بن محمد: نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، تج/ إبراهيم المحفري، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1429 / 2008، مج1، ج 1.
 - 3- مكرد، عبد الواحد عثمان، وأخرون : الدليل الزراعي لسهل تهامة، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، صنعاء، (د.ط)، 1998 .
ثالثاً - المقابلات الشخصية:
 - 1- سلمان، صالح أحمد، أحد المختصين بصناعة القوارب في محافظة الحديدة بتاريخ 2009/4/15
 - 2- داود، سليمان ناجي، أحد صانعي الحصائر في تهامة بتاريخ 23 / 5 / 2009.

- 3- باجل، عبد الجبار، في منزله بمدينة حيس بتاريخ 7/6/2009 .
- 4- حشابر، محمد عثمان، في مشفى العلفي بالحديدة، بتاريخ 20/5/2009 .
- 5- الحضرمي، عرفات، في منزله بزبيد، بتاريخ 23/4/2009 .
- 6- الذباني، عبد الحبيب، في مبنى القلعة بزبيد، بتاريخ 15/5/2009 .
- 7- المزجاجي، عبد الرحمن، في منزله بزبيد، بتاريخ 20/6/2009 .
- رابعاً - المذكرات الشخصية :
- 1- الأكوع، محمد بن علي: صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، (د.ت) .
- 2- مذكرات أحمد محمد نعمان، سيرة حياته الثقافية والسياسية، مراجعة وتحرير / علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط2، 2004.
- 3- المقبلي، حسين محمد: مذكرات المقبلي، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، ط1، 1986.
- خامساً - المصادر العربية :
- 1- ابن الدبيع، عبد الرحمن بن علي: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تج / عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط) ،(د.ت) .
- الفضل المزيد على بغية المستفيد ، تحقيق/ يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط)، 1404 / 1983 .
- 2- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب : تاريخ المستبصر، مراجعة / ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1417 / 1996 .
- 3- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط (د.ت) مادة (تهـم) ج 12.
- 4- أبو عز الدين، نجيب: عشرون عاماً في خدمة اليمن، دار الباحث، بيروت، (د.ط)، 1990.
- 5- الأشرف، عمر بن رسول : ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تج/ عبدالله محمد المجاهد، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، ط1، 1987 .
- 6- الأفضل، العباس بن المجاهد : بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين، تج/ عبدالله المجاهد، مطبع الدار العربية، ط2، 2006، ج 1.

- 7- آل يحيى، سيف الدين سعيد: **تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة (1940-1943)** ، دائرة التدريب والتطوير القتالي، العراق، ط1، 1986، ج 1.
- 8- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج 1 .
- 9- الرازى، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختر الصاحب، ضبط وتصحيح / سميرة خلف المولى** ، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
- 10- زيارة، محمد: **أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة** ، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط) ، 1376هـ .
- نيل الحسينيين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسينين وغيرها من بيوت العلم والزهد والصلاح والرئاسة اليمنية، مكتبة المعارف، الطائف، (د.ط) ،(د.ت) .
- 11- الزبيري، محمد محمود: **الإمامية وخطتها على اليمن**،(د.ن) القاهرة،(د.ط)، 1416/1996 . **المنظفات النظرية في فكر الثورة اليمنية** ، دار العودة، بيروت، ط 1، 1983.
- 12- زكريا، أحمد وصفي: **رحلتي إلى اليمن** ، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1986/1406.
- 13- السلال، عبد الله وأخرون، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة، صنعاء ،(د. ط)، (د.ت).
- 14- الطرابلسي، برهان الدين بن موسى(ت: 1516هـ/922م): **الإسعاف في أحكام الأوقاف** ، دار الرائد العربي، بيروت،(د.ط)، 1401/1981 .
- 15- العظم، نزيه مؤيد: **رحلة في بلاد العربية السعيدة** ، دار قتبة، بيروت، ط 2، 1405/1985 ، ج 1 .
- 16- عفيف، أحمد جابر: **شاهد على اليمن** ، مؤسسة العفيف، صنعاء ، ط 1، 2000.
- 17- غالب، محمد أنعم: **نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن** ، دار الهناء، القاهرة،(د.ط) ، 1962 .
- اليمن، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط 1، 1962.
- 18- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط** ، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1415/1995 ، مادة (تهم) .
- 19- قاسم غالب وأخرون : **ابن الأمير وعصره** ، صورة من كفاح الشعب اليمني ، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، ط 2، 1983 .

- 20- مجهول: نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفرى الوارف، تح / محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2003، ج 1 .
- 21- طير، أحمد عثمان : الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة، دار المصباح، الحديدة، (د.ط)، (د.ت) .
- 22- المقدسي، محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح/ دي جويه، مطبعة برلين، ليدن، ط2، 1327 / 1909.
- 23- الواسعي، عبد الواسع يحيى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (د.ن)، القاهرة، (د.ط)، 1928 .
سادساً - المراجع العربية :
- 1- أباظه، فاروق عثمان: عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعرف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .
- الحكم العثماني في اليمن (1872 – 1918)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1986 .
- 2- أبو داهش، عبد الله: الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية، دار الأصالة، الرياض، (د.ط)، 1401 هـ .
- 3- أبو غانم، فضل علي أحمد: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط) ، 1985 .
- 4- الإرياني، مطهر علي: الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412 / 1992 ، ج 1 .
- 5- الأشعب، خالص: اليمن (دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي) ، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982/1402 .
- 6- الأشول، ناجي على: الجيش والحركة الوطنية في اليمن (1919- 1969)، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ط3، 2005 .
- 7- آغا، شاهر جمال: جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي) ، مكتبة الأنوار، دمشق، (د.ط) 1403 / 1983 .

- 8- الأكوع، محمد علي: **حياة عالم وأمير وصفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1987 .
- 9- الأكوع، إسماعيل: **المدارس الإسلامية في اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1995 .
- 10- الأهدل، أبي القاسم: **الردة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة**، تج/ السيد محمد، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت) .
- 11- الأهدل، أبي بكر بن أبي القاسم: **الأحساب العلية في الأنساب الأهلية**، تج/ محمد طاهر الأهدل وأخرون، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت). .
- 12- بازي، داود: **فنون العمارة التقليدية في مدينة زبيد**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب - جامعة الحديدة بعنوان: ((زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي)) للفترة من 14-17 ديسمبر / كانون أول 2002 .
- 13- باعبدا، علي هود: **التعليم في الجمهورية العربية اليمنية (ماضيه - حاضره - مستقبله)**، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط3 ، 1988.
- 14- البردوني، عبد الله: **الثقافة والثورة في اليمن**، دار الفكر، دمشق، 1992 .
-، **اليمن الجمهوري**، دار الفكر، بيروت، ط4، 1994.
- 15- البشري، إسماعيل محمد: **الحملة العثمانية على إمارة أبي عريش والسواحل اليمنية**، (1265هـ - 1849م)، دراسة وثقافية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423 / 2002.
- 16- البطريق، عبد الحميد: **من تاريخ اليمن الحديث (1517-1840)**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1969.
- 17- بركات، أحمد قائد: **منطقة الصليف، الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، ج2، (د.ت) .
- 18- بعكر، عبد الرحمن طيب: **ثمانون عاماً من حياة النعمان**، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1990 .
- 19- البلادي، عاتق غيث: **معجم معالم الحجاز**، دار مكة للطباعة، مكة المكرمة، ط1، 1401 / 1981 .

- 20- بن دغر، أحمد عبيد: **اليمن تحت حكم الإمام أحمد (1948 - 1962)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2005 .
- 21- بن بريك، أحمد: **اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (1869-1914)**، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2001.
- 22- ترسيري، عدنان: **اليمن وحضارة الغرب**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 23- جحاف، أمة الرزاق: **الحرف التقليدية والأزياء التقليدية**، (ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحفاظ على مدينة زبيد التاريخية المنعقدة بجامعة الحديدة من الفترة 13 - 15 ديسمبر / كانون الأول، 2004) .
- 24- جعفر ، محمد حلمي: **تهامة اليمن (الدراسات الخاصة)**، معهد البحث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1976.
- 25- الجعيدي، عبد الله سعيد: **الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 - 1945** ، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2001 .
- 26- جوهر، حسن محمد وأخرون: **اليمن**، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)
- 27- الجوهرى، محمد: **التراث الشعبي، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة**، مطبعة الجامعة، القاهرة، (د.ط)، 1973 .
- 28- الحجري، محمد بن احمد، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، تح / إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط3، 2004 ، مج 2، ج 2 .
- 29- الحداد، عبد الله عبد السلام: **مدينة حيس اليمنية (تاريخها وأثارها الدينية)**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999 .
- 30- الحداد، محمد يحيى: **التاريخ العام لليمن**، دار التوثير للطباعة والنشر ، بيروت، ط1، 1986 ، ج 5.
- 31- الحديسي، نزار عبد اللطيف: **أهل اليمن في صدر الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978.
- 32- الحسيني، عبد العزيز : **الحياة العلمية في الدولة الرسولية**، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط)، 1973 .

- 33- الحضرمي، عبد الرحمن: **زييد مساجدها ومدارسها**، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ط)، 2000 .
- جامعة الاشاعر في زبيد، الشركة اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، 1974
- تهامة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2005.
- 34- الحفيان، عوض إبراهيم عبد الرحمن: **الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية**، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط1، 2004.
- 35- حماد، أسامة احمد: **مظاهر الحضارة في اليمن**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 2004 /1425 .
- 36- الخطري، عبد القادر : **الإمامية وأسلحتها الفتاكة**، مطبعة الجمهورية، تعز، (د.ط)، 1962/1382 .
- 37- الخطيب، محمد: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1991 /1411 .
- 38- داود بازي، **مظاهر الحياة الاجتماعية في زبيد**، بحث غير منشور .
- 39- الدهي، أحمد سعيد: **الحياة الاقتصادية لليمن الحديث**، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، (د.ت) .
- 40- الذيفاني، عبدالله: **التعليم في اليمن**، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ط1، 1996 .
- 41- رسول، أحمد حبيب: **دراسات في الجغرافيا الاقتصادية والبشرية لليمن**، دار الكلمة، صنعاء، (د.ط)، 1985 .
- 42- رميس، صباح مهدي: **إمارة عسير (دراسة في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلاقتها العربية والدولية 1876 - 1932)** ، دار جوامع الكلم، دمشق، ط1، 2011 /1431 .
- 43- الزوكه، محمد خميس: **في جغرافية العالم العربي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1986 .
- 44- سالم، السيد عبد العزيز: **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د.ط) ، 1993/1413 .

- سالم، سيد مصطفى: **تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى 1904 - 1948)** ، دار الأمين، القاهرة، ط 4، 1993.
- مجلة الحكم وحركة الإصلاح في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 2، 1988.
- 46** - السروري، محمد عبده: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن** ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط 1، 2004 .
- 47** - سليمان، كريمة مبارك: **التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 1، 1994 .
- 48** - السندي، عبد العزيز : **المدارس اليمنية** ، مطبعة السفير ، الرياض ، ط 1، 2003/1424 .
- 49** - شاكر، محمود: **شبه جزيرة العرب** ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، (د.ط) ، 1396 / 1976 .
- 50** - شحاب، محمد سالم: **معالم الزراعة في اليمن** ، الموسوعة اليمنية ، مؤسسة العفيف ، صنعاء ، ط 3، مج 2، 2002.
- 51** - الشرجي، قائد: **القرية والدولة في المجتمع اليمني** ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1، 1990 .
- **الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني** ، دار الحادثة، لبنان ، ط 1، 1986.
- 52** - الشريف، عبد الله : **زيد وظهيرها الزراعي من خلال المؤلفات (قراءة جغرافية في العلاقة بين الريف والمدينة)** ، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة الحديدة، 2002 .
- 53** - الشعبيني، محمد مصطفى: **اليمن الدولة والمجتمع** ، دار النهضة ، (د.م)، (د.ط)، 1975.
- 54** - الشماхи، عبدالله: **اليمن (الإنسان والحضارة)** ، منشورات المدينة ، بيروت ، ط 3، 1406 / 1985 .
- 55** - شمسان، إيمان: **اليمن في العصر العباسي الأول (132 - 203 هـ / 818 - 750 م)** ، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، الشارقة ، در جامعة عدن ، اليمن ، ط 1، 2001 .
- 56** - شهاب، حسن صالح: **أضواء على تاريخ اليمن البحري** ، دار العودة ، بيروت ، ط 2، 1981.
- 57** - الشهاري، محمد علي: **طريق الثورة اليمنية** ، دار الهلال ، القاهرة ، (د.ط)، 1966 .
- 58** - الشيباني، عبد القادر: **الصناعات التقليدية في اليمن** ، بحث غير منشور .

- 59- الصائدی، أحمد قائد: **المادة التاريخية في كتابات نبيور عن اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1410 / 1990.
- 60- حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى (1904 - 1948)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، ط1، 1403 / 1983.
- 61- علي، صادق عبده: **الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن (1918 - 1967)**، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط1، 1992.
- 62- الصياد، أحمد: **المرأة اليمنية وتحديات العصر**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1995.
- 63- طاهر، علوي عبد الله: **السلطة والمعارضة في اليمن المعاصر**، دار الصدقة، بيروت، (د.ط)، 1992.
- 64- عاكلش، الحسن بن أحمد: **عقود الدرر بترجم علماء القرن الثالث عشر**، تج / إسماعيل البشري، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، 1418هـ.
- 65- عباس، شهاب محسن: **جغرافية اليمن الطبيعية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 1416 / 1996.
- 66- عبد الحافظ، عبد القوي: **وضع التخييل في الجمهورية العربية اليمنية**، تهامة والتنمية الزراعية، الهيئة العامة لتطوير تهامة، ع (4)، 1987.
- 67- عبده، علي محمد: **لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين**، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط1، 2003، ج 1 .
- 68- العبيكان، طرفة عبد العزيز، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، (د.ن)، الرياض، (د.ط)، 1406 / 1996 .
- 69- العدينی، مارش أحمد سعيد: **جغرافية الموانئ اليمنية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ، ط1، 2003/1424 .

- 70- العز عزي، عبد الله فارع عبده: **اليمن من الإمامة إلى الجمهورية**، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1422 / 2001.
- 71- العطار، محمد سعيد: **التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن**، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر ، ط1، 1965.
- 72- العقيلي، محمد بن أحمد: **المعجم الجغرافي**، منشورات نادي جازان الأدبي، جازان، (د.ط)، 1399هـ.
- تاريخ المخلاف السليماني، منشورات دار اليمامة، الرياض، ط2، 1402هـ / 1982، ج 1 .
- 73- عمر، إبراهيم سمير : **الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر**، مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، (د.ط)، 1992.
- 74- عمر، سلطان أحمد: **نظرة في تطور المجتمع اليمني**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1970 .
- 75- العري، عبدالله خادم: **الرقص الشعبي في تهامة (ضمن مسرحية فلكلور تهامي)** (د.ن)، (د.م)، ط2، 1997 .
- النهضة الأدبية في اليمن، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، (د.ت).
- **الشعر الشعبي المقصى في تهامة**، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2004 .
- 76- العمري، حسين: **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط1، 1409 / 1989 .
- 77- عوده، محمود: **القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع**، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة، ط2، 1983 .
- 78- العودي، حمود: **التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية (دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني)**) عالم الكتب ، القاهرة، (د.ط)، 1400 / 1980 .
- 79- فخري، أحمد: **اليمن ماضيها وحاضرها**، مراجعة عبد الحليم نور الدين، منشورات المدينة ، بيروت ، ط2، 1409 / 1988 .
- 80- الفقيه، عبد روس علوى: **جغرافية الجمهورية اليمنية**، دار جامعة عدن ، اليمن ، ط1، 1418 / 1997 .

- 81- المتوكل، إسماعيل محمد وآخرون : الزراعة والمحاصيل في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط2، 2003 ، مج 2 .
- الثروة الحيوانية في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1992/1412 ، ج 1.
- 82- متولي، محمد، محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (جغرافية اليمن الشمالي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط3، 1409/1988 ، ج 3 .
- 83- المجاهد، عبد الله محمد: إنتاج المحاصيل، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1986
- 84- المسعودي، عبد العزيز قائد: القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية، مكتبة السنحاني، صنعاء، ط1، 1992 .
- 85- المصري، أحمد عطيه: النجم الأحمر فوق اليمن، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط3، 1988 .
- 86- مصطفى، إبراهيم، وآخرون : المعجم الوسيط، دار الدعوة ، تركيا، ط2، 1972 ، ج 1.
- 87- معمر، عبدالله : الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن ((دراسة لعلاقة البناء الاجتماعي بطرق العلاج)) ، مكتبة مدبلولى ، القاهرة ، ط1، 1999 .
- 88- المعمرى، سلطان عبد العزيز: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والحروب القبلية في مجتمعات قبائل المنطقة الجنوبية الغربية من لواء تعز، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بعنوان: ((تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)) للفترة 25-27 مايو/أيار 2009، النيل للطباعة الحديثة، تعز ، 2010، ج 3 .
- 89- المقحفي، إبراهيم بن أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر ، صنعاء، ط4، 1422/2002 ، ج 1 .
- 90- المقرمي، عبد الملك : التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ط1، 1991 .
- 91- مبشر، عبد الوهود قاسم: الزرانيق والحكم العثماني في اليمن، مركز ذوال للتراث والدراسات التاريخية، صنعاء، ط1 ، 2008 /1429 .

- 92- المقاطري، عبد العزيز أحمد: **النقوذ والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث** ، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985 .
- 93- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412 / 1992 ، ج 2 .
- 94- ناجي، سلطان: **التاريخ العسكري لليمن**، (د.ن) عدن، (د.ط)، 1976.
- 95- هارون، عبده علي: **الدر النضيد في تحديد معالم وأثار مدينة زبيد**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، (د.ط)، 1425 / 2004 .
- 96- الهبيتي، شاكر محمود عبد المنعم : **مؤسسات زبيد الثقافية في عهد الملك الأشرف الغساني 787 - 803 هـ**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب - جامعة الحديدة بعنوان (زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي) للفترة من 14 - 17 ديسمبر/كانون الأول ، 2002 .
- 97- الهمданى، عبد الهادى حسين: **التنمية الإدارية في الجمهورية اليمنية**، دار النصر ، دمشق، (د.ط)، 1990 م .
- 98- ورو، هشام عبد الله: **فنون الشعر الشعبي في تهامة**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، (د.ط)، 1425 / 2004 .
- 99- الوشلي، عبدالله قاسم: **المسجد ودوره التعليمي عبر العصور خلال الحلق العلمية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 / 1988 .
- 100- وليد جرادات: **الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر**، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1407 / 1986 .
- 101- الويسي، حسين بن علي: **اليمن الكجرى**، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1412 / 1991 ، ج 1 .
- 102- اليماني، محمد أهدل: **القول الأعدل في ترجم بنى الأهدل**، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ط).

سابعاً - الرسائل والأطروحات الجامعية :

- 1- الأهجري، عبد الغني: الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها ، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة المنصورة، 1429 / 2008
- 2- الأهدل، خالد يحيى: الشعر الشعبي اليمني في تهامة ((أشكاله الفنية وأبعاده الموضوعية) ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء،(د.ت).
- 3- البكري، عبد الحميد: التعليم في اليمن (1918 – 1962)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشد . جامعة بغداد، 1421 / 2000 .
- 4- حبيب، عبد الله: زبيد المعاصرة(دراسة اجتماعية واقتصادية 1962-1980)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 2007.
- 5- حيدر، فاروق أحمد : التعليم في اليمن في عهد دولة بنى رسول، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية التربية - جامعة عين شمس،(د.ت) .
- 6- حيدر ، عبد الله: المناخ وعلاقته بالأنشطة الصناعية والتلوث في البيئة الساحلية اليمنية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة دمشق ، 2008 .
- 7- الدودحي، فيصل محمد علي: الأرض والسلطة في اليمن المعاصر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء ، 2009 .
- 8- الشرفي، محمد شوعي حسن : ثورة عام 1948م في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد . جامعة بغداد، 1417هـ / 1996 .
- 9- العبادي، عبد الله قائد حسن: الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى، 1416 / 1995 .
- 10- عسيري، مثيره : النشاط الاقتصادي في منطقة زبيد، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا . جامعة الملك سعود، 1427هـ .
- 11- الغليسي، سعيد حميد: اليمن الجمهوري ((الأوضاع السياسية والاجتماعية 1962-1970) ، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة صنعاء ، 2008 .
- دور القبيلة في الحياة السياسية اليمنية خلال فترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918-1962)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء ، 2003 .

- 12- الفقيه، أحمد محمود: **السياسة الإدارية والمالية في عهد الإمام يحيى**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة صنعاء.
- 13- لطف، محمد: **الجهات الحيسية في العصر الرسولي**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 2008 .
- 14- مطهر، نجوى عبد اللطيف: **صراع القوى حول تهامة اليمن (1818 - 1849م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة صنعاء، 2005.
- 15- المنديعي، داود: **تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس للهجرة**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية، 1418 / 1997.
- 16- ناصر، عدنان عبد: **التعليم في العهد العثماني والإمامي الملكي والبريطاني في اليمن إلى الثورة اليمنية 1962**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية، 1994.
- 17- النظاري، جمال حزام : **عبد الله السلال ودوره السياسي في اليمن**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية . ابن رشد، جامعة بغداد، 1996 .
- 18- هائل، علي مصلح: **التأثير الثقافي في حركة المعارضة الوطنية اليمنية (1934 - 1962م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 1428 / 2007.
- 19- هديل، طه حسين عوض: **الحياة الاجتماعية في اليمن**، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب . جامعة صنعاء ، 2007 .
- 20- الوشلي، يحيى أحمد حسين: **محافظة الحديدة (دراسة جغرافية)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة صنعاء . كلية الآداب، 1989 .
- ثامناً - الدوريات:**
- أ- الصحف:**
- 1- صحيفة الإيمان، اليمن، العدد(175)، صفر 1366هـ/ 1947م.
 - 2- صحيفة الإيمان، اليمن، العدد (198)، رباع الأول 1367هـ/ 1948م.
 - 3- صحيفة الجمهور السورية، سوريا ، (عدد خاص) 3 أغسطس/ آب 1957م.
 - 4- صحيفة فتاة الجزيرة، اليمن(عدن)، العدد(1333)، 16مايو/أيار 1960م.
 - 5- صحيفة الثقافية، اليمن، العدد (11)، سبتمبر / أيلول 1999م.

- 6- صحفة 26 سبتمبر ، اليمن، العدد (1275)، 10 اغسطس/ آب 2006 م .
- 7- صحفة الجمهورية، اليمن، العدد (140601)، 4 نوفمبر/تشرين ثاني 2009 م.

بـ- المجلات:

- 8- مجلة الإكيليل، اليمن (صنعاء).
- 9- مجلة دراسات يمنية، اليمن(صنعاء) .
- 10- مجلة المؤرخ العربي مصر (القاهرة) .
- 11- مجلة كلية الآداب والأسن، اليمن (جامعة نمار).
- 12- مجلة زيد، اليمن (زيد) .
- 13- مجلة الغراء، اليمن (زيد) .
- 14- مجلة المندى الأدبي الثقافي، اليمن(زيد) .
- 15- مجلة تهامة، اليمن (جامعة الحديدة) .
- 16- مجلة حوليات العفيف، اليمن(صنعاء) .
- 17- مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت (جامعة الكويت) .
- 18- مجلة حوليات يمنية، اليمن (المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء).
- 19- مجلة اليمن الجديد، اليمن (صنعاء).

تاسعاً - البحوث والدراسات:

- 1- الأهدل، حسين بن أبي القاسم: (كشف القاتع في معرفة أحكام الزراع) ، تتح / عبد الله الحبشي، مجلة الإكيليل، ع(1)، السنة الأولى، صنعاء ، 1400 / 1980.
- 2- الأهدل، على مغربي: (أسواق تهامة الشعبية) ، صحفة الجمهورية، ع (14658)، الجمعة 25 ديسمبر / كانون الأول 2009.
- 3- بازي، داود : (الأغنية الشعبية (أغاني المهد)) ، مجلة الغراء، زيد، ع (5-6) ، يونيو - ديسمبر / تموز - كانون الأول ، 2006 .
- (مراسيم الاحتفاء بتخریج الصبی من المعلمة) ، مجلة الغراء، زيد، ع (7، 8) يناير- يونيو / كانون الثاني . حزيران 2007 .
- (الرقص الشعبي في مدينة زيد) ، صحفة الثقافية، ع (11)، سبتمبر / أيلول ، 1999.

- 4- بحر، نجاة حسن عبده: (**أغاني المرأة اليمنية في تهامة**) ، مجلة زيد، الجمهورية اليمنية، ع(1)، مايو /أيار 2009 .
- 5- بولدرى، جون: (**أهم الأحداث في تاريخ الحديدة**) ، تر/ محمد عزي صالح وآخرون، مجلة الإكيليل، صنعاء، ع(5)، 1401/ 1981 .
- 6- بونفان، بول: أحياء زيد (**ملاحظات في التاريخ الاجتماعي**) ، مجلة حوليات يمنية، صادرة عن المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2002 .
- 7- ححاف، أمة الرزاق: (**البعد الاجتماعي في الأزياء الشعبية اليمنية**) ، مجلة حوليات العفيف، صنعاء، ع (3) 2003 .
- 8- جوليوفسكايا، إيلينا: (**حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني**) ، تر/ قائد محمد طريوش، مجلة دراسات يمنية، ع (17)، 1984 .
- 9- الحبشي، عبد الله محمد: (**ظهور القهوة في اليمن**) ، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع(124). .
- 10- الحلو، صادق ياسين: (**المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث**) ، مجلة كلية الآداب والآلسن، جامعة ذمار، ع (8) .
- 11- الحلوة، محمد إبراهيم: التحديث السياسي في اليمن الشمالي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول، 1983 .
- 12- حمودي، خالد جليل: (**الفخار والخزف الإسلامي**) ، مجلة المتحف العربي، ع(3) ، مارس/آذار، 1987 .
- 13- الخطابي، أروى أحمد: (**تجارة البن في اليمن**) ، مجلة الإكيليل، وزارة الثقافة، صنعاء، ع (29 - 30)، يناير، مارس/ كانون الثاني، آذار، 2006 .
- 14- خليفة، ربيع حامد: (**مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء**) ، مجلة الإكيليل، ع (2)، السنة السادسة، 1988 .
- 15- الزيلعي، أحمد عمر: (**بنو الزيلعي العقiliون وانتشارهم في تهامة**) ، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع (12)، مارس 2004 .

- 16- السبيطلي، محمد: (المجتمع والدولة في عيون القضاة) ، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006 .
- 17- سعيد، شائف عبده: (الحياة الاقتصادية في اليمن) ، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع(41)، 1990/1411 .
- 18- سلطان، جميل: (كيف يجري التعليم في اليمن) ، صحيفة الجمهور السورية، (عدد خاص)، 3أغسطس/آب، 1957.
- 19- سيف، عبد العزيز قائد: (نظام الرهائن في عهد الأئمة) ، مجلة اليمن الجديد، سبتمبر /أيلول 1989.
- 20- شاهر، خالد عبد الحليل: (البنية الاجتماعية التقليدية في اليمن) ، مجلة دراسات يمنية، ع(43)، 1991/1411.
- 21- شجاب، محمد سالم: (قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية) ، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع(12)، ديسمبر/كانون الأول، 1987 .
- 22- الشلاي، صباح حمود : (تراث الفن المعماري والفضاء الداخلي لمدينة وريف زيد) ، مجلة نهامة، جامعة الحديدة، ع (8) ، يوليو/ تموز 2007.
- 23- شوين، أرمن: (الطب التقليدي في الجمهورية العربية اليمنية) ، تر/ أحمد الصاندي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول 1983.
- 24- الصاندي، أحمد قائد: (العلاقات التجارية اليمنية-الألمانية للفترة 1927 - 1940م) على ضوء إرشيف وزارة الخارجية الألمانية) ، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع (49)، 1413 / 1993 .
- 25- الصوفي، نبيل: (الخامن غالب الوجيه عاشق الحرية) ، مجلة المنتدى الأدبي الثقافي، زيد، 2007 /1428 .
- 26- طاهر، علوى عبد الله: (واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م) ، مجلة الإكليل، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ع (1)، السنة الخامسة، 1986.
- 27- المعلمي، أحمد عبد الرحمن: (الشريعة المتوكيلة أو القضاء في اليمن) ، مجلة الإكليل، ع(5)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، 1401 / 1981 .

- 28- المقداد، محمد بن عبد الوهاب: (قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الاشاعر) ، تر/ عبد الرحمن الحضرمي، مجلة الإكليل، ع (3-4) السنة الأولى، صنعاء، 1401/1981 .
- 29- ناجي، سلطان: (الحقوق الاجتماعية للمرأة في المجتمع اليمني) ، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ع(1)، السنة(3) ابريل/نيسان، 1980.
- عاشرأ - المصادر والمراجع المترجمة :
- 1- أبوتنى، سلفاتور: مملكة الإمام يحيى، تر/ طه فوزي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1366 . 1947/
- 2- أستون، فرانسين: تهامة، تر/ يوسف محمد عبدالله، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412 /1992، ج 1 .
- 3- أنكاري، مذكرات دبلوماسي في اليمن، تر/ قائد محمد طريوش، ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993 .
- 4- أوبالا نس، إدجار: اليمن الثورة وال الحرب، تر/ عبد الخالق محمد لاشين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1990 .
- 5- بونفان، بول: العمارة في زيد، الموسوعة اليمنية، تر/ علي محمد زيد، (د.ط)، (د.ت)، ج 3.
- : فن الزخرفة الخشبية في صنعاء، تر/ محمد العروسي، (د.ط)، 1996 .
- 6- جوليوسسكايا، إيلينا: ثورة 26 سبتمبر في اليمن، تر/ قائد محمد طريوش، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1402 /1982 .
- 7- دوستال، ولتر: الأسواق في اليمن، تر/ أحمد قائد بركات، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412 / 1992، ج 1 .
- 8- فايان، كلودي: كنت طبيبة في اليمن، تر/ محسن العيني، دار العودة، بيروت، ط2، 1987 .
- 9- فلادلين أ.جوساروف، آخرون: اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية، تر/ أحمد علي سلطان، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1972 .
- 10- ماكروا، أريك: اليمن والغرب (1571-1962م)، تر/ حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط 2 ، 1987 .

- 11- مجموعة من المؤلفين السوفيت، تاريخ اليمن المعاصر (1917-1982م)، تر / محمد على البحر ، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) .
- 12- هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر / كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ط2، (د.ت) .
- 13- هولفريتر، هانز: اليمن من الباب الخلفي، تر / خيري حماد، دار العودة، بيروت، (د.ط) . 1986

الحادي عشر - المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Basic Chronology for a history of the Yemen, Middle East journal, 1963, vol. 17.
- 2- Basic data on The Economy of Yemen, Washington, 1960.
- 3- Dr- Keel – The Bronze Agesitealal - Midammen Rerortes, director , Archeological misslon, Canada , Toronto, December, 2005 .
- 4- Ingram's, H, the Yemen Imams, Rulers and Revolutions London 1963 .
- 5- Pocok, Richard – Description of the East and some other countries-volum the first observation on Egypt – missing editor.
- 6- Robert, Stookey, Yemen politic of the Yemen Arab Republic.
- 7- Sergeant, R.B ((The interplay between tribal Affinities and religious (Zaydi) authority in the Yemen.
- 8- Tesco V.V : survey of the Agricultural potential of the Wadi Zabid , Yarland Tenure and Water Rights, Report, Budapest 1971 .
- 9- Wenner, W, Manfred, Modern Yemen (1918- 1966), Baltimore 1967.
- 10- Whalen, N. M (1993 – 1994) is the Early Man found his way through Bab AL-Mandab strait from Africa to Yemen.
- 11- George, H,P : A historical Gography of British Empire seven Edition , London 1924 .

الثاني عشر - شبكة المعلومات الدولية (موقع (إنترنت).

الفقيه، عبد الله: البنية الاجتماعية وانقسام النخبة الحاكمة في اليمن

Http://www. Alahale. Net, 25/2/2011

Http://www.Yemen ,nice, in of tursmes. Day 27/3/2010

الأهدل، علي مغربي: الملابس والأزياء في تهامة، صحيفة الجمهورية، ع(14488)، يوليو/

تموز 2009 ، ص 11 .

Http:// www. Algomhoriah.net

موقع الترويج السياحي اليمني.

Http:// www. Yementourism.com.

Abstract:

The importance of the study is because It will take up a new historical reading of the Tihama region of Yemen, about the economic and social situation between 1918 – 1962.

particularly due to its strategic geographic location on the Red Sea, making it an approach to many and varied races besides the native people of Yemen thus affected its socio-economic structure. Moreover, Understanding the economic and social situation (Its Infrastructure) fully reflects the reality of the Tihama including the real-life political, intellectual and even military.

This research aims at studying the history of the economic situation of the Tihama region during the reign of the family Hamid Al-Din, and its reflection on the socio-economic structure in the Tihama.

In addition to the study of the categories that formed the society, and their conditions in the prevailed economic situation, and its effects on the aspects of public life, at weddings and grief events, and relations among its members, and position of each class of society, It also aims at clarifying the methods of social life that was practiced by the community during that period, in order to know the hows and whys the standards of living for all segments of society.

I also aims at finding out the education, health and social services,

The nature of research required to divid it into an introduction, preface, and two main sections, each includes two chapters and a number of detailed sub-items for each chapter

And a conclusion included the most important search results.

The conclusion provided a summary of the research as a whole, in terms of its importance, and the reasons for his choice, and its objectives, problematic, and the approach taken in the study, as well as the difficulties faced by the researcher, the most important sources and references adopted.

While the preface was devoted to study the geo-strategic region in terms of the label, and the strategic location and its importance, terrain and climate, then the entrance to the historic period preceding our study; the period between (1918-1962).

The first section came entitled: ((economic life in the Tihama of Yemen between 1918 to 1962)) and contained two chapters according to the nature of the subject

The first chapter study the structure of economic life in the Tihama of Yemen, tackling the forms of agricultural property in the Tihama, and the ways in which the agricultural lands are invested.

It also discussed the agricultural tools, and irrigation system.

It concentrated on the agricultural taxes, forms, and methods of appreciating and collecting these taxes, and how this affect on the living conditions of peasants during that period.

Chapter II studied the fields of economic life in the Tihama, with an emphasis on the importance of various economic fields of agriculture, industry and trade and its impact on the life of the community. This chapter also discussed the crafts in the Tihama.

The second section, entitled by: ((the social life in the Tihama of Yemen from 1918 to 1962)).



*Republic of Arab Syrian
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History*

Economic and Social life in Tihamh of Yemen

1918 - 1962

Dissertation Submitted to obtain a Doctorate in History of the Arabs
the Modern and Contemporary.

*Supervision by Professor Dr.
Samar Bahlawan.*

*By the student
Ali Mosleh Mohamed Hael*

2012 – 1433